

الآلف كثاب (الثاني) ٣٠

لُفْنُ الْأَصْفَالِ

فلسفته، فتوته، وسائطه



لأَنِّي لِلْأُخْفَالِ

فلسفته ، فتوته ، وسائطه

بِقَلْمِ

هُوَادِي نَعْمَانَ الْهَيْتِيِّ

المَهِيَّةُ الْمَصْرِيَّةُ الْعَامَّةُ لِكِتَابٍ - الْقَاهِرَةُ

بِالاشْتِراكِ مَعَ

دَارِ الشُّؤُونِ الْشَّفَاقِيَّةِ الْعَامَّةِ - بَغْدَادُ

مَقْدِمة

مع انتا نحمل للطفولة حنانا ومودة لاحدود لها ، ويحلو لنا ان نسبغ عليها اجمل النعوت ، الا انتا لم تلب لها الا بعضا من حاجاتها . ولا يعود ذلك الى تلکؤ منا بقدر ما يعود الى جهلنا بكثير من تلك الحاجات ، وخاصة ، تلك التي تمثل في الجوانب النفسية والفنية والاجتماعية ، ويرافق ذلك جهل باساليب وفنون اشباعها .

ويؤلف أدب الأطفال اداة فنية من ادوات تنشئة الطفولة ، التي تعتبر ركيزة المستقبل ، لانه يسهم في بناء شخصيتها التي تقوم عليها في الغد شخصية المجتمع الجديد .

ورغم الاهمية التي يحتلها ادب الأطفال في بناء الطفولة ، الا ان ادبا عريبا للاطفال لم يتبلور بعد . يضاف الى ذلك ان بحوثا في هذا الميدان لم تجر حتى اليوم ، في الوقت الذي تتلاحم فيه البحوث والدراسات عن الأطفال وآدابهم في بلدان العالم المتقدمة ، بل ادخل ادب الأطفال ، كمادة منهجية في كثير من كليات الاعلام والاداب ومعاهد التربية واعداد المعلمين ، لا في البلدان المتقدمة وحدها ، بل في كثير من بلدان العالم النامية ايضا .

وهذه الدراسة التي اضعها بين يدي القارئ ، هي ثمرة جهد طويل
مضن ، وممارسة فنية في ميدان الكتابة للأطفال بدأت منذ خمسة عشر عاما .
وقد قسمت هذه الدراسة الى اربعة ابواب ، وقسمت كل باب الى
عدد من الفصول :

تناولت في الباب الاول جمهور ادب الاطفال من حيث خصائصه
واستجاباته للأشكال والمضامين الادبية ، وتناولت في الباب الثاني ادب
الاطفال تعريفا ، ونشأة ، وتناولت في الباب الثالث فنون ادب الاطفال ،
وتناولت في الباب الأخير وسائل الاطفال الى ادبهم وخصائص كل وسيط .

ومع هذا لابد لي ان اقول - مستعينا عبارة العmad الاصفهاني : « انتي
رأيت انه لا يكتب احد كتابا في يومه الا قال في غده : لو غير هذا لكان
احسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من
اعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

وهذه الدراسة لا تهم كتاب الاطفال وادبائهم فقط ، بل تهم - كما
يبدو لي - كل اب وكل ام وكل معلم ، وكل من يرتبط بالطفولة بأي رباط .
ورغم ما لاقيت من معاناة خلال سنوات وضع هذه الدراسة ، الا انتي
سعید بها اليوم ، لانتي حملت مجدافا وضررت به المياه الراكدة .

عسى ان تفتح هذه الدراسة الباب على مصراعيه لمزيد من الدراسات
والبحوث في هذا المجال .

هادي نعمان الهيتي
١٩٧٧

البَابُ بِالْأُولِ
جَمْهُورُ الْأَطْفَالِ

الفصل الاول

مَدْلُولُ جِمْهُورِ الْأَطْفَالِ

قد يكون من اليسير ان تتعرف الى شخصية انسان راشد ، وتفق عند كثير من ميوله واتجاهاته وعواطفه وآرائه ، من خلال لقاءاتنا معه ، او استمعنا الى احاديثه ، او قراءاتنا لما يكتب ، اذا لم يكن ذلك الراشد في مكره ، كالثعالب ولكننا نقف عاجزين عن التعرف الى شخصية الطفل، بصورة واضحة، بل حتى الاباء يقونون حيارى ازاء اطفالهم ، وكثيرا ما يخرجون باستنتاجات خاطئة كليا ، وفي موقع قريب من هؤلاء يقف علماء النفس احيانا .

ترى ، ما الذى يجعل شخصيات الاطفال اسرارا مستغلقة أمام الكبار؟!

انتا تجد صعوبة بالغة في اقامة حوار مع الاطفال لأنهم قليلو الصبر ،
كثيرو التقلب ، حيث تتغير كثير من ميولهم بتغيير مشاهداتهم وملحوظاتهم .
وحتى لو تهيأ لنا اقامة ذلك الحوار ، فان الاطفال يفهمون بعض كلماتنا بغير
ما نعني بها ، فتأنى اجاباتهم من وحي مدلولات تلك الكلمات بالنسبة اليهم ،
فنهز رؤوسنا وكأننا وقنا عندما يعنون .

والاطفال ، رغم انهم نقاد لاذعون ، الا انهم لا يتمتعون بملكة النقد الموضوعي ، فهم يصدرون في ردودهم الاحكام المطلقة ، كأن ينسفون امرا من اعماقه او يتقبلونه حتى لو تضمن الف علة وعلة ، وهم حين يشكون بنا فأنهم يصدقون كل ما نقوله لهم ، وكأننا نأتي بكلام منزل .

ويلاحظ ان الاطفال يقصون وقائع وحوادث لم يسبق لهم ان سمعوا بها او شاهدوها ، لذا يقال عنهم : انهم كذابون . ولكن هذا الكذب لا يشكل انحرافا سلوكيا ؛ انه لون اخر من الكذب يسميه علم النفس الكذب الخيالي او الالتباسي حيث يتصور الاطفال الصغار حوادث وواقع في يقطنهم على شكل احلام ، فيلتبس عليهم التفريق بين الحلم والحقيقة ، كما ان لخيالاتهم سعة تستوعب الافاضة في افتعال القصص ؛ انهم ادباء ، وهل نلوم الاديب حين يكتب قصة لم تقع حوارتها على مسرح الواقع !

والاطفال يحاولون دوما التشبه بالكبار وترديد كلماتهم وعباراتهم وحركاتهم ، وهم من جانب اخر يجاملون ، حين تحلو لهم المجاملة ، او يقاومون مقاومة عنيدة .

انهم بهذا كله ، يضيعون علينا فرصة كثيرة في اكتشافنا لهم ، حتى ذهب البعض - يائسين - الى القول : « ان الحصول على معلومات صحيحة من الاطفال هو امر مستحيل » . واستنادا الى ذلك رفضت المحاكم ان يقف الاطفال امامها شهودا ، مع انها ارتفعت لهم ان يقفوا في اقفال الاتهام !

يقول الكاتب الفرنسي فيليب بوشار :

يكاد يستحيل ، في الوقت الحاضر ، الحصول على اية معلومات حتى عن طبيعة المؤثرات التي تؤثر في الطفل ، وكيفية تأثيرها فيه . وقد درس الاطباء المختصون في علم الاجرام سلوك الاطفال التسواذ وال مجرمين من الاحداث ، ولكن دراستهم هذه لا تنطبق على الطفل السوي الذي لم يكن موضوع فحص علمي منظم - باستثناء بعض الحالات النادرة .

وقد بذلت بعض المحاولات لفهم سلوك الاطفال واستجابةاتهم عن طريق فحص وتحليل الرسائل التي يكتبونها الى الصحف ومحطات الاذاعة ، في المسابقات ، او عندما يطلب اليهم ذلك مباشرة ، ولكن الاطفال لا يكرهون الكتابة فحسب ، بل هم يكرهون الأدلة بارائهم بصرامة اذا طلب اليهم ذلك ٠ ولم يكن محظوظاً صحف الاطفال باكثر حظاً من مخرجى الافلام والبرامج الاذاعية في استخلاص اي درس نافع من تلك الرسائل في الحصول على ارشاد منها (١) ٠

والى عهد قريب ، كان اهتمام المشتغلين بعلم نفس الطفولة قائماً - الى حد كبير - على دراسات وملحوظات فردية ، تخضع لعوامل التجربة المختلفة ، اما في المختبر ، واما في صفوف الدراسة ، واما في المنزل ، وكانت معظم التجارب تجري في جو صناعي بعيد عن الواقع الاجتماعية المختلفة التي يتفاعل فيها الطفل تقاعلاً طبيعياً تلقائياً ٠ ومعنى هذا ان امثال تلك الدراسات الاكاديمية الصرف ، لم تكون مستمدة من حياة الطفل التي يمكن ملاحظتها في ميدان واسع ، هو ميدان الحياة ذاتها (٢) ٠

ومع كل هذه الحجب بيننا وبين الطفولة ، فان هناك دلالات اكيدة تفصح عن كثير من اهواء الاطفال وميلهم العارمة نحو المعرفة واكتشاف العالم ٠

وفي بحر هذه الحجب وخضم هذا الضباب يغامر ادباء الاطفال من اجل الوصول الى : جمهور الاطفال ٠

وجمهور الاطفال ، ظاهرة حديثة ، نسبياً ٠ لانه حتى وقت قصير لم يكن للاطفال ادب خاص بهم ، كما لم تكن لهم مدارس كافية ، ونوادر ومكتبات ومعسكرات ، فكان ان ظلت قطاعات عريضة من الطفولة يتيمة الثقافة ، ووجدت قطاعات اخرى اذهانها وهي تقتات على موائد الكبار ، وفي كل الحالين طعن للطفولة في الخاصرة ٠

وجمهور الاطفال ، بالتحديد ، هم أولئك الاطفال الذين لم يتجاوزوا السادسة عشرة من اعمارهم ، والذين يتهيأ لهم ان يلعبوا ويفنعوا ويستمعوا الى الموسيقي والبرامج ، ويشاهدوا السينما والتلفزيون ، ويقرأوا الكتب والمجلات ، وتجمعهم المدارس والاندية والساحات والمكتبات والمعسكرات ٠

وظهر جمهور الاطفال ، باعتبارهم قطاعا يحمل ميلا واتجاهات وصفات متميزة ، هو حصيلة طبيعية لظهور هذه الوسائل الحديثة في الاتصال بهم ٠

ومثل هذا الجمهور ، لم يتبلور بعد ، في كثير من بلدان العالم النامية ، بسبب النقص المرريع في وسائل ثقافة الطفل فيها ٠ وهذه الظاهرة التي تعاني منها بلدان العالم الثالث - بشكل خاص - تشكل واحدة من المعالم الداكنة التي تزيد الهوة الثقافية والحضارية بينها وبين البلدان المتقدمة، كما انها واحدة من المعوقات في سبيل نمو هذه البلدان ، حيث يعني ضعف الاطفال ضعفا في فاعلية المجتمع نفسه ٠

وبوجه عام فان جمهور الاطفال في تزايد مستمر ، ويقدر الخبراء نسبة الاطفال الذين تمكنتهم ظروفهم من تتبع وسائل الثقافة باتظام باقل من نصف مجموعهم حتى في اكثر الاقطارات اهتماما بوسائل ثقافة الطفل ٠

ويشكل الاطفال نحو ثلث عدد السكان تقريبا ، وهي نسبة عالية ، بلا شك ، ولكن مصدر اهميتها لا تكمن في كثرتها العددية بقدر ما تكمن في اثرها في تعزيز مستقبل الحياة ، ذلك ان قوة الامة وامكانياتها تتتوفر بقدر ما تهيء لكل طفل من مجالات وفرص من اجل تنمية قدراته ومهاراته ومواهبه ، وبالتالي ، تهيئة ل القيام بدوره فيما بعد ٠ ان الطفولة طاقة كامنة ، لا يمكن لها ان تنطلق من عقالها كافيا الا اذا عملنا على تفتحها ٠

اختلاف الاطفال حسب مراحل العمر

الطفولة البشرية اطول بكثير من مرحلة طفولة اي كائن حي اخر ، والرضيع البشري اكثر اعتمادا على الاخرين من صغار الحيوانات الاخرى جميعا والطفل لا يعتمد على غرائز فطرية في سلوكه كما هو الحال في بعض الحيوانات - بل هو قابل للتعلم .

وي يمكن القول أن المؤشرات والدلائل والخصائص التي يتميز بها الاطفال ، هي ظواهر غير قاطعة الصحة ، ومع ان الطفولة تشكل عالما قائما بذاته ، الا ان ما يصدق على الاطفال في عمر معين لا يصدق على اطفال اخرين في عمر اخر . ومن هنا قسمت الطفولة البشرية الى مراحل ، واستتبع ذلك تقسيم ثقافة الطفل وفقا لذلك ، لأن ما يصح ان يقال للاطفال وهم في الرابعة لا يصح ان يقال لآخرين في التاسعة ، وسنجد - فيما بعد - ان للاطفال الصغار الذين لم يبلغوا السادسة صحفا وكتبا وبرامج وأفلاما ومسرحيات خاصة بهم ، كما نجد لآولئك الذين تجاوزوا هذا العمل ألوانا اخرى من الثقافة .

ويعود ذلك الى ان للطفل حاجات بيولوجية ونفسية مختلفة ، وهذه الحاجات تختلف من عمر لآخر ، وان لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل خصائص معينة ، فما يعتبر سلوكا سويا لطفل في الثالثة قد يعد سلوكا شاذآ لآخر في التاسعة ، وما يبعث الخوف والقلق في نفس طفل في الرابعة او الخامسة قد يثير السرور والسعادة في نفس اخر في العاشرة ، وهذا يعني ان هناك تباينا بين شخصيات الاطفال في مستويات العمر المختلفة ، مبعثه : تدرج النمو الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي واللغوي لدى الاطفال .

وعليه ، لابد ان يتواافق الغذاء الادبي المقدم للطفل مع مستوى النمو « وتحصر المشكلة التربوية في ايجاد المعرف الملائمة لكل مرحلة ، وفي تقديمها بصورة قابلة للتمثيل » (٣) وآية عملية تربوية لا تراعي الشروط

النماذج السائدة في مرحلة معينة وما تتطلبها هذه التسروط من عوامل تساعده الناشئة على اكتساب المهارات والعادات السلوكية بتنوعها المختلفة المناسبة لكل مرحلة ، لا تتحقق الاهداف المرجوة منها . لذا تعتبر مناقشة مطالب النمو على درجة كبيرة من الامانة بالنسبة الى دارسي علم النفس التربوي^(٤) والطفل ليس عجينة نسوبياً كما نشاء وفي اي وقت نشاء .

يقول تشيخوف ان عمه حاول يوماً ان يعلم هريرة صغيرة ، في عمر مبكر ، صيد الفئران ، فاحضر فأراها الى الغرفة ، حيث تحيا الهرة ، ولكن الهرة الصغيرة لم تلتفت الى وجود الفأر ، وقد باع كل محاولات العم بالفشل ، حيث تتقدم الهرة خطوة واحدة نحو الفأر . وحين كبرت الهرة كبر معها الخوف من الفأر « لقد اخفق عمي في تربية الهرة لانه دعاها الى الصيد قبل الاواذ بالأسلوب جيري ، قسري ، افقدتها الشجاعة .. لقد كان لي شرف تعلم اللاتينية على يد عمي الجاهل ، وعلى صعيد تربيته الرعناء تخرجت كارها اللغة ، وكارها عمي ، وكارها الطرق العجيبة القسرية »^(٥)

وقد دلت الدراسات النفسية على ان الاطفال يحاولون التهرب من الاعمال التي تعلو عن مستواهم ، بينما نجدهم يثابرون على العمل اذا شعروا بقدرتهم على النجاح ، والمواد التعليمية التي تناسب الاطفال ، ويكون لها معنى في اذهانهم ، تساعده على تنمية معلوماتهم وزيادة خبراتهم ، وتحقق الكثير من الاهداف التي من اهمها : إحداث نمو وتطور في شخصيات الاطفال في الاتجاه الاجتماعي المرغوب فيه^(٦)

وهذا يعني اننا لا نستطيع ان نتعجل الزمن ، او نجعل الطفل يخطو خطوة تالية في نموه قبل اوانها وقبل ان يكون مهيأ لها ، اي اننا لا نستطيع ان نرغم الطفل على ان يتعدى حدود استطاعته في النمو ، ولكننا نستطيع معاونته للوصول الى اقصى حد تستطيعه قدراته ، وكل محاولة لاستباق الزمن

في النمو لا تؤدي إلى وقف النمو حسب ، بل قد تؤدي إلى تأخيره وعرقلته^(٧) . لذا ، من أكبر الأخطاء : التبكير بتوجيه الطفل قبل الموعد المناسب ، أو تأثير سوسيبيه إلى ما بعد فوات الفرصة الملائمة ، وخطأ آخر هو الخطأ في دراسة التوجيه نفسها^(٨) .

وما يليه فإن الالتفاف لا يشكلون جمهورا متجانسا في ميوله وعواطفه ورغباته وحاجاته ونوافعه ، إذ هم يتفاوتون في ذلك تفاوتا كبيرا حسب مراحل النمو البصري ، والعقلي والنفسى واللغوى والاجتماعى ، وتغلب على كل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة ، وهذه الخصائص تحدد كثيرا من المؤشرات لادب الاطفال ، حيث يضعها اديب الاطفال في اعتباره عند التفكير فيما يقدم للاطفال من الوان ادبية ، اذ لا بد ان يتافق ما يقدم للاطفال من الوان ادبية - شكلها ومضمونها واسلوبها - في كل مرحلة ، مع خصائص الاطفال فيها في كل مجال من مجالات النمو . ولكن ايجاد التوافق التام بين ما يقدم للاطفال وبين خصائص مراحل الطفولة واستعداداتها واحتياجاتها امر يكاد ان يكون عسيرا الى حد كبير بسبب تداخل مراحل النمو واختلاف الاراء بشأن تحديدها ولما بين الاطفال من فروق فردية ، كما ان الاجهزة التي تتولى تقديم الثقافة لجسمها لا تستطيع ان تضمن وصول مادة معينة للطفلة المبكرة وحدتها مثلا دون ان تستقبلها الطفولة المتأخرة ، وبالعكس .

يقول ونيفرييد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال :

« ان تفاوت السن بين المترجين في مسرح الاطفال - مثلا - يسبب اعظم

المشاكل فيما يتعلق باختيار المسرحيات ، فما يقبله الاطفال في سن الخامسة يبدو تافها بالنسبة الى الاطفال في سن الحادية عشرة ، وما يهز مشاعر هؤلاء الاطفال يثير فزع الاطفال في الخامسة ، و اختيار مسرحية تناسب الفتى يتطلب تعديلا في نص المسرحية وفي اخراجها . والتسويق - وهو عنصر مهم لدى طفل في العاشرة - غالبا ما لا تطيقه طفلة في السادسة .

فالاطفال الصغار في سن الواقعية (٣ - ٦ سنوات) تشغله
امور الحاضر عن الاهتمام باشياء مجهولة كالعفريتة الام ، والامراء الضفادع ،
والعفريت الطيب ، في حين يحتقر الاطفال في السادسة والثامنة امور المألوفة ،
ويتطلعون الى كل ما هو غريب وخيلي ، بينما يعود الاطفال الكبار الى
الواقعية ويتطلعون الى الابطال اصحاب المغامرات المثيرة^(٩) .

الفصل الثاني

الادب ومراحل الطفولة

بسبب اختلاف حاجات وميول ودوافع الاطفال في مراحل نموهم المختلفة ، اقتضى الامر تقنين الادب المقدم لهم ، بحيث يتوااءم في شكله ومضمونه مع تلك الظواهر في كل مرحلة .

ولكي نصل الى تحديد ذلك ينبغي ان نحدد مواصفات تلك المراحل وخصائص الاطفال خلالها .

وسيلاحظ القارئ ، اتنا بدأنا تقسيمنا بالمرحلة المبتدئة بالسنة الثالثة من اعمار الاطفال ، ويعود ذلك الى ان الاطفال قبل هذا العمر غير قادرين على تلقي ادب الاطفال من خلال الوسائل التي سوف تتناولها فيما بعد ، يضاف الى ذلك ان الطفل يمر في الثالثة بتحول مهم ، وهو ما يسمى بازمة الشخصية الاولى ، حيث يدرك فيها الطفل ، ان له ذاتا مستقلة عن ذوات الآخرين ؟ اي ان شخصيته تظهر الى الوجود بعد ان كان لا يحسب لذاته شخصية مستقلة

عن الاخرين وعن البيئة ، واساس سلوكه خلال السنوات الثلاث الاولى من حياته هو استكمال قدرات النضج الحركية وتطوير الوظائف العقلية .

وعلى هذا فان تقسيماتنا التالية لا تشكل تقسيما لحياة الطفولة بقدر ما تؤلف تصنيفا لاشكال ومضمون ادب الاطفال خلال كل مرحلة .

ورغم وجود حدود بين كل مرحلة من مراحل الطفولة ، الا ان هذه الحدود ليست فاصلة ، حيث تتداخل فيما بينها الى حد كبير . ولكن الاطفال جميعا يمررون فيها بتباع .

اما هذه المراحل فهي :

١ - مرحلة الواقعية والخيال المحدود

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثلاث الى خمس سنوات .

٢ - مرحلة الخيال المنطلق .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست الى ثمانى سنوات .

٣ - مرحلة البطولة .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ثمانى او تسع سنوات الى اثنى عشرة سنة .

٤ - المرحلة المتألية .

وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين اثنى عشرة سنة الى خمس عشرة سنة .

المبحث الاول

مرحلة الواقعية والخيال المحدود

« ٣ - ٥ سنوات »

لكي نستطيع ان نقدم للاطفال في هذه المرحلة ادبا يعينهم على تعرفهم الى
المحيط الذى يعيشون فيه ، ويساعدهم في نموهم العقلى والاجتماعي
والعاطفى ، لابد ان يكون على يينة من السمات الاساسية التي يتميزون بها
وهم في هذه المرحلة من اطوار حياتهم *

عالم الطفل ، في هذه المرحلة ، هو عالم ضيق ؛ انه الام والاب والاخوة
وبعض معارفه من الجيران ، والاقارب ، والباعة الذين يتجلون في محيطه ،
والدمى التي يلهمو بها ، والملابس التي يرتديها ، والطعام الذى يأكله ، والبيت
الذى يعيش فيه ، والحيوانات الاليفة التي تحيا قريبا منه ، اضافة الى ما يحيط
به من مؤثرات جوية وظواهر طبيعية كالبرد والحر والضوء والظلام وما الى
ذلك *

ويتأثر الطفل بعناصر عالمه هذا مستجبياً لتأثيراتها المختلفة ، وهو يحاول باستمرار اكتشاف موقعه من هذا العالم ، ويستخدم حواسه من أجل ذلك ؛ وشغله الشاغل هو الكشف عن البيئة المحدودة المحيطة به .

ولهذه المرحلة خطورتها الكبيرة ، فالسنوات التي تسبق السادسة من عمر الطفل من أهم مراحل تكوين شخصية الإنسان ، وهي أهم بكثير من المرحلة التي يمضيها الطفل في المدرسة الابتدائية ، إذ تكون في هذه المرحلة الاتجاهات الرئيسية لشخصية الطفل ، فيتعلم العادات الخاصة بالغذاء والنظافة والعادات المرتبطة بالجنس ، كما يتعلم المهارات والاتجاهات العقلية والاجتماعية .

ومعروف أن حياة الطفل تبدأ بعلاقات بيولوجية أساسية تربطه بالام التي هي أهم عناصر بيئته الأولى ، ولكن سرعان ما تتطور هذه العلاقات إلى علاقات نفسية ، تتحقق للطفل حاجته إلى الشعور بالدفء العاطفي والشعور بالأمن والطمأنينة ، والشعور بالتقدير ، فينموا شعوره بذاته .

وتفيد جميع الابحاث العلمية ان الطفل يمر في طفولته هذه بعملية تربوية لها من الاثار ما يفوق اي عملية تربوية في اي فترة لا حقة من حياته .

ويقول « وطنن » زعيم المدرسة السلوكية : انه بعد دراسة مئات عديدة من الاطفال توصلنا الى رأينا الذي يؤكد على انه بامكاننا ان نقوى شخصية الطفل او نحطّمها قبل ان يتجاوز السنّة الخامسة من عمره (١١) .

اما التربوي السوفيتي ا.س. مكارينكو ، فيقول :

« ان السنوات الخمس الاولى في حياة الطفل هي الفترة التي تستقر فيها اسس التربية الاولى ، فكل ما يفعله الوالدان في هذه الفترة يمثل تسعين بالمائة من عملية التربية ، ولئن كانت عملية التربية وتكوين الشخصية تستمر بعد هذه الفترة فان معظم ما يجيئه المربى فيما بعد هو ثمار لازهار تفتحت في تلك السنوات » (١٢)

ويميل الطفل ، في الغالب ، في هذه الفترة ، إلى اللعب الانعزالي إذ يلعب مع الأطفال الآخرين في جمادات صغيرة دون تمييز واضح بين البنات والبنين . ويكون الأولاد أكثر ميلاً للعدوان والحركة بينما تكون البنات أكثر هدوء .^(١٣) إلا أن الطفل بوجه عام يكون أميل إلى التركيز على ذاته رغم ما يبذله من جهود الدعوة الآخرين لمشاركة في اللعب . وتركيزه على ذاته يعود إلى أنه أصبح أكثر وعيًا بها .

ويلاحظ أن الطفل ، في هذه المرحلة ، كثيراً ما يدعى من هم أكبر منه عمرًا للعب معه ، كأن يدعوه أمه أو إباه أو إخاه . بل هو يتعلق بالأشخاص الكبار ويرتبط بهم بروح من المودة المتبادلة وهو حتى وإن انجذب نحو زملائه الصغار إلا أنه سرعان ما يعود إلى الكبار ، بسبب اعتماده عليهم اجتماعياً وجسمياً إلى حد ما .

ولكنه ، من جانب آخر ، يبدأ بالاعتماد على نفسه في تدبير كثير من شؤونه الخاصة وأصدار الأحكام المستقلة في بعض ما يقوم به من أعمال .^(١٤) فتطوره العقلي يفتح أمام ناظريه عوالم وافقاً جديدة ، ويتمثل النمو العقلي أيضاً في اكتسابه مفردات لغوية جديدة ، وحصوله على معلومات كثيرة عن طريق اثارته الأسئلة المتزايدة ليغذي رغبته العارمة في الاستطلاع ، ولهذا السبب نجد الطفل بين الثالثة والسادسة من عمره يضيف حوالي ٥٠٠ - ٦٠٠ كلمة سنوياً إلى المفردات التي يعرفها ، وليس هذا بغرير على الطفل الذي لا يستقر له قرار دون التعبير عن خلجاناته ، والذي يثير يومياً نحو ٣٠٠ سؤال على الأقل ، عن الشؤون المتعلقة بالبيئة التي يعيش فيها .

إن الطفل ، شعوراً منه بذاته ، يجد نفسه في دنيا ما يزال يجهل الكثير عنها ، فيبدأ بتساؤلاته . من هذا ؟ ما هذا ؟ ومن أين هذا ؟ وتتزايده أسئلة بمرور الأيام ، وهي تعطي الدلالة على تعطشه في هذه المرحلة إلى المعرفة ، وشدة فضوله ، وحيرته ، وحيويته ، وفاعليته في التجاوب مع كل ما يحيط به .

فتراء يتساءل عن اسماء الناس والأشياء ، واسباب الظواهر ، وقد تكون تساؤلاته في كثير من الاحيان تعييرا عن الخوف والقلق .

ان الطفل ، يبحث دائما - في هذه الفترة - لاكتشاف عالمه ، والوقوف على خفاياه . وحين يقع بين يديه شيء جديد ، يتطلع اليه ، ويجهزه ، ويلويسه ، ويقلبه على وجهه وقفاه ، وهو بعد ذلك يحاول ان يفتحه ليتعرف على ما في داخله

ان الاطفال في اسئلتهم واستطلاعاتهم يجرون تجارب على الاشياء والكلمات والافكار في محاولة دائمة لاكتشاف معان جديدة .

وتشكل دوافع هذه الاسئلة المثلثة في حب الاستطلاع ، والتجاوب مع مختلف الظواهر ، وسائل قوية لتطوير خبرات الطفل وبلورة شخصيته وتنميته عقليا واجتماعيا وعاطفيا .

والاجابة عن اسئلة الاطفال ذات تأثير كبير فيهم وعندما تكون اجاباتنا متنقة مع اسس التربية ، يكون نموهم سويا ، ويكون تكيفهم الاجتماعي سليما ، لأننا بذلك نشيع فضولهم الى المعرفة ، ونحدّ من حيرتهم وسط هذا العالم الذي يحسون فيه بكثير من الغربة ، ونخفف من توترهم وقلقهم .

وعلى هذا فمن الخطأ الكبير التهرب من الرد على اسئلة الاطفال او التبرم منها ، او الاكتفاء باجابات مبهمة او بعيدة كل البعد عن الواقع اذ لا بد من تقديم الاجابات بصبر وافية ورحابة صدر ، وببساطة ، تتناسب ومدى نمو الاطفال عقليا ونفسيا ولغويها . واللاحظ ان جل الامهات والآباء يعجزون عن ذلك .

★★★

في هذه المرحلة يكون خيال الطفل حادا ، ولكنه محدود في اطار البيئة التي يحيا فيها ، كما يكون ايهاميا فالطفل يتصور العصا حصانا فيمسك بها

ويضعها بين ساقيه ويجرى بسرعة متوجهما انه فارس من الفرسان ، ويتصور غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال متوجهما انه سائق ، ويتصور الدمية كائنا حيا يحدها برفق ونعومة او يغضب منها فيطلق عليها سهام السب والشتيمة .. ومثل هذه الممارسات التي يقوم بها الطفل تسمى باللعبة الايحامي • وينذهب علماء النفس الى القول : ان للابهام وظيفة مهمة في نمو الطفل لانه وسيلته الى تنظيم الكثير من نشاطاته ، واساس لمارسته مهاراته الحركية ، وسبيله الى اتصالاته الاجتماعية ومتروقاته الجماعية ، وطريقة الى تشبيط تفكيره وفعالياته بدلا من ان تظل خاملة •

ولدراسة المحتويات او العناصر التي يتكون منها خيال الاطفال في سن ما قبل المدرسة قامت ابحاث عديدة تناولت احلام الاطفال ورغباتهم • ومن هذه الابحاث ما قام به ف • ماركي ، حيث استدل منه على ان متوسط ما يقوم به الطفل في سن ٣ شهرا من مواقف خالية هو بمعدل ستة مواقف ونصف في كل مئة وخمسين دقيقة ، وفي سن الثالثة والنصف تزداد هذه المواقف فتبلغ ستة وعشرين موقعا خiallyا في مثل المدة المذكورة (١٥) •

وفي هذه المرحلة يستند ميل الطفل الى المحاكاة والتقليد والتمثيل ، فيمثل القصص التي يسمعها ، والناس الذين يستغرب اعمالهم ويشكّلهم او يستملّها ، بما يمثل في محاكاته كل ما يرى ويسمع (١٦) حتى قيل ان الاطفال في هذه الفترة يفكرون بايديهم وارجلهم اكثر مما يفكرون بعقولهم ، وان حواسهم دائمًا بين ايديهم ، وهذا يستدعي دفع الاطفال الى التمثيل والخطابة والرياضة واللعب وتنمية هوياتهم الحركية •

وتسمى هذه المرحلة من مراحل نمو الاطفال بمرحلة (اللعب) احيانا ، حيث يكون الطفل كثير الحركة والنشاط ، وهو يجري وراء كل شيء ، ويلعب بكل شيء • وقد عنيت التربية الحديثة بمسألة اللعب هذه فاستخدمتها وسيلة من وسائلها في تربية وتعليم الاطفال ..

وزيادة نشاط الطفل في هذه المرحلة يعود إلى ازدياد امكانياته البدنية إذ ان مرحلة ما قبل المدرسة تتميز بالنمو البدني السريع ، وتكون عضلات الطفل قد بلغت مرحلة من النضج تساعده على القيام بالأعمال الحركية كالجري والقفز والتسلق اما عضلاته الدقيقة فانها لا تصل إلى مستوى كاف من النضج ، لهذا نجد الطفل لا يجيد استخدام اصابعه مثلاً في الاعمال الدقيقة كالكتابة والرسم ، بينما يستطيع محاكاة الكبار في كثير من الاعمال الحركية الاعتيادية . ولكن حركات الطفل تتخل غير منتظمة ، لذا لابد من معاونته على السيطرة عليها .

★★★

ويحتاج الطفل ، في هذه المرحلة ، لكي يفهم ما يقوله ، ان تتكلم معه ببساطة ووضوح ، وان تكون كلامات الحديث مرتبطة بمدلولاتها من الاشياء والاعمال ، متصلة بعالمه الذي يعيش فيه .

ويجب ان يكون واضحاً ان مقدار ما يفهمه الطفل من الانفاظ والجمل والعبارات اكثراً مما لديه من الحصيلة اللغوية التي يستخدمها في التعبير . لذا يقال ان لكل طفل قاموساً فهماً واخر كلامياً .

وقد دلت الملاحظات ان الطفل يتعلم الاسماء اولاً ، وخاصة اسماء الاشياء المحيطة به ، وتأتي بعد ذلك الافعال ، فتساعده على التعبير مع الاسماء التي تعلمتها ، ثم تأتي فترة ي Brittى فيها نمو الاسماء ويزيد نمو الافعال وتظهر الصفات مع الافعال او بعدها ، والصفات المحسوسة ، تسبق في العادة ، الصفات المعنوية ، التي يجيء تعلمها في وقت متأخر ، ثم يتعلم الطفل الظروف المتصلة بحياته . وواضح انه يتعلم الصفات قبل الظروف ، لأن الصفات تعبر عن خصائص يسهل ادراكها مثل أبيض واحمر وصغير وكبير ، وفي نهاية السنة الثانية يستعمل بعض الاطفال الضمائر : أنا وانت ، ثم يبدأ باستخدام ادوات الربط والجر (١٧)

والملاحظ ان هناك فروقا كثيرة في حصائل الاطفال اللغوية ، وهذه الفروق تتمثل في القاموس اللغوي او الطلاقة او ترتيب الافكار ، او القدرة على التعبير او النطق و اخراج الاصوات ، وما الى ذلك ٠

والطفل بطبيعته محب للاستطلاع ، ويدفعه هذا الحب الى الاتصال المباشر بكل ما يحيط به ، وبذلك تزداد ثروته اللغوية من الفاظ ومعان يوما بعد يوم ، فهو يلعب مع رفقاء ، ويراقب افراد اسرته وجيئ انه اثناء احاديثهم والوان نشاطاتهم الاخرى وهو ينتقل مع ذويه من مكان الى مكان ، ويحمله ذوقه رسائل شفهية الى معارفهم ، ويعود اليهم بمثل هذه الرسائل ، وهو في يستمع الى القصص ويروها وهو يمارس الوان النشاط الحركي ٠٠ وهو في خلال كل هذا يضيف الى قاموسه اللغوي كلمات وتركيب جديدة ويزداد تفهمها بكلمات ورموز لغوية جديدة وقدرة على استخدامها كلام او بعضا ، حين يتحدث او يستمع ٠ وحين يبلغ سن المدرسة يكون قد امتلك عدة الحديث والفهم ، ويستطيع استخدام اجزاء الحديث الاساسية من اسماء وافعال وحروف كما يستطيع صياغة الجمل والعبارات والتركيب التي تحمل ما يريد اداءه من معان تتفق مع نضجه وخبراته ٠ (١٨)

ويمكن القول ان لكل كلمة تاريخا شائعا في نفس الطفل ، فالكلمة تمر بالطفل في عديد من المواقف المختلفة ، وهو حين يستمع اليها في البداية قد تأخذ في ذهنه دلالات معينة ولكنها في معظم الاحوال غير دقيقة ٠ وبتعدد المواقف وازيداد الخبرة يتعدل مفهومها شيئا فشيئا ، الى أن يأتي الوقت الذي يتحدد هذا المفهوم ويستقر طبقا للعرف السائد في البيئة التي يعيش فيها (١٩) ٠

وفي حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » التي نظمتها لجنة ثقافة الطفل في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية في القاهرة بين السابع والعشر من شباط عام ١٩٧٢ وشاركت فيها من العراق مع عدد اخر من المعينين بشؤون ادب الاطفال في الوطن العربي ، تحدث الدكتور محمد محمود

رضوان عما خرج به من دراسته للغة الطفل العربي في مصر ، وأشار الى انه اهتدى مع زملائه الى عدد من الظواهر التي تميز هذه اللغة في هذه المرحلة :

أولاً : يغلب على لغة الاطفال تناول المحسوسات لا المجردات .

فالاطفال عند بدء تعلمهم الكلام يتعرفون الى الاسماء المحسوسة ، اما الافعال والحرروف فتظهر بعد ذلك ويختلف ظهور المعنيات مثل « حب » و « حنان » و « فن » و « نسيان » لأنها تقتضي خبرات مستمرة في مواقف معينة تهيئ للطفل عملية « التعليم » ولما كانت قدرة الطفل على التعليم لا تأتي الا متأخرة – بعض الوقت – لذا فان كلمات مثل (الحرية) و (الشعور) و (الكرامة) لا تعني شيئاً بالنسبة الى الاطفال في هذه المرحلة وهم حين يرددونها لا يحيطون بمعانيها .

ثانياً : يغلب على لغة الاطفال الترکز حول الذات .

وتعليل ذلك ان الطفل قبل سن المدرسة غير اجتماعي ، او تغلب عليه صفة التمرکز حول الذات بسبب البيئة المحددة التي يحيا فيها ، وقلة خبراته ، لذا نراه حين يتحدث عن هذه الخبرات او حين يعبر عن موقف من المواقف يرتكز حديثه غالباً حول نفسه ، وحتى اذا خاطب غيره او اشار في حديثه الى غيره فالاغلب الاعم ان يكون مقصدته النهائي هو النفس .

ولعلك اذا راقبت حديث الطفل في هذه السن لفت نظرك تكراره للضمائر التي تدل على المتكلم مثل (أنا) (وقاء الفاعل) و (المفعول) . بل ان الطفل يكرر الضمير (أنا) حيث يمكنه الاستغناء عنه باستخدام حرف العطف امعاناً في احساسه وتأكيداً لذاته .

ثالثاً : يشوب كلمات قاموس الطفل الفموض ، ويعوزه التحديد، حيث ان ثروة الطفل اللغوية تنمو رويداً رويداً خلال السنوات الاولى حتى تبلغ اكبر من الفي كلمة في حوالي السنة السادسة من عمره ، ثم تأخذ في الزيادة في المرحلة الابتدائية وتضاف اليها كلمات جديدة ونصيب كل كلمة من التكرار

والاستعمال والمواقف والخبرات التي ترد فيها تختلف عن نصيب غيرها رسوها • وعليه ، ولما كانت قدرة الطفل في هذه الفترة على التعميم والتجريد قاصرة ، وخبراته محدودة ، لذا فمن المتوقع أن يشوب عدداً ضخماً من الكلمات قاموسه اللغوي الغموض وان يعوزها التحديد • ومن ثم استخدام الطفل لها استخداماً متبايناً غير دقيق •

رابعاً : تكرار الكلمات والعبارات •

وغرام الطفل بتكرار المألوف نزعة طبيعية تتجلى في نواحي سلوكه المختلفة منذ الطفولة الأولى ، فهو يكرر ما ألقه من حركات وأصوات •

وهذه النزعة أكثر وضوحاً في التعبير اللغوي ، حيث إن اللغة من أيسر العمليات التي تبرز فيها قدرة الطفل على محاكاة الكبار • ويلاحظ أن الطفل يستمر في تكرار الكلمات والعبارات في مراحل نموه المختلفة ، وان كان يجني إلى الأقلال منه كلما كبر ، ونمّت قدرته الفعلية ، واتسعت أمامه آفاق الابتكار ، وازداد محسوّله اللغوي من الكلمات والأدوات التي تعينه على ربط الجمل والعبارات •

خامساً : تقديم المتحدث عنه في الجملة الخبرية :

وقد لوحظ أن الطفل يبدأ عبارته الاخبارية عادةً باسم المتحدث عنه أو ما يسميه البلاغيون المسند إليه ، ثم يذكر المسند بعد ذلك سواء كان اسماء فعل ، ولا يعكس الأمر إلا نادراً • فالطفل يقول (احمد راح إلى المدرسة) ولا يقول « راح احمد إلى المدرسة » إلا نادراً ، ويقول « الشمس طلعت » ولا يقول « طلعت الشمس » إلا في إجابة عن سؤال وهكذا ..

سادساً : اختلاف مفاهيم الأطفال لكثير من الكلمات والتركيبات اختلافاً بيناً عن مفاهيم الكبار لنفس الكلمات والتركيبات :

ذلك لأننا لا نستطيع الفصل بين النمو العقلي والنمو اللغوي ، مما

النمو اللغوي الا مظهر من مظاهر النمو العقلي حيث يخضع لعامل (الصej) من ناحية ثم لعامل (التعلم) او (التدريب) من ناحية أخرى .

وت تكون مفاهيم الطفل عن الاشياء تبعا للخبرات التي يتعرض لها في حياته، وهو يربط في اثناء ذلك بين الاشياء ورموزها الصوتية التي اصطلاح عليها في العرف اللغوي ، وتكون مفاهيمه في اول الامر - كما اشرنا - مسؤولة بالغة بالغة وقصور التحديد ، وكلما زادت خبراته زادت هذه المفاهيم دقة ووضوحا وتحديدا .

وعلى هذا فليس من المتوقع ان نجد لدى الطفل في سن دخول المدرسة او قبلها من مفاهيم الكلمات مثل ما نجد عند الكبار ، الناضجين ، وبالتالي تكون معظم الانفاظ التي يستخدمها دلالات قد تختلف في كثير عن دلالات نفس الانفاظ بالنسبة الى الكبار او بالنسبة الى ما جاء في معاجم اللغة .

لهذا نستطيع القول ان للاطفال في هذا السن مفاهيم معينة لكثير من الكلمات والتركيب التي يستخدمونها والتي لابد ان ترد في المادة اللغوية التي تقدم لهم في المدرسة او في المجلة او الكتاب او على خشبة المسرح او في الاذاعة او في التلفزيون .

وان هذه المفاهيم قد تختلف في كثير او قليل عما اتفق عليه العرف في لغة المعاجم ، وانه لكي يكون تعاملنا مع الاطفال ، لغويا ، قائما على اساس سليم ولكي نستطيع ان نعدل بالتدرج من مفاهيمهم هذه حتى نصل بها الى ما اصطلاح عليه العرف اللغوي ينبغي ان ندرس لغة الاطفال ، وان تنتهي دراستنا الى وضع معجم لهم يستعين به المعلمون وكتاب الاطفال .

هذا ، وللطفل فوق ما تقدم طرائقه في الاستفهام والتعجب والاستفائه والنهي والرجاء والعقوب والتهديد والاستنكار وغير ذلك .

★★★

وعلى هذا ، ومن وحي الخصائص التي يتتصف بها الاطفال في هذه المرحلة،
يتحدد شكل ومضمون الادب المقدم لهم ٠

ان خيال الاطفال التوهمي في هذه الفترة يستمرىء الاشكال القصصية
وانسب القصص للاطفال ، ما احتوى شخصيات مألوفة من الحيوانات
والنباتات ، وحوادث عنها ، او شخصيات بشرية مألوفة لهم كالام او الاب او
الاطفال الصغار على أن تكون لهذه الشخصيات صفات جسمية سهلة الادراك
كالدجاجة الحمراء ، والبنت ذات الشعر الاصفر ، والرجل الشيخ ذي اللحية
البيضاء ٠ ويجد ان تكون هذه الشخصيات — حتى الجماد منها — متكلمة
او ذات اصوات وحركات ، لأن في اهتمام هذه الشخصيات صفات الحركة
والتكلم والالوان الزاهية اشباعاً لميل الطفل الى الايهام ، اذ هو يميل ، في هذه
المرحلة ، الى الاعتقاد الوهمي بان الجماد يتكلم (٢٠) ٠

ولا يستجيب الاطفال في هذه الفترة للقصص الخيالية ، ولكنهم يغرسون
بالقصص الواقعية الممزوجة بشيء من الخيال والتي تكون شخصياتها « من
الحيوان او الجماد » ناطقة متحركة ٠

ولما كان مدى انتباه الطفل قصير في هذه المرحلة كان ضرورياً ان تكون
الالوان الادبية المقدمة له قصيرة سريعة الوقع والعبور ٠

وفي منتصف هذه المرحلة يبدأ الخيال في النمو ، ويقوى بالتدرج ،
ولكن يجب ان تذكر ان الخيال هنا محدود بالأشياء التي في بيئة الطفل ،
كتخيشه للعسا حصاناً يمتطيه ، او سفينة يركبها ، والكراسي اطفالاً مثله
يحدانهم ، ويضر بهم اذا غضب ، وهو لهذا يسر بانواع القصص الخيالية
ذات الشخصيات الخرافية التي يعرف عنها شيئاً حقيقياً في حياته الواقعية ٠

ومن العيوب الشائعة في القصة ان تكون الفكرة مخيفة لما بها من
حوادث الغيلان ، وقتل الاطفال وسجنهما من غير شراب او طعام ٠ (٢١)

وتشكل الاجابة عن اسئلة الاطفال حول بيئتهم جزء من مضامين ادب

الاطفال في هذه الفترة .. وهنا لابد ان نشير الى انه ليس المهم ان نقدم للاطفال الحقائق كاملة حين يتساءلون .. لاننا في هذه الحالة نغدر الحقيقة التي قد يفهمها الاطفال مشوهة او مغلوطة ونفقد الهدف المبتغى من الاجابة ، وهو فهم الطفل لعالمه الذي يسعى لاكتشافه .. كما انه ليس من المهم ان نملا ذاكرة الطفل بالحقائق ، بل المهم ان نملاً مخيلته بالافكار .

وتتجذب اهتمام الاطفال في هذه المرحلة الحيوانات التي تتقمص شخصيات الادميين ، وتحاكي تصرفاتهم ، وتتجذب اهتمامهم ايضا الاسماء المضحكة الغريبة .. واكثر الاشياء بعثا للسرور والضحك لديهم هم الاشخاص الذين يسقطون على الارض ويقعون فجأة ، والذين يتلطخون بالطلاء او الوحل ، او الذين يقومون بمطاردات سريعة .. ومما يبعث في اطفال هذه المرحلة خوفا قاسيًا وجود شخصيات ضللت طريقها او شخصيات تركت وحيدة^{٢٢٧} .

اما اللون والحركة والحجم والصوت ، فهي صفات تلازم المحيط الذي يحياه الطفل ، وتلازم موجوداته من حيوانات ونباتات وجمادات .. لذا يتأثر الطفل بها كثيراً ويستجيب لها ما دامت ضمن اطار واقعه وخياله .. وعليه كان ضروري ان ندخل ذلك في حسابنا ونحن نتوجه الى الطفل .. فأنت حين تحدث لالطفل عن قطة في احدى القصص ينبغي أن تشير الى لونها الاسود الفاحم مثلًا والى عينيها الحادتين ، والى موائتها الشديدة ، وركضها السريع وهي تطارد الفأر المذعور المهزوم ..

والاطفال ، بوجه عام ، يكونون في اذهانهم صورا خيالية عن ابطال القصص ، ومن الضروري ان نعيهم في تكوين هذه الصورة كي لا تظل مشوهة في اذهانهم ، كما ان الصور الجميلة في كتبهم ومجلاتهم تساعدهم في تكون تلك الصور الذهنية ، اضافة الى انها تجذبهم وتشدهم ..

وبوجه عام فان الایقاع والحركة السريعة واللون والصوت ادوات تعني مضمون ادب الاطفال وتزيد من ولع الاطفال به ..

ويهتم الاطفال في هذه المرحلة بموسيقى الكلمات ، ويستمتعون بالجمل المنغومة ، وتهزهم العبارات الموزونة او المسجوعة ، ويتشرون للاحنیات ذات الایقاع السريع وللاصوات المرحة التي تطلقها شخصيات قصصهم ٠

ولايمل اطفال هذه المرحلة من تكرار القصص ٠ ومن القصص المفضلة لديهم القصص التي تؤكد على الذات ٠

ولainاسب الاطفال في هذه المرحلة ، كل ما ينطوي على اثارة مخاوفهم كقصص العجان والعفاريت والسحر وقصص العنف والاجرام ، لأن مثل هذه الخبرات بعيدة عن بيئتهم كما أنها بعيدة عن آفاق خيالاتهم ٠

وتجسيد المواقف المحزنة او المفجعة تثير آلام الاطفال وتبعث القلق في نفوسهم ، وليس بالضرورة ان تنطوي كل قصصهم في - هذه المرحلة - على عقد او مشكلات ، لأنهم كثيرا ما يستمتعون بقصص ذات اسلوب وصفي منغم العبارات ٠

والسنوات الاخيرة من هذه المرحلة توجب العمل على تهيئة الطفل للمرحلة القادمة من حياته ، عن طريق توسيع خيالاته ورقة بيئته وتهيئته اجتماعيا لها وتشجيع اتجاهاته الاستقلالية ، وامداده بالخبرات ٠

المبحث الثاني

مرحلة الخيال المنطلق

٦ - ٨ سنوات

الطفل الذي كان يتخيّل العصا حصاناً فيمسك بها ويضعها تحت ساقيه ويُشمر عن ساعديه مقلداً الفارس الشجاع، ويُتخيل غطاء القدر مقود سيارة يلف به ذات اليمين وذات الشمال، ويُتخيل الدمية كائناً حياً فيتحدث إليها وكأنه يتحدث إلى رفيق من رفاقه، ويتشبه بالبطال وبأعمال البطولة ..

هذا الطفل ينتقل إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الخيال المنطلق؛ إنه في هذه المرحلة يظهر رغبة حقيقة في ركوب الحصان، وفيادة السيارة، ومحادثة رفاق حقيقين، أي أنه يتحول من ذلك الخيال المحدود ببيئته إلى الواقعية في خيالاته غير المحدودة، متتجاوزاً اللون الأليهامي، إلى اللون الابداعي أو التركيبية الموجه إلى غاية عملية، فهو بعد أن مر بتجارب عديدة في واقعه المحدود وتخطىء ذلك إلى عوالم أخرى فانه يرسم لها في ذهنه كثيراً من الصور ..

في هذا الطور ، يكون الطفل قد قطع مرحلة التعرف الى بيئته المحدودة المحسوسة المحيطة به ، في المنزل والشارع ، فهو يعرف ان الكلب يعض ، وان النحله تلسع ، وان القط يخدش ، وان البقرة الحمراء تد رالبن الأبيض وان النار تحرق ، ولكنه يتوقف الى تخيل شيء اخر وراء هذه الظواهر الطبيعية الواقعية التي خبرها بنفسه ، شيء غير مألوف عنده في بيئه غير بيئته هذه (٣٢) .

ويتسع في هذه المرحلة فضول الطفل ، ويكبر معه حبه لاستطلاع عوالم ارحب من تلك التي كان فيها في المرحلة السابقة ، فهو دائم التساؤل في موضوعات مختلفة . انه كالتأهيل الذي يريد من يرشده بأستمرار ، ويجب عليه عن استئنته العائمة بين خضم الحقائق العديدة التي يعرفها الكبار . ومن بين استئنته ما يتعلق بالجنس والولادة ، وهو يسعى دائماً للحصول على الاجابة المقنعة . وهنا يجدر ان يجذب على استئنة الطفل المتعلقة بالجنس اجابة واضحة وبسيطة دون حرج ، لأن ذلك يمنحه الثقة بأن هذه المعلومات اعتيادية لا تختلف عن كثير من المعلومات الأخرى التي يتعلمها كل يوم عن الحيوانات والنباتات وما الى ذلك .

ويلاحظ ان نسبة كبيرة من استئنة الاطفال في هذه الفترة سببها المخاوف ؛ المخاوف من اشياء لم يكن للأطفال بها خبرة سابقة او مباشرة . . . فهم مثلاً يخافون الحيوانات حتى وان لم يهاجمهم في حياتهم حيوان ما كالكلب او الذئب او غيرهما . وهم يخافون اللصوص وال مجرمين والشريدين رغم انه لم تسبق لهم اي خبرات معهم ايضاً ، كما انهم يخافون العوامل فوق الطبيعية كالموت والاشباح والغول . . . حتى وان كان منهم من لم يسبق له ان فقد عزيزاً عليه او فرداً من افراد عائلته ، وحول هذه الموضوعات كثيراً ما يتسائل الاطفال بهدف الشعور بالامن والطمأنينة من خطر مجهول (٢٣) .

وعلاقة الطفل بامه في هذه المرحلة ، هي علاقة عطف وحب ، ينافسها ويعاتبها ويتحدث معها ، وعلاقتها بايه تقوم على اساس الاحترام والاعجاب والخوف . ويقبل كلام ايه دون مناقشة ، لانه يعتقد ان اباه هو الانسان

الذى يعرف كل شيء ، وهو لا يود ان يفارقه ، ويسعده جدا ان يشاركه اللعب كما انه يتمسك باسرته ويعتز بها اعتزازا شديدا^(٢٤) .

وي فهو الطفل ويحب بمفرده ، وهو لا يشارك زملاءه في اللعب بسهولة وسرعة ، لذا نجد الاطفال في هذه الفترة حتى لو وجدوا في جماعة فان كلا منهم بادىء بدء يلعب وحده وبادواه الخاصة ، وحين يلعبون في جماعات فان هذه الجماعات قليلة العدد . ويحب الاولاد والبنات معا . وهذا يفرض ان يعني ادب الاطفال في هذه الفترة بتنمية السلوك الاجتماعي لدى الاطفال ومساعدتهم على تنظيم التعاون والعمل المشترك .

وتبلور لدى الاطفال ، في هذه المرحلة كثير من القيم الاخلاقية والمبادئ الاجتماعية في تعاملهم مع الآخرين ، حيث تتضح الصبغة الادبية التي يتعامل بها الطفل مع غيره ، وتلك التي يريد للآخرين ان يعاملوه بها .

وفيما يتعلق بفترة التركيز والاتباه ، يستطيع الطفل ان يركز لمدة اطول مما كان عليه ، في المرحلة السابقة على احداث اكثرا تركيبا ، كما ان باستطاعته ان يستنبط القيمة الاخلاقية للاندر الادبي^(٢٥) .

وتنمو مشاعر الاطفال نحو محبة العدل والمساواة ، وترنو تقوسيهم الى المزاح ، ومن جانب اخر ، يتعلون من اجل ان يتلعلموا كثيرا من سؤون الكبار ويعرفوا على اهتماماتهم . وفي الوقت الذي ينسدون فيه جوا من الافلة بينهم وبين من هم اكبر منهم الا انهم يسعون للاستقلال عنهم .

وتفكيير الطفل يظل مرتبطا بالانسياط المحسوسة ، اذ ان تصوره عن طريق المسيرات لا عن طريق الانسياط ، ولا تكون لديه مدركات كثيرة كثيرة تعينه على الاستدلال المنطقي الصحيح ، فهو يستطيع ان يدرك العلاقة الزمنية او المكانية التي بين الانسياط ، اما ادراك العلاقات السببية فيكون ضعيفا ضعفا نسبيا ظاهرا^(٢٦) .

وعليه ، فان الطفل في هذه الفترة ما يزال في دور اسنقطابي Ego-Centric في تفكيره ، وهو بدرك العلاقة بين الاتسياء ادراكا جمعياً ، اد يجمعها معا ويضمها بعضها الى بعض . ويستشهد بياجيه - مدير معهد جان جاك روسو واستاذ جامعة جنيف سابقا - على ذلك ببعض الرسوم التي رسماها الاطفال . فانك لو طلبت منهم رسم دراجة مثلا لرسموها بشكل اجزاء مجموعه دون ان يظهروا فيها وحدة رابطة ، اي انهم لا يضعون كل جزء حيث يجب ان يكون بالنسبة الى الدراجة ، والاتسياء بالنسبة اليهم اما مجموعه في كل مبهم او غير واضح ، او متفرقة واحدة واحدة بشكل غير تركيبي . (٢٧)

ويتميز الطفل - في هذه المرحلة - بنمو سريع في الخيال ، وبشدة تطلعه الى الافق البعيدة ، لذا يتبلور ولعه بالقصص الخيالية التي تخرج في مسامينها عن محطيه وعالمه ، بل نجد الطفل ينجذب للانصات الى القصص الخرافية ايضا بما في ذلك قصص الجان والعفاريت وببلاد العجائب ..

ولكن هل ينبغي لنا ان نستجيب لاواع الاطفال ونقدم لهم كل ما تهفو اليه قوسمهم ؟

انتي ارى ان من الخطأ الفادح ان ننساق وراء ميول الاطفال بهذا الاتجاه ، اذا اردنا لاطفالنا ان ينشأوا نشأة سوية ، فالاطفال قد يعيشون احيانا باشياء خطيرة دون ان يقدروا عواقب عبئهم .. وليس من المناسب ان نقدم للطفل كل ما يريد ، بل ينبغي لنا ان نسترشد بأسس التربية لنقرر ما يصح تقديميه لهم ، وما لا يصح . وهذا لا يعني ان نقف في طريق خيالات الطفل او ننشبها او نجبره على التقليل منها ووضعها في اطار الواقع المحسوس ، لأننا بهذا نغتال بهجة من مباهجه العظيمة ونحد من وسيلة خلاقة لها اثرها في بناء شخصيته .

وهنا لا نستطيع ان نغفل الاشارة الى ان جمیع اولئك العاقرة الذين كان لهم باع طویل في ميدان الابتكار والاختراع كانوا ، ولاشك ، في

طفولتهم ذوي خيالات خصبية ، وساعدتهم خيالاتهم الواسعة على ارتياض اوسع العالم في صغرهم وارتياض مجالات الابداع في كبرهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان من بين اسباب قساوة حياتنا - نحن الكبار - هو افتقارها الى الاخيلة البريئة ، لذا ترانا نصول هنا ونجول هناك بحثا عن متعة او فرحة تلتمس فيها لمحه تعيدنا الى شيء من اخيلة الطفولة .

ويذهب البعض الى القول : ان الخيال هو ملكة خاصة تتبع للبشر ان يتصوروا نوعا من الواقع لا يدرك بالحواس الظاهرة

★★★

وتستمر ذخيرة الطفل اللغوية في هذه الفترة بالاتساع ، ولكن اغلب الكلمات لا تعني لديه شيئا الا اذا ارتبطت بخبرة حسية « وفي التعليم يميل الطفل الى ما هو عملي او يدوي ولا يسلي الى ما هو شفهي او لفظي » (٢٨)

وفي المرحلة السابقة كان الطفل يعتمد في ثقافته وفيما يكتسبه من المعرف على اللغة السمعية المنطقية التي يستخدمها في تعامله مع المحيطين به ، اما خلال هذه المرحلة فانه يتحقق بالمدرسة الابتدائية ويسرع في تعلم نوع جديد من لغته ، وهو اللغة البصرية ، لغة الكتابة والتدوين وقراءة المكتوب (٢٩) .

★★★

واستنادا الى تلك السمات التي يتميز بها الاطفال في هذا الطور تتحدد اشكال ومضمون الثقافة المقدمة اليهم كما تتحدد الوسائل التي تنتقل عبرها هذه الاثار .

وبوجه عام من الضروري ان ننتبه الى مخاطر الجنوح الى الخيال الهدام الذي يبعد الاطفال عن الواقع ويجعلهم يحسون وكأنهم يعيشون في عالم الاوهام . لذا وجب ان ننمى في اذهان الاطفال أخيلتهم الابداعية .

ان الاطفال في هذه المرحلة يتجاوزون الاخيلة الايهامية الى لون ابداعي يهدف الى غاية عملية تجعلهم يتسوقون الى الصور الذهنية غير المقددة التي ترسمها في مخيلتهم القصة او المسرحية او المقالة ، او القصيدة ، او الاغنية ٠ واكثر المضامين التي تشبع خيالات الاطفال هي القصص التي تنقلهم الى آفاق بعيدة خارج حدود معارفهم ٠

وكثيرا ما ينجذب الاطفال الى الحكايات الخرافية التي تزخر بالشخصيات المخيفة والحوادث المفزعية كحكايات السحراء والعفاريت وما الى ذلك وهم يجدون انفسهم وهم يستمعون الى مثل هذه القصص في حالة شديدة من الخوف ولكن قلما تجد طفلا يهرب من هذه الحالة ، انه يظل يتابع حوادث الخرافية ، بل يزداد التصاقها بها وانفعلا بواقعها ، وهو – في الحقيقة – لا يمر بحالة استمتعان قدر مروره بحالة من الخوف اللذين ٠ ولكن عوائب هذه اللذة قد تكون ذات تأثير سلبي في نفوس الاطفال نظرا لما يواجههم من القلق ، ولا يقلل من ذلك ادراك الاطفال – الى حد ما – ان تلك الخرافات خيالية لم تحدث في عالم الواقع ٠

كنت يوما اراقب معلما يروي حكاية خرافية لعدد من الاطفال في حوالي السابعة والثامنة من اعمارهم ، كانت الحكاية تتحدث عن العملاقة الذين يخوضون في ماء البحر ويصطادون الاسماك ويرفعونها بايديهم قريبا من الشسنس فتنسو حراقة الشمس لاسماك و كنت اجد امارات الخوف تبدو على وجوه الاطفال كلما ردد المعلم كلمة «العملاق» ورغم ان القصة طويلة فقد كانت اعناق الاطفال تترقب نحو المعلم ، وكلما توقف قليلا بين مقطع وآخر كان الاطفال يلحون عليه لا كمالها ٠٠ انهم في هذه الحالة يتباينون بانفعال حقيقي مع وقائع الحكاية ، ويدفعهم خوفهم وقلقهم الى معرفة نهاية العقدة ، بل كانوا يقتربون من معلمهم شيئا فشيئا كلما ازداد خوفهم ، يتطلعون الى عينيه يستدلون منها القوة لابعاد الخوف عنهم ، وبعد اكمال الحكاية تلفت الاطفال ، الواحد نحو الآخر كي يعرف كل واحد منهم مدى الخوف الذي

اصاب زميله ، كما ظلوا الى جوار المعلم فترة ساكتين ، وحين تفرقوا ظلت عيونهم تتطلع نحو الارض لترتفع الى السمس .. والغريب انهم ألحوا من اجل اعادة الحكاية من جديد .

والاطفال في هذه الفترة شديدو الفعالية والسلطان لذا يطلق على هذه المرحلة اسم « مرحلة التبذير الحركي » .. وليس هذا فقط بل هم يتسلبون بالgamers والبطال ، لذا ينجذبون الى قصص المغامرات الخيالية .. وهذا يستوجب ان نراعي في مثل هذه المغامرات ان تسير الحوادث وفق عامل السبيبة قدر الامكان ، حتى لا تبدو الحياة امام الاطفال وكأنها محسومة من المقالب والافخاخ .

ويفضل الاطفال في هذه المرحلة القصص القصيرة ، وخاصة تلك التي تكون نهاياتها غريبة او مضحكة ، كما يفضلون القصص المسلسلة التي يتهدى كل فصل منها بعقدة ونهاية ، كما يحبون الطرائف التي تستند الى التلاع بالالفاظ والكلمات .

وخلال هذه الفترة ، وحين يلتحق الاطفال في المدرسة ، تبدأ في حياتهم جوانب كثيرة ، حيث يجدون انفسهم امام واجبات جديدة ، ومسؤوليات جديدة ، معقدة في اكثرا الاحيان ، وكثيرا ما تنتأ لديهم ردود فعل تتمثل في اللامبالاة وعدم الاكتتراث وفقدان التسavor بالمسؤولية ، فيلجماؤون الى التسكم في الطرقات او يمارسون الالعاب التي تنسفهم احزان المدرسة ومسؤولياتهم ، وكثيرا ما يتوجهون الى الالعاب الخطرة .

وهنا لابد من الاهتمام بتنمية شعور الاطفال بالمسؤولية وتهذيب سيطرتهم على حركاتهم ، وتعليمهم معنى الخطرا .

وفي هذا الطور ينصل الاطفال الى الكبار ، ويستمعون الى توجيههم ، وفي هذا الجانب الايجابي تكمن خطورة ذات اثر سلبي ، اذا ما اساء الكبار التوجيه .

المبحث الثالث
مرحلة البطولة
٨ - ١٢ سنة

دور اخر يبدأ الطفل ، هو مرحلة البطولة ، حيث يتنتقل من مرحلة الواقعية والخيال المنطلق الى مرحلة هي اقرب الى الواقع ، انه يتبع عن الامور الخيالية بعض الابتعاد ، ويهتم بالحقائق ويستند ميله الى المقاتلة والسيطرة والألعاب المختلفة وخاصة الألعاب التي تتطلب المهارة والمنافسة ، ويسره التنقل من مكان الى مكان ، وقد يترك المدرسة او المنزل مغامرا مع بعض زملائه في عمل من الاعمال التي تتطلب الشجاعة أو المخاطرة . ولذلك نجده يعجب كل الاعجاب بابطال و المغامرين : يقرأ عنهم ويشاهد - بشغف لا حد له - ما يصور بطولاتهم و مغامراتهم . ويحاول تقليدتهم في بعض المغامرات التي ينفون بها ، ويبلغ اعجابه بهم درجة التقديس ، مهما يكن موضوع البطولة او المغامرة ، لذا يسمى هذا الطور « طور البطولة والمغامرة » (٣٠)

ويخلص الطفل الى الجماعة التي ينتمي اليها ، في هذه الفترة ، حتى لو تعارض اخلاصه هذا مع ما يفرضه عليه المنزل او المدرسة ، وكثيرا ما تندفع

الجماعات التي ينظمها الاطفال في هذه المرحلة نحو القيام باعمال طائشة كالاعتداءات والمساجرات والمقاتلة ، ويلاحظ ان محترفي الاجرام كثروا ما يس怒لون بعض اطفال هذه المرحلة ليشكلوا منهم عصابات يوجهونها لتنفيذ لهم مآربهم .

ويلاحظ ان الاطفال يتلقون في تجمعاتهم عند افكار ونظارات متشابهة عن الحياة ، ولهذا وجب التحفظ حول ما يقدم للاطفال في هذه الفترة من اعمال ادبية من خلال وسائل الثقافة المختلفة وخاصة تلك التي تدور حول البطولة والمغامرة .

ويتقبل الاطفال الى حد بعيد اراء الاخرين الذين يثقون بهم ، وبنفس الوقت نفرة شديدة من اراء اولئك الذين لا يثقون بهم ، وهم يحبون الظهور ، ويقلدون في حركاتهم وكلماتهم من يعجبون بهم ، كما يسلون الى التمثيل وكل ممارسة اخرى من شأنها المشاركة مع الاخرين - رغم ان الطفل يظل يشعر بفرديته وفردية الاخرين من حوله - ويكتون افكارا ونظارات عن الاشخاص والقيم والمفاهيم ، كما يبدون اهتماما بالمسائل التاريخية .

وتبلغ القدرة على الاستظهار والتذكرة درجة كبيرة ، في هذه المرحلة ، فيستطيع الطفل ان يحفظ الحوادث التاريخية والحقائق العلمية والألغاز والعبارات والاشيد والاغاني وما يناسبه من مقتطفات الشعر والنشر . وتزداد قدرته على ادراك علاقات الاشياء بعضها بعض وخاصة العلاقات الزمانية والمكانية ، كما يدرك كثيرا من صفات الاشياء وخصوصيتها . ويستطيع التفكير في امور معنوية اكثر مما كان عليه من قبل . ولكن قدرته على التجريد والتعظيم وتكوين المعاني الكلية الواضحة تظل محدودة (٣١)

وفي هذه الفترة يستطيع الاطفال التحكم في افعالاتهم اكثر مما كانوا عليه ، ويصلون من اجل الحصول على المعلومات الجنسية من زملائهم لذا

تشيع بينهم الافكار الخاطئة عن الجنس • ويميلون الى الجسح والادخار
وانساء الاشياء •

ويستطيع الطفل ادراك المدلولات الزمنية للحوادث التاريخية ، بينما نجد
ان استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل التاسعة والعاشرة لا تتعدي
حفظ تواريخ تلك الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الادوار
التاريخية وربط هذه الادوار ببطا يدل على ادراك يتضمن معنى التابع
الزمني الذي يدل على التطور (٣٢)

وستهوي الاطفال قصص الشجاعة والمخاطرة والعنف والقصص
البوليسية والمعامرات وقصص الرحالة والمكتشفين سواء كانت حقيقة ام
خيالية ، كما تستهويهم القصص الهزلية المصورة ، ويلاحظ انهم يستمتعون
بالاستماع الى الراديو ومشاهدة الافلام السينمائية والتلفزيونية والعروض
المسرحية ، وقراءة المجلات •

اما البنات فأنهن يغرسن بالقصص التي تتناول الحياة المنزلية والامور
العائلية ، مثلما يغرسن بالقصص التي تتحدث عن الجمال او تلك التي تشير
الاتفاعات ، حيث يزداد الاختلاف بين البنين والبنات في اواخر هذه المرحلة •

والاطفال في هذه السن اكثر صلاحية واستعدادا لمشاهدة المسرح
كوسيلة تعبير فنية فيمكنهم متابعة العقد المسرحية الاكثر تركيبا ، والحوادث
الاكثر تشابكا ، وتحقق الى حد ما رؤية واضحة لما يحدث على المسرح •
يقول وينفرييد وارد :

لو سألنا طفلا في العاشرة او الحادية عشرة عن نوع المسرحية التي تعجبه
لأجاب على الفور : « مسرحية مثيرة » ان اهتمامه ينصب على الحكاية وما
تشتمل عليه من حوادث وما فيها من تشويق ، ويثير حماسه الابطال الذين
يقومون باعمال جريئة والذين يتحاشون الاخطار في اخرج اللحظات ، واند ما
يستهويه هو المسرحية الطويلة ذات المناظر الكثيرة التي لا يمتزج فيها الخيال

بالحقيقة وتنهي بانتصار البطل ، ويلقى النرير وبال عمله ، ويحب ان يرى النرير والعقاب ينزل به ، والطفلة في الناسعة والعشرة والعادية عشرة تحب نفس الشيء الذي يحبه الصبي ، ورغم انها بدورها تميل الى الواقعية ، الا انها تكتفي بالقليل من المواقف المتيرة ، وتحب ان تكون للمسرحية بطلة بدلا من البطل وغالبا ما تفضل المسرحيات الخيالية المشهورة ، وخاصة اذا كان الالخراج مناسبا لمستوى سنها .

وفي قصص المغامرات والاكتشافات لابد ان نحرص على توفير الدوافع الشريفة من اجل غرس الانطباعات الفاضلة في نفوسهم وتنفيرهم من الاعمال المتهورة والعدوان والاندفعات الحمقاء .

ويلاحظ ان الاطفال في هذه المرحلة حين يعودون الى بيوتهم يقصون لوالديهم الحوادث والواقع التي وقعت لهم خارج البيت او في المدرسة كما يصفون النجاح الذى احرزوه او الفشل الذى اصابهم ، وهنا يستوجب التعليق على حكاياتهم وابداء الاهتمام بها ، ومناقشة الموضوعات التي يتيرها الحدث او الواقعة ليصلوا بفكريهم ومداركم الخاصة الى الحل الصحيح ، مع معاونتهم على تصحيح معلوماتهم بذاتهم (٣٣) . عن طريق الوان ادبية مختلفة .

يقول موريس فلورانت ، مدير قسم شؤون الطلاب في مكتبة هاشيت الفرنسية : يجب ان توضع للاطفال بعد السابعة او الثامنة الكتب التي تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاستئلة على انفسهم عن كل ما حولهم ، او بمعنى اخر الكتب التي تؤهلهم لسن المراهقة .

ويقول : ان افضل سن يستطيع الطفل فيه ان يستوعب ما يقدم له من معلومات هو سن التاسعة من العمر .

ويضيف : انه ينبغي اختيار المواد والمعلومات التي يجب اعطاؤها للاطفال في هذا السن اختياراً دقيقاً ، اذ انه ليس المهم تعليم الطفل بل المهم تلقينه فعلاً كيف يتعلم فضلاً عن اختيار ماذا سيتعلم .

ويعتقد : ان هذا السن يعتبر افضل سن لاكتساب المعلومات والمعرفة وحتى الاخلاقيات التي تبقى مع الانسان حتى يبلغ سن التسيب . ذلك لانه اذا بلغ الطفل هذا السن ، فان من الضروري ان يوضع امامه كل ما يجب ان يوضع امام انسان مقبل على حياة بالغة التعقيد ، في كل مجال : في العلم ، في التربية ، في الاخلاق ، وحتى في العادات والتقاليد التي تبقى غالباً مع الانسان حتى النهاية . (٣٤)

ويسيطر الطفل في اواخر هذه المرحلة على المهارات القرائية الاساسية وفهم معاني الرموز اللغوية المفروعة ثم الاستجابة لما فيها واستخدام الافكار المستخلصة من القراءة كلما ظهرت الحاجة اليها .

ولهذا تمتاز هذه المرحلة بامتلاك الطفل لامكانيات تتيح له القراءة في مجالات متعددة . ومتى يزيد في تعويذ الطفل على القراءة المتعددة الجوانب ما تمتاز به هذه المرحلة من عمر الطفل من الاستقرار النفسي والانفعالي بعكس المرحلة التي تتميز بعدم الاستقرار .

وقد أجريت بحوث عديدة عن اهتمامات الاطفال القرائية في هذه المرحلة ، وثبتت تعددتها وتنوعها ، كما ثبت حدوث بعض التغيير في ميل الاطفال القرائية التي كانت سائدة في المرحلة السابقة ، حيث يقل اقبالهم على قراءة القصص الخيالية التي تحتوي على قوى وحوادث خارقة . ويرجع ذلك الى ان نمو الاطفال العقلي المتزايد يساعدهم على تقبيل عالم الواقع بدرجة لا يأس بها ، ويصبح الهروب من هذا العالم الى الخيال امراً لا مبر له . ويتطور حب الاطفال للقصص التي تحكم على لسان الحيوانات الى حب الكتب التي تزيد معلوماتهم عن هذه الحيوانات ، وتبين لهم كيف تعيش واين نعيش وما هي طباعها وكيف تتكاثر ومتى تهاجر . ويفسر هذا التطور في الاهتمامات القرائية الى نمو الرغبة في مزيد من المعرفة والعلم عن العالم المحيط ، عالم الحيوان والانسان والنبات ، بل وعن البيئة الطبيعية المحيطة .

يمتاز الاطفال في هذه المرحلة بالميل الى قراءة كتب العلوم- المبسطة وكتب التكنولوجيا المتعلقة بتركيب لعبة ميكانيكية او نصيمها . ويرجع السبب في ذلك الى ان هذه الفترة من عمر الطفل تمتاز برغبته في ممارسة اعمال يدوية ومهارات ميكانيكية ، فنجدهم يحاولون القيام بصنع الاجهزة كالراديو او الاجراس الكهربائية او غيرها ، فضلا عن الاعمال الفنية التي تتطلبها مجموعة كبيرة من الهوائيات التي يمارسها الاطفال في هذه السن والتي تتطلب القراءة والاستزادة من المعارف المرتبطة بتلك الهوائيات، لهذا كان من الطبيعي ان يلتجأ الاطفال الى القراءة للوصول الى إجابة عن مئات من الاسئلة التي تدور في عقولهم (٣٥) .

كذلك ثبت أن من الميول القرائية للاطفال والتلاميذ في اواسط هذه المرحلة اي الفترة بين سن ١٠ - ١٢ سنة حب قصص المغاجات وقصص المغامرات والقصص التي تعتمد على التفكير والتوقع ، وكذلك قصص الاسفار والرحلات ، وذلك لأن الاطفال في هذه السن يحبون معرفة : كيف يعيش الاطفال في البلاد الأخرى . كذلك يميلون الى قراءة قصص البطولة ولهذا كان من الممكن استغلال هذه الرغبة في تعريفهم بالبطولات القومية والامجاد الوطنية التي يفخر بها المجتمع . (٣٦)

المبحث الرابع
مرحلة المثالية
١٢ - ١٥ سنة

في بداية هذه الفترة ، يأخذ الطفل بتجاوز حياة الطفولة ، اي انه ينتقل من مرحلة تتصف بالاستقرار العاطفي النسبي الى مرحلة دقيقة شديدة الحساسية ، حيث تحصل فيها تغيرات واضحة ، يصاحبها ظهور القوى الجنسية واشتداد الميل الاجتماعي وتباور التفكير الاجتماعي والنظريات الفلسفية عن الحياة .

وبدائيات هذه المرحلة تعد جزء من المرحلة السابقة ، حيث يقترب الطفل من البلوغ فيما بين العاشرة والثانية عشرة وتنجلى رويدا رويدا عملية التحفز ، اذ ان سنة الطبيعة هي الوثوب يتطلب شيئا من النبات قد يخاله المرء جمودا او شيئا من التراجع لكي تكون المقدرة على الوثوب والقفز اعظم واكبر ، ومثلما تطبق هذه الظاهرة - ظاهرة التحفز للوثوب - على الناحية البدنية ، تطبق كذلك على الناحية النفسية ، ففي الانتقال من مرحلة من

مراحل النمو النفسي الى مرحلة نالية يلاحظ المدقق الخبرير احياناً شيئاً من التراجع النفسي قبل ان يفuzzi المرء الى المرحلة التالية ، كتراجع الطفل الـ 11-12 الذي اصبح في سن المدرسة متلاً الى التعثر اللغوي « بسا لا يتاسب مع حسيته » اللغوية في تلك السن ، او كأرتداده الى غير التعثر اللغوي من مظاهر المرحمة التي هي على وشك ان يتخطاها الى غيرها كالتعلق بالدمى ، او العودة الى النبأ لالا ارادى او غيرها من مظاهر الطفولة الاولى (٣٧) .

ولكن ، حين يقترب الطفل من البلوغ فيسما بين العاشرة والثانية عشرة . تبدو عملية التحفز واضحة ، بل هي تأخذ شكل تحفز ومقاومة في آن واحد ؛ تحفز نحو الانتقال الى المرحلة التالية ، ومقاومة نفسية تبذلها الذات ضد الميول الجنسية . ويطلق على فترة التحفز والمقاومة هذه ، اسم ما قبل البلوغ ، وتستمر عادة من العاشرة الى سن الثانية عشرة (٣٨) .

ولهذه الفترة القصيرة التي تربط بين دور الكون وبداية البلوغ ، علامات مبكرة واضحة من ابرزها نفور الفتى من ملاعبة الفتيات . وكذلك نفور الفتاة من ملاعبة الفتيان ، اي ازدياد كل منها احساسا بجنسه . يرافق ذلك احساس الطفل بالفروق الفردية التي تسيزه عن اقرانه .. ففي هذه الفترة تتجلی بوادر الاستعدادات المختلفة ، ويحس الطفل بسواءاته ..

الشخصية ، سواء كانت عقلية ، ام فنية ، ام جسمية ، ام كانت من قبيل الاماني والامال التي لا يساركه فيها غيره ٠

وباقتراب المرء من البلوغ تزداد ايضا رغبته في الاستقلال و حاجته الى ان يجد شيئا مذكورا ؛ ومن ثم فهو يسعى ، عادة ، الى اعادة النظر في الروابط التي تربطه بأهله ورفاق طفولته لينبذ منها ما لم يعد متتفقا مع نظراته الجديدة ، كما انه يعمد الى مراجعة الحفائق التي كان يتقبلها عن طيب خاطره ، فينبذ ما لا ينسجم منها مع وضعه الجديد ٠٠ وما يصدر اليه من أوامر والديه ، مثلا لا يتقبله على علاقته بل يعمد الى تحليله ، ويتمرد على ما يعده خليقا ب طفل صغير ٠

وفوق هذا وذاك ، فهو ينصرف عما كان يستمتع به ك طفل صغير من اصطحاب الاسرة له اثناء الترويح والنزهة ، او هيمنتها على اختيار ملابسه و حاجاته الاخرى ، ويتوقد الى الذهاب الى السينما او الخروج للنزهة مع اقرانه ؛ اي انه يتمرد على كل ما كان يستهدف جعله تابعا ، او يقيده بقيود ، او يفرض عليه فروضا ، ويتسوّق الى كل ما يتسعه باستقلاله وفرديته ويحرره من حياة الطفولة التي يلعب فيها الخيال ، لا الواقع ، الدور الاكبر ٠

على انه ينبغي ان لا يغيب عن اذهاننا ، ان الفتى ، برغبة رغبته في الاستقلال و حاجته الى الاحساس بفرديته والسيطرة على الوسط المحيط به ، يرغب ، في الوقت نفسه ، ان يظل طفلا مستمتعا بروابطه العاطفية بوالديه من خلال تبعية لا تحمله مسؤولية ولا تلقى عليه تبعة ٠ ومن ثم فان ما يبديه من نشاط ينبع عن رغبته في اخضاع البيئة التي تحيط به وهو يخفى - في الحقيقة - صراعا داخليا يحس له في نفسه قلقا غامضا ، ثم يتجلى هذا الصراع وذاك القلق واضحين عندما تحل فترة المراهقة (٣٩)

ويشغل الاطفال في هذه المرحلة بالقصص التي تمتزج فيها المغامرة

بالعاطفة وتقل فيها الواقعية وتزيد فيها المثالية ، لذا سمي هذه الفترة « بالمثالية » .

وأكثر المغامرات التي يتسوق الأطفال إليها في هذه الفترة هي التي تقوم ببطولتها شخصيات تتصف بالرومانسية ، وخاصة تلك التي تواجه الصعب الكبير والواقع المعقدة من أجل الوصول إلى حقيقة من الحقائق أو الدافع عن قضية عادلة ، ويشوّقون أيضًا إلى القصص البوليسية وقصص الجاسوسية ، أما القصص التي تتناول العلاقات الجنسية فانها نجذبهم كثيراً حيث انهم يشارفون على البلوغ الجنسي

وهنا لابد من الاشارة إلى أن التربية الجنسية اليوم قد أصبحت فرعاً من فروع علم التربية معترفاً به في كل مكان في العالم ، ولم تعد المدارس والمعاهد تدرسها وتهتم بها حسب ، بل انتقل إلى المعابد أيضاً ، ولا عجب في ذلك ما دامت التربية الجنسية تستهدف تأمين الازان العاطفي للراشد وللطفل - صغيراً كان أم مراهقاً -

ويلاحظ اليوم ، أن الكتب الجنسية تنتشر انتشاراً واسعاً بين الكبار في وطننا العربي ، وفي مقدمة أسباب ذلك هو أن الراشدين يجدون أنفسهم في حاجة دائمة للتعرف إلى الأمور الجنسية التي فاتهم التعرف إليها بشكل دقيق في فترات طفولتهم المختلفة ، رغم أن ما يطرح في الأسواق اليوم من هذه الكتب لا يحمل في الغالب محتوى علمياً سليماً . وكثيراً ما يقرأ الكبار هذه الكتب بعيداً عن أعين الآخرين ، بسبب ما توارثناه من أنه ليس من المناسب الحديث عن الجنس . بل ما زلنا نخاطب ، بشكل غريب ، بين موجة المتاجرة بالجنس عن طريق الصور والأفلام والكتب وبين التربية الجنسية ، وكأنهما قضية واحدة ؛ ننظر إلى الجنس برهبة وخشية ، ونحيطه بالسرية ، وهكذا نعمل إزاء التربية الجنسية أيضاً .

ويبدو أن هذه الذهنية تمتد إلى أمد موغل في القدم ، وخاصة في

مناطق الشرق ، حيث كانت الثقافات ترى الانسان كروح لابد له ان يتحرر من الحس ، وبالتالي فان كل قضية جنسية ممحضه في النطاق التناسلي فقط ، في الوقت الذي تشكل القضية الجنسية فيه واحدة من العواطف الانسانية .

ان الاطفال يتربون اليوم كي يفهموا بعض حقائق الجنس من الشارع او من خلال كتب وأفلام ومطبوعات المتاجرة بالجنس دون ان يتلقوا شيئاً بهذا الصدد وفق اسس التربية الصحيحة .

وعليه ، لابد من مصارحة الاطفال ببعض المشكلات الجنسية كي نبعد عنهم الخوف والقلق والحرمان ، ونحول دون الواقع فيما وقعنا به من النظر الى الجنس نظرة مشوهة ، وان بدأ بذلك ابتداء من تفتح عواطف الاطفال ، وهذه ، ولاشك ، تسبق فترة المراهقة بكثير ، لأن ما نسميه تربية جنسية ليس الا جزء غير قابل للتجزئة من التربية العاطفية بوجه عام ، والتي لا يمكن لأحد ان يناقش في وجوب الالتزام بها .

ان ادب الاطفال يمكن ان يؤدي ، دوراً كبيراً في التربية العاطفية ، بما فيها التربية الجنسية ، ما دام الادب يتسلل الى الذهن والعاطفة « بشكل مؤدب » . ونحن نعرف ان هناك صوراً عارية مثلاً تثير العاطفة الجنسية قبل كل شيء ولكننا نعرف في نفس الوقت ، ان هناك صوراً اخرى ، رغم ما فيها من عري الا انها تعتبر من روائع الفن الجميل ، اذ هي لا تثير العاطفة الجنسية قدر ما تثير العواطف الانسانية الاخرى .

ومما يزيد في اهمية عنابة ادب الاطفال بالتربية الجنسية ، هو ان البيت في مجتمعنا العربي ، والمدرسة ايضاً ، ما تزالان ، حتى الان ، غير مؤهلتين للقيام بهذا الدور ، لأن البيت والمدرسة ، ما تزالان تربطان الجنس بالتحريم والغموض والعقاب والذنب ، بحيث يشعر الطفل ان مجرد التساؤل عن اي قضية تخص الجنس امر هو اقرب الى الجرم .

وهنا ، لابد من الاشارة الى نفطة ، وهي انه ليس من المناسب ان نقدم كل الحقائق والمعلومات الجنسية للأطفال ، لاسباب عده ، منها ان في الجنس امورا خصوصية ، وهذا يعني ان هناك اسرارا بين الاباء والابناء او بين الكبار والصغر ، وهذه الاسرار ينبغي الاحتفاظ بسريتها الى حين ، اضف الى ان كثيرا من الحقائق - وهذا ينطبق على كل مجال من المجالات الاخرى - لابد ان تظل امام الاطفال ليكتنفوها بانفسهم ويتعلموها حين يحين الوقت المناسب لذلك .

وليس هذا فقط ، بل اتنا نرى ان الحقائق والمعلومات المقدمة للأطفال لا تعني شيئا في حد ذاتها اذا لم تسهم في بناء شخصيات الاطفال وتدفعهم الى التفكير والتأمل . بل ، ان اخطر الحقائق والمعلومات ، في نظرنا نحن الكبار قد لا تثير الاطفال اذا لم تقدم اليهم بكيفية مناسبة ، وسوف نرى ان ادب الاطفال لا يعني بالمعلومات والحقائق وحدها ، مثلا تفعل اكثرا المنهج المدرسي ، لأن أي لون من ألوان الادب لم يكن يوما حقائق ومعلومات وحسب .

وهناك ، من يرى ان يتوجه ادب الاطفال ، في هذه الفترة الى الهاء الاطفال واسغالهم وتنمية الهوايات لديهم فقط ، ولكن هذا وحده لا يكفي لأن « ما يقال من انه في استطاعتنا تحويل الطاقة الجنسية لدى المراهق عن طريق ميادين النشاط المختلفة لاستنفادها ، هي وسيلة غير كافية للتغلب على الاضطرابات الجنسية لدى المراهق ، اذ لا يمكن عن طريق هذا التحويل الاستنفاد نسبة معينة فقط من الطاقة الجنسية ، فالكثير مما يسمى : اعلاه ، هو في الحقيقة تحويل للقوة المحتبسة الدافعة الى مسالك اخرى تؤدي الى التعرض الى بعض الامراض النفسية » (٤٠)

للأطفال في هذه الفترة ميول متعددة ، تسمح لهم بتوجيه نشاطهم في ميادين متعددة اهمها الحياة الاجتماعية ، في الوقت الذي يملك الاطفال الصغار اوقات فراغ كثيرة ، وقد اتضح من ابحاث Terman and Lima

ترمان ولیما ان الرغبة في القراءة بقصد التسلية تصل قمتها فيما بين ١٣-١٢ سنة ، وبعد ذلك ، نجد ان قراءة الفرد تحددها ميوله ورغبته في التزود بالمعلومات والخبرة . وقد ايدت ابحاث Eberhart عام ١٩٣٩ هذه النتائج ، حيث اتضحت ان الطالب في الفرقه السابقة من مرحلة الدراسة الامريكية (وهي تعادل سن الثانية عشرة) يقرأ بمعدل ٣١ قصة في العام تنقص الى ١١ في سن السادسة عشرة (في الفرقه الحادية عشرة) ، يقابل ذلك ما يقرب من ٢٥% بالنسبة الى الكتب غير القصصية Non fiction Reeding في سن الحادية عشرة و ٦٥% كتب في الاعمار ١٧-١٦ سنة على التوالي ، ومعنى ذلك ان نوع قراءات المراهق وكمية ما يقرأ تختلف باختلاف العمر ، فهو ميال الى قراءات القصص في السنوات المبكرة من حياته ، وتقل تلك الرغبة في السنوات المتأخرة من مرحلة المراهقة ، بعكس ميله الى قراءة الكتب ذات المعلومات العامة التي تحددها ميوله واستعداداته ، فان هذه الرغبة تقل في السنوات الاولى من مرحلة المراهقة وتأخذ في الزيادة في السنوات الاخيرة .^(٤١)

وتتنوع قراءات الاطفال في هذه الفترة بين القصص والفكاهات والروايات والاخبار والمقالات السياسية . كما انهم يقضون اوقاتا غير قليلة في الاستماع الى الراديو وتختلف اهتمامات الاطفال عن اهتمامات البنات في كثير من المجالات .

ويلاحظ ان اطفال هذه المرحلة يتبعون برامج الكبار في الراديو والتلفزيون ويميلون الى قراءة كتب وصحف الكبار ، وكثيرا ما تلاقي ، البرامج والكتب والصحف المقدمة اليهم على اساس انهم اطفال ، عزوفهم لانهم يشمون منها ما ينهم على النظر اليهم كصغار في الوقت الذي يعتبرون انفسهم قد شبوا .

وهم لا يكتفون بقراءة القصص فحسب بل يميلون الى اختلاق الايقاصيين بالاتجاه الى عالم الخيال . وهذا ما يسمى باحلام اليقظة .

وليس هناك خطر في التجاء المراهق الى احلام اليقظة ، اذا لم يكن يفضل هذه الاحلام على الصلات السوية مع زملائه وزميلاته ، واذا لم يكن يت未成 فيها وسائل للهرب من الصراعات الداخلية ، وما يشعر به من نقص . (٤٢)

وبوجه عام فان الناشيء في هذه المرحلة يميل الى انواع القصص الوجداينية والى قصص البطولة والجاسوسية ، والقصص التي تشمل حوادث العلاقات الجنسية ، والقصص التي تتحقق فيها الرغبات الاجتماعية والمصالح ، كالنجاح في المشروعات الاقتصادية ، والوصول الى درجة القيادة والزعامة (٤٣) .

وينبغي من خلال ما يكتب للأطفال ، في هذه المرحلة ، عدم تسفيه احساساتهم أو النيل من أفكارهم او الاشارة الى أنها نزوات صبيانية مثلا ، لأن ما يميزهم في هذه الفترة هو حدة حساسيتهم الانفعالية ، وعدم اتزانهم ، وشدة تعرضهم للأس ، وتبليور العواطف الشخصية نحو الذات والتي قد تتخذ مظاهر الاعتداد بالنفس .

وينبغي فتح المجال من خلال وسائل الادب للمراهقين لأن يبدوا اراءهم ، لأن ذلك يشعرهم ان افكارهم تلقي القبول والاحترام ، وقد تبين ان تمرد المراهقين في كثير من الاحيان يأخذ شكل اندفاع من اجل عرض آرائهم ، وهم حين يلاقون اية مقاومة فانهم يتمردون او يبدون آرائهم بعجرفة ..

ويمكن مناقشة المراهقين ، من خلال وسائل الادب مع عدم النيل منها بشكل مباشر ، من اجل كسب ثقتهم ، ومن توجيههم دون اشعارهم بالاحباط او الاذلال .

ومن الشائع في دور المراقبة ان نجد المراهق يبحث في اخطاء الآخرين مع ميله الى نقد تصرفاتهم ، ولا يتتخذ هذا النقد شكل سلبيا ، بل قد يكون

في بعض الأحيان مصحوباً باقتراحات عملية في الاصلاح ، ولا يقتصر هذا الميل على جماعة معينة من الناس او هيئة من الهيئات التي يتعامل معها ، بل نجد ان روح النقد شاملة فهي خد الاسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة . وهذه الهيئات جميعاً تكون مصدر ضيق للمراهق ، فهو لذلك لا يتوانى عن نقدها محاولاً اصلاحها ، واذا ما تعذر عليه ذلك ازداد ضيقه ، وقد يستد بعد ذلك نفسه ، وقد ينطوي على نفسه يائساً من الوصول الى حاربه (٤٤) .

وكلما زادت خبرة المراهق زاد وعيه بمشكلات المجتمع الاجتماعية : سوء توزيع الثروة ، الفقر ، والضغط على الضعفاء . ونتيجة لذلك فأن اتجاهه نحو الآخرين يصبح اتجاهها انسانياً ، ويترسخ شعوره هذا الى المجتمع ونظمها ، فينظر اليه نظرة فاحصة ، ولا يصل المراهق الى هذه الدرجة الا في مرحلة متأخرة من المراهقة حيث يكون قد حقق قدرًا من النضج العقلي وبلغ قسطاً من الثقافة .

ويختار المراهق من يريده من اصدقائه بنفسه ، ويرفض اي تدخل من والديه في ذلك الموضوع ، يعكس الطفل الصغير ، الذي لا يمانع مطلقاً في ان يختار له الوالدان بعض الاصدقاء ، او ان يشار عليه بقطع علاقته بهم (٤٥) .

ويبدو ان المراهق في الدور الأخير لهذه المرحلة يبدأ في تكوين عواطف نحو الاشياء الجميلة ، فنجد أنه يحب الطبيعة ، ويعشقها ، ويعير عن تلك الظاهرة بالرومانسية ، وبجانب ذلك ، فإنه يبدأ بتكوين بعض العواطف المجردة التي تدور حول موضوعات معنوية كالتضحيّة والدفاع عن الضعيف .

ويكون المراهق واسع الخيال ، ويبدو ذلك جلياً في كتاباته ، يعكس ما فللحظه على كتابات الأطفال في المدرسة الابتدائية . واصدق تعبير نستعمله لاجل ان تفرق بين اساليب الخيال عند الاطفال الصغار والراهقين ، ان اساليب

الفئة الاولى هي اساليب ضحلة ، ساذجة ، بسيطة ، ليس فيها صناعة، بينما اساليب الخيال عند المراهق فيها تزيين وزخرفة^(٤٦) .

وفي اواخر مرحلة المراهقة يبدأ الطفل بالدخول الى مرحلة النضوج العقلي والاجتماعي ، ويكون قد كون بعض المبادئ الاجتماعية والخلقية والسياسية سواء كانت خاطئة ام صحيحة ، وتتنفس ، في الغالب ، ميوله وإتجاهاته في الحياة ، ويكون له رأى فيما يحيط به من بيئته الاجتماعية وفيما يتعلق ب حياته . وفي هذا الطور يظل الفرد متاثراً بحاجاته الجنسية ، ومن الصعب تحديد نوع القصة التي يميل إليها بسبب ما يعترى حياته من تعقيد ، وان كان لدراسته وعارفه ومهنته ونشاطه الاجتماعي في الحياة وميوله وثقافته اثر في اختيار الألوان الادبية المحببة اليه . ولما كان لكل فرد ، في هذه المرحلة التي تمثل أواخر فترة المراهقة مثل خلقي واجتماعي أعلى كانت أنساب القصص له ما اتصف فيها مثله الاعلى ، ولهذا لا يمكن حصر انواع القصص المناسبة لهذا الطور لتعقد حياة الفرد ولاختلاف المثل العليا .^(٤٧)

ولكن ادب الأطفال يمكن ان تتحدد اهدافه في هذه المرحلة في اتساع حاجات الأطفال وفي توجيههم توجيها نفسيا واجتماعيا وتعليميا ومهنيا .

الفصل الثالث

قراءات الأطفال

المبحث الأول

الاطفال والقراءة

في البداية ، لابد من التعرف الى بدء علاقة الاطفال بالكتب والمجلات
والمواض المطبوعة الاخرى :

يمتلك الاطفال اليوم ، بدرجات متفاوتة ، مجموعة من الخبرات عن
الكتب والمجلات منذ سنوات طفولتهم الاولى ، ذلك لأن الوسائل المقرؤة
اصبحت جزء من حياة الناس التي تؤلف بيئه الطفل ، فمثلا يمكن لطفل
صغير ان يتعرف الى القطة او الشجرة او النار يمكن ان يتعرف الى
المطبوعات . وخبرات الاطفال الذين يعيشون في بيوت « تراكم » فيما
الكتب اكثرا من خبرات غيرهم .

وعلى هذا لا يمكن القول ان اللقاء الاول بين الطفل والمطبوع ينشأ في المدرسة إذ تسبق ذلك لقاءات كثيرة ومتعددة ، قد تكون حميمة وقد لا تكون ، وفقا للتجارب الفكرية التي يكونها الاطفال عن المطبوعات .

والقراءة بمعناها الاعتيادي ، تبدأ مع دخول الطفل الى المدرسة : حيث يجمع خبراته الطويلة التي حصل عليها اثناء نموه قبل التحاقه بالمدرسة استعدادا للشروع في القراءة التي تأخذ بالتقدم حتى تصبح قراءة واعية يستطيع من خلالها ان يفهم ما يقرأ .

ومرحلة ما قبل القراءة تمر بخطوات متتابعة ، يمكن اجمالها في الخطوات التالية :

الخطوة الاولى ، لا يدري الطفل (وعمره في هذه الخطوة عام واحد) اهتماما بالكتاب وينظر اليه نظراته الى الاشياء الاعتيادية الاخرى في محيطه وحين يقع بين يديه كتاب ، فهو يلهمو به وي Mizq صفحاته او يقضمه باسنانيه الناعمة .

وفي الخطوة الثانية ، يدري الطفل (عمره في هذه الخطوة ١٥ شهرا) بعض الاهتمام بالصور فيجill بعينيه نحوها ، ويمد يديه اليها ، ويتحسس الصور البارزة . وتعد للاطفال في هذه الخطوة كتب غير قابلة للاتلاف بسهولة ، وتتضمن صورا للأشياء الاعتيادية في محيطه .

وفي الخطوة الثالثة ، يشير الطفل (عمره ١٨ شهرا) الى الصور ويصدر كلمات يعبر بها عن اسماء بعض الاشياء واسماء بعض الحيوانات او عن اصواتها ، كاصوات القطط او الكلاب ، وهذا التعبير هو قراءة الطفل للكتاب .

وكتب الاطفال في هذه الخطوة تتضمن صورا لحيوانات واشياء منها ما هي مألفة للطفل ، ومنها ما هي غير مألفة .

والخطوة الرابعة ، وهي مرحلة حب القصص القصيرة البسيطة حيث يدرك الطفل (وعمره فيها سنتان) ان للصور معان اعمق من مجرد الاشياء التي تدل عليها ، ويحب ان يستمع الى من يحدثه عن الصور المسلسلة ، او ان يقص عليه هذه القصص البسيطة منها . ويبدأ الطفل بملاحظة الحروف الكبيرة المطبوعة على الصفحات . ونظرات الطفل الى الكتاب هي قراءته له .

وفي الخطوة الخامسة ، وهي خطوة البحث عن المعاني ، يبدأ الطفل (ويكون عمره قد تجاوز عامين ونصفا) حركته وافعالاته نحو الصور ومشاركته الوجدانية لها ، كأن يضرب الصورة او يقبلها او يحاول التقاط شيء منها او يكملها .

وييدي الطفل اهتماما بما يقال له عن هذه الصور ، ويحاول ترديد بعض ما يقال له ويستمتع بالقصص المرسومة وبالعلومات التي لها علاقة بالاشياء الكبيرة المتحركة كالطيرارات والسيارات والسفن وغيرها .

ويحلو للطفل التخطيط على صفحات كتابه بالاقلام الملونة .

الخطوة السادسة ؛ وهي مرحلة سرد القصص وملاحظة الحروف حيث يبدأ الطفل (يكون عمره ثلات سنوات) مع اخوانه في تمثيل القصص وتصوير وقائعها مثلما يقصها عليهم الكبار . ويستطيع الطفل ان يتعلم جيلاً تصحب الصور بما لا يزيد عن جملتين . وينصب الى الجمل التي تقال له ، وتزداد قدرته على نفسير الصور والقصص وسرد قصة بسيطة ذات حادثتين او ثلاثة حوادث مترابطة . وينتبه ، بنكمل اكبر الى الحروف الواضحة في الكتاب .

وفي الخطوة السابعة يأخذ الطفل (عمره اربع سنوات) في مشاركة الاطفال الآخرين في اللعب في خارج بيته ، ويهتم بما يثير الضحك في الكتب ، وخاصة الصور الهزلية ، وتصبح له القدرة على حفظ قصصها وسردها ،

وتسره القصص الخيالية ، ويريد لكتبه ان تكون ذات صور واضحة ودقيقة ،
ويأخذ بالتساؤل عما يجهل له سببا او جوابا .

وكتب اطفال هذه المرحلة تستعين بالكلمات بشكل اوسع ، بل تبدأ
الكلمات في منافسة الصور ، وهم يحفظون كلماتها ويميلون الى ترديدها .

ويبين سن الخامسة والتصف والسادسة يمر الطفل في مرحلة الانتقال
من مرحلة ما قبل القراءة الى مرحلة ممارسة الوان النشاطات المتعلقة بالقراءة
نفسها ، وهي مرحلة دقيقة وحساسة يحس الطفل فيها بالحاجة الى القراءة بعد
ان يكون قد كون معظم مهاراته الاساسية الازمة لها . (٤٨)

ومن الامور ذات الاهمية ان يكون لدى الاطفال ، نتيجة لجهودهم
الباكرة في القراءة ، شعور لطيف ناشئ عن رضاهم عن انفسهم وحسن
تقديرهم لنواتهم . وعندما تكون اتجاهات الطفل نحو القراءة صحيحة ،
وتكون المادة التي يتطلب من الطفل تعلمها في نطاق قدرته - اي انها لا تكون
غاية في السهولة فتخلو من روح التحدي لقدرته او غاية في الصعوبة فتدفعه
إلى الفقرة منها - وعندما يكون التعلم ماضيا في طريق النجاح ، لابد ان تنشأ
لدى الطفل حاجة طبيعية للاستمرار في التعلم ، كما لابد ان يستقبل المراحل
التي تأتي بعد ذلك من مراحل تعلم القراءة في اهتمام وسرور ، وهذا الشعور
يخدم عمليات التعلم عند الطفل كما يساعد في الاحتفاظ بما يتعلم .

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربها السابقة فيها ،
كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نموا طبيعيا
وكيف يستقبل تطورات هذا النمو .

اثر القراءة في الاطفال

يقول سومرست موم ؛ ان الشهية للقراءة تفتح على ما تنبعى به ،
اكثر من تفتحها على اي شيء اخر ، وكلما ازدادت قراءات الناس وانسنت
اذواقهم ، ادركوا مقدار المتعة التي يمكن تلمسها في ثنايا ما يقرأون .

وهو يرى ان ما ينسأ عن القراءة من سعة الافق ، واستقلال في الرأي ونمو في روح التسامح وكرم الاخلاق ، يمكن اعتباره فيما بعد « حدثاً من اهم احداث ايامنا الحاضرة » .

وقد عرفنا ان الطفل يمكن ان يتاثر بالكتاب قبل دخوله المدرسة . وكثير من الامهات والاباء يجعلون مثل هذا الاثر ، لذا لا يظرون اهتماماً بكتاب الطفل الصغير ، بذرية ان الطفل لم يتعلم القراءة بعد . وفي هذا تجاهل او جهل بأثر المنهيات في عملية تعلم الطفل .

وكتاب الطفل الصغير، الذي لم يتعلم القراءة بعد ، يشوقه الى الاهتمام بالقراءة فيما بعد . ومن ناحية اخرى فان تصفح الكتاب مع الطفل الصغير يعينه على تعلم اللغة بشكل سليم ، ويفتح أمامه افاقاً واسعة من المعرفة والاكتشاف .

وتتفق الام والطفل للكتاب يوجد علاقة من نوع جديد بين الام والطفل تبيّنها بدخول اللعبة في حياة الطفل ، والفارق بين اللعبة والكتاب في هذه المرحلة الباكرة من الطفولة ، انه يمكن ترك الطفل ليُلعب بلعبته بمفرده ، بل كثيراً ما تستخدِم الام اللعبة لتشغل الطفل بها في حالة انتساعها او غيابها ، اما الكتاب فيحتاج الى وجود الام ، وبذلك يعمل الكتاب على نقل علاقَة الطفل بامه من علاقة فيزيقية « الرضاعة وال الحاجة الى الطعام والنظافة ... » الى علاقة فكرية روحية . ففي اثناء التصفح تسأل الام طفلها عما يراه ، وتساعده في التعرُف على ما لا يستطيع تبيينه ، بل ان عملية تقلب الصفحات هي عملية فنية لأصول التعامل مع الكتاب^(٤٩) .

وتتيجة التصفح ، ستتجدد الام طفلها ، وهو يقبل على الكتاب بعد ذلك ، ويذهب لاحضاره بنفسه ، ويطلب من امه اعادة مراجعته له في كتابه ، وتكرار هذه الخبرة السعيدة التي يشعر بها الطفل بالمشاركة الوجданية والمحبة العميقَة التي تربط بينه وبين امه . ومن هنا ينبع الشعور بثقة الطفل وقدرته

على الاعتماد على مستوى ناضج يتمثل في الام او الاب في هذه المرحلة ، ثم المعلم في المدرسة ، ثم الرئيس في العمل (٥٠) .

وتنشأ ثقة من نوع اخر بالكتاب ، فيعتمد الطفل عليه كمصدر موثوق للمعرفة وهنا يبدأ الطفل بمواجهة الواقع ، وهو ان الوالدين ليسا مصدر كل معرفة ، وانه من الاجدى والانفع في حالات كثيرة الالتجاء الى الكتب .

وتلي عملية التصفح ، عملية القراءة للطفل بصوت عابر يجذب انتباه الطفل . ومن المهم ملاحظة هذا التدرج في الاقتراب الى الطفل ، ففي عملية التصفح يترك الجانب الاكبر للطفل ، ليلاحظ ، ويعبّر ، ويسأله . وبذلك لا يشعر بالدونية ، او ان العملية فوق مستواه . وفي عملية القراءة تدخل عوامل اخرى منها التغيير الصوتي ، الذي يضع الاساس لنشاطين مهمين هما الاستماع الى الموسيقى ، والتمثيل او التذوق المسرحي .

وقراءة الكتاب تصاحبه عادة مشاهدة الصور وتأمل الحروف . مما يدعو الطفل الى ان يمسك بالقلم ويحاول رسم ما يرى او يقلد اشكال الحروف . وهذا يغرس في نفس الطفل مبادئ الاهتمام بالفنون التشكيلية .

ومن هذا يتضح ان الام تستطيع في هذه الفترة الباكرة من تلك المصاحبة لطفلها ، سواء عن طريق تصفح الكتاب معه ، او قراءته له ، ان تتبين مدى قدرته العقلية ، وما اذا كان موهوبا او متوسط الذكاء او متختلفا عقليا . كذلك قد تكتشف بعض المعوقات البدنية مثل الحول او ضعف السمع وما الى ذلك ولا شك ان اكتشاف هذه الجوانب في الوقت المناسب تتيح الفرصة لعلاجها في وقت مبكر قبل ان تنشأ عنها بعض المضاعفات او العاهات ، كما ان تعرف الوالدين الى درجة ذكاء الطفل وموهبه تساعدهما على توجيهه الوجهة المناسبة . أما من ناحية الطفل نفسه ، فان اعتماده على الكتاب يخلق بينهما ألمة ومودة ، ودفع العلاقة بين الطفل وامه او ابيه في صحبة الكتاب

تجعل الطفل ينفتح على افاق المعرفة طالباً المزيد . وكثيراً ما نرى اطفالاً يعزفون عن القراءة وآخرين يقبلون عليها . والعزوف والاقبال على القراءة اتجاهان تعرس بذورهما في تلك المرحلة الباكرة من العمر ، واساسهما نفسى بحث (٥١) .

وهناك نوعان من النمو في ميدان القراءة ، نمو عملية القراءة ذاتها ونمو المهارات والمفاهيم والاتجاهات التي تجعل عملية القراءة ذاتها عملية ناجحة . فالطفل يبني تقدماً في القراءة ، مثلاً ، اذا استطاع ان يحصل من السياق على معنى الكلمة غير المألوفة لديه ، واذا ادرك الاشكال الرئيسية في فقرة معينة ، وميز بوضوح بينها وبين التفاصيل الثانوية ، واذا قام بتحليل ثاقد للمادة المقرأة ، وفحص مدى صحتها ومدى قابليتها للاعتماد ، واذا ربط بينها وبين خبرته السابقة .

ومهما بلغت أهمية هذا النوع من النمو فانه لا يعدو ان يكون وسيلة لغاية ، فالغاية من القراءة هي نمو الفرد وتقدمه نتيجة لقراءته ، وهذا النوع من النمو يتمثل في مدى قدرة القارئ على ان يحدث – على ضوء ما قرأه – تكيفات شخصية واجتماعية ، وان يشتترك بتعاطفه في حياة الآخرين ومشكلاتهم . وكلما نما الاطفال عن طريق القراءة ، زاد الاحتمال في ان يصبحوا افضل ، بوصفهم افراداً ، او اعضاء في الجماعات التي ينتمون اليها . وكل برنامج يعد لتنمية احد نوعي القراءة وحده ، دون ان يتخطاها الى النوع الآخر يهدده خطراً الانحياز الى جانب واحد ، كما يعرض للخطر النمو المتكامل للطفل (٥٢) .

وتشير الاحصائيات حول قراءات الاطفال ، ان الذين يقرأون منهم قراءات حرة خاصة بهم في مقدمة التلاميذ ، وثبت ان العجز في القراءة يعيق عملية التحصيل ، وان الطفل لا يستطيع ان يتقدم في عمله المدرسي وحياته العامة ما لم يكن قارئاً جيداً لكتبه المدرسية والمطبوعات الأخرى المخصصة للاطفال . وهذا ينفي تفاصياً ما يقال من ان قراءات الاطفال الحرة تؤثر

تأثيرا سالبا على تحصيله المدرسي . الى جانب ما للقراءة « من اهمية في توسيع ميول الاطفال وترقيتها واصحاب خبراتهم وانماطها ورفع مستواهم في جميع نواحي النمو » .^(٥٣)

وحين تقصّر المدرسة هما في حشو اذهان التلاميذ بالمواد المدرسية التي يحتويها منهج الدراسة عن طريق التلقين والحفظ من الكتب المدرسية ، بقصد النجاح في الامتحان ، تكون قد فشلت في اعداد الطفل للحياة ، لأن هذا الاسلوب يفوت على التلميذ اشياء كثيرة ، فهو قد يستوعب الدروس ، وقد يجد القدر الكافي منها في الكتاب المدرسي ، وقد ينجح في امتحان ، ولكنه يفشل في الحياة بعد التخرج من المدرسة ، لأن اكتساب القدرة على جمّع الحقائق من مصدرها قد فاته ، كما فاتته رؤية المسائل من زوايا مختلفة ، حيث انه لم يراها الا من كتاب واحد ، ومن وجاهة نظر مؤلف واحد ، وفاته اكتساب القدرة على تعليم نفسه بنفسه ، كما فاته الاعتماد على النفس ولذة البحث ، وما تدفع اليه من الجد والصبر والمثابرة^(٥٤) .

وتمهد القراءة للطفل طريق الاستقلال ، عن ابويه وعن الكبار ، بوجه عام ، لأنها وسيلة تخرجه شيئا فشيئا من اعتماده على ابويه واحتماله بدفء حضنיהם ، وتبعده عن اتكاله على حنانهما لانه يحيا مع قراءته حياة جديدة . ويقول الباحثون بشؤون التربية : ان القراءة تخرج الطفل لسويعات من طوق عاطفة الامومة والابوة المفرطة التي تعود الطفل ، في كثير من احيان ، على الانانية ، وحب الذات .. وهذه بالتالي تحول بينه وبين الجرأة والشجاعة والتضحية والاخلاص ، لأن عاطفة الام والاب المفرطة ازاء الطفل تلتقي في النهاية مع الانانية .

ومن هنا يتضح ان القراءة ذات تأثير ايجابي كبير في مستوى الطفل الدراسي ، كما أنها ذات تأثير في مستقبله فيما بعد .

ان اللحظات السعيدة التي يدخلها مطبوع انيق مناسب الى نفسية الطفل

تهيء له ان يسعى من اجل مطبوع ثان ، وثالث ، وبالتالي يتهيأ له التفاعل مع الحياة والعمل من اجل تكييفها ، وقد يقوده ذلك الى ان يمسّي باحثا او اديبا او عالما او مخترعا ، او قد : يسمى طاقة تنبض بالقوة والحيوية والاخلاص .

وتلعب القراءة دورا مهما في تمضية وقت فراغ ممتع ، تتهيأ للطفل فيها خبرات متعددة ، فضلا عن المتعة العقلية .

وعلى هذا فقراءات الاطفال تحدث تكييفات في حياتهم ، وتضفي عليها لونا جديدا وطابعا متميزا ، لأنها تفعل فعلها في شخصياتهم ، وتزودهم بالخبرات والمهارات التي تعينهم على تنمية قدراتهم وتفتح اذهانهم وتوسّع افق خيالاتهم ، وتأثير في سلوكهم واتجاهاتهم ، فضلا عن انها عنصر بارز في العملية التعليمية . والطفل الذي يشب بعيدا عن القراءات الحرة في صغره يظل عازفا عنها في الغالب ، طيلة حياته ، ويصعب على اجهزة التنسئة الاجتماعية المختلفة التأثير فيه ، في كبره ، بسبب عدم تكامل شخصيته ، ولذا يجد نفسه متخلفا في عصر يتميز بسرعة افاق المعرفة .

المبحث الثاني

تنمية ميول الاطفال القرائية

في البداية من الضروري وضع اجابة للتساؤل :

ـ هل يجب ان يعلم الاباء ابناءهم القراءة قبل ان يلتحقوا بالمدرسة ؟

ـ ان الدلائل كلها تثبت ان الاباء والمعلمين لا يستطيعون ان يتجلوا الطفل في تعلم القراءة قبل الاوان ، شأن اي مظاهر من مظاهر النمو . اما كون الطفل يستطيع تعلم القراءة قبل الالتحاق بالمدرسة او لا يستطيع ، فهذا يتوقف على سرعة نضجه العقلي او بطيئه ، بل ان الطفل بطبيعته النضج عقليا ، قد يتقطع في تعلم القراءة حتى بعد ان يدخل المدرسة ويقضى فيها عاما او عامين ، بينما يتلهف الطفل السريع النضج عقليا ، القوي الاستعداد الى تعلم القراء قبل أن يدخل المدرسة بوقت غير قصير . وعلى هذا ، فإن الاسراع بتعليم القراءة لأي طفل قبل بلوغه النضج الكافي يؤدي الى عوائق سيئة . والطفل الذي ندفعه الى تعلم القراءة قبل الاوان ينشأ لديه ، في الغالب ، شعور بعدم الثقة في نفسه وبأنه شخص فاشل ، لانه يحس بأنه غير قادر على أن يفعل

ما يريده له الكبار من حوله .. ويقود هذا ، الى شعوره بالهزيمة ، والى كراهيته المدرسة والتعليم القراءة^(٥٥) .

وقد اقيمت تجربة في هذا الموضوع في احدى المدارس اسفرت عن ان التلاميذ الذين يؤجل تعليمهم القراءة سنة ونصف بعد دخول المدرسة يستطيعون ان يلتحقوا بزملائهم الذين سبقوهم في التعليم بل ويتفوقوا عليهم .

وفي هذه التجربة ترك ٣٥ تلميذا بدون محاولة لدفعهم على تعلم القراءة لمدة سنة ونصف ، ولكن جو الصف كان مليئا بالرسوم والصور ، ويمكنهم النظر اليها كما شاءوا ، وكان المعلم يجيب عن استئتمهم ، ويقرأ لهم اذا طلبوا ذلك . ومع ان المعلم كان يكتب امامهم على السبورة الا انه لم يبذل معهم اي محاولة يضطرهم بها الى تعلم القراءة باتظام في كل درس ، ولم يعطوا تمارين ولا اختبارات .

اما المجموعة الثانية فأعطيت دروسا منتظمة في القراءة بالطرق المعروفة وكان عددهم ٢٥ ايضا وكانتا متكافئتين مع المجموعة الاولى من حيث السن ومستوى الذكاء ، بل وفي الوسط الاجتماعي الذي جاءوا منه واستمرت التجربة سبع سنوات ، وفي السنة الثانية كانت المجموعة الاولى مختلفة عن الثانية ، ولكن في نهاية السنة الرابعة كانت الاولى متقدمة عن الثانية بنصف سنة تقريبا ، وزدادت سرعة تقدمها كثيرا عن المجموعة الثانية في نهاية السنة السابعة .

وفي نهاية السنة الثالثة قام احد علماء النفس بفحص المجموعتين من غير ان يعرف ايهما مجموعة التجربة وايهما مجموعة المقارنة ، فوجد ان مجموعة التجربة كانت متتفوقة في التلهف والرغبة في التعلم والتلقائية في التعبير وتوجيه النشاط الذاتي والتعاوني .

كما قام معلم بعمل تقييمات لتلاميذ المجموعتين فتفوقت مجموعة

التجربة ايضاً ومعنى ذلك ان التلاميذ استفادوا من تأجيل دفعهم لتعلم القراءة ، ولم يخسروا شيئاً ، والسبب في ذلك هو ان احداً من مجموعة التجربة لم يقاس من الشعور بالخيالية ولم يتعرض للفتش (٥٦) .

وحاجة الطفل الى تعلم القراءة تتوقف على طبيعة تجاربه السابقة فيها ، كما تتوقف على ما اذا كان قد تعلم كيف يستمتع بها ، وكيف ينمو نمواً طبيعياً ، وكيف يستقبل تلاورات هذا النمو .

والاطفال الذين تتكون لديهم خبرات سعيدة مع الكتب منذ سنوات اعمارهم الاولى ، تنشأ لديهم الرغبة في القراءة قبل ان يذهبوا الى المدرسة بوقت ملوي (٥٧) .

والقراءة ذات تأثير مزدوج دائماً ، فاداً كانت القراءة قد علمت الانسان كيف يتناول الدواء للشفاء ، فانها علمنته كيف يتناول السم منتحراً . والطفل الذي يعتاد القراءة في صغره فتقود به الى ان يصبح طاقة خلاقة في مستقبل حياته ، فانها اذا اسيء توجيهها تصبح ذات خطر وبييل على الطفولة . وكل من لقاء عابر بين الاطفال وبين المطبوع جعل منهم ينفرون نفرة شديدة من القراءة ، لذا كان من الضروري تربية ميول الاطفال القرائية سليمة .

ونحن نعلم ان توصيات المعلم للتلاميذه لكي يقرأوا ، لا تعني انهـم سيلبون الوصايا ، سواء كانت تلك الوصايا بشكل اوامر او نصائح ودية ، اذ هناك اكثـر من سـبيل لتنمية مـيول الـاطفال القرائية . (٥٨)

ولكي تبني مـيـل الـاطـفال إلـى القراءـة ، يـجب ان تعـنى عـناـية دقـيقـة بالـمـادـة المـقـرـوـة وبـالـشـوبـ الـتـي تـرـتـديـهـ ، بـحـيـث يـجـدـونـ فـيـهاـ مـا يـنـاسـبـ اـذـواقـهـ وـمـا يـثـيرـ فـيـهـ عـوـاطـفـ وـاقـعـالـاتـ سـارـةـ .

ومـا يـنـميـ مـيـلـ الـاطـفالـ القرـائـيـةـ ، الجـوـ العـامـ الـذـيـ نـهـيـهـ لـلـطـفـلـ اـثـنـاءـ القرـاءـاتـ الـأـولـىـ ، بـوـجـهـ خـاصـ ، بـماـ فـيـ ذـلـكـ الـمـكـانـ ، الـزـمـانـ ، الـمـرـشـدـ ، سـوـاءـ كانـ اـباـ اـمـ اـمـ مـعـلـمـاـ اـمـ أـمـيـنـاـ لـلـمـكـتـبـةـ . وـهـذـا يـسـرـ لـلـطـفـلـ مـا يـتـعـرـضـ لهـ .

من صعوبات ، ويفربه ، ويشجعه على القراءة بمختلف السبل ، من حيث اظهار المرشد اهتمامه بما يقرأ الطفل ، او بمشاركته له في القراءة احيانا ، او التحدث معه عقب القراءة في مناقشة طريقة ممتعة ٠

ومن الثابت في علم النفس ان ادراك الشخص لنتائج اعماله يشجعه على متابعة العمل ، واهذا يكون من المفيد ان يشعر الطفل بنتائج قراءاته بالوسائل المختلفة ، كالاستفسار منه عن بعض جوانب ما قرأ او الاستماع اليه يتحدث عما قرأ ، او يقص علينا القصص بحيث تقبل منه ما يستخلصه من غير ان نفسه آرائه او نقل من قيمتها او نبالغ في تجسيم اخطائه^(٥٩) . واية سخرية او تأنيب او عدم اشباع حاجة الطفل الصغير تشكل نوعا من الاعاقة الانفعالية التي تقف في سبيل تقدمه ونشاطه^(٦٠) .

وفي الوقت الحاضر ، ينتقد الكبار ، في كل مكان ، طريقة تعبير الشباب عن انفسهم ، ويقولون : ان الشباب متربدون ومربوطون بالاسنة ، وغير دقيقين . ويصفون مظاهراتهم الصاخبة واغانيهم وموسيقائهم ، وفنونهم المختلفة بانها : افكار قصيرة العمر ، وكلاش لشعارات معناة ٠ ويرجع المربون ذلك الى عامل رئيس هو عدم ميل الشباب الى القراءة في مرحلة طفولتهم ، ولكن كثيرا من يوجهون هذا الاتهام الى الشباب ينسون انه في اقطار كثرة ينتمي الشباب الى طبقات اجتماعية مختلفة ، وهم لا يميلون الى القراءة لأنهم لم يجدوا ما يهوى لهم اسباب القراءة او يشجعهم عليها^(٦١) .

وتتوالى في الوقت الحاضر الجهد في كثیر من بلدان العالم من اجل تشویق الاطفال الى القراءة حيث تعمل المیثات التربوية والثقافية ومؤسسات النشر الخاصة بالاطفال من اجل تقديم المادة المقرؤة الى الاطفال في صيغ جذابة عن طريق كتب ومجلات مزدانتة بالرسوم والالوان الجميلة ، ومتبوعة طباعة فاخرة بحروف واضحة ٠

اما المكتبات فتعمد الى اغراء الاطفال عن طريق تهيئه اجزاء مناسبة للطفل تجذبه للبقاء فيها اطول مدة ممكنة ، فالقاعات نظيفة واسعة ، مكيفة

الهواء لها مقاعد ومناضد مريحة وسجاجيد لمن يرغب من الاطفال ان يقرأ
نائما ، والجدران مزينة بلوحات ورسوم جذابة ، وتلتحق بالمكتبات حدائق
يقرأ الاطفال تحت اشجارها او تحت نور الشمس ، وساحات يلهوون بها في
فترات الاستراحة .

وتترك للطفل ، عادة ، حرية اختيار الكتاب بنفسه ، حيث تنظم الكتب
في رفوف مفتوحة ، دون ان يتدخل عاملو المكتبة في فرض ارائهم .

ويجد الاطفال في مكتباتهم ، اضافة الى الكتب والمجلات والصور
والرسوم والخرائط ووسائل اللهو والثقافة الاخرى كالافلام السينمائية
والاسطوانات الموسيقية ، واسطوانات الحكايات والقصص والمعلومات ،
حيث يستطيع الاطفال ان يستمعوا الى القصص والحكايات في غرف
خاصة يطلقون عليها مستودعات القصص والحكايات .

وكل ما يجده الاطفال في مكتباتهم ، سواء كانت مجلات ام كتب ام
وسائل لهو وثقافة ، فانها مصممة وفق مواصفات تربوية .

ويتولى شؤون المكتبات في العادة خبراء يفهمون نفسية الطفل ، بل هم
يفهمون جيدا الاجابات الصحيحة للأسئلة الثلاثة الاساسية في هذا المجال
وهي ؛ لماذا يقرأ الاطفال اولا ، وما يجب ان يقرأ الاطفال ثانيا ، وكيف يجب
ان يقرأ الاطفال ، ثالثا .

وفي ختام حديثنا عن تنمية الميول القرائية للاطفال ، نشير الى ان عزوف
الكبار اليوم عن القراءة في مجتمعنا العربي مرده ، بالدرجة الاولى الى ان
عملية تنمية تلك الميول لم تتم اثناء الطفولة . وثبتت ان خلق العلاقة الحميمة
بين الفرد والكتاب هي خير عملية لتنمية القراءة .

الباب الثاني
أدب الأطفال

الفصل الاول

نظرة عامة

ادب الاطفال ، فرع جديد من فروع الادب الرفيعة ، يمتلك خصائص تميزه عن ادب « الكبار » رغم ان كلا منهما يمثل اثارا فنية يتحدد فيها الشكل والمضمون ٠

وليس بالوسع تحديد موضوعات ادب الاطفال ، لان ميادين الادب ، سواء كانت للكبار ام للاطفال – فسيحة واسعة الافق ، ولكن يمكن القول ان موضوع ادب الاطفال هو عرض للحياة من خلال تصوير وتعبير متميزين ٠

وإذا أريد بأدب الاطفال ، كل ما يقال اليهم بقصد توجيههم فانه قديم قدم التاريخ البشري بحيث وجدت الطفولة ٠ اما اذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط فنية ونفسية واجتماعية وتربيوية ، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول الى الاطفال ، فانه – في هذه الحالة – ما يزال من احدث الفنون الادبية ٠

وحيث ان هذا الادب قد بلغ عصرا من عصور ازدهارهاليوم واتخذ له

تقالييد خاصة ، لذا لا يمكن القول ان ما كان يقال الى الاطفال هو جزء من ادب الاطفال ، رغم ان هذا يحرمنا من الفخر بزيادة ابینا ادم وامنا حواء – في هذا المجال – والذين تحدثوا – دون شك – الى ابنيهما كثيرا !

وعليه ، فان ادب الاطفال ، في مجموعه ، هو الآثار الفنية التي تصور افكارا واحساسات وخيالات تتافق ومدارك الاطفال وتتعدد أشكال : القصة : والشعر والمسرحية ، والمقالة ، والاغنية .

ويؤلف ادب الاطفال دعامة رئيسية في تكوين شخصيات الاطفال عن طريق اسهامه في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي وتطوير مداركهم واغناء حياتهم بالثقافة التي نسميتها ثقافة الطفل ، وتوسيع نظرتهم الى الحياة وارهاف احساساتهم واطلاق خيالاتهم المنشئة . وهو ليس اداة – بحد ذاته – لفائدة الطفل بقدر ما هو اداة للنهوض به وبالمجتمع كله .
انه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي اساس حياة المجتمع كله . وعليه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للانسان الجديد .

وادب الاطفال لم يكن طارئا على الادب العربي فحسب ، بل هو طارئ على الآداب العالمية كلها ، لأن الانسان لم يقف على سلوك الطفل وقمة علمية الا في السنين الاخيرة . ولا عجب في ذلك ، لأن اهتمامات الانسان ودراساته، منذ اقدم الازمنة ، بدأت كاهتمامات كونية بعيدة عن حياة الانسان نفسه . حيث تطلع الى النجوم والكواكب وتأمل الظواهر الطبيعية ، بغية التعرف اليها ، في محاولة لاخضاعها تحت سلطانه ، قبل ان يحاول التعرف الى طبيعة سلوكه الانساني . والدراسات الإنسانية ، وبوجه خاص النفسية منها ، تعد اليوم حديثة العهد ، اذا ما قيست باعمار العلوم الفلكية والكونية الأخرى .

والحكايات والخرافات التي كان يتناقلها الناس منذ عصور الانسان الاولى ، هي حصائل نظراته الى الحياة ، وخلاصة لتجاربه المحدودة ، وتصوير لاحساساته وخيالاته وانفعالاته .

ولا يمكن اعتبار تلك الحكايات والخرافات ادبًا حقا للاطفال ، حتى وان كان الاطفال يومذاك يستمرون اليها مع الكبار . ذلك ان الانسان لم يراع في صياغتها تلاوتها مع خصائص الطفولة وميزاتها . وقد تضمنت اکثر الحكايات والخرافات التي صاغتها الانسانية عبر تاريخها المديد على مواطن جافة وعبر قاسية وتوجيهات كثيبة .

والملاحظ ان ادب الاطفال في بدء نشوئه قد اعتمد على تلك الخرافات والحكايات ، واستمد منها نزوعها الى فرض القوانين الاخلاقية وعرض العظات الارشادية الثقيلة .

والانسان لم يكتشف الطفل ، الا في وقت متأخر جدا ، وفي المجتمعات ، قبل عصر التعليم ، كان الطفل مرئيا من خلال علاقته الاجتماعية والاقتصادية والدينية للقبيلة او الطائفة التي ينتمي اليها^(١) .

وكانت النظرة الى الاطفال ، قبل سنوات غير بعيدة ، ترى انهم رجال صغار ، ليس بينهم وبين الراشدين من فوارق الا في الدرجة . في حين أن الطفل كائن فريد في ذاته له طرق تفكير وله افعالات وميول خاصة به ، وقد أوحىت تلك النظرة الخطأة التي ترى الطفل رجلاً مصغراً ، بنظرة خطأة أخرى ترى ان ادب الاطفال ليس الا شيئاً مبسطاً من ادب الكبار .

ولكن تبين للباحثين ان الاطفال ليسوا راشدين صغاراً ، لهم كل ما للراشدين من صفات عقلية وعاطفية وحسية وخيالية بصورة مصغرة أو قليلة ، بل لهم صفاتهم الخاصة بهم . ومع أن عملية نمو الطفل هي عملية مستمرة ، لكنها تمر بمراحل مختلفة السرعة ، و مختلفة الاتجاه ، فهنالك خصائص معينة لا تظهر الا في فترات معينة من مراحل النمو ، و أخرى تضم ، وقد تتحمي ، وثالثة تأخذ اتجاهها جديداً .

ولو حاولنا ان تتبع نشأة ادب الاطفال ، بصورة أدق ، لاكتشفنا أن الاطفال ظلوا يتامى الادب حتى وقت قصير . فقد سعى الاقدمون الى فرض

حرائق تفكيرهم واساليب عملهم التقليدية على اطفالهم دون الالتفات الى عواطف الاطفال وميولهم ونوازعهم ، وتراءت لهم في بعض نوازع الاطفال وميولهم شرور عملوا على كبحها ٠

لقد سعى الاقدمون لتكوين ابناء لهم يشابهونهم في كل شيءٍ ٠ والصيحة القائلة : « انك تحاول جعل ابنك شخصك الثاني في حين ان في شخصك الكفاية » لم تنطلق الا حديثاً ٠

وقد ظلت الاتجاهات الخاطئة سائدةآلاف السنين ، حيث غنتها بعض العقائد الدينية والفلسفية والاجتماعية والتربوية، وكرستها النظم السياسية حتى وجدنا في اواخر القرن الثامن عشر و اوائل القرن التاسع عشر فلسفية متكاملة تنسخ ذلك النحو في التربية ، وقد كانت تلك الفلسفة ترتكز على ثلاثة أسس هي :

– الادعاء لما قدر لنا في هذه الحياة ٠

– الشر في الطفل طبع لا يستأصله الا مراقبة الوالدين واولو الامر ، ولا سبيل الى اصلاحه الا بصورة العصا وارهاب السوط ، ما دام رجلاً صغيراً عليه ما على الرجال من قيود ٠

– لكل فرد في المجتمع حدود ليس له الحق في تعديها ، وهو يواجه العقاب ان لم يرعر لها ، سواء أكان طفلاً أم راشداً ٠

وعلى هذا الثالوث قامت التربية القديمة ، فكان على الناس أن يطعوا أنفسهم على الطاعة العميم لحكامهم ومدرسيهم وكل من له الامر عليهم ، وقد كان المبدأ دائماً هو اعداد مواطن خامل ليتبواً مركزاً خامداً في مجتمع راكمد (٢) ٠

وفي ظل سيادة المفاهيم التربوية الخاطئة ، وسيادة بعض الافكار الدينية، وخاصة في فترة الاصلاح الايطالية ، نشأ أدب للاطفال في الغرب في القرن

السابع عشر ، مستمدًا مقوماته من الحكايات الشعبية الشائعة ، وكانت في غالبيتها - خرافية يلعب البطولة فيها الجن والشياطين والعفاريت والسحرة ، وتسيّر أحدها قوى خارقة وتحرّكها صدف واقدار مختلفة ، أو حظوظ حسنة أو سيئة .

وكانَتْ أَكْثَرُ تِلْكَ الْحَكَائِيَّاتْ قَاسِيَّةً تُبَشِّرُ بِالْعَقَابِ وَالثَّوَابِ .

وَبِسَبِيلِ التَّطَوُّرِ الَّذِي حَصَلَ فِي طَبِيعَةِ النَّظَامِ اثْرَ اتِّتَّهَالِ الْجَمَعَاتِ الْأَوْرِيَّةِ مِنْ عَهْدِ الْإِقْطَاعِ إِلَى بَدَايَةِ الْعَهْدِ الرَّأْسَمَالِيِّ وَجَدَ أَدْبُرُ الْأَطْفَالِ يَتَّخِذُ صَبِيَّاً وَأَهْدَافًا يَرَادُ مِنْهَا تَطْوِيعَ الْأَطْفَالِ لَأَنَّ يَشْبُوا فِي مُسْتَقْبَلِ حَيَاتِهِمْ يَجْلُونَ النَّظَامَ الْجَدِيدَ وَيَطَّأْطِئُونَ لَهُ الرَّؤُوسَ وَيَحْمُونَهُ .

وَلَكِنْ فَلَسْفَةً وَاضْحَةً لِأَدْبُرِ الْأَطْفَالِ لَمْ تَكُنْ آنَذَاكَ ، فَقَدْ كَانَ يَتَمَثَّلُ فِي اشْتَاتٍ مُتَفَرِّقَةٍ مِنْ الْحَكَائِيَّاتِ الشَّعْبِيَّةِ وَالْخَرَافَاتِ الشَّائِعَةِ ، إِضَافَةً إِلَى تِلْكَ الْمُسْنَوَّبَةِ إِلَى مُؤْلِفَيْنِ مُثْلِ خَرَافَاتِ إِيسُوبِ *Aesop's Fables* حِيثُ طَبَعَتِ الْخَرَافَاتِ الْآخِيرَةِ بَيْنَ (١٤٧٥ - ١٤٨٠) ثُمَّ تَرَجَّمُهَا كَاسْتُونُ إِلَى الْأَنْكِلِيزِيَّةِ ، وَطَبَعَهَا عَامَ ١٤٨٥ .

وَفِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ نَادِيُ الْفِيلِسُوفِ الْفَرَنْسِيِّ جَانُ جَاكُ رُوْسُوُ « ١٧١٢ - ١٧٧٨ » بَانَ هَدْفُ التَّرْبِيَّةِ هُوَ أَنْ يَتَّعَلَّمَ الْأَنْسَانُ كَيْفَ يَعِيشُ ، وَانْ تَرْكَ لِلْأَطْفَالِ فَرْصَةً تَنْمِيَةً مَوَاهِبِهِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَانْ تَقْدِمَ لَهُ الْمَعْلُومَاتُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا . فَكَانَتْ صِيَحَّتُهُ ذَاتُ وَقْعٍ شَدِيدٍ اسْتِجَابُ لَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالْمَرِيَّنِ وَمَزْجُوا بَيْنَ آرَائِهِ وَآرَاءِ الْفِيلِسُوفِ الْبَرِيْطَانِيِّ جُونَ لُوكَ *John Locke* « ١٦٣٥ - ١٧٠٤ » فِي التَّرْبِيَّةِ وَالْفَلْسَفَةِ ، وَلَكِنَّهُمْ تَعْسَفُوا فِي ذَلِكَ ، وَأَفْسَدُوا صِيَحَّةَ رُوْسُوِّ عِنْدَمَا امْطَرُوا الْأَطْفَالَ بِوَابِلِ مِنْ قَصَصِ الْمَعْلُومَاتِ وَالْحَقَائِقِ بَعِيدًا عَنِ الْخَرَافَاتِ وَقَصَصِ الْخَيَالِ ، مُتَجَاهِلِيْنَ مَشَاعِرَ وَاحْسَاسَاتِ الْأَطْفَالِ .

وَبِسَبِيلِ طَغْيَانِ ذَلِكِ الْإِتِّجَاهِ عَزَفُ الْأَطْفَالِ عَنْهَا ، وَاتَّجَهُوا إِلَى حِيثُ

يتجه الكبار ، يتلمسون بعض ما يشبع خيالاتهم في بعض الالوان الادبية البسيطة المقدمة للكبار ، رغم ان بساطة أي لون ادبي لا تعني ملاءمتها للأطفال ، بل لابد أن يرافق ذلك تناسب مضامينه مع قدرات الأطفال العقلية والخيالية والعاطفية .

والحقيقة ان عدم تبلور أدب للأطفال خلال تلك الفترات مهد للدخول عديد من الكتابات الى عالم الأطفال رغم انها لم تكن بالاساس مقدمة لهم مثل امثالات لافوتن Lafontaine « ١٦٢١ - ١٦٩٥ » التي صدرت بين (١٦٦٨ - ١٦٩٤) في ٣٢٠ خرافات موزعة في اثنى عشر كتاباً، وقصص فيدروس الهجائية الساخرة والمريضة ، وأشعار سير والتر سكوت Scott « ١٧٧١ - ١٨٣٢ » الشعبية ، وقصص المغامرات لكبلنج (١٨٦٥ - ١٩٣٦) وغيرها الكثير .

ومن اوائل الذين كتبوا خصيصاً للأطفال الشاعر الفرنسي تشارلز بيرو Charles Perrault « ١٦٢٨ - ١٧٠٣ » وكانت اولى قصصه « حكايات امي الاوزة » التي وضع اسم ابنه كمؤلف لها مخافة ان تؤثر في الاقلال من شأنه الادبي ، حيث كان ينظر الى الكتابة للأطفال وكأنها ليست ابداعاً فنياً .

ولكن بيرو بعد ذلك أصدر ذلك مجموعة قصصية أخرى للأطفال هي « قصص وخرافات من الاذمنة القديمة » عام ١٦٩٧ ، وثبت اسمه عليها هذه المرة ، فقد تنبه الناس الى اهمية ادب الأطفال الى حد ما . وقد اضفى على بعض الحكايات شكلًا كلاسيكيًا مثل : ذو اللحية الزرقاء ، والجمال الناعس ، وسنديريلا ، والقط ذي الحذاء الطويل .

وكان لترجمة ألف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية بعد عام ١٧١٧ أثر كبير في ذيوع قصص الحكايات والخرافات المستمدة منها .

وأصدر الكاتب الانكليزي الساخر جاناثان سويفت Gulliver's Travels « ١٦٦٧ - ١٧٤٥ » قصته الخيالية المشهورة رحلات جاليفر

عام ١٧٢٦ ، وصف فيها حياة جاليفر الذي راح ينشد السعادة فيما وراء البحار ، فهبط في بلاد الأقزام ، فلم يحل له العيش ، وهبط في بلاد العملاقة فلم يطب له المقام ، ثم هبط في مجتمع ثالث كانت انصافهم العليا من البشر وانصافهم السفلي من الحيوانات ٠٠٠ فلم يجد السعادة ، وبذذا ظل ما ينشده مجرد حلم بعيد المنال ٠

و هذه القصة لم يكتبها سويفت للأطفال في الأساس ، ولكن ما اطوط عليه من رحلات و مغامرات و عجائب و مواقف مثيرة للخيال ، جعلتها قرية الى الأطفال .. ولكنها لم تصبح في عدد أدب الأطفال الا بعد أن أعيدت صياغتها من جديد على يد جون نيويري John Newbery ١٧١٣ - ١٧٦٧ .

اما قصة دانيال ديفو «Robinson Crusoe» التي صدرت عام ١٧١٩ فانها تعتبر بداية لفن القصصي في انكلترا ، و اذا كان لها من هدف فهو الدعوة الى الصبر تجاه الشدائـد . وقد صور فيها ديفو نفسه مجدداً في بطل قصته من حيث تدفق نشاطه و صلابة اخلاقه التي لم تذعن قط لعقبات الحياة .

وهذه القصة هي في الأساس ، حياة واقعية لرجل حقيقي من اسكتلندا - عاش في الاعوام الاولى من القرن الثامن عشر - اسمه اسكندر سيلكيرك ، وقد دفعته نوازعه الى مغامرات البحر ، فالتحق بحارا على سفينة للقرصان ، وحدث بينه وبين قائد السفينة شجار عنيف ، أدى بالقائد العنيد ان يلقى به على شاطئ جزيرة بغير سكان . وما أن رأى نفسه وحيدا في تلك العزلة الموحشة ، حتى اكتسبت نفسه مدة عام كامل ، ثم لم يجد بعد ذلك مفرأ من ان يشد عزم ليواجه الواقع الذي لم يكن له حيلة فيه ، ولبث في الجزيرة أربعة أعوام واربعة أشهر ، وبعدئذ مرت سفينة قرصان بريطاني في شباط ١٧٠٩ فاسرع سيلكيرك الى لقاء قائدهما ، واصطحبه معه الى بلاده . فاجأ أهله في اسكتلندا بعودته ، ولكن له يطق الحياة ، فأبانت لنفسه كوخا على الشاطئ مماثلاً لذلك الذي كان يحيا فيه في الجزيرة الموحشة ^(٣) .

وقد تعرف ديفو الى حياة سيلكيرك من خلال المذكرات التي نشرها قائد السفينة الذي انقذه ، فكتب قصة روبنسون كروسو ، ومع ان هذه القصة تقع خارج ادب الاطفال بصيغتها الاصلية الا انها « تعتبر من الاباء المؤسسين لادب الاطفال »^(٤) وقد اعيدت صياغتها بعد ذلك على يد نيوبوري ايضا لتألّم الاطفال .

واصدر الكاتب السويسري بوهان دافيد هيس « ١٧٤٣ - ١٨١٨ » رواية باسم « اسرة روبنسون السويسرية » عام ١٨٤٣ عن بطل القت به الامواج على جزيرة منعزلة على غرار قصة روبنسون كروسو ، واصدر الشاعر الانكليزي وليم بليك William Blake « ١٧٥٧ - ١٨٢٧ » مجموعة شعرية هي اغنيات البراءة « وقد كان لها تأثيرها في ادب الاطفال »^(٥) وقدم الروائي الامريكي جيمس فينimore Cooper « ١٧٨٩ - ١٨٥١ » مجموعة من القصص والروايات التي تدور حول مغامرات رجال الحدود مع الهنود الحمر والصياديـن والقباطنة والجواسيس .

Hans Christian Andersen
كاتب الاطفال الدانمركي مجموعة من القصص والحكايات ، فلاقت اقبال الاطفال في كل بلدان العالم حيث تمت ترجمتها الى اكثر اللغات ^(٦) .

اما الكاتب الانكليزي شارلن لوتو وج دودجس الملقب بلويس كارول « ١٨٣٢ - ١٨٩٨ » فقد اصدر قصة « أليس في بلاد العجائب » عام ١٨٦٥ وهي من قصص الاطفال ذات الشهرة .

وعلى اية حال ، فقد كانت الخرافات والحكايات الشعبية التي ابدعها الشرق ، بوجه خاص ، الى جانب هذه النماذج وما ماثلها اسسا و楣دمات لادب الاطفال الحديث الذي « يشكل اليوم حجما هائلا ، وخاصة في الاتحاد السوفيتي والمانيا وايطاليا والسويد واليابان » ^(٧)

الفصل الثاني

الكتابة للأطفال

المشكلة الكبرى التي تزعزع اسس ادب الأطفال ، هي انتا ، نحن الكبار، تكتبها ، انه من وحي تخطيطنا وتنفيذنا ، وتصويرنا وتعبيرنا ، وفي احياناً كثيرة تكون حصائر نمسكيننا عبشاً ، وفي احياناً اخرى تضليلاً وتشويهاً مسيباً .

ونحن في كثير من الاحيان نقف حيارى امام سلوك الأطفال ومبادراتهم، اذ لا نستطيع ان نصل الى تفسير كثير من تصرفاتهم واستجاباتهم لان الطفولة تظل امامنا عالماً فيه كثير من الغرابة ، ويزيد غراحته : تجده المستمر السريع ، ولن أنسى ما رددته نهرو : ان الأطفال اتقياء ، ولكننا نحن الكبار ندخل الكدر الى نفوسهم .

وإذا كان ملتون في نداءه العظيم قد صرخ قائلاً : « يستحيل علينا ان نعي ان اي رأي هو الذي سيقرر للجمهور ما هو الجيد والجدير بالقراءة » فان ذلك ينطبق ايضاً على ثقافة الطفل الى حد كبير ، خاصة وان كثيراً من مفاهيمنا ، فنحن الكبار ، نقللها الى الأطفال بعد ان نديرونوسنا الى الخلف ، الى ما ضيئنا

بكل ما فيه من رواسب واثقال وعقد ، ومع هذا ، نهز رؤوسنا اسفا ، ونغض على اصابعنا ، حين يقلب لنا الاطفال ظهر المجن ، او يديرون رؤوسهم عنا عازفين . وبعض منا يلقي باللوم على الدنيا التي فسدت ! فاصبح الاطفال فيها لا يطعون الكبار ولا يسمعون لهم كلاما ! ويستعيد ذلك البعض ايام الطفولة التي عاشها بكل ما فيها من ذل وطاعة عمياء ، فيحسب ذلك ادبا وخلفا فاضلة .

ان ظهور ادب مثالي للاطفال لن يكون حصيلة نظراتنا العمياء ، وانطوائنا على الذات واحتضاننا للعقد والاحزان ، وتمسكنا بالقيم والمعتقدات البالية . ومع هذا كان لابد ان نسمي ما نخترعه اليوم ونقدمه للاطفال : ادب اطفال ، وهو رغم ما فيه من نواقص وشوائب ليس له بديل .

★★★

اديب الاطفال ينبغي ان يتعرف الى جمهوره الاطفال ؛ ان يحيط بهذا العالم الغريب - رغم ان الاحاطة التامة تظل امرا عسيرا - لأن ما يكتبه ، شكله ومضمونه يخضع لطبيعة هذا الجمهور وخصائصه .

ولا يكفي ان يتعرف الاديب الى عدد من الاطفال ، سواء كانوا ابناءه او ابناء جيرائه ، او تلامذته ، بل ينبغي ان يدرس جمهور الاطفال دراسة علمية معتمدا على ما توصل اليه رجال التربية وعلماء النفس ، في هذا المجال .

ولكن ، هل يعني هذا ان يتصرف الاديب حيال الاطفال مثلما يتصرف رجل التربية او عالم النفس ، وهو الاديب الفنان ؟ !

الجواب على ذلك : لا ، لأن موقف اديب الاطفال كموقف الفنان ، التشكيلي ازاء لوحته الفنية التي يبدعها . انه يتطلع اليها من بعد قريب ، بين حين وحين ، ليعود يحمل الفرشاة ليضيف اليها لمسة ، او يضفي اليها لونا ، وهكذا .

ولا يكفي ان يعرف اديب الاطفال جمهوره جيدا ، بل لابد من ان يحترمهم ويلقى في روّعهم انه صديق لهم ، وان لا يغالي باستاذيته عليهم ، او ان يقلل من شأنهم او يستخف بهم وبقدراتهم .

ولكن اقامة تلك الصداقة بين الاديب وجمهوره من الاطفال ، لا تعني ان يكون الاديب طفوليا يكتب ببدائية وسذاجة وسطحية ، كما لا تعني ان يتعاطف مع الاطفال الى حد التمیع ، يميل حيث يميلون ، لانه في هذه الحالة ينسى دوره كسوّجه وقادته .

وصعوبة الكتابة للاطفال تتأتى من عوامل عدة ابرزها عدم قدرة الاديب على فهم عالم الطفل ، او عدم قدرته على نسيان عالمه ، عالم الكبار ، الى حد ما . وبالاضافة الى ما يكتنف عالم الطفولة من غموض ، فان هذا الجمهور يتفاوت في مستواه النفسي واللغوية والعقلية والعاطفية وفقا لراحل النمو . فضلا عن تفاوته من الناحية الاقتصادية والجنسانية والبيئية .

والالوان الادبية المقدمة للاطفال تتخد اشكالا وصيغا مختلفة وفقا للوسيط الذى تنساب من خلاله الى الاطفال . فالقصة المقرؤة في كتاب ستنلزم مقومات خاصة مختلفة عن تلك التي تقدم على شاشة التلفزيون ، او تلك المقدمة على المسرح ، وهذا يعني ان يكون الكاتب على دراية كاملة بامكانيات كل وسيط .

ومن بين المواقف الاساسية في ادب الاطفال ان يكون خلوقا ، لأن سمة ادب الاطفال هي سمة اخلاقية نبوية . وقد نص مشروع قرار المؤتمر الدولي لصحافة الاطفال [ميلان - مارس ١٩٥٢] على ان يحرم على اي شخص صدرت ضده احكام من الاشتراك بأى شكل في انتاج مطبوعات الاطفال .

ويتصور البعض ان الكتابة للاطفال ، امر ميسور ، ما دام ادب الاطفال يميز بصفة البساطة ، ولكن المعروف ان ابسط الاتصال الادبية هي الاكثر تعقيدا على الكاتب .

وبسبب التصور السابق مال الكثيرون نحو الاطفال يكتبون لهم ما يسمونه : ادباء .. ولكن مثل هذا ليس الا « ادباء سيئا » .

اذكر يوما انتي التقيت بكاتب كبير ، اتجه الى الاطفال يكتب لهم ، وحين سأله عن سر تحوله نحو الاطفال اكتفى بان اشار انه يحب الاطفال ! وكأن الآخرين يكرهون الاطفال ؟ ان كل الكبار يحبون الاطفال ، ولا شك ، الا اولئك الذين اصيروا بداء من ادواء النفس ، لذا لم اعجب ان ارى كتاباته مجرد حنان على الطفولة ومودة لها بلا حداد ؛ كأنه يتکيف مع الطفولة ويتمیع معها ، في الوقت الذي يشكل فيه ما نبديه من حنان ومودة زائدة للاطفال ، من خلال ما نكتب ، عائقا من عوائق النمو .. لقد مر في خاطري — وانا استمع الى صاحبي — قول مكسيم غوركي :

« حتى الدجاجة تحب الاطفال .. ولكن هل هي تعرف كيف تربىهم ؟ ! »

ويلاحظ من سير كتاب الاطفال المعروفين في العالم ، وخاصة الرواد الأوائل ، ان منهم من توجه نحو الاطفال عن عمد ، ومنهم من ساقته الصدفة الى ذلك .. والطريف ان بعضهم اصدر مؤلفاته دون ان يكون في حسبانه الاطفال ، لكن الاطفال تسابقوا الى قراءاتها .

فجول فيرن (١٨٢٨ - ١٩٠٥) بدأ مؤلفاته العلمية بكتاب عنوانه [خمسة اسابيع في بالون] وصف فيه رحلة خيالية قام بها احد العلماء ، هو الدكتور « فرجسون » ومعه صديقه الاسكتلندي « ريك كندي » وخدم امين يدعى « جو » .. وحين قدم فيرن مسودات كتابه الى الناشرين استخفوا بها ، الا ان واحدا منهم قال : ان هذا الكتاب علمي جاف .. واقتصر عليه ان يحوله الى كتاب علمي في جوهره قصصي في قالبه ، ففعل جول فيرن ذلك ، وتم طبع الكتاب فتلققـه الكبار ، وبعد حين تسابقـ الاطفال نحو قراءته .

اما اندرسون ، الذي كان اينا لاسكاـفي ، فقد وصف سنوات حياته

الاولى ، بانها اسوأ السنوات ، لكنه استطاع ان يدخل السرور الى نقوس الملايين من الاطفال بفضل فصصه الخيالية وفصائده وحكاياته الهزلية ، وظلت خرافاته موضع الاهتمام بعد سقوطه من السرير ووفاته بسنين طويلة بل هي ما تزال حتى اليوم ٠

وواجه كريلو夫 المتاعب والصعاب ، وعطلت صحفه العديدة ، الواحدة
نلو الأخرى ، ولكنها بعد ان ناهز الاربعين ادرك ان نظم الخرافات هو السبيل
الوحيد الذي يستطيع به ان ينقل خواطره وخوالج نفسه الى الرأي العام دون
ان يتعرض لسيطرة الرقابة الصارمة وقسوة الحكم القيصري في روسيا
آنذاك .

وكان ايشان كريلوف يحلم دائماً بالكتابة للمسرح، وبدأ يجرب حظه برواية هزلية، ثم اتبعها باخرى فحازتا نجاحاً طفيفاً.

وصادفه النجاح الحقيقي عندما انهال عليه المديح لترجمته احدى قصص لافوتين ، الروائي الفرنسي المشهور ، فشجعه ذلك على كتابة قصص من تأليفه ، فاعجبت الشعب الروسي ، وتناقلها بسرعة شفافها من لم يكونوا يستطيعون القراءة بذاته ^(٨)

ومع ان اغلب قصص كريلوف كانت على لسان الحيوان او عن الحيوان،
ييد انه لم يكن يرمي من وراء ذلك ان يروى شيئاً عن علم الحيوان او طبيعته
بل انه يريد ان يتحدث عن التاريخ البشري والطبيعة الانسانية .

ويعد كرييلوف (١٨٤٤ - ١٧٦٨) رائدا سباقا في الأدب الروسي ، قال عنه بوشكين « انه اكثرا شعراءنا وطنيه واعظمهم شعبية » وتحمل خرافاته طابع الحداثة ، وهي تمثل الواقعية الروسية ، وتبعدو من خلالها الحياة على حقيقتها ، ويقول عنه الكاتب الانكليزي الناقد الذاوقة موريس بيرنوك « انه يملك الطسّم الذي يتحدى النقد ويعجز التحليل

ويهزم الزمن ، ذلك الطلسيم هو الفتنة ، وقد ظفرت خرافاته بتقدير الرأي العام حين ظهورها ولم يفتر الاهتمام بها حتى اليوم » ٩

وكان الأطفال يحفظونها على ظهر قلب وهم صغار ، فإذا تقدمت بهم السن ازدادوا لها فهما وتكشفت لهم معاناتها الخفية واهدافها الإنسانية ، وبعض الطرز التي يصفها كريلووف موجودة في كل زمان وكل مكان ١٠

وكان تشارلز لوتفيدج دوجسون الذي عرف باسم لويس كارول مؤلف « اليأس في بلاد العجائب » خجولا منطويًا محبا للعزلة لا يألف الكبار ولكنه في محضر الأطفال كان ينطق على سجيته ، يتحدث إليهم ويأنس بهم ، يقص عليهم أمتاع الحكايات ، ويتلذّل عليهم صفحات من كتبه التي الفها لهم ، ويلاعبيهم أفالين الألعاب التي اخترعها لهم من صرفا بهذا « الهدر » على حد تعبير زملائه المؤرخين الوقورين - عن شؤون عمله في الكلية والجامعة ١١

وكان يوهان أنطون سويفت (١٦٦٧ - ١٧٤٥) مؤلف [رحلات جاليفر] من الفاشلين في الحصول على الشهادة الجامعية ، ذاق اليأس والمعاملة الفظة ، وتجرع خبز الصدقة ، ولكنه كان حاد الخيال ، عظيم الموهبة ، وحين مات ، قيل عنه : « عبقرى جبار تهاوى وتهدم ، لا يملك المرء حين يفكر في عظمته وجبروته الا ان يشبه سقوطه وانهيار امبراطورية هائلة »

ومع ان بعض هؤلاء الكتاب لم يكونوا كتاب اطفال ، ولم يخطر ببالهم ان يكون لهم جمهور من الأطفال ، الا ان الأطفال وجدوا في اثارهم موافق خيال انسائي ، ورحلات تمتد بافاقها عبر الزمان والمكان .

وقد مهد هؤلاء لظهور ادب للأطفال يدعى كتاب متخصصون ، يضعون في حسابهم ، وهم يدعون ، طبيعة جمهور الأطفال ، وطبيعة الوسائل التي تنتقل بها اثارهم الى الأطفال ..

وعلى اية حال ، فان اديب الاطفال ، لابد ان يكون – الى جانب ما ذكرنا –
فنانا ذي حس مرهف ، لانه يسهم في خلق ذوق فني في النشء الجديد ، وان
يكون خياله خصيبا انسائيا في تخيله ، وان يكون مخلصا ، لانه يغرس في
النفوس الغضة معانٍ سامية ، وان يكون مثقفا ثقافة واسعة تمكّنه من ايصال
نتائجـ الـادـبـيـ الىـ الـاطـفـالـ بشـكـلـ مؤـثـرـ ٠٠

ويكفي ان تذكر ، ونـحنـ بـصـدـدـ تحـدـيدـ مواـصـفـاتـ اـديـبـ الـاطـفـالـ ان
ادـبـ الـاطـفـالـ لـيـسـ الاـ ضـوءـ شـمـعـةـ قدـ يـضـيـءـ وـقدـ يـحرـقـ ٠

الفصل الثالث

مَصْنُونَ أَدِبُ الْأَطْفَالِ

ليس في الوسع تحديد مضمون ادب الاطفال ، لكننا نستطيع ان نحدد اطارا عاما فضفاضا كأن نقول : اتنا نصور للطفل الحياة الانسانية ونعبر له عنها بما يتلاءم وقدراته ، بحيث نساعداه على النمو السوي .

وهنا يتبدادر التساؤل : هل يصلح « كل شيء » مضمونا لادب الاطفال؟ والجواب هو اتنا لا يمكن ان نقدم للطفل « كل شيء » رغم اتنا نجد ان بعض المعينين بهذه الشؤون يؤكدون ان « كل شيء » ينبغي ان يقدم للاطفال من خلال وسائل ادب ، كما يؤكدون ان العبرة فقط باسلوب التناول والعرض .

وحجة اولئك ان عقول الاطفال وحواسهم وعواطفهم مفتوحة لتلقي « كل شيء » بسراحة واستمتاع .

كان مكسيم غوركي قد توجه برسالة مفتوحة ، يسأل فيها الاطفال عما يرغبون قراءته ، فتلقي الفين من الرسائل الفردية والجماعية ، قدم بها تقريراً لمؤتمر الكتاب واستفاد منها في رسم سياسة دار نشر ادب الاطفال الذي تولاها منذ انسائها عام ١٩٣٣ حتى توفي عام ١٩٣٦ .

يقول التقرير :

« ان اكثـر المقترـحات ترددـا يمكن تعريفـه بجملـة واحدـ هـي « كلـ شيءـ » . كتبـ البعض يقولـ لغورـكي :

« انـك تـريد انـ تـعرف كلـ شـيءـ يـهمـنـا . منـ الصـعب الاـجاـبة عـلـى سـؤـالـك لاـنـنا نـحنـ الطـلـائـعـ - يـهمـنـا فـعلاـ كلـ شيءـ »

وفي رسالة اخـرى تـجـسـدت هـذـه الرـغـبـة فيما يـليـ :

« نـريد انـ تـقرأـ كـتـباـ عنـ المـاضـيـ لـكـيـ تـفهمـ الـحـاضـرـ بشـكـلـ اـفـضلـ ، نـريدـ كـتـباـ لـلـمـؤـلـفـينـ الـكـلاـسـيـكـيـنـ ، وـكـتـباـ عنـ تـارـيخـ الـحـرـكـةـ التـورـيـةـ عـنـدـنـاـ ، وـفيـ الغـربـ ، وـعنـ الـحـربـ الـاـهـلـيـةـ وـالـجـيـشـ الـاحـمـرـ وـالـاشـتـراكـيـةـ . نـريدـ كـتـباـ عـلـمـيـةـ وـفـنـيـةـ تـكـنـيـكـيـةـ ، وـكـتـبـ رـحـلـاتـ » .

ويضيف الصغار في نهاية رسائلهم « . . . وكلـ شيءـ »

وـعـدـيدـ مـنـ الرـسـائـلـ جـاءـتـ فـيـهاـ كـلـمةـ «ـ كـلـ »ـ كـصـفـةـ

«ـ نـحنـ نـرجـوـكـمـ انـ تـرـسـلـوـاـ اليـناـ كـتـباـ مـخـتـصـراـ يـضـمـ «ـ كـلـ »ـ الـافـكارـ السـيـاسـيـةـ »

«ـ اـرـيدـ كـتـابـاـ يـصـفـ «ـ كـلـ »ـ الـرـحـلـاتـ الـتـيـ تـمـتـ لـلـقـطـبـ الشـمـالـيـ »

«ـ اـرـيدـ اـنـ اـقـرـأـ كـتـابـاـ عـنـ «ـ كـلـ »ـ الـحـيـوانـاتـ مـعـ صـورـ كـثـيرـةـ »

الـاطـفـالـ ، اـذـنـ ، مـنـ خـلـالـ هـذـاـ التـقـرـيرـ ، يـرـيدـونـ باـختـصارـ «ـ كـلـ شيءـ »ـ

حتـىـ الـانـسـوـكـلـوبـيـديـاـ (١١)ـ .

ترى ، هل يبرر هذا ان نقدم للأطفال كل شيء ، هل نقدم لهم قصة التطور القائلة انهم وآباءهم واجدادهم قد انحدروا من القرود ، وان الانسان على ذمة داروين - كان حيوانا ، فنبيل افكارهم ؟ وهل نحدثهم عن الزمن ، كبعد رابع في الكون - على ذمة اينشتاين - فنتركهم في حيرة لا يستطيعون في هذا العمر الندي ان يصلوا الى خاتمة لها ؟ وهل تعرض لهم صورة للواقع المفكك الذي يحياه العالم ففقدده الثقة به ؟ !

تعطش الأطفال إلى المعرفة واكتشاف العالم ، تدفعهم إلى أن يطلبوا معرفة « كل شيء » ، ولكن ينبغي أن لا يغيب عن البال أن الأطفال حين يقولون « كل شيء » لا يعنون كل ما نفهمه نحن الكبار منها ، إن « كل شيء » في أذهان الأطفال شيء ، وفي أذهاننا شيء آخر .

هنا يفرض التساؤل نفسه :

ماذا ، إذن ، ينبغي أن لكتب للأطفال ؟

من أجل أن تعرف إلى ذلك لابد أن نحدد ما نريده لأطفالنا . وهذا فقط يحدد مضامين ادب الأطفال .

● نحن نطمح إلى بناء إنسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً ، ليتفتحوا عن خلاقة مبدعة . حيث يضع اديب الأطفال نصب عينيه توفير اسباب النمو السليم المتكامل للأطفال ، واعدادهم لتحمل مسؤولية الغد بعزيمة ووعي وكفاية واخلاص .

● ونريد صقل سلوك اطفالنا وفق قيم وقوانين ، وتربيتهم تربية اخلاقية ، لذا يتخد ادب الأطفال سمة اخلاقية .

● ونريد اعداد الطفل ليعيش ايجابياً في المجتمع ، ويختلط بالآخرين دون أن يضحي بصفاته ، وان يتبع مكانته،ويشق طريقه،ويقدر دوره،ويتحمل مسؤوليته في المجتمع . المجتمع الذي يتطلب العمل والارتياح لصالح

المجموع ، المجتمع الذى يقدر الفرد بقيمة ما يعطى لا ما يأخذ ، المجتمع الذى يتواجد فيه العدو والصديق ، الطيب والخبيث ، الخير والشر ، ولا بد ان يتهميأ الطفل للتمييز بين هذا وذاك ، ويغلب الاول على الآخر ، وان يعده لتبسيير العلاقات الاجتماعية البالية وايجاد بدائل جديدة ، وان تتبlier في ذهنه الافكار عن الحقائق الاجتماعية في الماضي والحاضر والمستقبل .

ويلاحظ ان الاطفال توافقون للسيطرة على عالمهم وادراك الحياة الاجتماعية من حولهم ، وهم يجدون لذة في التكيف مع المجتمع والاندماج فيه .

● ونريد ان يلتزم الاطفال بالنظام الصحيح وان يلتزموا بالانماط السلوكية التي تقوم على الحب والعدل والمساوة والخير للإنسانية .

● ونطمح ان يحسس الاطفال بالاستقرار والامن ، لأن هذا الاحساس هو الاساس في بناء صرح الحياة النفسية للطفولة ، لذا نراهم يتسمون ببرية عما يحيط بهم ، ولا يقر لهم قرار ما لم يطمئنوا الى محیطهم ، وادب الاطفال ، وسيلة الاطفال ، الى الاطمئنان والسعادة والامل .

● ونريد تقوية روح التضامن والتعاون بين الاطفال لا الوشاية او الكراهة ، فقد منح العمل التعاوني امكانيات واسعة امام تقدم الانسانية عبر العصور .

● ونريد ان يكسب الاطفال المهارات المختلفة التي تساعدهم على الاتجاج اولا وعلى كسب الثقة بالنفس ثانيا ، كما نريد ان تزدهر ملكاتهم ومواهبهم .

● ونبتغي تنمية الشجاعة والجرأة في نفوس الاطفال ، لأن الشجاعة غذاء للنفس وموارد للعقل ، وموئل للشخصية .

● ونسعى لأن يعتاد الاطفال على عادات طيبة وينفروا من العادات

السيئة ، فقد يقرأ الاطفال معلومات ومتلا اخلاقية كثيرة ويفهمونها ولكن هذه المعلومات والمثل تظل غير ذات جدوى ان لم تتحول الى عادات عقلية وعاطفية .

● ونرנו الى تنمية خيالات الاطفال ، لأن الخيال زاد لنفوس الاطفال على ان لا تبتعد عن مجال الواقع التصويري لعقليات الاطفال . ويلاحظ من الاحصائيات ازدياد تعلق الكبار بالمطالعات غير الخيالية على المطالعات الخيالية ، بينما كانت الاحصائيات قبل سبعين عاما تشير الى عكس ذلك .

وإذا كان يصدق ذلك بالنسبة الى الكبار ، فإنه ، دون ريب ، يصدق على الصغار ، ذلك اننا نجد ان قصص الاطفال قد اتخذت خلال السينين الاخيرة صيغا جديدة ، ولم تعد تلمس اهتمام الاطفال بقصص العفاريت والجنيات والسحرة ، التي كانت قبل سنوات تثيرهم وتستحوذ على اهتماماتهم .

ومن ابرز اسباب هذا التحول هو ان التسلية التي كان ينشدها القراء في قصص الخيال المغرق أصبحت ميسورة ومهيأة من خلال وسائل عديدة تفوق تلك القصص في اجتذابها للناس ، ومن جانب اخر ، فإن كثيرا من الاتصالات الانسانية في مجالات العلوم والمعرفة والتي تعدد اليوم حقيقة بعيدة عن الخيال في جوهرها ، الا انها أصبحت ادوات لاشباع خيالات القراء ايضا .

ويظل ادب الاطفال ، اداة شديدة التأثير في تنمية خيالات الاطفال ، التي يمكن ان يتعرف من خلالها على حقائق الحياة . وشتان بين طفل ينشأ في بيئة متزمته جامدة لا تتسع الا للحقائق اليومية وحدها ، وبين بيئة رحبة خصبية يطللها الخيال ، فينشأ الطفل فيها مستعدا لمواجهة الحقائق بروح واسعة الافق .

● ونريد ان يعتاد اطفالنا على التفكير لا التقليد الاعمى . وكل ما يقدم للاطفال من معلومات وحقائق لا جدوى منها ان لم تدفع ما بهم الى التفكير ، وليس المهم تعليم الاطفال ، بل المهم هو تعليمهم كيف يتعلمون ، وكيف

يفكرون .. كما نريد لهذا التفكير ان يكون انسانيا لا تفكيرا عاطفيا او تأثيريا ، ونريده تفكيرا واسع الافق لا احادي النظرة .

● ونريد تنشئة اطفالنا تنشئة علمية عن طريق اذكاء روح الفضول العلمي لديهم ، لأن الطفل هو باحث صغير ، لكنه قليل التجربة ، وهو في حاجة مستمرة لأن يعرف ما يحدث في بيئته وعالمه من ظواهر ، اذ يشغل ذلك حيزا واسعا من اهتمامه وتفكيره في عصر احتلت فيه حسائل العلم مكانة كبيرة في الحياة .

● ونريد لاطفالنا ان يكونوا مثقفين ، لأن الثقافة ليست حكرا للكبار ، بل هي ليست حكرا لعمر من الاعمار دون غيره ، والثقافة ليست ضرورة وطنية وقومية بل هي احدى مكونات شخصية الطفل .

وتفيد الاتجاهات الحديثة في العلوم السلوكية ان العوامل التي تميز شعبا عن شعب ، وامة عن اخرى ، ليست عوامل عرقية او جنسية بل هي قبل كل شيء عوامل ثقافية .

وثقافة الطفل هي البناء الاول في بناء ثقافة قومية تدفع بالامة لأن تحتل مقاما مرموقا بين الامم في هذا الكوكب .

المعروف لدى علماء النفس اليوم ، ان التطور الحاصل في صفات الطفل الجسمية والعقلية هو ثمرة عاملين متباينين ومتناقضين معا ، وهما يدفعان به نحو التقدم ، او لهما : النمو الذي يراد به تطور الخصال وبروزها تحت ظروف يمكن تحفيزها بالعوامل البيئية . وثانيهما : التعلم والثقافة .

والعلاقة بين النمو والتعلم ، علاقة متبادلة ، وهما يتفاعلان معا . فكل واحد منهما يؤثر في الآخر ويعمل على تعجيله أو تأخير حصوله . والخصائص الكامنة في الفرد لا يمكن ان تتطور الى حدتها الاقصى بذاتها ما لم يبذل الجهد والتوجيه الصحيح كي يصبح التطور تاما . (١٢)

والمجتمع ، لم يكن الا وليد الثقافة التي تضبط الميل الطبيعية وتوجهها توجيها يتنق وظروف الحياة الاجتماعية في كل طور من اطوارها .. لأنها تسهل قدرة الانسان على تنظيم علاقاته بالبيئة الطبيعية تنظيما يكفل له توفير ضرورات الحياة من الطعام والكساء والمأوى ، واستغلال مراافق الطبيعة وصيانة نفسه من الاخطار التي يتعرض لها فيها ، ويدخل ضمن هذا التحديد للثقافة : كل ما تحقق للانسان من المخترعات والوسائل ، والمهارة التي يسرت التقدم في السيطرة على البيئة الطبيعية والاتفاع بقوتها ومرافقها ، وهي تشمل ايضا القدرة على تنظيم روابط الافراد بعضهم البعض والأنظمة التي تضبط علاقة الافراد بالمجتمع ، ومن جملتها انظمة الدين والاخلاق والسياسة والاقتصاد والفنون والعلوم ، او كما يعرفها ادوارد تايلور

Edward B. Tylor

حين يقول :

« ان الثقافة هي الحاصل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والاخلاق والقوانين والتقاليد وجميع القابليات والعادات التي يكتسبها الانسان وهو عضو في المجتمع » (١٣)

ومن هذا يبدو ان الثقافة ليست سجلا لامارات الماضي وتراثه بقدر ما هي عماد الحاضر واساس المستقبل ، لأنها طريقة حياة المجتمع ، بما فيها : افكاره ، وقيمه ، ونظمه ، ومعتقداته ، وعاداته ، وتقاليده ، وادوات واساليب تفكيره ، وكل ما اتجه بيده او بعقله ، وهي بنفس الوقت اداة لتطوير هذه الحياة .

● ونريد ارهاf الحس الجمالي لدى الاطفال وتشويقهم الى الرؤانع الفنية ، وتمكينهم من تقييم الجمال .

وادب الاطفال يفصح عن نواح جمالية كثيرة في الحياة ، ويعاون الشء الجديد على تذوق الفن والجمال . وقد لوحظ ان الاطفال يتعشرون الفن ويغرسون بالجمال وهم يتذوقون الجمال في كل شيء ، في الدمية التي يلعبون بها ، والكتاب الذي يقرأون فيه ، والقلم الذي يكتبون به ، والفراش

الذى يلتحفون به . وما تعشقهم للادب منذ صغرهم الا صورة من غرامهم
بالجمال .

والفن ، الذى يتعلم الطفل في سنوات عمره الاولى قد يعني الفرق بين فرد سعيد متجاوب ، وبين اخر يستمر فردا غير متوازن ويجد كثيرا من الصعاب في علاقاته مع بيئته رغم كل ما تعلمه ، وقد يكون الفن للطفل هو التوازن الضروري لعقليته وعواطفه ، كلما صادف ما يتعبه ، والذى يلجأ اليه عندما لا تستطيع الكلمات ان تسعفه . فنحن نعرف جيدا ان المعرفة وحدها لا تجعل الناس سعداء ، والتربية ذات الجانب الواحد التي تهتم بالمعرفة قد تهمل صفات كثيرة مهمة جدا يحتاج اليها الاطفال حتى يستطيعوا ان يكيفوا انفسهم لهذا العالم^(١٤) .

والخبرات الفنية تدركها الحواس اولا ، لذا كان من الاهمية بمكان ان نساعد اطفالنا منذ الطفولة المبكرة والمراحل التالية لها على تنمية حساسيتهم للأشياء التي يشاهدونها ويسمعونها ويلمسونها او يشعرون بها على اجسامهم . وهناك اشخاص كثيرون يمضون حياتهم في هذا العالم دون ان يستخدموا اثنين هبة وهبوا بها ، وهي القدرة على النظر واللمس والسمع والاحساس . وذلك لأن هذه القدرات لم تغرس فيهم ، وهم لا يستخدمونها الا في اغراض عملية عندما يتضطرون الى ذلك لا حبا في متعتهم الخاصة . كل ما نستطيع ان نفعله لتشجيع الطفل على استخدامه الحساس لعيشه واذنيه واصابعه وكل جسمه سيزيد من خبرته ، وبذلك نساعد له على التقدم في النواحي الفنية^(١٥) .

● ونريد للأطفال ، في هذا العصر الذي يتتصف بالتعقيد ، وسرعة التغيير ، والارتباط الشديد بين المجتمعات رغم بعد المسافات ، ان يتعرفوا الى الخبرات الكثيرة التي يمر بها الفرد ، هنا او هناك ، والتي قد يمرون بهما في الغد ، وان يلموا بمتطلبات الحاضر ويسلحوه بأدواته .

وادب الاطفال يتناول جوانب الحياة بشكل يثير عواطف الاطفال وانفعالاتهم امام كثير من عادات الناس واعمالهم واماهم ، وما يعانون من مشكلات وما يعنتقون من افكار ومبادئ ٠

● ونريد للاطفال نفوسا سليمة ، قادرة على مواجهة ما يعترضها من ازمات ، كما نريد لهم اجساما صحيحة ، وان يحسوا دوما احساسا ايجابيا بالنشاط والقوة والحيوية والسعادة مما يؤهلهم لتفكير الانسائي والاداء البناء ٠

● ونريد ان تتسع مدارك الاطفال ، وتزداد معارفهم ومعلوماتهم ، وان لا يظلوا حيارى امام كثير من الظواهر والمظاهر ، وملعون ان ألوان ادب الاطفال تشتمل على كثير من المعلومات والمعارف والخبرات والمشكلات ، فحين تأخذ شخصيات القصة والمسرحية ، مثلا ، في الحركة وطرح العقد وتقديم الاجابات والحلول يتضح للاطفال ما يستغلق امامهم ، وكثيرا ما تستقر تلك الاجابات والخبرات والمعلومات في اذهانهم اذا ما احسن تحريك عواطفهم وانفعالاتهم ٠

● ونريد لثروة الاطفال اللغوية ان تتسع ، كما نريد ان يتعلموا استعمال لغتهم الفصحى السهلة ، ولا شك ، في ان اثمن ما يقتنيه الطفل في سنوات حياته هو لغته القومية ، التي يستطيع من خلالها ان يفهم الاخرين ويعبر عما في نفسه ٠

● ونريد للاطفال ان يجيدوا الالقاء ، ويخرجوا الكلمات اخراجا سليما ، ويتسبعوا بروح الشجاعة الادبية ، ويواجهوا الاخرين دون قلق او رهبة ، وليس هذا فقط بل لابد من تربية اذواقهم الادبية من خلال لغة ذات تراكيب ساحرة ٠

● ونطمح الى تسلية الاطفال وامتناعهم وادخال الفرح الى نفوسهم ، وابعاد كل ما يثير فيهم القلق والاكتئاب او الانشغال العقيم ٠ وقد وجد ان

الاطفال ، في كثير من الاحيان يكتسبون لاسباب غامضة ، لذا كان لابد من توفير اسباب الترويح لهم ٠

ويلاحظ اليوم ان التربية الاخلاقية الناتجة عن النشاط الترويحي هي في عصر ازدهارها في البلدان التي دفعت بهذا النشاط الى مستوى المسائل الحيوية ، وهذا لم يكن قبل ذلك ، حيث لم تكن التربية الاخلاقية التلقائية التي تتحقق عن طريق الترويج تدخل ضمن التوجيه في عدد من البلدان حتى مستهل هذا القرن ، لأن مفهوم وقت الفراغ كان ينحصر في كونه الفترة التي يجد الفرد نفسه حرا في ان يفعل ما يريد ، واخذت الحرية معنى مرادفا للتلقائية ، هذا في وقت يتزايد فيه اليوم حجم وقت الفراغ كلما سارت المدنية الى امام ، حتى اطلق البروفسور هتشنس Hutchins صيحته التي قال فيها : انه اذا لم يهلك الانسان نفسه بالقنبة الذرية فانه سيدمر نفسه بوقت الفراغ الطويل الذي سيخلفه العصر الذري ، واذا لم تعد البرامج الترويجية الموجهة انتشرت الجرائم وسيطر الترويج التجاري المنحرف على امزجة الناس ٠٠ لأن وقت الفراغ هو فترة اعادة البناء في تكوين الفرد ، سواء من الناحية الجسمية او العقلية او الاجتماعية ٠^(١٦) ٠

● ونريد تنمية اعتزاز الاطفال بالوطن ، وتهيئتهم للاسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه ، وتربيتهم تربية وطنية وقومية ، وتعريفهم بالقيم الانسانية ،

وهنا لابد من الاشارة ، الى ان البعض يتصورون ان بث مشاعر الفضيلة والاحسان والرحمة والشفقة تكفي لأن تكون المعين الاكبر لادب الاطفال ، ولكن هذا التصور على جانب من الخطأ ، حيث خاب رجاء المفكرين الطوبائيين منذ زمان بعيد حين كانوا يتتصورون ان معضلات الانسانية يمكن ان تجد الحل عن طريق هذه الدعوات ، اذ ظهر اليوم ، بشكل واضح ، ان المعضلات الانسانية لها حل نهائي يتمثل في النظام الاجتماعي الذي يحرر الانسان من كل القيود ويوفر له كل الحاجات الاجتماعية ، ويطلق قدراته وملكاته ومواهبه وينقل جهوده من ميدان التصادم الى ميدان التعاون الانشائي ٠٠

وعليه لابد من تهيئه الطفل لأن ينجزه في هذا السبيل الاخير ، واعداده لأن يتحمل فيما بعد - مسؤولية بناء النظام الجديد ، بدل الاكتفاء باستدرار عطفه على الفقراء والمساكين وابناء السبيل في كلمات باكية جوفاء .

● ونبغي ان يكون الطفل في موقع الناقد الواقعي المنشيء ، فقد كنا وما زلنا ، الى حد ما ، نكتفي بنقل ما ينتجه الآخرون ، ونرددہ على شكل نظريات وقوانين ، دون تمحيص كاف او نقد واع . ونريد ان نبعد عن اطفالنا كل آثار النزعات الانتكالية واللامسؤولة واللامبالاة ، والتقليد الاعمى ، والكذب ، والرياء والخنوع ، والتفكير الخرافي المدام .

● ونريد تنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الاطفال ، وغرس الثورة الدائمة في نفوسهم ضد كل اثار الاستغلال ، وبناء شخصياتهم بناء يمكنهم من العمل المبدع .

ان هذه كلها ، وغيرها الكثير ، تتشكل لنا اطارا عاما لمضمون ادب الاطفال ، ويمكن ضمن هذا الاطار العريض ان نقدم للاطفال خلال كتبهم ومجلاتهم وبرامجهم الاذاعية والتلفزيونية ، وافلامهم ، ومسارحهم ، ما يعزز هذه الاتجاهات ، وما يدفعهم الى التفكير الهداف والتخيل الانشائي وما ينمی قدراتهم المختلفة ، لأن ادب الاطفال هو اداة لبناء شخصية الطفل واعداده للمستقبل ، لذا يتحدد مضمونه في كل ما يبني عقل ونفس وجسم الطفل .

وي ينبغي ان لا يغيب عن دوما « ان للطفل عالمه الخاص ، وكلما اسرعنا في معاوته على التتحقق منه دون ان نفرض عليه مستوياتنا - نحن الكبار - كان نموه افضل » (١٧) .

الفصل الرابع

اسْلُوْبِ اَدَبِ الْاطْفَالِ

الاسلوب عنصر اساس في ادب الاطفال ، لأن اي مضمون ادبي مهم ما كان له من الاصلية او القوة لا يسكن ان يؤثر في الاطفال ما لم يتتوفر له الاسلوب الرشيق الممتع ، لذا يقال ان ادب الاطفال يجب ان يقدم باطريق من ذهب .

ان المضمون الجيد ، يبدو متهرئا اذا قدم الى الطفل بأسلوب ركيك مضطرب ، او اذا قدم مبهرا جا بمحسنات بلاغية وبدوية .

وليس بالواسع وضع مواصفات محددة لاسلوب ادب الاطفال ، ذلك لأن طبيعة المضمون تفرض ، في العادة ، جانبا من طبيعة الاسلوب ، وفي كل حالة ينبغي ان تجده وحدة بين المضمون وبين الاسلوب تؤلف عماد اللون الادبي .

وهذا لا يحول دون تحديد اطر عامة ، منها ان ادب الاطفال لم يعد تقديم. كلام منمق يجد فيه الاطفال ما يثير فيهم النعاس قبل ان يستسلموا للنوم ، بل هو « لغة » توقظ الاطفال في يقظتهم وتمنحهم قدرة على تأجيج هذه اليقظة .

كما انه لم يعد اداة تخويف الاطفال وارهابهم من العقاب في الدنيا « والآخرة » ، ولم يعد عبرا ومواعظ تکال في عبارات جافة جامدة ، بل أصبح اداة انشاء للانسان من خلال تاصيل القيم والاخلاقيات ، واستجلاء الافكار والمفاهيم ، وامتاع الاطفال وتسليتهم وابعاد الاكتئاب والتشاؤم والاستسلام عن نفوسهم ، وتفتيح اذهانهم على امال رحيبة وتوكيد ثقتهم بأنفسهم في صياغة ائقة جذابة عبر لغة سلية سهلة .

وعلى هذا فان اسلوب ادب الاطفال يتصل بالوضوح وبساطة اللغة من حيث المفردات والتركيب .. والوضوح والبساطة ، لا تعني البدائية او السذاجة اطلاقا ، لأن الاطفال يرفضون ذلك بكربياء ، ويعتبرونه اهانة شديدة لقدراتهم .

ومن الضروري شحن قصص الاطفال بوجه خاص ، والمواد التي تتناول حوادث بنيض من الافعال ، لأن الافعال البسيطة الواضحة المعبرة تمنج الحدث والقصة ، نبضا جديدا يجذب الاطفال ويشددهم وتبدو للاطفال حبكة المادة الادبية وكأنها سلسلة نشيطة من الحوادث . ولا شك ان اکثر الافعال كسلا هو الفعل « كان » ، ومع ذلك فإنه ، للإسف يحضر في ادب الاطفال كثيرا !

ومن الضروري الاقلال من الافعال المزيدة او المبالغ في اشتتقاقها او المبنية للمجهول .

والجملة القصيرة ، اشد قربا من الطفل ، لأن الطفل يريد من الجملة نتيجة سريعة ، وهو قليل الصبر لا يتحمل الترير ، ويريد من تراكيتها ان

تكون واضحة ، لانه لا يحمل نفسه كثيرا مشقة الاستنتاج ، ويفضل ان يتسلل النتائج جاهزة ، في كثير من الاحيان .٠٠

و اذا كان من الضروري ان نستوقف اذهان الاطفال عند كثير من القيم والمفاهيم والافكار من خلال مضمون هذه المادة او تلك ، فان هذا حيال الاسلوب غير جائز ، لانا لا نريد للطفل ان يقف محatarا امام الكلمات والتراتيب ليسأل نفسه عن معانيها .٠٠ ومن يضمن لنا ان يتسائل الاطفال مثل ذلك التساؤل ! .٠ كما لا نريد ان يبدد الاطفال وقتنا في الوقوف عند الكلمات والتراتيب ، ذلك الوقوف الذي كثيرا ما يذهب بمتاعة الطفل ، وربما ينسيه الافكار التي نريد لها ان تتضح امام ذهنه ومخيلته .٠

وعليه ، فان ادب الاطفال يعمد الى الايجاز والسرعة واستخدام الجمل القصيرة الواضحة التي يمكن ان يفهمها الاطفال دون عناء ، واكثر الاساليب تأثيرا في الاطفال تلك التي يجدون فيها السرعة والرشاقة والخففة والتي تنهج نهج الكلمة المنطقية .٠

والجديد ، وغير المألوف ، يشيران كل انسان ، والطفل اشد استثارة بهما ، لذا تؤلف الجدة عنصرا مهما في ادب الاطفال من حيث المضمون الذي يقدمه والاسلوب الذي به نخاطبه ، اذ لا بد ان نضفي على اسلوبنا قدرنا من الطلاوة التي تشعر الطفل بالجدة ، فكما ان المعلومات والحقائق والمفاهيم والقصص الجديدة تستحوذ على مشاعره ، تشيره ايضا الالفاظ والعبارات الواضحة الجديدة التي لا يجد وكأنها تكرار يشق كاھله ، اضافة الى ان الكلمات والعبارات المتكررة كثيرا ما يجدها الطفل قد فقدت جمالها وخفتها ، بل ومعناها ايضا .٠

والاطفال شديدو النفرة من القوالب الجامدة ، وقد اطلعت على عددة اعداد من احدى مجلات الاطفال ، فوجدت ان اسرة التحرير استساغت صياغة قصصية ثابتة الابعاد لمعظم موضوعاتها ، ظهرت وكأنها مفتعلة في صياغتها ، ولا شك انها لاقت عزوف الاطفال .٠

وهنا ، لابد من الاشارة الى انه لا ضير من تكرار بعض الاسماء مرتين او ثلاثة او اكثر حيثما وجدنا في استخدام الضمائر ما يستوقف الطفل عند الجملة .

ويجب عدم المغالاة في التبسيط او المبالغة في تقديم المعلومات او الافراط في الايصال ، حيث يمكن من خلال الاسلوب المؤثر الكشف عن الجوانب الايجابية والسلبية لایة فكرة او موقف بحيث يجعل الاطفال يقفون الى جانب كل ما هو ايجابي بشكل تلقائي ، كأن نظهر ارتياحنا ازاء أمر من الامور او مشهد من المشاهد بحيث ينساق الطفل نحوه ، وينفر مما ينافقه ، وهذا يعني ان نلجم الى التلميح الواضح دون الاشارة الصريحة المكشوفة ، اي ان نلجم الى شعور الطفل ذاته ، وحين نوّض مشاعره ، وثير احساساته ، ونلهب انفعالاته ببدأ ميله في اتخاذ الموقف .

ويلاحظ ان الاطفال ينفرون من اي مضمون ادبي يشعرون انه مفروض عليهم ، حتى ان كان اسلوبه مناسبا ، وهذا يلزمنا ان تتجنب افتعال الحوادث او الاكثر من المضامين ذات الطابع الدعائى السافر .

كما انهم شديدو النفرة من النصائح والارشادات ، ومع انهم لا يشقون عصا الطاعة في كل مرة ، ويتنازلون ، احيانا ، ازاء الارشاد الخيف او النصيحة القاسية ، الا ان تأثير هذا الاسلوب قصير العمر ، لأن الطفل يبدأ فجأة في اعتبار نفسه كبيرا ومستقلأ ، فتذهب تلك المساعي العرجاء ادراج الرياح .

وقد توصلت احدى الدراسات في الاتحاد السوفيتي الى ان السلوك يصبح جزء من شخصية الطفل حينما يتبنى الطفل فكرة ويمارسها باسلوب فعال وايجابي ،اما حينما تفرض عليه هذه القيم من الخارج فانه ينفذها طالما كان هناك من يراقبه ، ولكن حملها تزول الرقابة يعود الطفل الى سيرته الاولى^(١٨) .

وعلى اية حال ، فان الكتابة المتزنة التي يقرأها الاطفال بسلامة وسرعة

هي في العادة ثمرة جهد شاق يبذله الكاتب ، وذلك لأن أبسط الألوان
الادبية على القاري اعدها على الكاتب .

★ ★

وإذا ما أردنا أن نحدد بشكل أدق أهم مبادئ وخصائص أسلوب أدب الأطفال فأننا نقول : أن أهم مبادىء أسلوب أدب الأطفال هو : الاقتصاد الذي يتمثل في تقديم الأفكار بصيغة أدبية لا ترهق الطفل ولا تكلفه جهودا كبيرة ، عن طريق استخدام كلمات وتعابير واضحة لا تحبس أكثر من معنى واحد . وإن تكون الكلمات والتعابير معبرة موحية ، مع عدم اللجوء إلى الاطناب ، حتى لو كلفنا ذلك الاستغناء عن أكثر من فكرة أو حقيقة . وكثيرا ما يشعر الأطفال بالافكار والحقائق الكثيرة التي تتوارد في نسبيا المادة الادبية على أنها دخيلة . وتتحدد أهمية الأفكار والحقائق في مقدرتها على دفع الطفل على التفكير والتأمل .

اما ابرز خصائص أسلوب أدب الأطفال فهي : وضوحه ، وقوته ،
وجماله ، ويتمثل وضوح الأسلوب وبساطته في وضوح الكلمات ، ووضوح التراكيب اللغوية وترابطها ، ووضوح الأفكار . وكل غموض في هذه الجوانب يشوّه المادة الادبية وقد يفسدتها .

« والحقيقة تكون دائماً أكثر جمالاً إذا تعرت ، ويكون التأثير الذي تحدثه عميقاً بقدر ما يكون التعبير عنها بسيطاً ، وذلك راجع ، من جانب ، إلى أنها في ذلك التعبير تستحوذ استحواذاً كاملاً على روح القارئ ، ولا تدع له من الخواطر الجانبية ما يشتت ذهنه ، ومن جانب آخر ، لأن القارئ يشعر أنه لا يوجد من يحاول خديعته وافساد ادراكه بفنون البلاغة ، وإن كل ما للقول من اثر في نفسه نابع من نفس الشيء ذاته » (١٩) .

اما قوة الأسلوب ، فانها تتمثل في المثيرات او المنبهات التي توقف احساس

ال طفل ومشاعره ، وتحرك وعيه وخيالاته ، وتدفعه الى التأمل والتعاطف ،
اضافة الى ما تضفيه الى الفكرة من جمال .

ولا شك ان استخدام الكلمات المعبرة ، واطلاق الصفات الخاصة ذات
الاثر الانفعالي في الطفل دون الصفات العامة المألوفة ، والابتعاد عما يسبب
عثرات في قراءة الطفل او بليلة ذهنه ، كلها ، ادوات تمنع الاسلوب القوء ،
وتعمل على استثارة اهتمام الطفل وجذبه ومشاركته الفكرية ، وتهيء له أن
يفكر ذات التفكير الذي كان يدور في ذهن الكاتب وتنقله الى ذات الاجواء
التي رسمها .

اما جمال الاسلوب ، فانه يتمثل في التناغم بين الاوصوات والمعاني عن
طريق استخدام ألفاظ وتعابير سلسلة موحية ، وفي التوازن بين الافكار والمواضف
وما يثيره من احساسات ومشاعر دون اصطناع او تكلف .

كما ان من ملامح جمال الاسلوب : التوافق بين الاسلوب والافكار ،
لان الافكار المختلفة تستلزم تعبيرات مختلفة ، اضافة الى توافق الاسلوب مع
قدرات الطفل الادبية والعقلية والعاطفية .

وهنا لابد من الاشارة الى انه لا يصح الاعتماد على قاموس الطفل
اللغوي وحده ، لان للاطفال - الى جانب قاموسهم اللغوي - قاموسا ادراكيا ،
وهذا الاخير يعني قدرة الاطفال على فهم كلمات وتعابير اخرى من خارج
قاموسهم اللغوي الذي يتحدثون به . ولكن هذا لا يبرر لنا الخروج على
المدى الذي يرسم قدرات الاطفال على الفهم .

واخيرا لابد من توفر الخفة في اسلوب ادب الاطفال .. بحيث نستطيع
القول ان كل فقرة منه لابد ان تحمل : فكرة ، وابتسامة .

الفصل الخامس

أدب الأطفال في الوطن العربي

ليس في تراثنا الأدبي - رغم ثرائه - ما يمكن أن نسميه : أدب أطفال .
ويبدو أن الصغار كانوا يتناولون القصص والحكايات الشعبية التي يتناقلها الكبار (٢٠) ، وما (الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة) إلا حكايات وضعتها مخيلة القصاصين لابناء الشعب في عهود كان فيها الشعب قليل المعرفة ،
يؤمن بوجود الجن والعفاريت ويجد متعة في اخبار الكنوز المطمورة والقصور المسحورة التي تنقله الى عالم خيالي رحيب ينسيه مرارة الواقع ومتاعب العيش (٢١) .

وهكذا كان الامر في كل مكان ، حيث وجد الأطفال ، في مختلف العصور ، الحكايات والحوادث التي تسجّلها أخيلة الشعب الزاد الأدبي الذي يتناولونه ، سواء كان سهلاً مستساغاً أم كان صعباً عسير الهضم ، ولكنه ، في الغالب ، كان كثيراً لما ينطوي عليه من حكم ومواعظ وامثلات قاسية .

لذا ، قلنا : ان أدب الأطفال جديد على الأداب العالمية كلها ، حيث لم يعن به أحد وفق الصيغ الحاضرة ، الا في العصر الحديث ، حيث زاد الاهتمام به في العقود الأخيرة زيادة واسعة بعد ان تناولت الدراسات عن الأطفال وظهر علم جديد هو : علم نفس الطفل ، اضافة الى ظهور نظريات التربية الحديثة .

. ورغم تزايد الاهتمام بادب الأطفال في أكثر بقاع الدنيا ، الا أن أدباً للأطفال العرب لم يتبلور بعد ، ولم تظهر له شخصية متميزة . ويرجع ذلك إلى عوامل عديدة منها : طغيان النظريات التربوية التقليدية التي ترى في الطفل رجلاً صغيراً . يضاف إلى ذلك ان المجتمع كان مجتمعاً رجلاً قبل كل شيء . وليس هذا فقط ، بل ان الاهتمام بالثقافة والاعلام هو ظاهرة حديثة نسبياً في مجتمعنا العربي المعاصر .

وعلى أية حال ، فان ما قدم وما يقدم للأطفال وفق النظريات التربوية التقليدية لا يمكن اعتباره « أدباً للأطفال » لانه في هذه الحالة يفتقد أهم عنصر فيه . وكل صيغة تقدم للأطفال لاتراعي في الطفولة خصائصها باعتبارها كائناً متميزاً له دوافعه وميوله وخيالاته وقدراته هو بعيد عن أدب الأطفال الحق . ولتكن هنا تفرق بين هذا الاتجاه الخاطئ وبين البدایات الجادة السليمة ، والتي يمكن ان تقول استناداً إليها أن أدب الأطفال هو في المهد ولكنه سليم معافي .

وبوجه عام ، فان كل ما وصل إلى أذهان وأخيلة اطفالنا نبع من مصادرتين : أولهما : عن طريق الترجمة من بعض اللغات ، وخاصة اللغة الانكليزية والفرنسية ، وثانيهما : تبسيط بعض الحكايات والأقصاص العربية المستمدة من تراثنا الأدبي .

اتخذ السبيلان من القصة والأقصوصة والحكاية صيغة له ، أما الجوانب الأخرى من ألوان أدب الأطفال فلم تلق العناية آنذاك ، بل هي لم تلق ما تستحق حتى اليوم ، رغم أن أدب الأطفال يشكل كلاماً لا يقبل

الجزئية ، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمستقبل الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لآية أمة ، واللامم لاتقاد ، اليوم ، بمقدار مابنته في ماضيها، ولا بما حققته في حاضرها، فحسب ، بل بمقدار ما اعدته لمستقبلها .

وما يزال جيل الشباب ، حتى اليوم ، يعاني من آثار هذه الفجوة العميقه ، بين الحياة وبين الثقافة . وهذه التيارات الشاذة التي تفترق أسبابها مثلما تفترق أهدافها ، وهذه السيادة التي تحظى بها العقليات التقليدية في بعض الربوع العربية ، وهذا النزوع للتخلص عن المسؤوليات والقائمها على الآخرين ، والاتكالية ، والتکاسل ، وسلوك أقصر الطرق واسرعها لتحقيق الاهداف ، وتجنب السبل السليمة لمجرد احتوائهما على بعض المصاعب والمعوقات في جميع الاعمال والمناشط ، وهذا التعلق بالغبيات ، وهذا القصور في الشخصية ، وهذا التخلف والتمزق الاجتماعي وما الى هذا وذاك ، كلها تعوده في الاساس ، وبنسبة عالية ، الى عدم اتهان هؤلاء في طقولتهم لادب هادف يبني شخصياتهم وينمي تكوينهم الاجتماعي والنفسي والعقلي .

ونعود ، الى المصدر الاول الذي استمد منه الزاد الثقافي لاطفالنا ، وهو الترجمة ، وهو مصدر لا اعتراض عليه ، اذا ما أحسنا اختيار المواد الاصلية والمناسبة . والمعروف اليوم أن نسبة عالية من ألوان الادب المقدمة للاطفال في البلدان الاشتراكية هي مواد مترجمة عن لغات مختلفة ، ولكن الاختيار يتم وفق مواصفات محددة ودقيقة .

ولكننا حين تتصفح اكداس الكتب المترجمة والمقدمة لاطفالنا ، نجد انها ليست الا شيئاً غير متجانس من القصص والحكايات والمسرحيات ، والتي لا يصلح كثير منها لاطفالنا ، ويتوخى ناشروها – في الغالب – الربح المادي – قبل أي شيء آخر ، واقبال الاطفال عليها ، وشففهم بها لا يعنيان – ولا شك – انها مناسبة أو صالحة لهم .

أما المصدر الثاني ، فهو تلك الحكايات والاقصص التي استمدت أكثرها من التراث العربي ، ورغم امكانية استمداد مضمونين رائعة منها لالوان عديدة من أدب الأطفال ، الا ان مثل هذا لم يتحقق بعد . فقد قدمت بعض الحكايات والعبير ، كما هي ، اسلوباً ومضموناً ، في الوقت الذي تطورت فيه لغتنا العربية خلال هذه الاحقاب الطويلة ، كما ان مضمونها أبقيت كما هي ، في الوقت الذي يفرض عصرنا الحاضر التقدم بمضامين جديدة تناسب أطفالنا .

اما الحكايات الشعبية التي كانت تتناقلها العجائز ، فقد تولت بعض دور النشر التجارية تقديمها الى الأطفال رغم قساوة وكآبة اغلبها .

وهنا ، لا يمكن أن ننسى ان كثيراً من الاقصص المستمدة من تاريخنا ، والحكايات الشعبية التي سجّلتها أخيلة الناس في عصور مختلفة ، هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، كما أنها بالأساس لم تكتب للصغرى ، بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور المختلفة ، وعليه ، من الخطأ ان نعتبر جميع تلك الاقصص والحكايات التي تعبّر عن الواقع غير واقعنا زاداً رئيساً لادب الأطفال – نعم ، قد تتضمن بعض تلك الاقصص والحكايات عبراً وأخيلة توسيع المدارك ، ولكننا نرى اليوم ان من الضروري حرف أخيلة أطفالنا نحو الواقع من أجل أن يكتسبوا زخماً يستطيعون من خلاله مواجهة الحياة فيما بعد ، كما أن من الضروري أن لا ندفع بعالم الطفولة الى عالم الوهم^(٢٢) ، علمًا ان هناك فرقاً شاسعاً بين الخيال والوهم .

ومن الجانب الآخر قد تخلق بعض القصص السحرية والخرافية التي هي – كما أشرنا – من ترکات المجتمعات المختلفة في طفولتنا روح العداون والوحشية ، وتبرز صور الخوف والقلق ، علمًا أن التطور الاجتماعي والعلمي يمكن أن يتمحض عن قصص خيالية تلائم طبيعة الحياة الجديدة ، وتدفع بها الى آمام ، كما أن بالواسع تحوير تلك القصص والحكايات وابراز الجوانب التي تشجع على الوئام والتعاون والمساواة ومحاربة المعتمدي

واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا أن
نجعل من طفولتنا حبيسة أخيلة متخلفة .

وهذا لا يعني اننا ندعوا الى صرف الطفولة عن الاخيلة ، بل بالعكس ،
لان الخيال هو خير غذاء فكري للطفولة ، ولكننا ندعوا الى ايجاد صلة تربط
بين الاخيلة التي نأتي و بين الواقع الذي يحياه الطفل ، وبذلك نوفر للطفولة
عنصرين اساسيين في الحياة هما : سعة الخيال والقدرة على الحياة .

ومع هذا ، أريد ان أكون اكثراً وضوحاً في هذا الامر ، وهو ان تراثنا
العربي ، فيه من الشراء ما يمكن ان نستمد منه آلواناً أدبية رائعة لا كالتي
نجدها اليوم تنقل بلغة صعبة وتحمل نفس المفاهيم ، حتى لو كانت مفاهيم
يتيمة او باكية .

والملاحظ أن كثيراً من القصص والحكايات والشخصيات القصصية
العربية ، اليوم قد ترجمت الى لغات العالم المختلفة وقدمت للأطفال بأسلوب
ممتعٍ شائق ، دون الاشارة الى مصدرها .

الفصل السادس

أدب الأطفال في البلدان الاشتراكية

تعني البلدان الاشتراكية عناية كبيرة بشفافة الطفل ، ونجد هناك لوناً متميزاً من أدب الأطفال ، أدب يعبر عن روح المجتمع الاشتراكي وواقعه ، وينقد المجتمعات الرأسمالية والاقطاعية نقداً لاذعاً ، وينشر المحبة والالفة والتعاون بين المجتمع .

وقد تنبهت البلدان الاشتراكية الى خطورة قضية الطفولة وآدابها منذ وقت مبكر .

وقد كان مكسيم غوركي يسمى الأطفال : القوة الكبرى ، ويدعوا الى مبادئ أساسية في أدب الأطفال لمختلف المراحل بما فيها مرحلة ما قبل المدرسة ، حيث كتب بعد تأسيس دار النشر لادب الأطفال في الاتحاد السوفيتي عام ١٩٣٣ يقول :

« في المجتمع الانساني يقوم صراع يشتد اكثراً فاكثراً ، هدفه تحرير

الطاقة العضلية الى طاقة فكرية ، والتحكم في قوى الطبيعة ، وتحسين الصحة، واطالة حياة كل العاملين على الارض ، وتحقيق وحدتهم على المستوى العالمي وفي سبيل الازدهار الحر والتنوع والامانة لاستعداداتهم وموهبتهم .. هذه المبادىء على التحديد ، يجب أن تكون الاساس لكل ادب الاطفال ، لكل كتاب موجه للاطفال بما في ذلك سن ما قبل المدرسة»^(٢٣) .

ويعود اهتمام غوركي بادب الاطفال الى عام ١٩١٧ يوم أرسل رسائل الى أصدقائه من كبار كتاب العالم يقول لهم انه وضع هدفا امامه « بالاشتراك مع خيرة كتاب عصرنا لنسر سلسلة كاملة من كتب الاطفال تكرس لحياة عباقرة الانسانية» . وكتب لويلز : « ارجوك يا عزيزي ويلز أن تفضل بكتابه مؤلف للاطفال عن اديسون : حياته واعماله .. فأنت تدرككم نحن في حاجة في الوقت الحالي الى كتب قادرة على أن توحى الى الاطفال بحب العلم والعمل .. وفي نيتني أن أطلب الى رومان رولان اذ يكتب لنا كتابا للاطفال عن بيتهوفن، وسأكتب بنفسي كتابا عن غاريالدي »

وكتب غوركي عام ١٩٣٠ ، يقول :

« من المشاكل المهمة لدينا تلك المشكلة التي تختص بالتربيـة الاشتراكية للاطفال في دولة تسير بنجاح في بناء وتنظيم نفسها بطريقة اشتراكية .. ولكنها لم تبلغ بعد ذلك الهدف .. ان التنظيم الحالي سوف يكتمل بناؤه على أيدي أطفال اليوم الذين تدور حياتهم كلها في إطار كفاح يومي وتناقضات من كل الانواع بين الاشتراكية الوليدة وعملاق الفردية الذي سيطر خلال ملايين السنين ..

يجب علينا أن نروي للاطفال بطريقة فكهة مسلية جرائم رأسمالي احتكاري مثل (كروب) لكي تثير نحوه في نفوس الاطفال عاطفة الاشتراك والانتزز والنفور .. ولا تثير عاطفة الرهبة والفزع منه .. لابد ان نوجه (السكره الاجتماعي) في اتجاه الزراعة بالعدو واعتباره مخلوقا من درجة

أدنى ، بدلاً من أن تثير عاطفة الخوف في مواجهة بذاته وحظرته وقوته ، كما كان يفعل أدب الأطفال « العاطفي » قبل الثورة ، وكان غير قادر بالمرة على استخدام سلاح السخرية والضحك الحاد واللاذع »^(٢٤)

وفي مؤتمر الكتاب السوفييت الثاني الذي عقد في موسكو من ١٥ إلى ٢٥ كانون الأول عام ١٩٥٤ انتقد كاتب الأطفال السوفيتي (ليف كاسيل) في تقريره إلى المؤتمر^(٢٥) بعض الكتاب الذين يضعون للأطفال قصصاً يظهر أبطالها الأطفال على مستوى أعلى من مستوى الواقع ، فهم كاملون ليس فيهم ناحية نقص واحدة مطلقاً ، وهذا لا ينطبق على الواقع أولاً ، وهو - في الوقت نفسه - يؤذي الناشئة ، لأنهم يألفون أثناء طفولتهم هذه « النماذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى إذا تجاوزوا عهد الطفولة وجدوا في الواقع « نماذج » بشريّة واقعية حية تختلف عن تلك « النماذج » القصصية ، فتصيبهم من ذلك خيبة ، وقد يدخلهم يأس وسوء ظن ، هذا شر كبير عليهم فمن الخير لهم أذن أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواص في الأطفال ، وكيف تعالج ، وكيف تنمو ، إلى جانب ، ذلك قوى إنسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويداً رويداً .

ويرى ليف كاسيل أن من الخطأ جعل روايات الأطفال قائمة على بطل مرکزي واحد أو « نموذج » بشري واحد ، على حين ينبغي أن تشتمل هذه الروايات على عدة أبطال من الأطفال ، وعدة « نماذج » طفولية بشريّة ، تتمثل فيها عدة نواحي من الحياة الاشتراكية .

ولعل أهم ما جاء في ملاحظات ليف كاسيل ، قوله : إن معظم وأضعي قصص الأطفال ، يهتمون بأن يكون أبطالهم من أمثال الطيار الروسي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من « النماذج » البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولا يهتمون بأن يكون في أبطالهم أمثال ماياكوفסקי ، الشاعر العظيم ، ومن يمتازون بعظمة فكرية أو أديبية ، فعل

معرفة مايا كوفسكي وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعباقرة الفكر ، يجب أن تظل وقفا على الناس الكبار دون الأطفال ؟

ويتسيد ليف كاسيل بالثقة العميقه التي يثقها الأطفال السوفياتيون بقصاصيهم ، ويضرب على ذلك مثلا طريفا ، فيقول : ان كاتبا من كتاب قصص الأطفال أذاع مرأة من خلال الراديو قصة جاء فيها من خلال الحديث عن بطليها انه احتاج الى ثلاثة عشر روبلاً ، وما أن اتهى الكاتب من اذاعة القصة ، حتى أخذت دار الاذاعة تتلقى المخاطبات التلفونية والرسائل من اطفال كثيرين في مختلف الجمهوريات السوفياتية ، يتبرع كل منهم بثلاثة عشر روبلا لبطل القصة ، ذلك ان اطفال الشعب السوفيتي يعتقدون ان كتابهم لا يكتبون لهم غير الحقيقة .

وهذه الثقة العميقه التي يثقها الأطفال بكتابهم ، تدل على عظم المسؤولية التي يضطلع بها الكتاب السوفياتيون حيال شعبهم ، ولا سيما الذين يكتبون أدب الأطفال ، كما تدل على ضرورة احتراس الكتاب من أن يختلط عندهم مفهوم الواقعية الاشتراكية في الادب بمفاهيم جامدة تقف عند نواحي خاصة من الحياة ومن العواطف ومن الحوادث لا تتعداها إلى سائر النواحي الانسانية او الشخصية .

واشار الشاعر الفكاهي السوفيتي سيرجي ميخالكوف في المؤتمر في معرض حديثه عن ثقة الأطفال ايضا بواقعية الكتاب وبصدقهم ، فقال : ان احد الأطفال كان يحضر مسرحية تمثل على المسرح الكبير ، وانقى أن طفلان من أبطال المسرحية ظهر خلال الحوادث انه يحتاج الى ثلاثة روبلات ، فلما اتهى الفصل وخرج المشاهدون للراحة ، تقدم احد الأطفال الى ادارة المسرح ورجاها أن تقبل منه ثلاثة روبلات مساعدة منه لطفل المسرحية !

وروى ميخالكوف أيضا ، من نوادر الأطفال السوفيت ، أن أحد

الاطفال كان يشاهد مسرحية أخرى ، فرأى احد الممثلين يؤدّي دور بطل برجوازي ، فلما اتتهى التمثيل أخذ الطفل يقذف هذا الممثل بالحصى ، قائلاً انه يكره البرجوازية ويكره من يمثل دورها في الروايات والمسرحيات .

في أدب الاطفال الاشتراكي قيم ومفاهيم تقدمية ، تستهدف ترسیخ الايمان بالنظام الاشتراكي ، وغرس روح الثورة الدائمة في نفوسهم ، لأن مستقبل النظام الجديد يقرره في الغد أطفال اليوم .

ورغم أن أدب الاطفال الاشتراكي لا يؤمن بالصيغ القديمة البالية من العلاقات الشخصية والاجتماعية ، الا انه لا يتنكر للتقاليد الشعبية ، ولذلك نرى في أدب الاطفال الاشتراكي ألواناً مختلفة من القصص والحكايات تدور أحدها في ظل نظام اقطاعي أو برجوازي ، وهم يهدفون من خلال ذلك تعريف الطفل بمساوي المجتمع غير الاشتراكي مع اثارة روح النفرة من تلك الانظمة في نفوس الاطفال ، ففي الاتحاد السوفيتي والمانيا الديمقراطية مثلاً ، نجد اهتمام المعنین بشؤون ادب الاطفال بتقديم قصص وحكايات شعبية قديمة تعود الى أزمان مختلفة ، ولكنها تعبر عن روح الكفاح لدى الشعب في تلك الظروف الاجتماعية ، ونرى الى جانب ذلك ، قصصاً وحكايات تدور أحدها في مرحلة الاقطاع تعبر عن روح الكفاح لدى الفلاح من اجل حياة أفضل حتى وان لم يكن يستهدف من كفاحه ازالة النظام الاقطاعي عن موقعه ، حيث تبدو روح الكفاح بصورة مغايرة للصورة المطلوبة في وقتنا الحاضر ، لكنها مع هذا تعبر عن طموح الانسان . كما ان أدب الاطفال لا يتذكر ، لقصص وحكايات تتجسد فيها الروح الإنسانية في مختلف الظروف ، ما دامت تحارب الجشع المادي والتکالب على الريع والمساوي ، التي رافقت تطور الرأسمالية (٢٦) .

ومع هذا فإن اختياراً دقيقاً يتم عند تقديم مثل هذه القصص والحكايات للأطفال ، لأن الطفل الصغير غير قادر على التحليل الكافي وفهم ظروف تلك القصص التاريخية والسياسية والاجتماعية .

وبلغ الاهتمام بالاطفال في البلدان الاشتراكية مدى واسعا ، حيث ما يزال الاطفال يسمون هناك : الطبقة المتميزة ، اذ يقول السوفيت :

« رغم مرور أكثر من خمسين عاما على ثورة اكتوبر الاشتراكية التي ألغت الطبقات ، الا انه ما تزال هناك « طبقة » متميزة ، لها قصورها وحدائقها ونواديها وملعباتها ومسارحها وافلامها وصحفها وكتبها وبرامجها ومكتباتها .. هذه الطبقة الجديدة هي : الاطفال ، لأنها تتجاوز في حقوقها وامتيازاتها ما يتمتع به الآخرون »

وتتحدد من خلال ما كتبته ناديجا كروبسکایا ، المريضة السوفيتية الكبيرة ، بعض ملامح ادب الاطفال في الاتحاد السوفيتي ، حيث كتبت في جريدة البرافدا مقالا عام ١٩٣٣ تحدثت فيه عن منظمة الطلائع ، فقالت :

[قد يقول بعض الرفاق : ما وجه الضرورة في منظمة خاصة بالاطفال؟ انهم سينضمون الى حركة الكومسوسول حين يكبرون قليلا وتنفتح مداركهم ، ولكن ماداموا اطفالا فماذا يستطيعون أن يفهموا؟ « ليلعبوا وليدرسوا » وهذا كل شيء الان .]

لقد سميت المنظمة الشيوعية للاطفال بمنظمة « الطلائع الاحداث » وتضم الاطفال من الجنسين ابتداءً من الحادية عشرة .

والهدف من هذه المنظمة : تربية « الميول » الاجتماعية في اعصابها بروح المشاركة في الافراح والاحزان ، والتعمود على عدم فصل المصالح الشخصية عن مصالح الرفاق ، وتنمية شعور كل فرد بأنه عضو في الجماعة ، و التربية العادات بروح الجماعة ، كالعمل ، وتقديم المساعدة بطريقة جماعية منتظمة ، وتربية الوعي الشيوعي عند الاطفال ، ومساعدتهم في ادراك انهم أعضاء في أسرة الطبقة العاملة التي تناضل من أجل سعادة الانسانية ، وانهم أعضاء في جيش البروليتاريا .

وتدل المعطيات على أن جذب الاطفال في سن مبكرة الى هذه الحركة

يأتي بأحسن النتائج ، وكثيراً ما يسمع الأطفال يقولون : « انا لا نرى آباءنا على الاطلاق انهم يعملون نهاراً ، ويذهبون مساء الى الاجتماعات ، وكذلك تذهب الأم الى العمل ، أو تكون مشغولة بشؤون البيت فيتشأّ أطفال العمال كما يشاء القدر » ، اذ يلوذون في ركن مهملاً ، نهياً للسلامة ، أو يقعون تحت تأثير الشارع ، ولكن منظمة الطلائع تمدهم بكثير من أسباب الغبطة ، وتساعد قواهم على التطور ، وتربي فيهم روح الاعتماد على النفس ، وتغذى عقولهم بالمعرفة .

وطبيعي أن يكون هناك فرق بين منظمة خاصة بالطلائع ، ومنظمة خاصة باليافعين ، ولو كانت هذه مطابقة لتلك لكان الامر سيراً ، ولكن يجب أن تكون منظمة الأطفال مفعمة بروح الشيوعية .

و قبل كل شيء يجب أن توفر للأطفال أسباب الغبطة ٠٠٠٠ وان يكون لديهم وقت كاف للألعاب ٠٠٠ ولكن اهتمام الطلائع الاحداث لا ينحصر باللعب وحده ، فقد رأى الأطفال العصر وسمعوا كثيراً ، ولديهم الرغبة في المشاركة بالنضال من أجل سعادة البشرية وبناء الحياة الإنسانية ، ولا بأس أن يكون عمل الأطفال بسيطاً : جمع النباتات الصالحة للأدوية ، وتنظيف الحديقة الإمامية التابعة للمصانع وزرعها بالازهار ، وخياطة القمصان لرياض الأطفال ، وتوزيع بطاقات الدعوة الى الاجتماعات ، وتزيين أناشيد العمال ، وما الى ذلك . فالاشتراك بمثل هذا العمل الجماعي يلهم كل طفل أن يدرك انه عضو نافع في المجتمع ، ويدفعه الى الاستعداد لعمل ابداعي في المستقبل ، فيجب على جميع المؤسسات السوفيتية ان تعنى بالطلائع ، وتهيء لهم امكانيات العمل في فروع جديدة .

وتعتبر حركة الأطفال ثمينة جداً للمدارس ، فإنها تسليح الطفل بالحق والمهارة ، وتساعد الادارة المدرسية ، وتمدها بطرق جديدة في التعليم ، وترفع مستوى اهتمام التلاميذ بالدروس ، وتنير فيهم الفضول الى المعرفة ، ولهذا فإن المعلمين التقديرين يرحبون بالطلائع] .

وفي خطاب القته المربيه السوفيتية في المؤتمر السابع لاتحاد الشبيبة الشيوعية - الليبيه في الاتحاد السوفيتي بتاريخ ٢١ آذار ١٩٣٦ ، قالت :

[٠٠٠ ينبغي لنا ان نساعد الحدث العضو في الطلقان في تفسير معنى البناء الاشتراكي . ان فتى الطلقان يقول بحرارة واحلاص انه مستعد للنضال في سبيل الاشتراكية ، ولكن لا يمكن ان طالبه بأن يشرح فيما ينحصر بناء الاشتراكية ، فمن واجبات الحزب والکومسومول أن يساعد اطلاق في هذا . وينبغي ان يعرف أن بناء الاشتراكية لا ينحصر فقط في اقامة قاعدة اقتصادية جديدة وتوسيع الحكم السوفيتي ، بل يشمل أيضا تربية انسان جديد ، له من كل قضية موقف جديد ، موقف شيوعي ، اشتراكي ، وان عاداته وعلاقاته مع الناس ، تختلف كل الاختلاف عما كانت عليه العلاقات في النظام الرأسمالي . ولا ينحصر بناء الاشتراكية في تطوير الصناعة وانشاء التعاونيات . وتعزيز الحكم السوفيتي فحسب ، على الرغم مما لهذا كله من أهمية عظيمة ، وانما يشمل ، أيضا تجديد تربتنا السيكولوجية ومعها جميع علاقاتنا ، ومن هنا كان لحركة الطلقان دورها العظيم .

ان الانسان البالغ الذي نشأ في النظام الرأسمالي يتذرع عليه ان يقلع تماما عما تعود عليه في الماضي من مظاهر السلوك والعادات وال العلاقات ، واما طلائنا الاطفال فانهم لم ينضجوا بعد ، ولم تكتسب العادات الجديدة شكلها النهائي في ثقوبهم ، وهذا ما ينبغي أن تهتم به حركة الطلقان ، وان نعني به نحن الحزبيين ، وقد كتب أنجلز : ان العالم الجديد يولد من احشاء المجتمع الرأسمالي القديم .

وحين ننظر الى حركة الطلقان ، ينبغي أن نعرف أن مهمتنا الرئيسة تتحصر في مساعدة أعضائها على تطوير مشاعر التضامن الاخوي في ثقوبهم مع جميع الشغيلة ، وتنمية مدى الزماله والرفقة .

٠٠٠ لقد سرت الى حد كبير حينما استمعت الى معلم لم يعش في روسيا الا قليلا وقد عاد قادما من اميركا ، فماذا أتعجبه هنا قبل كل شيء ؟ وما الذي تغير في روسيا خلال تلك السنوات التي غاب فيها عن البلاد ؟ لقد أتعجبه ، على الخصوص ، أن ضمير الجمع المتكلم « نحن » يستعمل هنا أكثر من ضمير المتكلم المفرد « أنا » وحينما يسير في الشارع يستمع الى الاطفال وهم يتحدثون « نحن » وكذلك الفتىات ، فانهن يتحدثن بضمير « نحن » وهذا ما أتعجبه . ثم يرى امرأة متبرجة ، ويستمع اليها تتحدث ، فإذا هي « أنا » وقد لاحظ ان الجميع يتحدث بالضمير « نحن » الا هذه السيدة المتبرجة بطريقة البرجوازيين ، فانها تقول « أنا » . وطبعي ان حياتنا تتوجه جميعا الى احلال « نحن » محل « أنا » وان لا ينحصر الامر في هذا وحده ، بل علينا ان تعالج كل قضية من وجهة نظر المصالح العامة ، ووجهة نظر المجتمع كله .

٠٠ يقول الاطفال في اكثر الاحيان : ان جدنا لينين أو صاننا بأن نتعلم ونتعلم ، وهذا شرح مبسط يقوم به المعلمون ، فما قاله لينين أصبح واضحا لكل انسان ، وهو : من الضروري التزود بالمعرفة ، فبدونها يتغدر بناء الحياة الجديدة ، ومن الضروري لاطفال الشغيلة والعمال والفلاحين على الخصوص ، أن يستوعبوا هذه المعرفة ، ولكن حتى استيعاب المعرفة يجب أن يتحقق على نحو شيوعي ، فتتطور في هذه الناحية ، المساعدة المتبادلة على نطاق واسع .

تلك هي الاسس التي يجب ان يقوم عليها العمل بين الطلائع فيرأيي ، وهي تربية التضامن الرفافي ، واتخاذ موقف جماعي من كل مسألة ، والتعود على العمل بشكل تعاوني موحد ، والاستزادة من ألوان المعرفة] .

وفي نيسان من عام ١٩٣٧ نشرت كروبسكايا في صحيفة « اوتشيلسيسكايا غالينا » مقالا بعنوان « حركة الطلائع قضية تربوية » قالت فيه :

[قلنا مارا ان المدرسة وحركة الطلائع ، يسعين الى هدف واحد ، هو تنشئة الطفل على أن يكون مناضلاً وبناءً في النظام الجديد ، ان حركة الطلائع تستهدف تربية الشباب الجديد ، الذي سينهض بقضية بناء الاشتراكية والشيوعية حتى النهاية ، ولا يعني بناء الاشتراكية أن يرفع مردود العمل ويعلى شأن الاقتصاد فحسب ، ذلك ان الاقتصاد المتتطور الى مستويات عالية ، ليس الا قاعدة للرفاهية المادية ، واما جوهر البناء الاشتراكي ، فانه في تنظيم المجتمع على نحو جديد ، وفي النظام الجديد ، وفي العلاقات الجديدة بين الناس . اتنا لا نريد أن نبني فقط حياة الاكتفاء والشبع ، بل نريد ان نبني أيضاً حياة وضاءة مشرقة .. اذا كان الواجب يدعوا الى اعادة تربية المواطنين الراشدين بروح الاشتراكية ، فمن باب اولى ان يربى الجيل الناشيء بهذه الروح .

ان البرجوازية تتعمد التفرقة بين تربية أطفال الشغيلة وتربية اطفال الرأسماليين والاقطاعيين . فهي تحاول ان تنشيء من اطفال الشغيلة عباداً خاضعين ، وان تربى القادة من اطفال الاقطاعيين والرأسماليين ، وتحاول بمختلف الطرق التربوية ان تمحو شخصية اطفال الشغيلة ، وان تحول دون تطورها وبروزها ، وأن تسليم طباعهم ووجهتهم وروح المبادرة فيهم ، ليشبوا جامدين خاملين ، اذا تمردت الشخصية عند بعضهم على هذا المصير ، فان بعضهم يؤلب على البعض الآخر ، ليتحولوا الى خدم مخلصين للبرجوازية . واما اطفال الطبقات الحاكمة ، فتطبق عليهم طرائق تربوية أخرى ، فتحاول البرجوازية أن يجعلهم أصحاب شخصية فردية تخالف الشعب والمجتمع و تستطيع ان تحكم الجماهير .

ان التربية السوفيتية تهدف الى تطوير جميع المواهب عند كل طفل ، وبعث النشاط فيه ، ورفع مستوى مداركه ، وتنمية شخصيته بشكل شامل ، ولذلك كانت طرقنا التربوية مختلفة عما يطبق في المدارس البرجوازية من الطرق التربوية ، كذلك تختلف طرائقنا التربوية عن طرائق

أطفال البرجوازية بشكل جذري ، ان البرجوازية تحاول ان تنشيء اطفالها على الفردية ، فيضعون كلمة « أنا » فوق الجميع ، ويعارضون الجمود ، ولكننا نحاول ان ننشيء بشرآ سويا متطورا بشكل شامل ، قويا في الجسم والوعي والادراك ، ونحاول أن لا يكون اطفالنا فرديين بل اجتماعيين ، لا يخالفون العرف الجماعي ، بل يشدون أزره ويكونون قوته ويرفعون من شأن الجمود الى مستويات جديدة ، لذلك كانت للشيوعية طرائق تربوية مختلفة ، اتنا نعتقد ان الحياة الجماعية المشتركة تساعد شخصية الطفل على النطور بصورة اشمل واكمل ، وان هذه الحياة لا تمحو شخصيته ، وانما تهئ له ان ينشأ غني النفس ب التربية حسنة [

ولكن كروبسكايا تنشر قبل وفاتها بعامين ، مقالا في مجلة (فوجاتي) تقول فيه :

[اتنا تندفع في أكثر الاحيان من تطرف الى تطرف آخر ، فمنذ حين ، كان الامر يقال : بأن على الاطفال أن يكونوا على وعي بالسياسة منذ المهد ، فكان الحديث اليهم يتضمن أشياء تفوق مداركهم ، وقد أريد لهم أن يصبحوا شيوعيين وهو في مرحلة رياض الاطفال ، وكان هذا بعيدا عن الصواب ، وفي الوقت نفسه لا ينبغي تصغير شأن الاطفال والاعتقاد بأنهم لا يدركون شيئا ، بل علينا ان نحدثهم بكثير من الاشياء ، وان نوسع آفاقهم ، وان نساعدهم في أن يصبحوا اجتماعيين ، اتنا نروي عليهم كثيرا من الحكايات ، ولكن الواقع أشد اغراء لهم من الحكاية ، كما ان الوان الحكاية مختلفة ، فشة حكايات غنية بمضمونها وبامتلتها التي تصور طباع الناس ، وتتحدث عن مختلف العلاقات الانسانية ، وكذلك توجد حكايات تغلق المدارك ، وتعيق الاطفال عن أن يفهموا الناس والحياة بشكل صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي أن نعني صحيح . ان الحياة تجتذب الاطفال بمظاهرها المتنوعة ، فينبغي تحسو أذهان الاطفال بسياستها البرجوازية ، وترتبط ذلك بالدين ، وتعمل

على اثاره البغضاء بين الامم . و تقوم البلدان الاجنبية بهذا النشاط في حدق و مهارة ، معتسدة على تجربتها و طول باعها في تنشئة الاطفال على الحمق و تحجر الذهن منذ الصغر ، وتتسمى الكنيسة الكاثوليكية والبرجوازية بخبرة واسعة في هذا المجال ، وتنشط له في مختلف البلدان الاجنبية [٢٧] وجاء في تعليق رسمي سوفيتي عن « اكتوبر والاطفال » عام ١٩٦٧ :

[كان شعار مؤتمر منظمات الاطفال من جميع القارات ، الذى انعقد في قصر الرواد الشباب في موسكو « ثورة اكتوبر والاطفال » .

لقد مضى نصف قرن على ثورة اكتوبر .. ومنذ اليوم الاول للثورة اولت السلطة السوفيتية اهتماما بالغا بالاطفال .. فقد تم تنظيم الاطفال في منظمة لتأهيلهم للمساهمة في بناء المجتمع الاشتراكي ، وفي عام ١٩٢٢ خرجت منظمة الرواد الشباب الى الوجود .. ، والفلسفة البرجوازية تحاول دائما ان تزعم : لماذا يحاول الاتحاد السوفيتي اقحام الاطفال في منظمة في باكورة سنى اعمارهم .. ولماذا يشفف الاطفال والشباب على حد سواء بالوعي السياسي ؟

والحقيقة انه لا توجد منظمة في العالم لاتعكس ، بهذا الشكل او ذاك ، الافكار الاجتماعية ، ولماذا تخفي منظمة الاطفال والشباب اغراضها التثقيفية ، فهي ليست بحاجة الى ان تخفي ما ت يريد ان تعلمه ..

وجميع المنظمات في الاتحاد السوفيتي تبدي اهتماما بالغا يشاؤون الرواد الشباب .. وقد ساند العديدون النداء من اجل تعزيز وحدة منظمات الاطفال التقدمية .

وتتحدث احد المشاركين الاجانب في المؤتمر قائلا :

لقد كان الاطفال السوفيت في العشرينات يردون على سؤال : ماذا ت يريد
أن تمتلك أكثر من أي شيء آخر ، بأنهم يريدون امتلاك الكثير من النقود
••• أما اليوم فهم يردون على نفس السؤال بقولهم : نريد أن نحلق في
الفضاء ••• نريد أن نسافر كثيرا ، نريد أن نعمل شيئا نافعا للإنسان []

الفصل السابع

أدب الأطفال الصهيوني

وسائل «ثقافة الطفل» في («فلسطين المحتلة») تعمل من أجل أن تدخل في روع الأطفال مفاهيم القوة والعنف والعداوة ، وتشيّط معاني القتال حتى الموت في نفوسهم ، وهي تعلمهم أن حياتهم ، كأطفال ، مرتبطة بالاتصالات الدائمة على العرب ، كما أن حياة أمهاتهم وآبائهم وأخواتهم وأفراد أسرهم الآخرين يهددها العرب باستمرار ٠

والإهداف التي تسعى إليها السلطات الصهيونية وفقاً لما نص عليه البرنامج التربوي للدولة هو : تنمية الوعي اليهودي - الإسرائيلي لدى الأطفال والشبان وغرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم وتلقينهم قيم «الحضارة اليهودية» وحب (إسرائيل) والولاء لليهود^(٢٨) ٠

وتسعى الصهيونية الى خلق احساسات جديدة للتعاطف والولاء لدى
أطفالهم .. ويقول ناحوم جولدمان :

« على الصهاينة ان يحملوا الاشخاص على تغيير حياتهم عن طريق
الاختيار لا عن طريق الدوافع الدينية ، وهذا الانجاز لا يتم عن طريق
القرارات والخطب المنشقة ، لأن لنا اهتماما بالعملية النفسية ، علينا التوجّه
إلى الأطفال » (٢٩) ٠

ولهذا تنشط الصهيونية لتجيد ما يسمى بالبطولة اليهودية عبر
التاريخ وتحريك نوازع الأطفال النفسية واذكاء آمالهم التي ترسّمها
الصهيونية ، في صور أدبية حديثة ٠

والى جانب ذلك تسعى الى عرض صورة شوهاء للعرب : انهم كثيرو
العدد ، كثيرو الموارد ، ولا يريدون غير ابادة اليهود وازالة « اسرائيل »
من الوجود ٠

ولكن وسائل ثقافة الطفل هناك ، في الوقت الذي تظهر العرب بهذه
الصورة الشوهاء تعمل على عدم ادخال الخوف في نفوس الأطفال في الارض
المحتلة ، لأنها في النهاية تؤكد ان النصر دائمًا لليهود ، وتختلق نماذج وصورا من
« الاتصارات » الصهيونية ! وبهذا ، فهي تحاول تنمية الشعور بالمسؤولية
لدى الأطفال في القضاء على « العدو العربي » من جهة ، وازالة اسباب
التوتر والخوف لدى الأطفال اليهود من جهة ثانية ٠

وحين تستعرض التاريخ بين العرب واليهود ، فإنها تصوره عداءً
 دائمًا ، وان هذا العداء الطويل لا يمكن له أن يزول ، لأن اليهود لم يثأروا
 حتى اليوم رغم مضي الاحقاب الطويلة ، وعليه فان في اعناق الأطفال
 مسؤولية اكمال الثأر الناجز ٠

وتشيع في ادب الأطفال الصهيوني - من خلال وسائله العديدة -

قصص البطولة ، وخاصة «البطولة اليهودية» التي كان لها دورها في الحق
الهزائم بالعرب !! وان اليهود يحملون السلاح بآيديهم والقوة في نفوسهم
اما العرب فهم يحملون السلاح بآيديهم ، ولكنهم يحملون الهزيمة في
نفوسهم !!

وتتوارد في قصص الاطفال بطولات يهود يجازفون بحياتهم من أجل
«اسرائيل» ، وجند عرب لا يريدون غير النجاة بارواحهم !

ويلاحظ ان لادب الاطفال والمناهج المدرسية أثراً كبيراً في صياغة العقل
والخيال لدى الاطفال «ففي دراسة أجراها أحد أساتذة علم الاجتماع في
اسرائيل عن طلاب المدارس الابتدائية ، خرج بالنتيجة التي تقول ان ٦٠٪
من بين ١٠٦٦ طفلاً قابليهم تتراوح أعمارهم بين ١٤-٩ أيدوا الانفاء الكلي
للسكان العرب المدنيين المقيمين في الارض المحتلة في حالة وقوع صراع
مسلحة مع الدول العربية» (٣٠) .

وتحتهدف التربية الصهيونية ، بوجه عام ، نشر اللغة العبرية ، وتنمية
الروح العسكرية لدى الاطفال ووضعهم في جو مهياً نفسياً للحرب ، واضفاء
مسحة القداسة على حياة اليهود وتاريخهم ، ونشر التعاليم والتقاليد التي
وضعها حكماء اليهود مستمدین روحها اساساً من بعض المزاعم
الدينية اليهودية ، ومتوجهين بمضمونها الى تحقيق هدف سياسي
عنصري (٣١) .

وتتضافر جهود منظمات عديدة من اجل توجيه الاطفال وجهة خاصة
حتى يبلغوا الثامنة عشرة حيث يتقدم الجيش لاكتمال تربيتهم وتشقيفهم .
وقد اتفق كاتب اسرائيلي هذا الاتجاه ، حيث قال في دفاعه اثناء
محاکمته :

«انتي وجدت العناية منصرفة في هذا البلد لخلق شباب متغصب
إلى أقصى حدود التغصب ، فهو يربى تربية عسكرية ، ويوجه توجيهها حررياً

الى أهداف احتلالية ، ويتلقي تعليمًا تعصيًّا من النوع الضيق جداً كالذي يطبق في الدول العسكرية .. انهم جعلوا الجيش هنا قبلة للنخبة ومنحوه مركزاً ممتازاً ، كما كان اليابانيون والنازيون يؤلهون جيوبهم .. انهم في هذا البلد ينشئون الاطفال هذه التنشئة العسكرية ، ويستعينون على هذا الغرض بجميع الوسائل التي تملكها الدولة .. انهم يطبعون كل شيء بطابع الروح العسكرية .. طابع الغزو الاستعماري »(٣٢)« .

ولسب مروز الى أحد الآباء قوله : « انه لمذهب حقا انكتب الاولاد على هذه الكتب التي تتضمن وصفا مفصلا للرعب والفاشية والتسييل ، وصورا كاريكاتيرية منفرة عن العرب الذين يوصفون بالجبن والحقارة . لكنني لم أفلح في منع الاولاد من قراءتها . انهم ضحايا تحدير تام »

وأشار مروز الى كتب ألفها يغتال موسينزون في الخمسينات بعنوان «السامبا» حيث يقول «كانت تلك الكتب تعتبر فاسدة يوم صدورها ، أما اليوم فانها تعتبر كلاسيكية ، اذا قيست بسائل كتب الاطفال التي طغى من بعد .. فقد كتبت ارنونا غادوت عن « جماعة شوفتيشيك » وعن « الاربعة البغيضين » و « عملية غوش عتسيون » وكتب رفائيل سهر عن الاولاد « مقتضي الاهرام » وكتب ج اورغيل عن « الجبارية يتعقبون المخربين » وكتب حاييم غيوري كتابا عن جماعة تدعى « هافوعوز » تنتصر « بسمولة على العرب الاغبياء » . ولكن الكتب الواسعة الانتشار حقا والتي يصل مدى توزيعها الى أرقام خيالية هي التي يمؤلفها كاتبان هما

عيدان ستر ، واون سريغ . وتقع كتبهما في مسلسلات عديدة ، وتناولت موضوعا واحدا : « الفتى الاسرائيلي الصغير البطل الذى يصل معسكر العرب الجبناء وينتصر عليهم ٠٠٠ » ويقول عيدان ستر في احدى قصصه « ٠٠٠ لابد من الخروج لمواجهتهم من جديد بكل قوة وحملهم على الفرار مرة أخرى . لا يهم بأي سلاح : بمسدس أو سكين أو قبضتي صوان . كل شيء وارد في اللعبة . وصدقوني : من جاء ليقتلوك بأدراه واقتله » .

ويتابع مروز : « اتضح ان عيدان ستر ليس الا حزاي لوفمان ، رئيس تحرير مجلة الجيش الاسرائيلي « بمحاباته » سابقًا . ويقول عن نفسه « بعد أن خدمت في قوات البملاح ، عملت في القيادة العامة بعض الوقت خبيرا في الشؤون العربية » .

أما اوون سريغ ، مؤلف سلسلة تزيد على العشرين حلقة ، فهو عضو منظمة « ليحيى » سابقًا ، واسمها الحقيقي شارنما غفتني ، وجاء في أحد كتبه « بعد أن تسلل دانيidan - بطل القصة - إلى مصر ، وضع عليه ربط إليها بطاقة مشدودة إلى صندوق بخيط مطاط ، وكتب عليها : - علبة الموت - فإذا همس في أنبوتها شعارا معينا لا تعرفه إلا القيادة العامة للجيش الإسرائيلي ، انفجرت ودمرت كل أرض العدو بسكنها » . ورد فعل المصريين الجبناء - في هذا : - هيا نهرب ! صاح ناصر ، وببدأ يفر ، لكن سرعان ما وقع على الأرض . نهض ناصر على الفور وواصل الفرار ، وفر جميع الحاضرين مثله . كان يجب أن تشهدوا مثل هذا الفرار - وقال دانيidan في نفسه : لقد قمت بواجبي على أحسن وجه ، ومن الان لا يجرؤ المصريون على شن حروب ضدنا » .

هذه اللمحات السريعة المأخوذة عن صحيفة هآرتس الاسرائيلية تعطي جانبا من الصور التي يرسّها أدب الأطفال داخل الأرض العربية المحتلة ، ولكن هناك نطا آخر من أدب الأطفال ، تتناول منه سبع كتب كنموذج :

كتاب للأطفال صدر في تل أبيب عام ١٩٧١ لزيفياح بن شالوم ، يتضمن تسع قصص قصيرة ، تصف حياة جماعة من الأطفال يعيشون في حي من أحياء تل أبيب ، وي تعرضون للمنافع التي يتلقونها باعتبارهم أطفالاً في مدينة كبيرة . ومع أن القصص الثماني الأول تتناول حلقات عرض للزيارات ، وسفرات قصيرة للنزهة ، ولعبة كرة القدم ، إلا أن القصة الأخيرة تكشف عما يمكن أن تخيله الأطفال ، وكيف يمكن أن يتصرفوا لو كانوا أبطالاً لأحدى المغامرات . . وينتهون إلى أن الحي الذي يعيشون فيه حي ممتنع ^(٣٤) .

وفي كتاب عنوانه « سر الكلمات المفردة » صدر عام ١٩٧٠ في ١٢٩ صفحة ، لموشي بتشاؤل ، قصة مغامرة يجتمع فيها أطفال من القدس ومن طبرية ، فيقيمون حياة في مجتمع مزيج . . ثم تستعرض القصة تلك الحياة الجديدة ^(٣٥) .

وفي كتاب بعنوان « السقوف الحمراء » صدر عام ١٩٦٥ في ١٠٢ صفحة ليهو عاش بيير ، مجموعة من القصص القصيرة التي تتناول طفولة المؤلف وأثنين من أصدقائه في قرية في الجليل ، وهي تعكس قلق وفرح القرويين ^(٣٦) .

وفي كتاب بعنوان « في ظل شجرة السنط » في ٩٦ صفحة صدر عام ١٩٦٩ لبني متيف مجموعة من القصص القصيرة عن جماعة من اليهود ينشتون مزرعة جماعية « كيبوتز » في الصحراء قبل أكثر من ثلاثين سنة . وتتعرض القصة لحياة العمال في المزرعة وسط البدو المجاورين ! وتتناول القصة الأخيرة حياة الأطفال في المزرعة .

وفي كتاب بعنوان « الجيديونيت » صدر في تل أبيب عام ١٩٦٧ في ٢٠١ صفحة لعمر ديفورا ، قصة امرأة بارزة تدعى « سارة أجaronسون » وتتناول القصة حركة المقاومة في الحرب العالمية الأولى . وتألف تلك الحركة من شباب قرى شومروم ضد الإمبراطورية العثمانية . .

وفي كتاب «حياة الكلب ريري» صدر في تل أبيب عام ١٩٧١ في صفحة لتأميس بنيمين قصة زوج وزوجة لا اطفال لهما ، لذا كان يريان كلبا ، ثم يتركان الكلب عند عائلة مزارعة حين يسافران إلى خارج البلاد • وعند عودتهما يستبدلان حياتهما المدنية بالحياة الريفية • ويكون الفلاح والكلب فعالين في مساعدتهما في تنظيم حياتهما الجديدة • ولكن الكتاب في الواقع وصف لطريقة الحياة في قرية تعاونية إسرائيلية «موشاق»^{٣٧} •

أما الأدب الموجه إلى الأطفال خارج إسرائيل والذي تتولى نشره المؤسسة الصهيونية من خلال مئات الصحف والكتب فإنه يؤكد إلى جانب ما أشرنا إليه ، على ما يسمى بنواحي الجمال والجاذبية في «إسرائيل» بقصد ربط اليهود «بإسرائيل» ضمن سعي الصهيونية لجلب ما تطلق عليه «يهود الأشتات من مواطنهم في أنحاء العالم إلى إسرائيل» • كما تحرص على تعميق الشعور بالذنب في تفوس الأطفال في أوروبا تجاه الأطفال اليهود •

ففي أوروبا روجت الصهيونية كتاباً ملوثاً للأطفال اسمه «داود الصغير» أو «حكاية إسرائيل تروي للأطفال» وطبعت منه أحدي دور النشر ملايين النسخ الآنية المطبوعة طباعة فاخرة ، والمزданة بالرسوم • الكاريكاتيرية الجذابة • والكتاب يحاول أن يزرع بأسلوب مؤثر وجذاب ، أكاذيب بذرتها في قلوب وعقول الأطفال الأوروبيين • فهو يقدم لهم «داود الصغير» مورّد الوجه مبتسم الأسaris كنموذج للأطفال «الإسرائيليين» ، وقد مرت عليه محن عمرهاعشرون قرنا دون أن يفقد ابتسامته او يفقد أمله في أرض الميعاد !

وداود الصغير خلال هذه الآلاف من السنين يواجه اضطهاد العالم : الرومان ، الفرس ، العرب .. ثم الصليبيين الأوروبيين !! .. ويتوقف الكتاب عند الحروب الصليبية ليشرح كيف أن أجداد أطفال أوروبا الحالين قد ذبحوا ألف يهود في بيت المقدس !!

ويصور كتاب « داود الصغير » العرب في مظهر المعتدين . ويربط بين العرب وهتلر . ويصور الالمان في الحرب بعد هزيمتهم وقد لبسوا الطراييش وجاءوا الى الشرق ليواصلوا رسالتهم في اضطهاد اليهود . ثم تزرع صور الكتاب - في خبث شديد - بذور الشفقة العارمة في نفوس الاطفال على داود الصغير الذي وجد نفسه في مستهل تأسيس دولته يواجه « اضطهاد » العرب والانكليز معا !!^(٣٨)

وفي احد معارض كتب الاطفال التي اقيمت في احدى الدول الاوربية عرضت « اسرائيل » قصة كتكتوت صغير يقف وحيدا وسط عدد من الديكة المتوجحة التي تلتف حوله تريد الفتوك به . وينادي الكتكتوت الصغير بأنه لا يريد شيئاً انه يريد الحياة في سلام وسط هذه الديكة المتوجحة المعتدية . وقد طبعت هذه القصة طباعة فاخرة مزدلة برسوم جميلة وكلمات بسيطة^(٣٩) . ومن مجلات الاطفال اليهودية والصهيونية في خارج فلسطين مجلة Olomeinu our world جمعية التوراة .^(٤٠)

ولعدد من الجرائد اليومية الثلاثة والعشرين والمجلات الاسبوعية الاربعينائة في فلسطين المحتلة ملاحق خاصة بالاطفال ، مثل « الملحق الاسبوعي الخاص بالاطفال الذي تصدره صحيفة معاريف »^(٤١) اضافة الى صحف اطفال متخصصة في العلوم والفنون منها « المجلة العلمية التي تصدر منذ عام ١٩٥٦ باللغة العربية وتوزع نحو ٧٥٠٠ نسخة وهي مجلة Mady science »^(٤٢) .

الباب الثالث

فنون لدبر الأصحاب

الفصل الاول

قصص الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

القصة لون رفيع من ألوان الأدب ، وقد كان لها حضورها في الأدب القديمة عموماً ، وهي تتمتع اليوم بموقع ذي أهمية في الأدب الحديثة .
وإذا كانت الخرافات والمعتقدات القديمة وأخياله الإنسان نحو الكون قد ألقت معيناً لما أبدع الإنسان من قصص في فجر تاريخه فإن شؤون النفس والمجتمع - اليوم - هي الزاد الذي تستمد منه القصص في الأدب الحديثة مضمونها .

وخلال العصور المديدة كان القصاصون ينسجون القصص ، وكان الناس يتناقلونها جيلاً عن جيل بعد أن يضيفوا إليها من وحي مداركهم

وخيالاتهم لسات جديدة . واحتضنت المجتمعات العربية والشرقية عموماً والأفريقية كثيراً من الحكايات ، حيث كانت الطبيعة تضم في احشائها بعض ملامح القسوة والعنف فكانت الحكايات واحدة من وسائل الإنسان لو ما ينتابه من مخاوف عن طريق تمجيد اعمال البطولة والشجاعة وابراز دو «الارواح الخيرة الخفية» في الانتصار على «قوى الشر» في تلك الحكايات وقد كان الإنسان يجد في ذلك بعض ما يبعث في نفسه الاطمئنان ، لأن ما يطأطأ الإنسان وما يثير مخاوفه ليست أدوات القوة والعنف ذاتها بقدر ما كاد تثيره تخيلاته وآراؤه عن تلك الأدوات .

وقد كان للاتصالات الإنسانية عن طريق الغزو والحروب والتزاوج أثر في انتقال القصص والحكايات من مكان إلى مكان ، إلا أن لتناول القصة - في العصر الحديث - في أعمال مسرحية وأذاعية وسينمائية دوراً كبيراً نموها وانتشارها وفي أدائها لوظائف ذات شأن في الحياة .

والقصة - اليوم - وسيلة من وسائل نشر الثقافات والمعارف والعلوم والفلسفات ، وبسبب ما تنطوي عليه من جاذبية كانت من أشد ألوان الأدلة تأثيراً في النفوس ، حتى وجدنا أن كثيراً من القيم والمفاهيم والنظريات والفلسفات كانت القصة السبب الأول في ذيوعها وانتشارها قبل أي وسيلة أخرى ، كما وجدنا كثيراً من المثقفين كانت القصة رافداً كبيراً لثقافاتهم .

وتتميز قصص الأطفال عن القصص التي يكتبهما الكبار للكبار بمجموعها من القسمات رغم أن هذه وتلك تشتراكان معاً في أكثر من خصيصة بنائية وشكلية .

إذا كانت القصة حادثة واحدة أو مجموعة من الحوادث ذات العلاقة بشخصيات متعددة ، فإن طبيعة هذه الحوادث ، وطبيعة الشخصيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة قراءة القصة . وهنا تتشكل نقطة المفترق بين قصة الأطفال وقصص الكبار . فنحن حين نقرأ قصة ناجحة ، نجد أنفسنا قد اتقـ

الى اجوائها واندمجنا مع حوادثها وتعايشنا مع عدد من ابطالها استجابةً منا لمثيرات متباعدةٍ . ولاشك ان ما يثيرنا - نحن الكبار - هو غير ما يثير الاطفال ، مادمنا نريد لهم أن ينتقلوا الى اجزاء القصة ويندمجوا مع حوادثها وفق استعداداتهم وخبراتهم .

والقصة شيء من غذاء العقل والخيال والذوق . وغذاء الاطفال غير غذاء الكبار ، اذ يختلفان في النوع والكلم والاسلوب وطريقة التقديم .

القصة والطفل

الحكايات التي استمعنا اليها مشدودين في صغرنا ، يوم كنا تتحلق حول الجدة مشدوهين ، مع اتنا كنا نجهل مدى تأثيرها علينا ، الا انها ظلت اشبه بالذكريات راسبة في اعماقنا .

وحتى اليوم ، مايزال الاطفال مشغوفين بالقصص ويتقبلونها باتباه وحماس ، ويتجاوبون مع ابطالها ، فيفرحون لانتصارهم ويحزنون لانكسارهم وهم لا يملون تكرار سماع القصة ، بل يلحون من اجل تكرارها لأنهم يجدون في كل مرة فيها متعة جديدة او يتوصلون الى افق اكتر سعة ، ويصعب ان تجد طفلا لا يهتم بالقصص والحكايات .

ويعتبر بعض علماء النفس مرد اعجاب الاطفال بالقصص والحكايات الى انها لون من الوان اللعب الايhamي الذي يحتاج اليه الاطفال الصغار احتياجا شديدا نظرا لتشبع الاطفال بعنصر الخيال وقدرتهم على التجسيد . ويرى عذر اخر من علماء النفس ان القصة اضافة الى كونها لونا من اللعب الايhamي فهي تشبه الحلم بالنسبة الى الاطفال الصغار ، ففي القصة مجال لهم لاعادة الاتزان الى حياتهم حيث يجدون في كل قصة شخصيات تشبه من بعيد او قريب الشخصيات التي يقابلونها في الحياة ، والتي يتعاملون معها^(١) .

ان الاطفال ، من خلال اندماجهم باحداث القصة يستطيعون ان يكتشفوا انفسهم ، ومن الناحية العقلية يدفعون حدود عالمهم المحدود الى الخلف كما

يتخطون الحدود التي فرضتها عليهم القوى الاجتماعية ومستويات العالم المألوف ، وان احدى هبات الطفولة الرائعة ان الاطفال اثناء اكتسابهم لخبرة جديدة يتأنلون او ينزلقون او يأخذون سبع درجات في خطوة واحدة مع بطل القصة (٢) .

ويرى هود ان كوربن ، وهو معنى بشئون الترويح — انه منذ ان اتخد الانسان القصة كشكل في وسيلة لتسجيل اعماله او تفسير اسرار الحياة ظهرت اسباب لا حصر لها لقص القصص .. لقد ظهرت اغراض جديدة وراء استخدامها ، وهي تتوقف على المناسبة التي تقال فيها القصة .

ويتطرق كوربن الى الاغراض الترويحية التي تتحقق عن القصة فيشير الى مجموعة من الاغراض في مقدمتها : توفير فرص الترفيه عن الاطفال في نشاط ترويحي تربوي .. حيث تمنع القصة اسلوبا ايجابيا لنشاط ترويحي شترك فيه الجماعة بالملونة والفرح ، اذا ما قدمت باسلوب فني ، اذ يكشف الاطفال فيها عالما جديدا ، يتقمصون شخصيات اصدقائهم في القصة ويذهبون في رحلات وهمية او يؤدون الرقصات فرحا معهم .

اما الغرض الاساسي الثاني فهو اشباع الميل للعب عند الاطفال ، اذ قد تعكس القصة الجانب المرح من الحياة كما قد تبرز الكثير من انسواع العمل المثير فتشيع بذلك مختلف الامزجة والاحاسيس .

والغرض الاساسي الثالث هو تعريف الاطفال بميراث هائل للثروة الادبية ، حيث يهب النسيج السحري الحياة للكلمات المطبوعة او المسموعة فيقود الاطفال بلطف ، ولكن باقناع ، عبر الابواب التي تفتح ببطء .. وتتضخ امام اعينهم المترقبة معجزات الماضي ، وعواطف الانسان الدافقة ، وروح المغامرة الجبارية عبر العصور .

وهكذا تتيح القصص للاطفال أن يطوفوا على اجنحة الخيال في شتى العالم ، قاب قوسين منهم او بعيدة مترامية ، ويلتقون باشخاص قد يشبهونهم

او قد يسعدهم التشبيه بهم ، مثلما يلتقون باقزام وعمالقة . وجباره وابطال ، ومخلوقات في متنى الغرابة ، منها ما هو وديع كل الدعة او مفترس ينطلق من عيونه الشر او منقرض اصبح اثرا او لم يكن له وجود الا في دنيا الخيال . ويختلط الاطفال في قصصهم ابعاد الزمان وابعاد المكان ، فيجدون انفسهم في يومهم هذا او يجدونها في عصور غابرة او عصور لم تأت بعد ، ويقعون عند حوادث حصلت بالامس او قد تحصل غدا او قد لا تحصل مطلقا . ويعرفون الى قيم وافكار وحقائق جديدة . وتبدو لهم هذه كلها مسرحة تمعهم وتوقف في اذهانهم مختلف المشاعر وتشير تفكيرهم .

نعم ان القصص التي تتناول امورا غريبة تثير الاطفال بقدر ما تثيرهم تلك التي تتناول امورا مألوفة . فالقصص التي تدور حول افكار واشخاص وحوادث خارجة عن نطاق الخبرة الشخصية للطفل تعتبر مصدرا مهما لتنمية افكاره عن الاشياء ، فالطفل اليتيم الاب قد يكون متعطشا الى الاستماع الى القصص التي تمنحه فكرة واضحة عن الاباء وما يفعلون ، والطفل الذي يتشارج والداه وتكون حياته المنزلية مشحونة بالتوتر وينقصها الاستقرار قد يكتشف من خلال القصص التي يسمعها او يقرأها ان ثمة اسرآ تعيش في طمأنينة وتسود بين افرادها علاقات طيبة ، وان هناك طرقا اخرى لمواجهة المشكلات غير المشاحرات وخلق الاجواء المتوترة التي يعاني هو منها في بيته ، وفي اثناء سماع هذا الطفل للقصص او عند قراءته لها قد يجد خبرات جديدة تعبو عليه مما يتعرض له في بيته من كبت وتوترات ، كما يجد فيها ما يرضي حاجاته النفسية الملحقة .^(٣)

المبحث الثاني

بناء قصة الطفل

١ - فكرة قصة الطفل :

الجنين - في علم النبات - هو جزء صغير من البذرة ، اية بذرة نباتية، وفي بعض البذور يمكن ملاحظة الجنين بالعين بسهولة ، ولكن يصعب او يستحيل ذلك في بعضها . والجنين ، صغر أم أكبر ، ليس الا نبتة مصغرة تنشأ عنها النبتة الكاملة بعد ان تتوفر لها شروط الانبات .

والقصة ليست الا نبتة كاملة وجنينها هو الفكرة أو الموضوع .

وكما انه لا يمكن لكل جنين ان يتتحول الى نبتة كاملة ، اذ قد يذوي ذلك الجنين ويموت اذا لم تتوفر له شروط الانبات ، كذلك لا يمكن لکائن من كان ان يكون من فكرة ، قصة للطفل ، ما لم يكن فنانا مبدعا مهما كانت روعة الفكرة التي يقدمها . والافكار في حد ذاتها لا حصر لها ويمكن ان يلتقطها هذا او ذاك من خضم الحياة بسهولة ولكن لا يمكن لکل من هب ودب ان يتحولها الى قصة .

ومثلاً يمكن للجنين ان يكبر ليصبح نبتة مليئة بالحياة او يصبح نبتة نصف ميتة ، تبعاً لما يتتوفر لها من شروط واجواء ، كذلك يمكن ان تتحول الفكرة الى قصة رائعة اذا ما تعهدتها عقل وخيال فنان ، بينما يمكن ان تذوي اعظم الافكار اذا لم يتعهدتها مثل ذلك العقل وذاك الخيال ، لأن الفكرة وحدها لا تكفي في القصة ، اذ لابد بالإضافة الى ذلك من عمليات ابداعية تنقل الطفل الى اجواء القصة وتثيره ، وتفعل فعلها فيه .

من هنا يتجلی ان الفكرة ليست كل شيء في القصة ، وقد لا تمتلك الاولوية فيها احياناً ، رغم انها إمتلكت الاولوية في الالتماع في ذهن الكاتب ، فمهماً ذلت له الخطوة الاولى لصياغة القصة . والتقاط الفكرة ليس مهمة سهلة ، رغم أن الافكار لا حصر لها ولا عدد .

والقاص الفنان ، وحده ، يستطيع ان يلقيط الفكرة المناسبة اولاً ويجسمها ثانياً ، اي يجعل لها ابعاداً جديدة فتبدو معقدة ، او مشوقة ، او غريبة ، او قريبة الى حياة الطفل او بيته ، او ذات مساس بقضية يمكن ان يتركز اهتمام الطفل حولها ، او يجد الطفل نفسه وكأنه ازاء عقدة لابد له ان ينتهي بها الى حل .

والفكرة الجيدة هي التي تتناول موضوعاً يثير انتباه الطفل ، لضخامة ذلك الموضوع ، او لغرابته ، او للذاته او لا ستهوائه النفسي ، او لتعلقه بعالم الطفل او بيته او خيالاته . والقاص الذي تخطر في خاطره خاطرة يسعى - في العادة - من اجل ان تكتمل صورتها في ذهنه قبل ان يبدأ بحبك القصة ، لأن هذه الصورة هي التي تقرر حركة القصة وهيكلها .

ولا تشكل الفكرة في القصة لحظة عابرة او سريعة ، لأن الفكرة تظل في تطور مستمر اثناء الاستمرار في القصة ، لذا يطلق عليها قلب القصة ، لأنها تظل تتبع في بناء القصة دوماً ، وكلما اتخذت الفكرة طريقاً مقبولاً ومنطقياً في تطورها كانت نهاية القصة اكثر ثباتاً واتفاقاً مع بقية المواقف والحوادث .

كما ان الاشارة التي تشدّ الطفل الى قصته لا تقتصر على مقدمة القصة بل تتعدى ذلك الى الاستمرار في مسيرة تطور القصة حفاظاً على وحدة الآثار .

و فكرة اية قصة لابد ان تتلاءم مع مرحلة من مراحل نمو الاطفال نفسياً وعاطفياً ولغوياً واجتماعياً وعقلياً ، فما يصح للاطفال الصغار قد لا يصلح للاطفال الكبار .

ويلاحظ ان بعض القصص المكتوبة للاطفال تغرق في تفصيلات فرعية واستطرادات ثانوية ، فتتضاءل الفكرة الاساسية ويصعب على الطفل التقاط المعنى الذي تنطوي عليه ، لذا كان من الضروري ان تتشكل قصة الطفل من وحدة فنية تتجلّى من خلالها الفكرة الرئيسية دون ان تتنازعها افكار اخرى ثانوية كبيرة تقلل من شأن الفكرة الرئيسية او تخفيض من تأثيرها .

واذا كان خليقاً بقصص الكبار ان تتجنح الى التلميح دون التصريح فان لقصص الاطفال عذراً في الالتجاء الى الاتجاه الثاني في بعض الاحيان ، لأن الاطفال بحاجة الى من يعاونهم على تبيان الفكرة والوقوف على تصرفات الشخصيات ، رغم ان هناك جوانب اخرى كثيرة يمكن أن تترك لفطنة الطفل اذا ما توفر فيها المثير الذي يدفع الطفل الى التفكير .

وما دمنا بقصد الحديث عن موضوع القصة او فكرتها ، فاننا نجد لزاماً ان نشير الى تساؤل طالما تردد هنا وهناك وهو :

« هل يجوز ان تتناول قصص الاطفال افكاراً سياسية !؟ »

وجوابنا ، اتنا نجد ان الحكايات القديمة التي تؤلف الاساس الاول في نشوء القصة ، كانت رغم كونها لوناً ادبياً مبسطاً قد عنيت بشؤون سياسية ، بل ان كثيراً من الحكايات وضعت لخدم هذا الهدف قبل اي هدف اخر ، فكان كثيراً من الحكايات ذي مضامين وطنية وقومية . وقد كتب الخالد لكثير من تلك الحكايات .

هذا من جانب ، ومن جانب اخر ، فان الموضوعات السياسية ليست اليوم شيئاً متفصلاً عن قضية الحياة ، بل اصبحت السياسة أمراً من صنع الجمهور وحده ، كما أنها جزء من بيئة الطفل ، وعليه أمست من الموضوعات المهمة والخطيرة ، لذا كان اتخاذ الافكار والاحداث السياسية اساساً مقبولاً لبعض القصص المقدمة للأطفال وخاصة في مرحلتي البطولة والمثالية ٠

ولكن يجب الحذر من اقحام المفاهيم المجردة ، او اقحام الموضوعات بشكل مفتعل ، لأن هذا يعطي مردوداً معكوساً^(٤) ٠

ويرى المربون ان الاكثار من الصاق الصفات غير المستحبة ببعض القيم القبيحة كالكذب والتزوير والخيانة ، والاكتثار من اسباغ الصفات المستحبة ببعض القيم الطيبة كالصدق والامانة والاخلاص امر غير مرغوب فيه في قصص الاطفال ، لأن الاسراف في الاطراء على صفات الخير والايغال في تقبیح الشر تعطي تنتائج معكوسه . وهكذا يقال بالنسبة الى اعطاء الاشرار او صافاً شكلية قبيحة واعطاء الاخيار او صافاً شكلية جميلة ٠

« وهناك فيض من القصص التي تتغنى بالفضائل . « والمكارم » وتنعى على الشرور والاثام ، حيث انساق فريق من كتاب القصة وراء هذه الرسالة ، وجعلوا يخضعون لهذا الغرض سياق القصص ، يزيرون له المشاهد ويزورون له المواقف ، وينتهون الى التنتائج ، فخرجت طائفه من اقاصيدهم تمثيل منحوته من حجر او مرمر او ذهب او مما شئت من المعادن تقيسه او غير تقيسه ؛ الا انها اخر الامر تمثيل لا حركة فيها ولا حس ، لبابها تزوير على الحياة والاحياء ، وقوامها مثالية لا يعرفها الواقع ، ولا يشهد لها الناس »^(٥) ٠

ومن الضروري ان تخلو قصص الاطفال من الافكار وال الموضوعات القاسية الشديدة الايلام او التي تدعو الى التفجع والتحسر والتشاؤم ٠ كما من الضروري الابتعاد عن صور التعذيب والتخويف ٠

وهناك من يشترط ان تنتهي قصة الطفل بغيره او حكمه او موعظة حسنة ، حيث يفرض على ابطالها ان يتحرکوا بشكل مقتل ، وان يتدخل السحرة والجان - احيانا - وتصنع الواقع صناعة ، وتنتح المصادفات تحتا فتبدو القصة مثل هيكل عظمي لا روح فيه الا تلك الحكمة والموعظة التي لا يمكن ان تبعث الروح من جديد مهما كانت قوة صدقها او شدة حبيتها .

وهذا لا يعني اننا نرفض هذه القصص جملة وتفصيلا ، ولكننا نرى ان الحكمة او الموعظة يمكن ان تدخل في بعض قصص الاطفال على ان لا تسبب فقدان القصة لحيويتها او تؤثر في بنائها الفني ، خاصة ، وان كثيرا من الحكم والمواعظ تشكل افكارا قائمة بذاتها .

٤ - الحوادث والواقع :

اذا كانت القصة نسيجا حيكت خيوطه بدقة ، فان الحوادث والواقع هي بعض تلك الخيوط .

ومع ان طبيعة الحوادث اهمية في القصة ، الا ان القص السليم للحوادث ذو اثر لا يقل اهمية ، لأن الحوادث ، من اجل ان تكون مؤثرة وفاصلة لابد ان تسلسل بتناسق بحيث تبدو مناسبة انسيا با سلسا دون افتعال او حشو او استطراد .. ومعالجة الحوادث هي بعد فني يضفي على بعدها الفكرى المتمثل بالموضوع عمقا جديدا .

وهناك قصص تتوارد الحوادث والمواقف فيها بشكل متراپط حتى تتكامل الحوادث كلها وتنمازم لتشكل عقدة يجد الاطفال انفسهم ازاءها في شوق شديد للوقوف على الحل .. وهناك قصص تبدو الحوادث والواقع منفصلة او غير مسلسلة ولكنها تحافظ على بنائها القصصي من خلال عناصر اخرى غير الحوادث كالشخصيات او الفكرة العامة او ما الى ذلك .. ولكن لا يمكن ان تكون القصة مجموعة من الحوادث او مجموعة

من الاخبار ينحت بينها الكاتب روابط مصطنعة فهي في هذه الحالة لا تبدو موقعاً قصصياً من مواقف الحياة ، وبالتالي لا تبدو قصة .

ولا يشترط في الحوادث ان تكون كبيرة ، فقد تكون كثيرة من الحوادث الاعتيادية التي يصادفها الطفل كل يوم مصدرها لواфер من قصصهم بل تستطيع مثل هذه القصص التي تتناول حوادث اعтиادية ويقوم ببطولتها اشخاص اعتياديون تفسير كثير من جوانب الحياة تفسيراً صادقاً سليماً رغم انها لا تفسر لهم كل شيء .

ويمكن للخبر ان يكون نواة لقصة ، ولكن ليس كل خبر او مجموعة من الاخبار يمكن ان تكون قصبة ، فالشرط في ان يصبح الخبر قصبة هو ان يكون له اثر في نفس القارئ ، وبعبارة اخرى ينبغي للخبر الذي تحكى القصة ان تتصل تفاصيله واجزاؤه بعضها ببعض بحيث يكون لمجموعها اثر كلي ، وان يصور حدثاً موقعاً معيناً او بداية معينة تأخذ في النمو شيئاً فشيئاً حتى تصل الى نقطة معينة تجتمع عندها خيوط الحدث كلها ، وبها يكتسب الحدث نفسه معنى وفكرة . ولا شك ان الاخبار المنفصلة التي يرويها هذا الذاك لا يمكن ان تشكل قصة لانها لا تترك في نفس السامع اثراً كلياً اذ تعجز عن تكوين معنى كلي (٦)

وهناك قصص ماتعة للأطفال ذات نزعات انسانية ، وهي لا تتضمن اي اي حدث بالمعنى الذي الفناه وتعارفنا عليه ، وهي تكتفي بمس عواطف الطفل وتسلية من خلال افكار شجيبة قد تنتهي بدعاية أو مفاجأة مثلاً .

وهناك قصص للأطفال مشحونة بحوادث تقع عن طريق الصدفة ، ولا شك ان المصادفات عنصر دخيل على القصص ، يلجم إليها الكاتب مضطراً .

وبوجه عام يجب عدم الاكتار من الحوادث في قصة الاطفال لكي لا يقع الطفل في الارتباك ، وبالتالي تضيع عليه فرصة التقاط الحدث الرئيس وتبيان معنى القصة .

وحتى سنوات قليلة كانت وقائع وحوادث معظم قصص الاطفال في أكثر بلدان العالم ذات طابع مخيف ، قاس عنيف ، وقد أخذت هذه الصورة بالتضاؤل خلال السنوات الأخيرة ، حيث بدأ اعداد جديد حتى لتلك الحكايات القديمة الكثيرة الشيوع ، فأذيلت عنها صور العنف والقتل والخيال كما ابعدت عنها شخصيات الجن والعفاريت إلى حد ما .

٣ - شخصيات القصة :

الشخصية بعد مهم من ابعاد القصة ، آية قصة ، وهي محور اساس في قصص الاطفال ، وعليه كان من الضروري ان تبدو الشخصية للأطفال واضحة ، حية ، متوافقة مع احداث القصة وافكارها .

ويعد كتاب قصص الاطفال الى بذل جهد كبير في رسم الشخصية كي يجدها الاطفال غير باهته ولا متناقضة في اقوالها وافعالها ، ويحرصون على عدم الاستطراد في وصفها ليتهيأ المجال للطفل لاكتشاف طبيعتها بنفسه .

ويتعاطف الاطفال مع شخصيات القصص تعاطفاً تسليداً ، وخاصة مع الشخصيات التي تعاني وتكلبد دون تردد او كلل من اجل تحقيق اهدافها ، ويدفع بهم تعاطفهم هذا الى القلق او اطلاق صيحات الاستغاثة او البكاء حين تتعرض شخصية القصة لموقف محزن او محرج ، ويطلقون ضحكات صاحبة ويسفرون عالياً حين يتسلى للشخصية التي يجبون ان تتصر .

والتطور المنطقي السليم للقصة لا يسمح في العادة للشخصية تحقيق النجاح دون بذل جهود او مواجهة صعاب . ومن المناسب ان تكون في الشخصية جوانب سلبية الى جانب الجوانب الايجابية ، والشخصيات التي تمثل انساناً ذوي اهمية او قداسة يجب تقديمها بدقة وعدالة وواقعية .

ولايُشترط ان تكون الشخصية انساناً ، فقد تكون حيواناً او نباتاً او جماداً او لفظاً معنوياً مجرداً .

وعندما تكون شخصية القصة طفلاً ، من الضروري الحرص على أن يظهر

بمستوى الواقع ، اذ كثيرا ما نجد قصصا يظهر فيها الاطفال بمستوى يفوق المستوى الواقعي للاطفال أو يظهرون مثالين لا نقص فيهم قط .

وقد انتقد كاتب الاطفال كاسيل مثل ذلك الاتجاه و اشار الى انه خطأ لا ينطبق على الواقع اولا ، وهو في الوقت نفسه يؤذى الاطفال لانهم يالقون اثناء طفوتهم هذه « النماذج » الكاملة في دنيا القصص ، حتى اذا تجاوزوا عهد الطفولة ، وجدوا في الواقع « نماذج » بشرية واقعية حية تختلف عن تلك « النماذج » القصصية ، فتصيبهم من جراء ذلك خيبة ، وقد يدخلهم يأس وسوء ظن ، لذا من الخير أن يعرفوا منذ الطفولة كيف تكون النواقص في الاطفال ، وكيف تعالج ، وكيف تنمو الى جانب قوى انسانية خيرة تستطيع محاربة النقص والقضاء عليه رويدا رويدا .

ويرى « ليف كاسيل » ان من الخطأ جعل روايات الاطفال قائمة على بطل مرکزي واحد او « نموذج » بتشري واحد ، بل ينبغي أن تشمل هذه الروايات على عدة أبطال من الاطفال ، وعدة « نماذج » طفولية بشرية ، تتمثل فيها عدة نواحٍ من الحياة .

ان القصة تكون معقوله ومحتملة الواقع ، عندما تتصرف شخصياتها ، كما تتصرف شبيهاتها في الحياة اذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها ، وكذلك عندما لا يخبط القدر خبط عنوا ، بل يتصرف تصرف لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات ، وان الحوادث العفوية المفاجئة ، التي تعترض سبيل الحياة في القصة وكأنها حلقات غريبة ، من سلاسل مجهولة ، لا بد من أن تفسد هذه الحياة وتنأى بها عن طبيعة الحياة العادلة^(٧) .

٤ - اسلوب القصة :

الفكرة ، والحوادث ، والشخصيات عناصر متميزة ومتباينة ، ومن أجل أن تمسكي بهذه كلها شيئا واحدا متسقا ومتفعلا لابد من عملية صياغة ، والصياغة تقرر اسلوبا أدبيا يهيء لنا أن نعامل هذه العناصر معا لتكون بناء فني متتكامل .

والفكرة التي تلوح للفنان ، بادئ الامر ، تمر في ذهنه بمراحل متعددة قبل ان تتحول الى عمل قصصي . وتشمل هذه المراحل جانبين ، او لهما : مادي ، يتمثل في الانفاس والجمل والقرارات التي تزيد في حيوية الفكرة وتلبسها نیابا جديدة . وثانيهما : ذهني ، ويتمثل في اضفاء لمسات جديدة الى الفكرة بهدف تأصيلها ودعمها . وهذا الجانب يؤمنان عملا ابداعيا في طبيعته ، وعلى أساسه يبني القاص هيكل القصة .

والاسلوب هو التعبير بصورة واضحة ، قوية ، وجميلة عن الفكرة ، بحيث تبدو عميقة ، وصادقة ، ومؤثرة .

ويتمكن القول ان العناصر الاساسية التي تميز اسلوب قصص الاطفال هي : الوضوح ، والقوة ، والجمال .

وضوح الاسلوب يعني ان يكون في مقدور الاطفال استيعاب الانفاس والتراتيب وفهم الفكرة ، وهذا لا يتيسر ما لم يكن النسيج اللغطي بسيطا وشفافا وخلاليا من الزخرفات والتنميقات . والبساطة والشفافية لا تعني السذاجة او البدائية ، لأن الاطفال يرفضون أن يقلل من شأنهم او ينظر اليهم نظرة فجة .

وقوة الاسلوب هي عنصر آخر يكمل الوضوح ، ويتمثل في ايقاظ حواس الطفل واتارته وجذبه كي يندمج وينفعل بالقصة ، عن طريق نقل افعالات الكاتب في ثنایا عمله القصصي وتكوين الصور الحسية والذهنية .

أما جمال الاسلوب ، فهو صفة ثالثة اساسية في اسلوب القصة الجيد ، ولا شك ان وضوح وقوة الاسلوب هما عنصران جماليان أيضا ، الا ان سريان الاسلوب في توافق نغمي وتاليف صوتي واستواء موسيقي ، ينبغي أن تتتوفر في اسلوب الجيد .

وتشير الاستنتاجات في بعض اقطار الوطن العربي أن اقبال الاطفال على بعض القصص ، وخاصة التاريخية والعلمية ، هو اقبال فاتر . ولاشك أن

السبب الرئيس في ذلك يرجع إلى تقليل أسلوب هذه القصص . فهي أما محسنة بالمصطلحات أو المعلومات أو الحقائق او أنها مصاغة بشكل سردي .

والاطفال ينفرون من السرد ، ولا عجب في ذلك ، لأن السرد يحيط بالاحداث ، ويفقد الفكرة قوتها ، ويتحول الشخصيات الى دمى ، وتحتول القصة في النهاية ، الى مجموعة من القوالب المصطنعة او التأملات او التحليلات ويظل الكاتب وحده على مسرحها ، ولا يجد الطفل فيها ما يثير وجده .

وقصص الاطفال من اكثـر القصص اعتمادا على الخيال ، وكم من قصة خيالية ظلت في أذهان الاطفال مؤثرة فاعلة ، وكم من ابطال خياليين حازوا على اعجاب الاطفال ، فظلوا خالدين في اذهانهم . ومع هذا ينبغي الحرص على عدم الجنوح بخيالات الاطفال بعيدا عن النسيج الخيري الذي يؤلف بين اجزاء الحقيقة .

ومع أن القصة في بنائها هي كل متكامل غير قابل للتجزئة ، الا اننا ينبغي أن نقود الاطفال الى قراءتها برئـة خضراء عن طريق بداية مشحونة بالاثارة والامل تشد الطفل وتثير اهتمامه ، وتحرك افعالاته ، وترتبطه معها حتى ينتهي منها .

وببداية قصة الطفل قصيرة تنطوي على العناصر الاساسية كالزمان والمكان والموضوع او المتكلـة وشخصية واحدة او شخصيتين في موقف مثير .

ومثـما تفعل في بداية القصة علينا ان تفعل في نهايتها حتى لا يجد الطفل في النهاية ما يخيب آماله أو يفسد عليه توقعاته الطيبة البريئة . وان لا ت quam المصادرات اقحامـا ما دامت المصادرات ليست احداثا حقيقة .

ووحدة الاثارة تقضـي أن تستمر في تشـويق الطفل والاستيلاء على احساساته ومداركه وانفعالاته ، بطرق مختلفة ، من بينها تحفيـزه نحو اكتشاف ما تؤـول اليه الحوادث بمزيد من الترقب ، ويهـدـلـناـ ذلك حـبـ الاستطلاع الذي يتمـيزـ بهـ الـاطـفالـ عمـومـاـ بـدرـجـاتـ مـتفـاـوتـةـ .

ولا يمكن ان تصبح نهاية القصة مؤثرة ودرامية كية ما لم تستتم على حل معقول للمشكلة يماثي طبيعة القصة ، وما لم تتطور الفكرة والوافئ نطورا منطقيا ، والطفل في حد ذاته يقرأ القصة او يستمع اليها بقصد الاستمتاع وليس من أجل شيء آخر قد نشده نحن .

وهناك بعد آخر يضفي على القصة لمسة حية ، لأنه يخفف من بعض الرتابة التي قد تفرض نفسها على السرد القصصي ويجعلها تبدو – في نظر الطفل – أكثر واقعية ، ويعين على ابراز فكرة القصة ، ويجسد وقائعها ، ويعبر عمما يجيش في تفاصيل الشخصيات من احساسات وانفعالات : وهو الحوار .

والحوار ، من أهم الوسائل التي يعتمد عليها القاص في رسم الشخصيات . وكثيرا ما يكون الحوار السلس المتقن ، مصدرا من أهم مصادر المتعة في القصة ، وب بواسطته ، تتصل شخصيات القصة ، بعضها بالبعض الآخر ، اتصالا صريحا ومباسرا ، وبهذه الوسيلة تبدو وكأنها تضطلع حقا بتتليل مسرحية الحياة . والحوار الرشيق المعبير ، سبب من أسباب حيوية السرد وتدفقه .. لأنه سبب من أسباب تطوير الحوادث واستحضار الحلقات المفقودة منها ، ولكن وظيفته الحقيقية في القصة ، هي رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، واحساساتها المختلفة ، وشعورها الساخن تجاه الحوادث أو الشخصيات الأخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبوج أو الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية ، تخلو من التعمد والصنعة والافتعال^(٨) .

ويجب ان يتواافق الحوار مع عناصر القصة الأخرى ، ويتنااسب مع المواقف والحوادث ، ويعبر عن طبيعة الشخصيات لا طبيعة القاص نفسه ، وان لا يكون وسيلة يطرح الكاتب من خلالها التوجيهات والنصائح والعظات .

وتقرر الواسطة التي تصل بها القصة الى الطفل شيئا من طبيعة الاسلوب ، حيث نضطر لاخذ صياغة القصة وفق الامكانيات المتاحة لكل وسيلة ، فالقصة المعدة للتلفزيون تختلف في صياغتها عن تلك المعدة للاذاعة ، او تلك

المعدة للمسرح ، او تلك المعدة للنشر في كتاب او مجلة ، بل ان الصياغة تختلف في حالة نشرها في كتاب معزز بالرسوم عن اخر لا رسوم فيه ، وتختلف في حالة اعدادها بكتاب معزز برسوم ذات لونين عن أخرى بكتاب ذي اربعة الوان ٠

وعلى اية حال ، فان قصص الاطفال ، لابد ان تكون بسيطة واضحة ، خالية من التعقيد ، ذات رموز قريبة الى مدارك الطفل وعواطفه ، وتحمل في اطوالها قيمًا انسانية تدفع الطفل الى التفكير والتأمل ، وتنهم في تنمية قدراته العقلية والنفسية والعاطفية والادبية ٠

وهنا نشير الى نقطة ذات شأن ، حيث يزعم البعض ان من اولى خصائص قصة الطفل ان تكون سهلة بحيث يستطيع الطفل اعادة قصتها من جديد ٠ ولكن هذا الزعم يمثل جزء من الحقيقة ، لأن هناك قصصاً ناجحة للأطفال تؤلف قطعاً ادبية رائعة ، ولا يستطيع الأطفال ، بأي شكل من الاشكال استرجاع صياغتها او اعادتها بأنفسهم ٠ ويستمتع الأطفال بهذه القصص باعتبارها لوناً من الوان ادبهم ، تشار من خلالها عواطفهم واقعالياتهم ، وتشري قدراتهم الادبية ٠

ومن الضروري استخدام اللغة العربية الفصيحة السهلة في قصص الاطفال ٠ ولكننا نلاحظ ان كثيراً من قصص الاطفال التي تقدم من خلال الصحف والاذاعات تستخدم لهجة عامية او لغة غريبة ليست عامية ولا فصحى بل هي لغة مكسرة ، فتبدو اروع القصص عارية تافهة ، حيث تضيع الفرصة على الاطفال في التأثر والاستمتاع بجمالها الادبي ٠

وتناول فيما يلي بعض انواع حكايات وقصص الاطفال ونحوه هنا الى اننا لم تتبع منهجاً محدداً في هذا التصنيف ، ائماً لجأنا الى اکثر الاسماء شيوعاً بهذا الصدد ، تسهيلاً للدراسة ٠

المبحث الثالث

قصص الحيوان

يولع الاطفال بالقصص التي تجري على آلية الحيوانات ، وربما يعود ذلك الى السهولة التي يجدها الاطفال في تقمص ادوار الحيوانات ، وسعادتهم في تكوين صداقات مع بعض الحيوانات او احتواء البعض الآخر .

وقد اثبتت كثير من الدراسات ان اغلب القصص التي اجذبت الاطفال الصغار ، حتى سن عشر سنوات هي من قصص الحيوان .

وعلاقة الطفل الوجدانية بالحيوانات ايسر على الفهم من علاقته بالانسان، ولعل ذلك يرجع الى ان بعض الحيوانات اصغر حجما من الراشدين من بني الانسان . وثمة شواهد كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل ويبدو ذلك من ظهور الحيوانات في احلام الاطفال وفي مخاوفهم ، كما تعتبر الحيوانات على المستوى التشعوري اصدقاء للاطفال . وعلى اية حال فان الحيوانات مثيرات ذات اهمية كبيرة بالنسبة الى الاطفال .^(*) ويجد الاطفال

(*) د . هدى رادة والسيد العزاوي - الاطفال يقرأون - ج ١ (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٤) .

في هذا اللون من القصص عالماً جديداً وغريباً، لذا يحبونه ويروّطون بين صفات وسلوك ابطاله وبين صفات وسلوك اصدقائهم ◦

وفي عام ١٩٦٤ اجريت عدة تجارب عن مدى تقبل الاطفال للقصص ، حيث قدمت ثلاثة وثلاثين طفلا تتراوح اعمارهم بين (٧-٩) سنوات في ثلاثة ايام متتالية ثلاثة قصص القصة الاولى هي من قصص الحيوان ، والثانية قصة تاريخية والثالثة قصة فكاهية . ورغم اذ القصتين الاخيرتين كانتا على جانب من الجمال ، الا اتنى وجدت :

- ١ - ان ٣٨ طفلا فهموا قصة الحيوان فهما جيدا .
 - ٢ - ان ٢٩ طفلا فهموا القصة التاريخية فهما جيدا .
 - ٣ - ان ٢١ طفلا فهموا القصة الفكاهية فهما جيدا .
 - ٤ - كنت الالاحظ اصغاء الاطفال واتباههم الشديد اثناء القائي للقصة الاولى ، في وقت لم اجده بهذه الدرجة اثناء القائي للقصتين الاخريين
 - ٥ - اكثر الاطفال طالبوني مرارا باعادة القاء القصة الاولى ، وعدد قليل منهم طلب اعادة القصة الثانية والثالثة . علما ان ا اكثر الذين طلبوا الاعادة هم من فهموا القصة فهما جيدا . ومنهم من طلب الاعادة ليسستطيع فهمها . لاحظت ان منهم من طالب باعادة اكثر من قصة واحدة .
 - ٦ - بعد مرور اسبوعين ، استدرجت الاطفال لمعرفة مدى ما تعلق في اذهانهم من هذه القصص ، فوجدت ان اغلبهم يتذكرون ان القصة الاولى ، ويسمونها قصة « العصفور » فقد ظل الحيوان (الطير) في اذهانهم . اما القستان الاخريان فلم يتذكروا الا عدد ضئيل جدا منهم ، والطريف ان اكثراهم كانوا يتذكرون القصة الاخيرة على انها مضحكة ، ولكنهم لا يتذكرون وقائعها .

وفي عام ١٩٦٩ اجريت تجارب اخرى على مجموعات من الاطفال الكبار ، اعمارهم اكثر من ١٠ سنوات ، فوجدت انهم ينحدرون الى قصص الحيوان ايضا ، ومع انهم في البداية لا يبدون الاهتمام الرائد لمقدمة القصة ، وقد يتضا hakoon ويتهامسون ، الا انني لم ابت اذ لاحظت انجذابهم نحو باتباه شديد .

وقد تبين لي من خلال التجارب ان الاطفال الصغار يتعلقو بابطال قصص الحيوانات اكثر من انسدادهم نحو اي شيء اخر في القصة ، اما الاطفال الكبار فهم لا يكتثرون للحيوانات ، بل يوجهون اهتمامهم نحو المعاني ، والافكار التي تحملها القصة .

وبسبب ولع الاطفال بقصص الحيوانات شاعت في ارجاء العالم قصص كثيرة من هذا النوع عن طريق الكتب والمجلات والسينما والتلفزيون والاذاعة ، وكمثال على ذلك قصص « وولت ديزني » التي تقوم الحيوانات بكثير من الادوار فيها منها الفأر (ميكى) والتي لاقت اقبال الاطفال الشديد . ويبعدوا ان الانسانية قد عرفت قصص الحيوان قبل اي لون قصصي اخر . وقد جاءت في قطعة من اوراق البردي تتمة لقصة مبتورة ، قيل ان الاطفال في مصر كانوا يتناقلونها قبل ٤٠٠٠ سنة ، وقد اورد الدكتور بريستد نصها المترجم على هذه الصورة :

« ٤٠٠٠ مات الذين كانوا في المركب جميعهم ، ولم ينج منهم احد ، اما انا فألقتني موجة من امواج البحر العظيم على جزيرة ، فلبشت فيها ثلاثة ايام وحدي ؛ لا رفيق يسليني سوى قلبي ، و كنت انا مختبئا بين الاشجار الى ان يعمري نور نهار ، فانهض متسللا لعلي امسك شيئا املا به فممي ، فكنت اجد تينا وعنبا وكثيرا من انواع الخضرة ٤٠٠٠ »

ثم تقول القصة ان حية ذات لحية طولية امسكته . ووجد ان تلك الحية هي ملك الجزيرة البعيدة الواقعة في البحر الاحمر عند مدخل الاقيانوس

الهندي ، واحتفظ الملك (الحية) بالتأله ثلاثة اشهر احسن فيه معاملته ثم
ارجعه بعد ذلك الى مصر .

واعتبر البعض هذا القاص اول (سندباد بحري) ، واعتبر قصته من
قصص المغامرات الاولى التي يشارك فيها الحيوان (٩)

ويذهب كثير من الباحثين الى القول ان حكايات الحيوان التي استمدت
منها القصاصون فيما بعد كثيرا من قصصهم ، هي اقدم الحكايات الشعبية على
الاطلاق ، وهي تتردد على لسان الجميع بلا استثناء ، وانها موجودة في كل
بيئة وعند كل امة وبين مختلف الاجيال والطبقات .

وقد اتخذ الحيوان في الخرافات وظيفة ذات صور متعددة فمرة يظهر
بوصفه حبوانا روحانيا ومرة اخرى يكون عدوا للانسان ، كأن يكون افعى
شريرة او تنينا ، او تجسيدا للشر بصفة عامة . وفي ظروف اخرى يظهر الحيوان
بوصفه مساعدا للانسان ، وليس الحيوان الاليف وحده الذي يقدم معوته
للانسان وانما تقف بجانبه كذلك الاسود والدببة والنمل ، وفي كثير من
الحكايات البدائية يكون الحيوان هو صاحب القوة التي تفوق قوة الانسان ،
ومع ذلك فان الانسان يستطيع في النهاية ان يغدر به ، ثم اخيرا يعود الحيوان
إلى نطاق السحر (١٠) .

ومن حكايات الحيوان ما تتضمن ا عملا حقيقة كقيام القطة برعاية
صغرها ، او قيام العصافير ببناء اعشاشها ، او تتجاوز ذلك الى تفسير بعض
مظاهر الطبيعة بوجه عام وسلوك الحيوان بوجه خاص ، ويدخل ضمن ذلك
الحكايات التي تفسر اسباب اسوداد لون الغربان ، او اسباب وجود العرف
فوق رؤوس الديوك . ومنها ما تقوم الحيوانات فيها بادوار البشر كقيام الغزالة
بدور الطفلة المهدبة النشيطة الحذرة وقيام الاسد بدور الملك ، او قيام
الشعلب بدور الماكر . وقد استخدمت هذه الاخيرة كوسائل للوعظ
والارشاد والتوجيه .

ولابد ان يكون ايسوب وبيدبا ولافوتين وغيرهم قد استندوا من تلك الحكايات القديمة ما نسب اليهم فيما بعد . وعليه يمكن القول ان الحكايات المنسوبة الى اولئك قد استغرق تأليفها مئات او الاف السنين من قبل العامة ، حتى جاء اولئك فسجلوها بعد ان طوعوها وهذبوا فيها ، او نسجوا على منوالها .

ولكن قصص لافوتين كانت ذات طابع شعري ، وكانت تتميز برقتها وبساطتها ، وقد جعل ابطالها من الحيوان مصوّراً الافراد والجماعات الانسانية .

وقد نشر هنري تين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) ، كتاباً عن حكايات لافوتين يبيّن فيه التشابه بين جماعات الحيوان وطبقات الناس في العصر الذي عاش فيه لافوتين (١١) .

ويرى المؤرخون وعلماء الاجتماع ان ظهور قصص الحيوان منذ ازمان بعيدة يعود الى ان الانسان يميل الى التعبير عن افكاره ، وعن المعاني التي تعن له ، بوسائل وطرق حسية ، لما في ذلك من سهولة ، وقوة تأثير وشدة ایضاح . وقصص الحيوان البسيطة التي تلعب فيها البطولة الحيوانات المألوفة تصلح للأطفال في مرحلة الطفولة المحدودة بالبيئة ، ولكن الأطفال في المرحلة التالية يميلون الى قصص الحيوان الخيالية ، وبعد الثامنة من أعمارهم – كما يقول المربون – يميلون مرة اخرى الى قصص الحيوان ، وخاصة تلك التي تلعب البطولة فيها حيوانات غريبة او تعيش في اماكن نائية .

وقصص الحيوان ، يمكن ان تتناول موضوعات متعددة ، منها ما هي قصص علمية ، او قصص مغامرات وخوارق ، او قصص فكاهية او اخلاقية او انسانية .

وقد استغلت مجلات الأطفال التجارية هذا اللون من القصص ، فجعلت من بعض الحيوانات ابطالاً لقصصها ومسلسلاتها كما هو الحال في مجلات ميكى ماوس التي تصدر بلغات عديدة في ارجاء العالم ، وتمثل لوناً من الوان الغزو الفكري لعقل الاطفال .

قصص البطولة والمخاطرة

الاطفال يتعلقون بالبطولة والابطال ، ويغرسون بالقصص التي تتحدث عنهم ، لذا كان بعض المجالات التي تتناول قصص البطولة والمغامرة انتشار كبير بين جمهور الاطفال ٠

ويعود ولع الطفل بالبطولة والمغامرة الى اسباب متعددة من ابرزها انه في السنوات التي تسبق المراهقة بصدق تكوين فكرة عن ذاته ، وحيث انه لا يمتلك المعيار الموضوعي بهذا الامر ، لذا يجد نفسه ازاء صورة ، يسره ان يحاكيها ويتشبه بها ٠

وقد يتتشبه الاطفال بآباءهم او معلميهم او احد معارفthem ، او قد يتتشبهون بأناس اخرين بعيدين عنهم يسمعون او يقرأون عنهم او يشاهدونهم من خلال الافلام او الصحف او ما الى ذلك ٠

فالطفل حينما يبلغ شأواً من النمو ، يوجه عنایته الى محاكاة افراد من يعاشرونه في بيئته ، ويتأثر باعمال من يعجب بهم من الاشخاص الذين تدور

حولهم القصص فيتجه مسلكه نحوهم ، ويستخدم نموذجا لنفسه ويسعى لارضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وافكارهم ^(١٢) .

ومن هنا يتضح ان تلك المحاكاة ظاهرة طبيعية يمر بها الاطفال جميعا ، بدرجات متفاوتة . ذلك ان هذه المحاكاة ليست الا تعبيرا عن واحدة من الحاجات النفسية في البحث عن قدوة او مثل اعلى يفعل فعله في ضمائرهم وعواطفهم وميولهم واتجاهاتهم وقيمهم .

والمثل الاعلى الذي يحاكيه الطفل يتبدل في دلالاته حسب اطوار نمو الطفل المختلفة ، وتبعا لعلاقته مع الاخرين حتى سن المراهقة حيث تتحدد غايته فيسعى الى تحقيق ما تصبو اليه نفسه .

وفي احدى الدراسات وجه الى عدد من الاطفال سؤالاً هما :

- من هو الشخص الذي تعجب به اشد الاعجاب ؟
- من هو الشخص الذي ترغب ان تشبهه من هؤلاء الناس الذين تعرفهم او سمعت او قرأت عنهم ؟

•• وبعد اختبار الاطفال (من ٦ الى ٧ سنوات) تبين ان مثالهم الاعلى من ضمن الدائرة الضيقة لمعارفهم كالآباء والامهات ، وقد تبين من تلك الدراسة انه « بازدياد العمر تتسع خبرات الطفل ، وبذلك يصبح الاشخاص الذين يختارهم كمثال أعلى من بين الاشخاص الذين قرأوا عنهم في التاريخ او الادب •• او من بين الشخصيات العامة الشهيرة » ^(١٣)

والقدوة او المثل الاعلى للاطفال من العوامل التي تبث القيم والاخلاقيات في نفوسهم « لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير ، تمثل لهم معنى الحياة السامية . فالتهذيب بوساطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة ، وتنتقل القيم والاخلاقيات مجسدة في مجريها الفعلي ، فتدعوا الاطفال الى الى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة » ^(١٤)

وقد يخطيء الطفل في اختيار ابطاله ، كمحاكاة لمعاريف طائشين او لصوص او قتلة او اصحاب جاه زائف او شهرة باطلة ، او من لا تتواءم سخريته وظروفه معهم ، فينشأ عن ذلك انحراف الطفل . لذا كان من الضروري تصوير ابطال للاطفال من عالم الواقع او الخيال ذوي خصائص و الاخلاقيات وقيم منتقاة بحذر ودقة وبأسلوب يثير الاطفال نحوهم .

وتتعدد المثل العليا بتعدد ميوم الاطفال ، وهذا يحتم ان نضع امام الطفل عديدا من النماذج كي يستطيع ان يجد بينها ما يناسبه ، وان نعرض البطولة بجوانبها المختلفة دون ان ننصرها على الجوانب الوطنية والقومية ، لأن كل الذين يقدمون من عطائهم في مجالات العلوم والفنون والاداب هم قدوات حسنة .

وعن أهمية المثل الاعلى نستعين بمثال من فرنسا . فانت حينما اتجهت هناك تجد تمثلا او صورة لجان دارك او سانت لويس او نابليون ، وفي كل مكتبة تجد عشرات الكتب التي تناسب مختلف الاعمار تتحدث عنهم وفي كل مدينة ، وفي كل حي ، تجد المزارات القومية الخاصة بهم من كاتدرائيات رائعة ومبان عظيمة تضم رفاتهم او تخلد ذكراهم ، الى متاحف لخلفائهم ، حتى انه يستحيل ان تجد طفلا فرنسييا بلغ الثامنة من عمره لا يعرف كم ادى هؤلاء لفرنسا . وتتجدد شيئا مماثلا في انكلترا عن شخصيات مثل ريتشارد قلب الاسد ونسون ولفنجستون وفلورنس ناينتنجيل . وقد تكون هذه النماذج التي ركزت عليها الثقافة الانكليزية في تمجيد اولئك خلال القرون القليلة من اهم الوسائل التي تشكلت بها هذه الامة الاتجاهات الاستعمارية في تفوس اطفالها وشبابها .^{١٥}

وقد اثبتت الدراسات ان الاطفال اذا اندمجوا تماما مع قصصهم فانهم يتقمصون شخصية البطل او شخصية اخرى ثانية . وهذا التقمص لا غبار عليه اذا كان رسم الشخصيات واقعيا وسلينا .

وقصص البطولة تتخذ اشكالا مختلفة ، ولكنها جميعا تنطوي على القوة المجردة او الشجاعة الحقة ، او الذكاء ، او المجازفة . . .

وعلى هذا يمكن اعتبار القصص البوليسية ضمن قصص البطولة ، لأنها تظهر رجال الشرطة كأبطال يدافعون عن الحق ويعملون من أجل القبض على الجناة ، مستعينين بالأسلحة أو الأجهزة العلمية ، متحملين الصعاب دون كلل ، مستعدين للتضحية .

« وقد انتشرت هذه القصص منذ القرن الماضي . وقد لا يتخمن فيها أن يكون البطل قوياً بأسلا ، لأن مواطن قدرته قد تتركز في مهارته في الاستباط ، واستخلاص النتائج التي يغفل عنها الكثيرون متوصلاً بذلك إلى الكشف عن مرتكبي الجرائم » (١٦)

وتظهر المبالغات في القصص البوليسية بصورة سافرة ، حينما يبدو رجال الشرطة أذكياء ، لا يخطئون ، كما يبدو القضاء نزيهاً لا يغفل حقيقة دون أن يتوصل إليها .

والقصص البوليسية الغريبة تبدي المجتمع وكأنه مؤلف من فريقين أحدهما خير يدافع عنه رجال الشرطة والآخر شرير ليس له إلا ممارسة الجريمة .. وهي تغرق أذهان الأطفال في عالم مشحون بالعنف واعمال الجريمة والقتل التي لا يفهم لها الأطفال سبباً وفيض من اللصوص والسفاحين والجواسيس الذين ينعمون بحياة رغيدة ويرتدون أردية انيقة ، ويرتدون الاندية الراقية ، ويأكلون الاغذية الشهية .. فيكون لهذا كله اثره غير السليم في نفسيات الأطفال .

يضاف إلى ذلك أن نهايات القصص البوليسية باللغة الواضح ، ويستطيع الأطفال ، في الغالب أن يتوقعوا النتائج ، إذ يشرون هذا سيقتل ، وذلك سيلقى القبض عليه ..

اما قصص التجسس فهي لا تقل عنها وبالمبالغة عن القصص البوليسية ، بل هي في حالات كثيرة تبدو لنا من القصص البوليسية .

والقصص البوليسية والتجسسية ، مع أنها من قصص البطولة التي

يمارسها البوليس ، في العادة ، الا انها من الجانب الآخر قصص جريمة في الاساس ؛ فيها شيء من العنف وشيء من المغامرة . وهي تعتمد كلية على حركة الحوادث ، ولا ترتبط هذه الحوادث ، في الغالب برابطه السببية ، اذ قد لا تكون الحادثة نتيجة للاولى وسببا للثالثة .

وبسبب الحركة السريعة والعنيفة التي تزخر بها هذه القصص تلقيت هو في نفوس الاطفال ، كما تلقيت هو في نفوس الكبار ايضا ، اذ يتبعون مسلكها المتلاحقة وعقدها المتتالية ليصلوا الى نهاية تشعرونهم بشيء من الارتياح والقناعة حينما يتم القضاء على المجرم .

وتتخذ الفحص البوليسي والجاسوسية لها شعارا او هدفا ، في العادة هو « ان الجريمة لا تفيض » ، ويتحدى مؤلفو هذه القصص من هذا الشعار ذريعة لتبرير ما تطفح به قصصهم من اعمال عنف وقسوة واحتلال وخداع .

ويعرض الكثيرون على بعض القصص البوليسيه لما يصاحب احداثها وتصرفات ابطالها من شذوذ ، وكانت لجنة مطبوعات الاطفال في المؤتمر الدولي لصحافة واذاعة وسينما الاطفال في ميلانو عام ١٩٥٢ قد اصدرت توصية تقول فيها : « ينبغي ان يكون سلوك الابطال في القصة من بدايتها الى نهايتها سلوكا سويا ، لا شذوذ فيه ، اذ لا يكفي ان تنتهي القصة بعقاب المجرم » .

كما يعترضون على زوج الاطفال « كقراء ومشاهدين ومستمعين » في زحمة عالم تكتنفه الجرائم المنظمة والمحبوبة ، والتي تكون في احيان عديدة نتيجة لاسباب تافهة او مجحولة ، مما يقوي نزعة الاطفال للهروب من الواقع بسبب تقبل بعض الاطفال على ان ما يعرض عليهم امر واقعي او قريب الى الواقع ، فترسم في اذهانهم صورة موهومة عن الحياة ، اضافة الى انها تظهر لهم ان الجريمة امر اعتيادي يمكن وقوعه بسهولة ، وليس من المستبعد ان يتشبهوا بال مجرمين والاتيان بالجريمة .

ويوضح احد البحوث الفرنسية ان ناشري تلك القصص هم دارسون لعلم النفس ، اذكياء وعلى درجة كبيرة من قوة الملاحظة كما انهم يوفرون لجمهور قرائهم قدرًا من الفراسة ، ذلك الغذاء الذي يستمتعون به . فكل قاريء مهما بلغ مستوى ذكائه وثقافته يجد متعة في قراءة القصص البسيطة، خاصة ، وان كل اتفعال يتجسم الى حده الاقصى عند التعبير عنه كتابة ام رسمًا ، فتلك الالوان الزاهية والتعبيرات والوجوه التي التوت من الحقد او الفزع ، والمواقف والعنوانين المتهبة ، كل ذلك يخاطب الخيال في حدّه ، وباعنف الطرق واكثرها اثارة وايحاء ليترك اقوى الانطباعات . ويبدو الجو القصصي شديد التوتر ، وفي مقاطع متراوحة تتواли فيها مجموعة من الحوادث تجعل القاريء لاهثا مضطربا مقهورا . وتختصر خاتمة المغامرات لمقتضيات النهاية السعيدة وترضي الفضيلة التي تلقى المكافأة وتعاقب الجريمة .

ولكن الفضيلة تكافأ ، في هذه القصص ، بالشراء بظاهر سطحية من القوة ، ويتنصر الضعيف ، في نهاية الامر لا لأماتته او وفائه ، بل لأن نهاية القصة تختتم فهر القوي . ولا يتزدد البريء عن معاقبة المذنب ، طبقا لمبدأ العين بالعين ، وهكذا يظل قانون العاب سائدا على الحياة .. وهكذا نجد في القصص استغلالا لحاجة الانسان الى حلول متفائلة (١٧) . ولكنها حلول غير واقعية .

وتندرج قصص المقاومة ضمن قصص البطولة ، وهي لا تجنيح الى الخيال جنوح البوليسية بل تحمل ، في العادة ، مضامين هادفة وواقعية ، وكمثال على ذلك ما تنتجه البلدان الاشتراكية في الصحافة والسينما والتلفزيون، حيث تثير خيالات الاطفال وتحفز حماسهم ، وتجعلهم يقرون عند حقائق تكتشف لهم آفاقا واسعة .

كما تندرج ضمنها أيضا قصص المغامرات العامة التي يجد فيها الاطفال متنفسا ، بسبب رغبتهم في الحركة الحرة المطلقة . وقد اغتنمت أجهزة

النقاقة التجارية شغف الاطفال بالمخاطر فقدمت لهم سلاسل من المغامرات المثيرة جعلت الاطفال يرون حياتهم اليومية الاعتيادية مملة راكرة حين يقارنونها بحياة القصة .

وهناك لون آخر من قصص البطولة تتخذ شخصيات لها تصارع الحياة من أجل اهداف سامية كأن تدافع عن قضية عادلة او تثابر من أجل اسعاد الانسانية عن طريق الاكتساف أو الاختراع او مكافحة المرض ، وما إلى ذلك . وقد تكون شخصياتها واقعية وقد تكون خيالية .

وقد دعا كاتب الاطفال السوفيتي « ليف كاسيل » الى ادخال المفكرين والكتاب كأبطال في قصص البطولة ، حيث قال :

« ان واضعي قصص الاطفال يهتمون بان يكون أبطالهم من امثال الطيار الروسي تيتشكالوف الذي عبر القطب الشمالي ، أي من النماذج البشرية التي تمتاز بعمل من هذا القبيل ، ولايهمون بان يكون في ابطالهم أمثال ماياكوفסקי ، الشاعر العظيم ، ومن يمتازون بعظمة فكرية أو أدبية ، فهل معرفة ماياكوف斯基 وامثاله من عظماء الشعراء والكتاب وعباقرة الفكر ، يجب أن تظل وقفاً على الناس الكبار دون الاطفال ؟ » (١٨).

وقد أشار توماس كارليل في محاضرة له عن « الابطال وعبادتهم » الى ان البطل او الرجل العظيم في مستويات النمو الثقافي المختلفة يظهر على صور شتى ، فقد يكون جنديا او من رجالات الادب . وفي حلم البطولة الذي ينسجه الطفل حول نفسه يكون البطل أحد رجال الشرطة او رجال اطفاء الحريق او طبيبا او معلما او جنديا أو ملكا او طيارا او سائق سيارة أو رجل دين أو نافخ بوق .. وقد يكون البطل قويانا بأسلا او على جانب من الذكاء ، ولكن لا بد له ، الى جانب ذلك ، من أن ينجح من حيث أخفق الزعيم المعترف به في القصة ، فهو ليس شجاعا أو ذكيا فحسب ، بل هو أشجع الجميع وأشدهم ذكاء ، وقدر على التدليل على قدرته الشاملة ، او معرفته

المحيطة بكل شيء أو كلتيهما ، وهي الصفات التي كان يراها في أبيه أثناء طفولته . وهكذا تستمر القصة في اظهار الاعتراف العام بتلك الصفات (١٩)

ولابد من النبيه الى خطر ترجمة قصص البطولة الاجنبية الى اللغة العربية بدون تحفظ ، لأن غالبيتها تنطوي على مثل وفيم والأخلاقيات تعبر عن مجتمعات مختلفة . كما ان هذه القصص زاخرة بالمواقف الحادة ، أو ربما الشجاعة والذكاء والمهارة التي تثير دهشة اطفالنا ، وحين لا يجدون لها أمثلة في واقعنا فانهم يميلون الى الاعتقاد ان البطولة والشجاعة والعبقريه والمهارة ... للجانب وحدهم .

كما لابد ان نتبه في ختام حديثنا عن قصص البطولة الى نقطتين : اولاًهما ان قصص البطولة ، بوجه عام ، ذات اثر ايجابي كبير في الطفولة ، لأنها ترضي أكثر من حاجة من حاجاتهم ، وهذا يتضمني امداد الاطفال بفيض منها مع الحرص على اختيار نماذج مناسبة . وثانيهما : ان قصص البطولة يمكن أن تتخذ لها ابطالاً حقيقين أو خياليين من واقع حياتنا . ولكن من الافضل أن تكون البطولة فيها جماعية .

المبحث الخامس

قصص الخوارق

بسبب تعلق الاطفال بالبطولة والمغامرة والحركة المنطلقة ، عملت
أجهزة الثقافة التجارية على امطار الاطفال بوابل من القصص التي تتتجاوز
قصص البطولة الى قصص الخوارق ، كقصص الرجل الخارق للطبيعة وقصص
رعاية البقر وروايات خيالية يأتي ابطالها بالمعجزات .

وتمثل هذه القصص مشاعر الاطفال بشدة ، بل هي تلاقي اقبال حتى
ولئك الذين تخلو نقوسهم من الحوادث العنيفة او المثيرة .

والرجل الخارق للطبيعة يتخذ له اسماء كثيرة وما (سوبرمان) الا واحد من اولئك الابطال .. ويظهر البطل في هذه القصص خالدا لا يغلب ولا يقهـر ، قواه غير اعتيادية ، يأتي بالمعجزات ويتخلص من اعسر المواقف بسهولة ، يقتحم المباني والجسور بيديه ، وتكتفي نظرات عينيه الحادة لخدلان اعدائه ، ويستخدم القوى العلمية استخداما لا يتفق - في كثير من الاحيان - مع الاسس والنظريات العلمية ، تنبـعـتـ من رؤوس أصابـعـهـ أشـعـةـ مـمـيـتـةـ ،

ومن فمه ينطلق الشرر ، وهو لا يهرم ولا يسوب ولا ين الزوج ولا يعم بحابة خاصة .

وهذه القصص تمثل للأطفال ما يتوقعون إلى تحقيقه في حياتهم . وتأثيرها فيهم يتعدى الانفعال الموقت عند المشاهدة ، ويظهر ذلك في سلوك «المحاكاة» الذي يقوم به الأطفال ، أي محاكاة السوبرمان في حركاته . ومع هذا فإن الجانب الأخطر من هذا هو ما تنطوي عليه هذه الأنماط السلوكية ، مما يتربّس في نفوسهم نتيجةً مثل هذه المؤثرات من اتجاهات فردية أو عدوائية نحو الحياة والمجتمع ، بل إن مثل هذه المؤثرات قد تدعم لدى الأطفال اتجاهات نفسية هروبية نتيجةً الحلول الخرافية التي يتصرّرونها بالنسبة إلى حياتهم ومشاكلهم الخاصة . هذا بطبيعة الحال احتمال لما قد ينجم عن أمثال هذه القصص . وهنا يشير بعض المتخصصين في الطفولة وفنون الأطفال بعض التحفظات خلاصتها : إن الطفل لا يتأثر تأثيراً سلبياً من مشاهدة مثل هذه القصص أو الاستماع إليها أو قراءتها إلا إذا كان لديه استعداد سابق لذلك . ولكن المعلوم أن الاستعداد تخلقه ظروف الحياة وما فيها من صراعات وتناقضات يتعرض لها الطفل في نموه ، فهو يرى نماذج مختلفة ، بل متناقضة من الشخصيات ومن العلاقات ، ويتعرض لنماذج مختلفة ، بل متناقضة ، من سلوك الآخرين نحوه ، ويحدث هذا في مرحلة يغلب عليه فيها الشعور بالقلق والعجز والرغبة في النمو واكتساب القوة . وللهذا فإن حاليته النفسية تكون مهيأة للتتأثر بظواهر القوة القاهرة التي يتمناها لنفسه في مواجهة مواقف الحياة العديدة التي يكون فيها مغلوباً على أمره (٢٠) .

ومن الشخصيات الأخرى التي اهتم بها القصاصون في هذا اللون شخصية طرزان . ومع أن هذه الشخصية لا تمتلك كل مزايا الرجل الخارق للطبيعة إلا أنها تنتقل في الفضاء ، وتتفق مع الحيوانات لشن الحروب . وهناك اليوم أكثر من ٣٠٠ صحيفة يومية غربية للأطفال تنشر قصص طرزان المصورة إلى

جانب العديد من الكتب والافلام السينمائية والتلفزيونية ، حيث يجد فيها الاطفال والراسدون حلماً وموضوعاً للهروب من الواقع •

وفي قصص رعاء البقر يبدو البطل يحمل اسماء الحيوانات ويستطيع التخلص من المقالب والاخذاح ، لانه ذكي وقوى وسريع الحركة ، وهو يستهدف القضاء على الهنود الحمر ، ويرى أعماله هذه بالدفاع عن البيض وسعيه لأن يحتلوا موقع أرفع لهم •

وتسود في قصص طرزان وقصص رعاء البقر وفي كثيرون من قصص الخوارق الحديثة اتجاهات عنصرية ، حيث يتولى البيض البطولة ، ويتولى الملونون أدواراً ثانوية ، وتتجسد في كثير منها الاستهانة بالحياة الإنسانية وازدراء الأجناس الملونة •

ويتميز ببطال قصص الخوارق ، في الغالب ، بالجدية والاكتئاب والعنف الشديد ، وبخروجهم على القوانين والاعراف والتقاليد •

ويسبّب التطور القصصي ، في هذه القصص كثير من الافتعال والفسرقة ، حيث تتلاحم الواقع العنيفة ، بين قتول وحروب وفيضانات وحرائق وفواجع حتى تنتهي القصة بتمكن الرجل الخارق للطبيعة من النجاة والانتصار في آخر لحظة •

وحكايات العجان القديمة هي أقرب ما تكون إلى قصص الخوارق الحديثة ، لأن هذه الحكايات الشعبية تطغى عليها الخوارق •

ولكن البطل في حكايات العجان لا يقوم بالحدث الخارق بنفسه وإنما يعتمد على شخصية خارقة يكسب ودها بجميل يصنعه لها أو فضيلة تفتتها أو كلام يطلبها ، وهي متعددة المصادر ، تتكرر فيها المحاور وتتنوع - في كثير من الأحيان - إلى غاية وعظية أو تعليمية • ومن هنا استقرت في سفح الكيان الاجتماعي ، واتخذت وسيلة من وسائل التسلية والترفيه ، كما اتخذت أداة لاثارة اتباه الطفولة •

ويلاحظ في هذا اللون من الحكايات قلة عدد الشخصيات ، اذ هي لاتكاد تتجاوز البطل او البطلة والمنقذ الخارق والشخصية الشريرة ، ويغلب عليها الاقفال الحاد في المواقف وضروب الصراع ، ولكنها تنتهي بخاتمة سعيدة دائمًا بفضل الشخصية الخارقة من عالم الجان^(٢١) .

وهذه القصص تتميز بنزوعها المؤثر ، وبالروعة المفاجئة التي تخلّفها النهاية السعيدة . وابطالها بسطاء عصاميون في العادة ، يبلغون اهدافهم بعد سلسلة من المخاطر بمساعدة الجان ، ويعيشون سعداء ، وتجمّع في ابطالها جميع الخصائص التي يتمناها المرء لنفسه . فالبطلة تتميز بالجمال الخارق والشفقة والاحتشام ، ويمتاز البطل بالشجاعة والصدق^(٢٢) .

والجان كائن خارق غير منظور – في العادة – وهو اما خير ومعين ، واما شرير خبيث ، واما شقي ساخر . ويعيش على الارض وبينه وبين الانسان أكثر من سبب . وكان الناس يعتقدون بوجوده في جميع انحاء العالم . وله في كل مكان خصائص نفسها ، فهو قادر على التشكّل والاستخفاء ، وقد يكون ماردا يطأول الجبال او يكون قزما يصغر عن الاطفال ، ويعيش تحت الارض او عند سفح جبل او تل او بين كومة من الصخور . وكثيرا ما يتشكّل باشكال البشر او باشكال الحيوان^(٢٣) .

واذا كانت قصص الخوارق الحديثة تبعد الاطفال عن واقعهم فان حكايات الجن السحرية التي ترتبط معها برباط وثيق ذات خطر اكبر في نفسيات الاطفال ، لأنها تدفع بهم الى الخوف والجبن .

يقول الدكتور ملاك جرجس في كتابه « مشاكل الاطفال النفسية » :

« ان الصورة الغريبة المفزعة التي نعلمها لاطفالنا في بعض كتب المدارس وفي مجلات الاطفال . والقصص الرخيصة لها اكبر الضرر على نفسية الطفل ، وتدفع به الى المخاوف الشديدة . ان القصص الغرافية التي

تلعب العفاريت والسحرة والجن البطولة فيها ، كفيلة بخلق الطفل جبانا
يعانى من قلق نفسى مدمى وخوف شديد من المجهول » .

ويتحدث عن طفلة في التاسعة من عمرها ، كانت شديدة الذكاء ، دائمة العجاف بتفوق في المدرسة حدث فجأة ان تدهورت صحتها تدهورا شديدا في المدرسة وفي البيت ، نتيجة اصابتها بحالة قلق نفسى شديد . وكان من مخاوفها انها كانت تخشى أن تتحول الى قطة ، او تغدو يأكلها الناس .

ويشير الى انه عند بحث الاسباب تبين ان الطفلة قرأت قصة عن ساحر سحر طفلا فتحوله الى قط ، وسحر طفلا اخر فتحوله الى تفاحة ولأن الاطفال يتقمصون ما يقرأون وما يسمعون ، فقد وضعت الطفلة نفسها مكان الطفل ، وأصبحت تمييز في رعب دائم خشية أن يقابلها ساحر فيتحولها الى قطة او الى تفاحة ، ولا تعود طفلة مرة اخرى .

وقصص الخوارق اليوم التي تنتشر انتشاراً واسعاً في مجالات متخصصة للأطفال ليست حديثة العهد ، لأننا نجد الرجال الخارقين للعادة في الأساطير القديمة والخرافات والحكايات الشعبية ، وكل ما في الامر ان ابطال قصص الخوارق يفتعلون استخدام حصائل المخترعات الحديثة كتبرير لهم للأتيان بالمعجزات والخوارق ، كالتطواف في سفن الفضاء او توجيه الاشعاعات القاتلة او إمطار السماء صناعية .

وقصص الخوارق الحديثة تبني خيالات الاطفال لما فيها من مواقف مشبعة بالخيال ولتكنها من الجانب الآخر تمجد البطولة الفردية مثلما تمجد العنف والقوة . وهي تثير افعالات الاطفال كالخوف والغضب والفرح معا ، كما انها تثير فيهم التفكير .

وهي لا تصلح للأطفال الصغار حتى ما بعد الحادية عشرة والثانية عشرة، لأن الأطفال في هذه المرحلة يقتنون بالبطولة والابطال.

المبحث السادس

القصص الفكاهية

يقبل الاطفال على القصص الفكاهية والطرائف والنوادر اقبالا شديدا ، ولهذا نجد صحفا وافلاما تجارية - في الغالب ، تتخصص في اضحاك الاطفال ، ونجد من يذهب الى القول : ان وسائل ثقافة الطفل جميعا ينبغي ان تركز على جوانب الاضحاك دون غيرها من الجوانب .

ولا اعرف اسباب استعداد الاطفال للضحك اكثر من الكبار ، فقد اختلف علماء النفس في الاتيان بوجهات نظر مختلفة ، فوجدت نفسى في موضع لا استطاع فيه الانحياز الى رأي محدد .

ومع هذا فقد يكون شدة تعاطف الاطفال في مقدمة اسباب ذلك . فالطفل الذى يتصور ان الحيوان المسكين الذى سقط من على شاهق ، في احد افلام والت ديزني لابد ان يكون قد مات ، فإذا به يجده ينهض امام ناظريه لكي يواصل حركاته البارعة في خفة ونشاط . وهكذا لا يملك الطفل سوى ان يضحك لتلك المفاجأة السريعة التي تنتقل به من التعاطف الى الضحك وبالعكس (٢٤) .

والواعق ان القصص الفكاهية والطرائف والنواذر والالوان الفكاهية الاخرى لا تستهوي الاطفال فحسب بل هم ينفعلون ويتأثرون بها .

وهنا لابد من ان نفرق بين فكاهة للاطفال تضحكهم مجرد الضحك ، واخرى تغرس فيهم مثلاً ومبادئ اخلاقية ، وثالثة تنبه اذهانهم وتدفعهم الى التفكير ، ورابعة تشيع فيهم رغبات انسانية وتملأ حياتهم بالمرح والانشراح، وخامسة تبني فضلاً عن ذلك ثروتهم اللغوية .

وارى ان الطفل لا يمكن ان يكتفي بلون واحد من هذه الالوان دون غيرها . انه يستمرئها كلها رغم ان هناك تفاوتاً في درجة الاستجابة بين طفل وطفل بل تجد مثل هذه الفوارق بين شعب وشعب ايضاً .

وبعض القصص الفكاهية قد لا تبعث الضحك في الاطفال ، اذ هي قد تحمل مضموناً جاداً ، ولكنها تتخذ لها دوماً جواً مرحاً .

ونحن نخطيء حين ننتظر قهقهة عالية بعد تلوان كل قصة فكاهية ، لأن الضحك قد يكون وسيلة نقية بها انساناً من الآلام ؛ آلام المشاركة الوجدانية ، حيث يهبنا الضحك شيئاً من المناعة ضد الآلام .

ويؤكد عالم النفس مكدوغان ان هناك علاقة بين الضحك والتعاطف او المشاركة الوجدانية ، ذلك انه لما كان للاتصالات الرقيقة دور مهم في الحياة النفسية ، فقد اوجدت الطبيعة حيلة بيلوجية هي الضحك ، حتى تقيينا من اثار السفة البالغة والتعاطف الزائد على الحد مما يمكن ان تتعرض له بسبب ما لدينا من قدرة على التأثر الانفعالي والاحساس بالآلام الاخرين ، وآلام النفس ايضاً . فالضحك ضرب من المناعة النفسية التي تحول بیننا وبين التأثر بما يعرض للآخرين او للنفس من مناكل بسيطة ، مما نشهده حولنا باستمرار ، فنجد انفسنا مضطرين - باعتبارنا كائنات اجتماعية - الى الاخذ بقسط منه ، ومعنى هذا ان الضحك استجابة للألم القيق ، لأن مفتاحه هو المواقف التي تسبب لنا الضيق او الكرب او الألم ، ونضحك

حتى نخفف من الانفعالات الرقيقة والتآثرات الوج다ية الكثيرة وعواطف الشفقة المفرطة . وهنا لابد من التفرق بين الابتسام الذي هو رد فعل للسرور ، وبين الضحك الذي هو رد فعل للألم^(٢٥) .

ويدخل ضمن ذلك ، الضحك الناجم عن شعور المرء بالتفوق على الآخرين ، ونحن نرى ان ممثلي الفكاهة في المسرح والسينما والتلفزيون يتعمدون الوقوع في الخطأ ، ويصررون على ان يكون تصرفهم شادداً لكي يشعروا المشاهدين بالتفوق وليشيروا فيهم عاطفة الضحك . كما ان فرص التحرر من الكبت الاجتماعي هي احدى دواعي الضحك ، والتي تضاف اليها ان ايمناً بان الحياة تسير وفق نظام معين وتناسق مستمر ، لا يكاد يختلف ، واعراف لا تكاد تتبدل ، لهذا فان بعض المخالفات لسفن الحياة ونظمها وتقاليدتها تدعوا الى الضحك ، ولكن ما يتمسك به الناس من مثل واحلقيات تحول دون الاسترسال في الضحك حينما تزداد حدة تلك المخالفات^(٢٦) .

يقول شارلي شابلن : «ان الناس يتعاطفون معي بحق حينما يضحكون ، وحينما يردد الطابع التراجيدي على الحد ، يبدأ الناس بالضحك .» ويقول والـتـ ذـ فـ : «الناس كثيراً ما يتعاطفون حينما يضحكون ، ولما كان الاطفال قد يتعاطفون بشكل زائد على الحد ، فانهم قد يجدون انفسهم مضطرين الى ان يفلقوا عيوبهم حينما يكونون ازاء المواقف المروعة » . وكثيراً ما يواجه الانسان مواقف الخوف والهلع والقلق باـن ينفجر ضاحكاً . وعليه فـانـ الضـ حـكـ لاـ يـ نـمـ عنـ الفـ رـحـ دائـماً .

وما تستهدف القصص الفكاهية ليس التههـة التي يعيشها الهزل العابر، بل تستهدف اثارة تفكير الطفل وتنمية ذوقه واذكاء احساساته ، وبعـثـ الاـشـراقـ وـالـتـفـاؤـلـ فـيـ فـسـهـ ،ـ وـيمـكـنـ عـنـ طـرـيقـ القـصـصـ الفـكـاهـيـةـ زـعـزـعـةـ الخـرافـاتـ وـالـاـوهـامـ وـالـعـادـاتـ وـالـتـقـالـيدـ وـالـعقـائـدـ الـعـقـيـقةـ وـتـأـصـيلـ قـيـمـ وـمـفـاهـيمـ وـاخـلـاقـيـاتـ جـديـدةـ .ـ وـالـذـيـ يـمـنـحـ القـصـصـ الفـكـاهـيـةـ هـذـهـ القـوـةـ وـالتـأـئـيرـ هوـ اـرـتكـازـهـ عـلـىـ المـفـارـقـاتـ النـاجـمـةـ عـنـ التـنـاقـشـ فـيـ الـحـيـاةـ وـالـجـمـعـ مـضـمـونـاـ وـاعـتـمـادـهـ عـلـىـ الـايـعـاءـ غـيرـ الـبـاشـرـ فـيـ جـوـ بـعـيدـ عـنـ التـوتـرـ اـسـلـوـبـاـ .

ان النكتة الفنية هي التي لا تستهدف الاصحاح فحسب ، وانما تريده في الوقت نفسه ان تقول شيئا اخر ، تريده ان تسخر من شيء في حياة الانسان ؛ اجتماعيا كان ام اقتصاديا ام سياسيا ، وتمثل بذلك وترا حساسا بين اكبر مجموعة من الناس ، محدثة فيهم ما يشبه الاثر التطهيري الذي اشار اليه ارسطو في كلامه عن شروط العمل الفني ٠

والفن ، اي فن ، لا يمكن ان يكون شكلا بغیر مضمون ، او مضمونا بغیر شكل ٠ وفي كثير من القصص الفكاهية او النكت يتوفّر عنصر واحد هو الشكل ، ذلك الواقع البراق الذي قد يبهر الناس لحظة ، ولكنهم حين يتطلعون الى داخله لا يجدون شيئا ٠ هذا الشيء المفقود هو المضمن ٠ وهو العنصر الآخر الذي يمكنه - بالإضافة الى الشكل - ان يسبيغ على القصة الفكاهية صفة الفن الجميل ٠^(٢٧)

والنوادر والدعابات والنكات هي مراحيل اولى لابداع القصص الفكاهي ، ولا بد من توفر العنصر الذهني فيها جميعا ، لانه الاساس في فن الفكاهة ، وليس كل ما يضحك يمكن ان يسمى فكاهة ٠

وقصص الفكاهة تميّز بالقصر والبساطة ، وتكون عقدتها في النهاية وتستمد موضوعاتها من الحياة اليومية او في احيانا اخرى تبتعد عن الواقع فترى شخصياتها شاذة او غريبة ، ونشهد احيانا فيها حوادث لا يمكن لها ان تحصل في الحياة الاعتيادية ٠

وترجع بعض اصول قصص الفكاهة الى الحكايات الشعبية المرحة التي تداولها الشعوب المختلفة ٠ وتشير الدراسات الفولكلورية ان اجيالا متعاقبة ظلت تردد بعض الحكايات المرحة مئات السنين ، وبلغ من انتشارها ان رددتها اكثر الشعوب في العالم رغم تباعد المسافات وقلة الاتصال في تلك الفترات ٠

ومن الاشكال القصصية الفكاهية البسيطة : النكتة ، وهي - في العادة - تلميحة الى شيء خفي ٠ وتميز - النكتة المناسبة للطفل بتناسبها مع

قدرات الاطفال على اكتساب معنى ذلك التلميح من تلقاء انفسهم .

اما النادرة ، فهي حكاية قصيرة تتركز حول موقف يبعث على الفكاهة وهي اطول نسبيا من النكتة او هي «الاقصوصة التي لا تطول الى درجة الحكاية الهزلية ولا تقص الى النكتة» وهي تعكس صورة للمجتمع في فترة ما وفي مكان ما .

والحكاية المرحة ، هي الاحداثة القصيرة المنشورة او المنظومة التي تحكي نادرة او سلسلة من النوادر ، وتنتهي الى موقف فكه مرح و يؤخذ موضوعها من الحياة اليومية

ويأخذ الناس موضوعات هذه الالوان من الحياة اليومية، لذا تندر فيها الخوارق، « وقد تقوم بين الناس على تسجيل موقف يمتاز بعضها بالمقارقات المضحكة او الاخطاء التي تصل الى الجماعات ، وبعضها تظهر فيه الاكاذيب والبالغات المفرطة ، وبعضها تلعب فيه العابا مضحكة ، وبعضها يقوم على بلادة افراد في المجتمع (٢٨) »

والحكايات والقصص الفكاهية تشابه في بعض جوانبها قصص الهزليات المصورة Comics ، وهي تعتمد في حوادثها على المصادفات النادرة المثيرة ، كما تنتهي - في الغالب - بصدفة غريبة ، لذا تبدو في اکثر الاحيان مختلفة في بنائها القصصي .

ويلاحظ اليوم ان وسائل « ثقافة » الطفل التجارية تعطي الفكاهة النصيب الاوفر ، مستغلة ميل الاطفال الى الضحك والمرح . ففي ميدان الصحافة ، نجد صحفا متخصصة في فبركة الفكاهات من خلال النكت والنوادر وقصص الهزليات .

وعلى اية حال ، فان طابع الفكاهة والروح الخفيفة ينبغي ان تظل دائما سمة مهمة من سمات الوان ادب الاطفال عموما لا من خلال القصص الفكاهية وحدها .

المبحث السابع

القصة التاريخية

قرأنا تاريخنا في المدارس وكأنه مجموعة من الحوادث التي يسلسلها الزمن وحده ، دون أن نجد ما يربط بين الأسباب والنتائج . وكتب علينا أن نحول ذاكراتنا إلى خزائن تطفح باسماء الامكنته والأرقام والأزمنة ، كما كتب علينا أن ثبت في عقولنا – من خلاله – افكاراً ومفاهيم خاطئة . وسررت تلك الأفكار والمفاهيم بينما مثلما تسرى العملة الزائفة ، تتدولها دون أن تتبين مواضع زيفها .

قرأناه ، ولم نلمس فيه بطولات الشعب بينما أحيط أقزام بهالات التمجيد . وعرضت لنا بعض الواقع وكأنها مسلسلات بوليسية أو جرائم ثأر ، أو مؤامرات غادرة . وطلب علينا أن نحفظ على ظهر قلب أعداد القتلى الذين ذبحوا بالسيوف وأولئك الذين دفعوا في الخنادق أحياء ونحفظ إلى جانب ذلك أعداد المغائز نعاجاً ومامعاً .

ولم نستطع أن تدبر – من خلال ذلك – مسيرة تطور المجتمع وطبقاته

الاجتماعية وكفاح قوى الشعب . فكان من نتيجة ذلك ، ان ارتسست في اذهاننا صورة غير واقعية عن شخصيتنا القومية .. هذا مع علمنا ان الصورة التي يرى المجتمع فيها نفسه وترائه تشكل له جانبا من مستقبل مسيرته بصرف النظر عن ضخامة ذلك التراث او ضآالته .

وتاريخنا العربي المدون، هو مزيج من الحقائق والاوهام، وقد كتب بعضه افراد تأثروا بمؤثرات البيئة القبلية والطائفية والعنصرية . كما كتب بعضهم فصولا بدوافع عصبية ومذهبية ، وبعضهم الآخر كانت النزعات البدوية طاغية عليهم ، ولا يمكن ان نفصل بين كتابة التاريخ والسلطات المستبدة التي سيطرت على العرب قرونا عديدة ، والتي صبغت التاريخ بالصبغة التي ارادت . يضاف الى ذلك ان اكثر المستشرقين الذين كان لهم دور في كتابة جانب كبير من تاريخنا كانوا متأثرين الى حد ما بالفكر الغربي .. وهناك من سطر التاريخ على انه مجتمع من العبر والتجارب ، وفي هذا تجريد للمسيرة الانسانية الطويلة المرهقة عن نضالها من اجل التقدم ، لأن احداث التاريخ سلسلة متكاملة الحلقات لا يمكن فصل الواحد عن الاخر ، ولا يمكن لحلقة ان تتكرر بذات الملامح اكثر من مرة واحدة ، وتكررها يعني وهذه في المسيرة الانسانية واتكاسة لها^(٢٩) .

وحتى اليوم ، ما تزال نزعات اغلب مؤرخينا ذات طابع تقليدي ، قد لا تختلف كثيرا عن النزعات التقليدية القديمة ، كما ان كثيرا من مؤرخينا متأثرون بالفكر الغربي بسبب عوامل عديدة .

وباختصار ، يمكن القول ان تاريخنا لم يفهم بشكل سليم ، كما انه لم يكتب بعلمية علمية . وليس عيبا ان يتضمن تاريخنا شوائب لا حصر لها ولا عد ، بل المعيب ان نبقى على ذات الخط ، وتمثل بذات المفاهيم البالية ، ولا يمكن ان تتجاهل ان توارييخ الامم الاخرى لا تخلو من كثير من الشوائب والاوهام .

ويشير كثير من المفكرين الى ان بعض جوانب الماضي لا تقف حجر عثرة فقط بل لها تائجها النفسية والاجتماعية الضارة لدى الامم والشعوب، اذ كثيرا ما تتولد في صفوف المجتمع عقد عديدة من بينها ما يسمى : بمركب الغرور ، الذي يصرف تلك الامم والشعوب عن تقبل ما هو جديد بحججة عراقة الماضي ووجوب اعادته من جديد .

ودراسة تاريخنا اذ لم تستكشف القوانين الاساسية للتطور الاجتماعي والقوى الصانعة للحياة والحركة لها ، وهي ان لم يجعل من الدارس يحس بالارتباط العضوي بالمجتمع باعتباره فردا فيه يعطي عن طريق ذلك الارتباط دفعا لعجلة التطور ، فان تلك الدراسة لا تعني شيئا . لأن التاريخ ليس تجيئا للواقع ، ولا هو مجموعة وقائع او معاهدات او ارقام ، بل هو هذه كلها متداخلة ومتفاعلة ، ومؤثرة ومتاثرة . (٣٠)

ودراسة التاريخ العربي ، تظل غير فاعلة ان هي ظلت تفصل بشكل مصطنع بين تاريخ هذا القطر او ذاك لانا بذلك نسقط ابرز ميزة من ميزات الشعب العربي وهي التاريخ المشترك . واذا كانت قوى الاستعمار قد توفرت الاقطار العربية فيما بينها فان هذه الاقطار قد واجهت مجتمعة لونا واحدا من الاضطهاد والاستعمار الذي لم يختلف في جوهره ، وان اختفت مظاهره .

واذا كان هذا شكل التاريخ العربي بوجه عام فان تقديميه للأطفال يظل اكثر حساسية وشد خطرا ، وعلى ذلك يستلزم تقديم هذا الراد الثقافي الى الاطفال في وجبات لذيدة طيبة ، يستمرئونها بملء نفوسهم ، لتشبعهم وتسمنهم .

ان تقديم التاريخ للأطفال يستند الى مركبات أساسية من الضروري ان تدخل في حساب من يحاول كتابة التاريخ للأطفال ، وتتقرر هذه المركبات من خلال الجوانب التالية :

١ - يرتبط التاريخ بالزمان ، ومفهوم الزمان بالنسبة الى الاطفال

مفهوم غامض ، ومدلولات الرموز الزمانية كالاسبوع والشهر والسنة والقرن غير واضحة في اذهان الاطفال ، لافها رموز مجردة ٠

وقد اثبتت تجارب « استرت » و « ريلو » انه يتعدى على الطفل قبل سن التاسعة او العاشرة ادراك المدلولات الزمنية التاريخية ٠ ولهذا السبب نجد استيعاب الاطفال للحوادث التاريخية قبل هذه السن لا يتعدى حفظ تواريخ هذه الحوادث ، دون ان تكون لديهم القدرة على تتبع الاذوار التاريخية ، وربط هذه الاذوار ببطا يدل على ادراك يتضمن معنى التتابع الذي يدل على التطور (٣١) ٠

ويرى « برت » ان تلذذ الطفل بالتسليسل الزمني والسبب والنتيجة محدود الى حد ان كثيرا مما يقدم له الان بشكل تاريخ هو فوق مستوى العقلي

٢ - يرتبط التاريخ بالمكان ، ومع ان مفهوم المكان اكثر وضوحا من مفهوم الزمان لدى الطفل الا أن هذا البعد غير واضح ، ويترافق ووضوحه بنمو الطفل عقليا وعاطفيا واديا ٠

٣ - يجد الاطفال صعوبة بالغة في ادراك مفهوم حركة التاريخ لاعتماد هذه الحركة على البعدين آفاقى الذكر معا

٤ - ان وقائع التاريخ وحوادثه لا تقع تحت خبرات الطفل المباشرة ٠

٥ - ان الواقع والحوادث تتميز بتشعبها وتعقدتها ، اذ منها ما هو سياسى ومنها ما هو اجتماعي ومنها ما هو فني .. ومنها ما يتصل بافراد ومنها ما يتصل بجماعات مما يجعلها ثقيلة على قدرات الطفل ٠

ويدفع هذا الالتوافق « الظاهر » بين طبيعة التاريخ وطبيعة الطفولة بعض المربين الى المناداة بضرورة ترك تعليم مادة التاريخ الى ما بعد هذه المرحلة من نمو الانسان حتى تنضج مفاهيم الزمان والمكان لدى الطفل وتنمو قدراته على الادراك المجرد ٠ ولكن تبدو لمعظم المربين انه من

الضروري للاطفال أن يعرفوا كيف يضعون أنفسهم وتدریجياً وبشكل صحيح في سياق الزمن وفي مكانهم من المجتمع ، ثم ضمن النوع البشري كله الذي ليس له وجود خاص الا من خلال الزمن . ومن المعروف ان تعليم التاريخ نفسه للاطفال يساعدهم على تحقيق هذا الامر . ويمكن للتاريخ أن يدرج نمو مفهومي الزمان والمكان لديهم وان يعمل على تعميقهما ، فاذا كان الاطفال ينزعون في السادسة والسابعة من أعمارهم الى رؤية الحوادث وهي « تسبح حرة » في فراغ ، أي دون اطاري الزمان والمكان ، فإنهم يبدأون بادرأك العلاقات الزمانية بشكل أفضل في الثامنة والتاسعة ، وان بقيت مغشاة بستار من الابهام ، أما في الحادية عشرة والثانية عشرة فانهم يصبحون أكثر انسجاماً وتفهماً لها وتبداً غشاوة الغموض بالانقسام . ومن الضروري التنويع الى أن الطفل المعاصر قد أصبح أكثر قدرة على التغلب على تلك الصعوبات الفكرية من طفل الماضي ، وان مفاهيم الزمان والمكان والحركة لم تعد بعيدة عن ذهنه بعدها عن ذهن هذا الاخير ، لأن الأفق المحدود ببيئة الحسية المباشرة لطفل الماضي أصبح أوسع وأوسع بالنسبة الى الطفل المعاصر بفضل وسائل الاعلام المختلفة وخاصة الوسائل السمعية - البصرية كالتلفزيون والسينما^(٣٢) .

بعد هذا .. ما الذي تستهدفه اذن من الادب التاريخي المقدم للاطفال ؟

ان الاطفال هم صناع المستقبل ، صناع التاريخ الجديد ، وهم لا يمكن لهم أن يبدأوا من الصفر ، كما ليس من الصحيح أن يبدأوا من وعي خاطئ بال التاريخ ...

وهذا اللون الادبي يعني للاطفال أن يتلمسوا ، بعض التلمس ، ان الواقع الذي يعيشون فيه هو حصيلة عوامل مترادفة مع بعضها ، وان المستقبل هو ثمرة عوامل تتعامل في واقعهم ، والجهود التي تبذل اليوم

هي التي تقرر صيغة الغد ، وان للإنسان القدرة على التغيير والتطور وعلى تشكيل حياة جديدة باستمرار ٠

كما يمكن ان يدخل في روعهم معاني العمل الجماعي والتعاون بين الأفراد والجماعات ، فلا يكفي أن يعرف الأطفال شيئاً عن الاصروح والآثار الشامخة التي خلفها الأقدمون ما لم يتعلموا أن ذلك كلّه لم يقرر له أن يكون لو لا تضافر جهود البشر وتعاونهم ٠

ويسمى هذا اللون الأدبي في تنمية الحاسة الاجتماعية ، ذلك اذ البحث في العوامل المؤدية الى اللامبالاة والانزواء والانطواء من جانب الأفراد يؤكد أهمية التنمية الاجتماعية للأطفال عن طريق تأكيد أهمية شعور الفرد بدوره في المجتمع ، كما يمكن ان يسمى في تنمية الولاء للوطن وتأجيج الشعور الوطني والقومي لدى الأطفال « فال التاريخ عامل اساسي في تحريك الوعي القومي ، وتنميته بين أفراد الامة يثير في الطالب روح الثقة والاعتزاز ٠ وتحرك الواقع والحدث فيه الفكر الحر وعمقه ، وتكسبه الخبرة وتمده بالعبرة » (٣٣) ٠

وال التاريخ الموجه قومياً من أقدر مواد المعرفة الإنسانية على بناء الروح الوطنية والقومية بناءً صلداً ، ولاسيما اذا تلمسه المواطن منذ مرحلة الطفولة وان فعل باحداثه ٠٠

ويتمكن للأطفال من خلال التاريخ أن يميزوا بين القيم والمفاهيم المتناقضة ، كأن يفهموا أن الصراع ضد الطبيعة من أجل الخير العام قيمة أساسية في حياة الإنسان ، وصراع الجماعة ضد الطامعين قيمة أساسية ، ولكن صراع الجماعة من أجل السيطرة على غيرها ومن أجل حرمانها من حقوقها أو صراع الإنسان من أجل اغراض اثانية هي قيم سيئة ٠ ومن خلال ذلك يتبيّنون معانٍ للخير والشر في الحياة الإنسانية ٠

وفوق هذا وذاك يمكن للتاريخ أن يثير تفكير الأطفال وينمي ويتوسّع من آفاق خيالاتهم ، ويشبع من فضولهم ٠

وقد يتبدّل — بعد هذا — إلى ذهن القارئ التي أفضت في الحديث عن التاريخ قبل أن اتناول القصة التاريخية ، ولكنني أرى أن التاريخ في حد ذاته ليس إلا قصة طويلة ، رغم افتقارها إلى بعض عناصر القصة .

يشير المربون أن أكثر ألوان الأدب حيوية وامتلاءً بالصورة الحية الموجية للأطفال ، واقوها جاذبية ومتعة لهم هو القصة . ويقول المؤرخ لافيس « إن تعليم التاريخ للأطفال يجب أن يكون تابعاً من القصص كالتالي يرويها الأجداد للأطفال » .

والمربي « لوري » يرى أنه « لا يمكن أن يكون التاريخ للأطفال منطقياً سبيلاً ، ولا يمكن أن يكون كذلك في سن السابعة عشرة إلا بقدر جزئي ، ولكنه يمكن أن يكون دائماً ملحمة أو تمثيلية أو أغنية ، وأن التاريخ حتى في سن العاشرة يجب أن يكون حكاية تروى » .

اما المربي جونسون ، فيقول : « إن كل نوع من التاريخ هو تاريخ الأطفال اذا عرض باسلوب من الأمثلة المحسوسة والتمثيل المادي للأشياء والأعمال والوصفات اللفظية والقصص الغنية بالمادة التي تساعده على التخيل والحالات العقلية التي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأشياء مما يمكن ان يتصوره الطفل في وضوح » (٣٤) .

والقصة التاريخية هي تسجيل لحياة الإنسان ، ولعواطفه واقعاته في إطار تاريخي ، ومعنى هذا أنها تقوم على عنصرين ، او لهما : الميل إلى التاريخ وفهم روحه وحقائقه ، وثانيهما : فهم الشخصية الإنسانية وتقرير أهميتها في الحياة (٣٥) . وهي في واقعها الأدبي مزيج من الحوار غير المباشر والترتيب الزمني للأحداث مع وصف للأمكنة والأشخاص والحالات الاجتماعية والطبيعية التي تمر بشخصيات القصة . فالقصة كمط كتافي — قادرة على نقل المعرفة التاريخية إلى الأطفال ، كما أنها أقدر ألوان الأدب على توليد الاتجاهات المرغوب فيها لديهم ، وترسيخ القيم المعنوية ، وذلك عن طريق استشارة

مشاركتهم العاطفية للنماذج من السلوك الانساني التي تقوم بتقديمها وللمواقف الانسانية التي تصورها^(٣٦)

والقصة التاريخية ، اسلوب من اساليب اخراج المحتوى التاريخي وعرضه ، وهي قد تتخذ نوأة لها سيرة شخصية تاريخية ، وقد تتخذ اي موضوع تاريخي اخر تحرك فيه من تراه من الشخصيات وتصف فيه اوضاعا شتى^(٣٧) .

ويبحث كاتب القصة التاريخية في العادة عن بيئة القصة في كتب التاريخ ، يستخلص منها اوصاف البيئة الطبيعية والاجتماعية ، ويلتقط اوصاف الملابس واخلاق الناس وعاداتهم في تلك الفترة ، وهو - بطبيعة الحال - لا يتقييد بها تقيدا تاما ، انما يستعين بها على تصور الفترة ، ويترك لخياله اللمسات الفنية الاخيرة ، التي تصهر هذه المساعدة وتمزجها مزجا تاما وتحيلها الى مهاد ملائمه تتحرك عليه الحوادث ، وتسعى فيه الشخصيات^(٣٨) . وكاتب القصة التاريخية يختلف عن الكاتب الذي يستمد موضوعه من الحياة العصرية المحيطة ، لانه مضطرب الى الاعتماد على الخبرة التي تأتيه بالواسطة ، اذ يجمع مادته القصصية من مصادر التاريخ^(٣٩) .

وهناك من كتاب القصة التاريخية من يدعوا الى عدم التقيد بالتاريخ اذا ما اعترض التطور الفني للقصة ، وتطويع الحقيقة امام البناء القصصي ، وهناك اخرون يكتفون بتقديم الحقيقة في بناء قصصي ، وآخرون يصورون الحقائق تصويرا خياليا .

ولا يمكن اعتبار الحكايات الشعبية ذات السمة التاريخية ضمن هذا اللون القصصي رغم احتواها على بعض الحوادث التاريخية ، لانها تضم الى جانب ذلك خرافات وشطحات خيالية ، اضافة الى انها لم تستهدف في الاساس الحقيقة بل كانت تعنى بغراضا اخلاقية قبل كل شيء .

والتاريخ الذي تصوره الحكايات ليس كال التاريخ الذي نعرفه ، بل هو تصوير للحياة الوجدانية التي عاشها العامة في ظل احداث كبيرة او في ظل

شخصيات كبيرة ، فالحروب الصليبية ، يمكن ان نجدها في التاريخ حملات وموقع وملوكا وهزائم وانتصارات ، ونجدها في الحكايات الشعبية معارك انتصر فيها الخير بكل السبل ، بما في ذلك القتال واتيان العجذات والخوارق ، ونجدها نوازل نزلت بالمسلمين ، فتصدوا لها فرسانا ومحاربين وتجارا وعلماء ، ثم اولياء قادرين ، واتباعا ودراويش شجعانا ٠

وبسبب الحرص على تحقيق المغزى الاخلاقي في الحكايات الشعبية نجدهم يضعون هارون الرشيد او سيف بن ذي يزن او الظاهر بيبرس او عنترة وكأنهم اشخاص عاشوا في فترة واحدة .. انهم ينظمون هؤلاء الاشخاص في سلك واحد ، دون نظر الى فوارق الزمان والمكان ، واذا كان الغرض الاخلاقي يتحقق بان يصرع ابو زيد ألفا في معركة واحدة فانهم ينشئون مثل هذه المعركة انساء ، ويصرعون الالف فارس بضربات السيف وطعنات الرمح ودقائق الابر ٣٩ ٠

ومع اذ « تراجم السير » ليست قصصا الا اننا نلاحظ فيها من تراجم السير تنشرها صحفة الاطفال في مختلف بلدان العالم ، وخاصة في البلدان الغربية على انها قصص تاريخية تتحدث عن ابطال عسكريين ورجالات وقراصنة ، واحيانا تتناول اشخاصا خياليين يأتون بالاعمال الكبيرة ، واحيانا تصل بها القدرة الى الاتيان بالخوارق ٠

اما الصحف اليسارية فهي وحدها - بحكم اخلاصها لمبادئها - اعتنت فكرية معالجة التاريخ على اساس حياة الناس افسهم ، وعلى اساس حركات تقوم بها جماعات كبيرة واعية لا على شكل سلسلة من ابطال خارقين القدرة . وقد اتجهت في هذا المجال قصصا طريفة عن الثورتين الروسية والفرنسية وال الحرب العالمية ٤٠ ٠

ولما كانت الصحافة التجارية توجه عناية اكبر الى الوحدة المسرحية في سياق القصة ، وتحاول تركيز الاهتمام في واحدة او اثنتين من الشخصيات

الرئيسة ، فقد تعمدت اغفال تقديم اي ايضاح انساني للشخصيات التاريخية او شخصية اخرى لا تناسب التصوير الخيالي^(٤١) .

وتورد الدكتورة ليل الدباغ في دراستها المقدمة الى حلقة العناية بالثقافة القومية للطفل المقامة في بيروت في ايلول ١٩٧٠ مجموعة من العناصر التي يمكن ان تتوفر في القصة التاريخية ، منها :

- ضرورة استناد القصة التاريخية الى نواة تاريخية حقيقة .

- ان يعمل الكاتب ، قبل تركيبها حول النواة ، على تحليل تلك النواة او الموضوع الذي يجب ان تدور حوله الى الافكار الرئيسة التي تتضمنها ، والشخصيات التي يراد تحريكها في نطاقها حتى تكون القصة بكل مركباتها واضحة تماماً للقاريء الصغير .

- تحديد الكاتب قبل صياغة القصة الصور التي يمكنه بها تقرير تلك الافكار الى الاطفال ، على ان تكون تلك الصور مرتبطة بخبرتهم الحسية المباشرة ، او لها مشخصات في اطار بيئتهم ، كما عليه ان يتمثل الحركة التي يجب ان تقوم بها الشخصيات في القصة لتنقل الافكار والمشاعر والاتجاهات نacula خفيا الى الاطفال . اي دون شعور منهم بأنها تفرض عليهم فرضاً .

- بدء القصة القصيرة بتمهيد يكون الفرض منه اثاره اتجاه الطفل وتسويقه لمتابعتها . وقد يكون التمهيد الطلب الى الطفل القاريء ملاحظة صورة في الكتاب تمثل بعض شخصيات القصة او تدور حولها او حول بعض نواحيها او يكون التمهيد ربطا مع حادث حاضر يتحسسه الطفل مباشرة في بيئته ، او ربطا مع احداث سابقة او اية خبرة سالفة لدى الطفل .

- تحديد الاطارين الزماني والمكاني لموضوع القصة اما بكلمات «منذ زمن بعيد جدا» او «بعد الحادث الفلاني» - اذا كانت للطفل خبرة به - او بتقريب مفهوم البعد الزماني الى ذهن الطفل عن طريق ربطه بعمر الطفل نفسه او عبر خط زمني بسيط وواضح ومرسوم او عبر لوحة زمانية . وذلك

بحسب مرحلة نمو الطفل الذي يكتب له ، اما الاطار المكاني فيحدد كذلك بحسب مرحلة نمو الطفل اما بالقول «في مدينة كذا بعيدة عنا ، او البعيدة جداً » او بموازنة بعد المكان ببعد مكاني معروف ومؤلف لدى الطفل ٠

- تقديم وصف للمجتمع في تلك البيئة وخاصة في مجالات : الطعام ، والمسكن ، والملابس ، وحياة اطفاله وهو اياتهم ، وبعض العادات والاعمال ٠

- توضيح الشخصية في الاطار الوصفي ، اذا كانت القصة تدور حول ترجمة شخصية ما وتحريكها فيه ، وتوضيح اعمالها مع التأكيد على ما ينزل ما فيها من فكر عملي ، ومشقة ٠

- ان يفصل الكاتب نسبياً في المواقف التي يراد التأثير فيها ، او تكوين اتجاهات معينة من خلالها مع شحن الاسلوب اللغوي بطاقة عاطفية تعمل على ذلك التكوين والتثبيت ٠

- ان تكون المعلومات المقدمة للاطفال في القصة زاخرة بوصف مسهب ودقيق وملون بالف لون ولون ٠ ومن المستحسن ذكر اشياء صغيرة قد تبدو للراشد تافهة ٠ فمن هذا التفصيل المسهب تتكون لدى الطفل اطباعات عامة اهم بكثير من الانطباعات الناجمة عن سرد مجموعة من الحقائق الجافة ٠ فاذا كان الحديث يجري حول معركة حربية خاضها بطل القصة مثلاً فلا بد من وصف للسلاح الذي حارب به ولباسه ، وای نوع من المطايير كركب وكيف كر وفر او صال وجال ٠

- ان يكون الاسلوب اللغوي حياً وجذاباً ومشوقاً وزاخراً بالصور الحسية ٠

- ان ترافق متن القصة صور ورسوم واسكال ، وان تتم الملاءمة بين هذه الصور والرسوم والاسكال والمتنا والمادة الموضوعة للتوضيح ٠

المبحث الثامن

القصص العلمية

كان سعي الانسان حيثما اقدم الا زمنة لان يعرف العالم وظواهر الكون . وهذا السعي اشد حدة لدى الاطفال . فالعالم يبدو امامهم غريبا ؛ يتتعاقب فيه الليل والنهار ، وتتوالى الفصول ، وتتقع كل يوم ظواهر مدهشة دون ان يعرفوا لها سببا او تفسيرا ، لذا تراهم يتساءلون بالحاج عن كل شيء . وفي احيان كثيرة يواجهون المخاطر بحثا عن حقيقة معينة . انهم مغرون بالاستطلاع .

وحب الاستطلاع ، من اثمن صفات الانسان ، ولن يقف العالم ساكنا طالما كان هناك اناس يسألون : لماذا ؟ كيف ؟ وماذا لو ؟ .

وحب الاستطلاع ، هو حقا دافع كبير للابداع . ويولد هذا الدافع في الطفل حتى قبل ان يستطيع الكلام ، ويأخذ بالظهور ، قبل ان يستطيع ان يحبه ، وكلما نما الطفل اصبحت تقصياته اكثر تعقيدا واسع مدى بكثير . ومع ان الطفل يندفع نحو الاستطلاع منذ صغره من تلقاء نفسه ، الا ان

هذا الاتجاه بحاجة الى تشجيع وابداع دائمين . ويمكن اثارة هذا الحب دون فرض لأن هذا الفرض يشيع في نفس الطفل الضيق . وتتخذ سبل اثارة هذا الاتجاه سبلاً شتى .

ويمتلك الاطفال قدرة كبيرة على التخييل ، ولكن هناك تخيلاً انشائياً او تكوينياً وآخر هداماً ، ويؤدي الاول الى البناء بينما يؤدي الثاني الى الهدم ، لأن الاخير يبعد الطفل عن عالم الحقائق الى عالم الاوهام كتخيل العفاريت والاشباح وما الى ذلك . . . وتستهدف القصص العلمية ، بين ما تستهدف ، حفظ اتزان خيالات الطفل والحيولة دون انزلاقها الى الاتجاه الثاني .

وحب الاستطلاع والتخييل عمليتان تمضيان معاً في طريق واحد في الاطفال الاسویاء ، ولكنهما تتقابلان او تتقابلان في الاطفال غير الاسویاء . والخيال اثنان ما يستكمله الفرد والمجتمع ، وكان المربى الانكليزي المشهور ولتون Welton Z. يقول : « ان رقي النوع الانساني من ألقه الى يائه يرجع الى شيئين هما : تخيل امور افضل من تلك التي في بيئتنا ، وبذل الجهد في سبيل ابرازها الى عالم الحقيقة . وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي الا صور مجسمة للتخيالات ، سواء في العلوم ، او الاداب او الموسيقى او القانون او الانظمة الاجتماعية او الاخلاق او العقائد الدينية ؛ اذ انه من المستحيل ان يتصور الانسان كائناً أعلى منه منزلة بدون قدرته على التخيل » .^(٤٢)

ويقول الشاعر الانكليزي ومؤلف الروايات التمثيلية كريستوفر فراي : « ان اول حاسة يجب علينا ان نهتم بها هي لا تصدأ بسبب عدم الاستعمال هي الحاسة السادسة المتمثلة بالخيال . فالخيال هو الذي يجعل العالم يبدو جديداً لنا كل يوم ، وهو الذي يبعث الحياة في العظام وهي رميم ، لا ي موضع كان فيتنى بسر الخلقة » .^(٤٣)

وإذا كان هذا كلام شاعر ، ثروته الخاصة هي خياله ، فإن العلماء والساسة لم يكونوا يختلفون عن ذلك ، وهما علماء يقولون : « يجب ان

نسمح لا خيلتنا ان تسرح في اقل الامكانيات احتمالا ، ويجب ان يكون الباحث الاصيل قادرًا على ان يحلم وان يشق في احلامه ٠٠ ٠ بل ان فلاديمير ا لينين المعروف بجديته ، يقول : « ليس من المعقول اغفال دور الخيال في العلوم ، وحتى في اكثرها جدية وصرامة » . فالخيال هو روح الفنون والعلوم والاداب ، ومحرك الابتكار ، وهو القوة التي رافقت تطور الانسان ، دافعة ومفسرة وملهمة . وهو الاساس في كل نشاط ابداعي ، علميا كان ام تكنيكيا ام فلسفيا (٤٤) .

ولو تذكروا افضل الخيال على الحضارة في المجالات المختلفة ، لوجدنا ان جميع من يدين لهم العالم بالتقدم والابتكار والاختراع والابداع كان لخيالاتهم الشخصية دور بارز فيما ابدعوه ٠٠

ونحن اذا اجبرنا الطفل على التقليل من خيالاته ، والتزام حدود الواقع الملموس ، قتلنا كل بهجته بالحياة . ويكتفي لادراك قيمة الخيال باعتباره ينبوعا للفرح بالحياة - مثلا - ان تتذكر احوالنا نحن الكبار ، وكيف ان فرصتنا المحدودة للمرح والحبور هي في الارتداد الى براءة الاطفال وانطلاقهم في الخيال ، سواء في التصور او التمني او اللعب . وليس عيب الحياة الجادة في نظر الرجل الحكيم سوى ضالة جانب الطفولة البريئة ، وضمور الخيال في اعمالنا واهتماماتنا الواقعية . ولهذا تلمس الترويح عن النفس في مجالات تشبه حياة الطفولة اعظم الشبه ، فالروايات التمثيلية والقصص والألعاب التي نمارسها عندما تلهو هنا وهناك ، انما هي تنفيذ محكم لخيالاتنا عندما كنا اطفالا (٤٥) .

ويبسيط الخيال آفاقه الى ما وراء ما هو ملموس واضح ، ويعين على تصور امكانيات جديدة ، والربط بين الافكار التي تبدو - اول الامر - متباينة ، وتوجيه الحقائق القديمة توجيهها حديثا .

ودور المخيال لا يقل عن دور العقل نفسه في تفهم الحقائق ، بل هي عين العقل التي ترى ما هو غير منظور ، وتقدر الجمال المستور في البواطن .

وهي تنمو في الطفل مع نموه ، وتحتختلف في مداها من طفل الى آسر . وقد اثبتت التجارب تفوق المخلية في ادراك كثير من الحقائق .

ومع ان ادب الاطفال عموما له نصيب كبير في تنمية خيالات الاطفال الا ان القصص العلمية في مقدمة ما يثير خيالاتهم وينمي قدراتهم العقلية ، حيث ان كل اثارة سلية في خيال الطفل لها دورها في تهذيب تفكيره الطفل والتمهيد لأن يتسع عقله لمنطلقات ومفاهيم ومعلومات جديدة ..

والقصص العلمية التي اختلفتها الانسان في العصور السحرية هي قصص خيالية صرفة ، وظلت كذلك ، حتى وقت غير بعيد ، حيث بدأت بعض الحقائق تحتل موقعها لتمازج الخيال .

ففي القرن التاسع عشر ، وبعد النهضة التي شهدتها العالم في جميع المجالات ، برب الى الوجود ادب جديد هو الادب العلميخيالي ، وهو ادب يتخذ من الظواهر العلمية وارهاساتها المقلبة ، والتنبؤ بها ، وانعكاسات ذلك كلها على عالم المستقبل ومصير الانسان كأساس ترتكز عليه الحوادث ؛ انه درب يصور المستقبل من وجهات نظر مختلفة (٤٦) .

واهتمامات الانسان منذ عصور ما قبل التاريخ بأماكن بعيدة كانت اهتمامات كونية ، قبل كل شيء ، فقد تطلع الانسان بعيدا الى الكواكب والاجرام السماوية قبل ان يتضح موقع اقدامه على الارض ، واطلق لخياله العنان وارسل بصره نحو الافاق البعيدة قبل ان يعي واقعه ، وحاول ان يسبر غور الاجواء البعيدة ، قبل ان يتعرف الى دواخل نفسه ، وربما ما يزال يحذو ذات الحذو لذا لا عجب ان وجدنا ان علم النفس هو احدث العلوم ، بينما كانت علوم الفلك والأرصاد من اقدم العلوم .

ولكن ، رغم سعي الانسان الحديث ، في ازمانه البعيدة ، لمعرفة اسرار الطبيعة والكون لم يستطع التعرف الى تلك الاسرار فراح ينسج الخرافات

والاساطير محاولاً كشف الغوامض والوقوف على الاسرار واحتواء الطبيعة
من خلالها .

وحيث ان عصر الاساطير قد انتهى منذ ازمان بعيدة ، لأن العقلية التي
انشأتها قد انتهت ، فقد كانت بعض قصص الخيال العلمي بديلاً عن الاساطير .
وفد هيئات الاكتشافات العلمية العظيمة لكتاب كثرين ان يطلقوا لاخيلتهم
العنان ليكتبوا قصصاً تتحدث عن المستقبل وافق الحياة .

وقد كتب الروائي الفرنسي جول فيرن (١٨٢٨-١٩٠٥) عدداً من
الروايات عن رحلات خيالية ضمن اطار علمي في جو من التنبؤات استبق بها
حدود العلوم المعروفة في عصره ، منها « خمسة اسابيع في بالون » و « رحلة
إلى باطن الأرض » و « رحلة من الأرض إلى القمر » و « أعمق المحيط » و
« حول العالم في ثمانين يوماً » .

وظل جول فيرن Jules Verne اثنين وأربعين عاماً يواصل التأليف ،
واتبع خلال هذه الفترة أكثر من مئة من المؤلفات ، وكان يصف مشاهد يتخيّلها
في رحلات براً ، وبحراً وجواً وفي جوف الأرض وتحت سطح الماء ، وفي أنحاء
القمر وكواكب السماء .

وقد تنبأ جول فيرن بكثير من المخترعات المعروفة اليوم ، وفي مقدمتها :
الطايرة ، والغواصة ، والمدفع الذري ، والسينما ، والتلفزيون والقذائف التي
توجه من بعيد . وقد تحققت نبوءات الكاتب واحدة بعد واحدة ، واصبحت
اماً واقعاً .

وفي كتاب له بعنوان « الملايين الخامسة » - تنبأ بمستقبل العلاقات
بين فرنسا والمانيا ، فتخيل فرنسيًا ينشئ مدينة ضخمة ، والمانيا يخترع
مدفعاً بعيد المدى لتدميرها ، ولم تمض عدة سنوات حتى كان الالمان يضربون
باريس ، في الحرب العالمية الاولى بمدفع سموه (برتا) نصبوه على مسافة

بعيدة منها . وفي الحرب العالمية الثانية ضرب الالمان لندن بقذائف اطلقواها من الساحل الاوربي (٤٧) .

كما كتب هربرت جورج ديلز H. G. Wells (١٨٦٦ - ١٩٤٦) « آلة الزمن » عام ١٨٩٥ اردها بقصص علمية اخرى - اشهرها « الرجل الخفي » اضافة الى مؤلفات في التاريخ (٤٨) ، وابدعت مخilitه مادة سمها كافوريت ، اذا طلي بها جسم من الاجسام حجبت عنه جاذبية الارض (٤٩) .

وفي عام ١٨٩٦ اصدر الكاتب الروسي فيدروف كتابا عن الملاحة بين الكواكب ، وكان من شأن هذا الكتاب - رغم ما فيه من عبث - ان بعث اهتماما كبيرا بهذا الموضوع في نفس عالم روسي اسمه تسيولكوفسكي (١٨٥٧ - ١٩٣٥) والذي يعتبر اول واضع لاسس علم الملاحة الفضائية . وهو صاحب النبوءة التي قالها عام ١٩١٣ [ان البشرية لن تقنع بالبقاء طويلا على هذه الارض ، بل انها ستتجاز في البداية تخوم الجو ، ثم تفتح الفضاء كله حول الشمس] .

ونشر تسيولكوفسكي نفسه ، والذي يعتبر ابو علم الفضاء السوفيتي ، في عام ١٨٩٣ كتاب « فوق القمر » كملحق لمجلة (حول العالم) وكان حدثا مهما في تاريخ هذا اللون من الادب ، فهو اول كتاب علمي خيالي يكتبه عالم . وكان التحليق في الفضاء آنذاك يعتبر ضربا من الخيال ، وكان يصور بطلا يسافر الى القمر في الحلم ويتحدث الى عالم القمر . وكتب عام ١٩١٨ قصة « خارج الارض » وفيها يسافر ابطاله على ظهر سفينة صاروخية الى الفضاء (٥٠) .

وكتب الكسي تولستوي روايته المعروفة « هيير بولويد المهندس جارين » التي يطرح فيها قضية العصر وهي استخدام العلم الذي اصبح قوة هائلة لمصلحة البشر . وتصور رواية (ايوليتا) التحليق الى المريخ ، ويشهد فيها ابطال الرواية عاصفة تغير البناء الاجتماعي في الكوكب .

ومن الكتاب اللامعين في هذا المجال السكناذر بيليايف (١٨٨٤ - ١٩٤٢)

الذي يطلق عليه لقب جول فيرن السوفياتي ، وقد اشتهر بشخصية اختيand - الرجل الضفدع - ثم بشخصية ارييل - الصبي الذي يحلق في الجو كالطير ، ويقوم ابطاله برحلات عجيبة ويطيرون الى القمر والزهرة ويفوضون الى اعماق المحيطات فهم باحثون في ميدان العلم والتكنيك ، مخترعون ، مدهشون ، نقوسهم عامرة بالشجاعة والمخاطرة .^(٥١)

وشهد اواسط هذا القرن ازدهار قصص الخيال العلمي ، وتوجهه الى الاطفال اضافة الى الكبار . وقد ساهم في ذلك عدد من تهياً لهم نصيب من الثقافة العلمية ، وبعضهم من العلماء والاساتذة . واكثر تلك القصص تتناول المستقبل ، لذا اسميت قصص الخيال العلمي بقصص المستقبل .

ويلاحظ ان هذا اللون من الادب يشيع بشكل واسع في البلدان الصناعية المتقدمة ، ومن ان بعض كتاب هذه القصص من العلماء الذين يمتلكون قدرات ادبية ، الا ان اغلبها من تأليف الادباء انفسهم الذين يستعينون بمحاصيل العلم الحديث ويضفون اليها لمسات خيالية .

وقد يبدو للوهلة الاولى ان الجمع بين العلم والادب في هذا اللون الادبي فيه شيء من الافتعال . ولكن واقع الحال يشير بوضوح الى ان الادب يتاثر بالعلم ، كما ان العلم يتاثر بالادب .

ويقول هرانيسون ، وهو احد كتاب علم الخيال :

« لا شك ان كتاب الخيال العلمي قد اوحوا الى العلماء بافكار تتعلق ببيان كثيرة في الطب والكهرباء والجيولوجيا وغيرها ، كما ان المؤلفات التي اصدرها هؤلاء الكتاب اعطت مفاهيم شتى لعلم الخيال الذي اخذ يتطور بتطور العصر » .^(٥٢)

ومما يؤخذ على قصص الخيال العلمي تركيزها على الآلة اكثر من تركيزها على الانسان ذاته .

وهناك اعتقاد ان ادب الخيال العلمي سيجتذب في المستقبل مزيدا من

القراء ، لأن تدفق الأفكار العلمية والتكنولوجيا الجديدة والآثارات المقلية التي يندر توفرها في الألوان الأخرى من الأدب والحبكات الدقيقة والتحليليات في أجواء الخيال ، كل هذا يؤلف أجزاءً من عناصر السحر العديدة التي تفيض بها القصص العلمية . (٥٣)

والمؤسف أن القصص العلمية لم تجد طريقها إلى الطفل العربي إلا في حدود ضيقة ، وفي دراسة قام بها مركز البحوث في وزارة الثقافة في مصر عن قراءات الأطفال تبين منها أن الأطفال لا يقبلون على هذا اللون من القصص . (٥٤)

ولاشك أن العيب لا يمكن في الطفل ذاته ، بل بما يطرح له مما يسمى جزاً « قصصاً علمية » حيث تفتقد إلى عناصر القصة العلمية ، وتحظى من التشوّق .

المبحث التاسع

الاساطير

ابرز تفريقي كاد يجمع الدارسون للفولكلور عليه ، هو ذلك الخط الناصل بين علم الاساطير ، اي الميثولوجيا ، وبين الفولكلوريات ، فالاسطورة تطلق على الشعائر عند قيامها بوظيفتها العقائدية في تفسير ظواهر الكون والطبيعة بمنطق العقل البدائي ، وتحليل العادات والتقاليد والمراسيم بمنطق من هذا العقل ايضا . فاذا تجاوزت هذه الوظيفة ، وعدلتها الى وظيفة اخرى ، او انفرطت عقدها ، وتدخلت عناصرها فيما يصدر عن العاديين من ضروب الشاط والسلوك ، لم تعد مادة اسطورية بالمعنى الصحيح، وانما اصبحت مادة فولكلورية واصبحت من عناصر الادب الشعبي^(٥٥) . وهذا يعني ان الاسطورة لا تقع ضمن الحكايات او الموروثات الشعبية بل تتبع جانبا آخر مستقلا هو علم الميثولوجيا .

ولكن الاسطورة قريبة الى الحكاية الشعبية ، حيث يمتلكها الشعب ويحتضنها ، ويرددوها ، وينقلها من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان

ويحورها ويفيرها حتى تنتهي يوم ما الى اديب فيسجلها .. ولكنها في الاساس من تأليف ادباء او نسراء او كهان لا تنتقل اليها اسماؤهم ..

ولا تلتزم الاسطورة في موضوعها بالحقيقة المحسوسة المعقولة ، بل تتجاوزها الى المبالغة تارة والى الاعجاز تارة اخرى ، وتجتهد رغم هذا في الفلور بمظهر الحقيقة الخالصة وتلتمس من السامع اليها ان يأخذها مأخذ العجب ويحملها محمل الصدق (٥٦) .

وقد ارتبطت اسطورة الطقوس بعبارات الانسان الاولى بمختلف اشكالها وطرائقها ، وجذبت الاسطورة التعليلية الى اختلاف كائنات روحية لها دور في تنظيم العالم او تخريبة ، وقد اوهم بعض رجال الدين الناس بأنهم على علاقة بذلك الارواح الخيرة او الشريرة فوجد السحر طريقة الى حياة الناس ، أما الاسطورة التاريخية فقد كانت تشتمل على حوادث خارقة للعادة وابطالها يصلون الى مراتب الآلهة ..

ويبدو ان الانسان البدائي ، وهو يعيش الاسطورة ويؤديها لم تكن غايتها ان يعيد تمثيل الطبيعة او التشبه بها ، وإنما كان يعيش في الطبيعة محاولا احتواها (٥٧) ..

تقول اديث هامتون المختصة في الاساطير الاغريقية : « ان الاسطورة ما هي الا تعليل لاحدى الظواهر ، الطبيعة ، مثل كيفية خلق هذا الشيء او ذاك في الكون ، كالناس والحيوانات والاشجار ، والشمس ، والقمر ، والنجوم ، والزوابع ، وانفجار البراكين ، وباختصار كل ما له وجود ، وكل ما يقع في هذا الكون الفسيح .. والاساطير ماهي الا العلم القديم ، وهي تنتائج محاولات الانسان الاول لتعليق كل ما يقع تحت بصره وحسه » (٥٨)

وعليه ، فالاسطورة ، كما يصفها الباحث الانكليزي ، سيرج . ك . جوم محاولة لتفسير علوم عصر ما قبل العلوم ، لأنها تحدثنا عن علة خلق الانسان ،

وعلة الظاهرات الطبيعية ، وتفسر لنا الاسرار الخافية وراء صفات الحيوان (٥٩)

وهي بشكل اوسع قصة تعليلية ، تفسر مآثرات الناس حول العالم ،
وما وراء الطبيعة ، وتفسر ايضا ابطالهم ومعتقداتهم وغيرها . وغرضها تفسير
وجود العالم ، والحياة ، والموت ، والانسان والوحش والطقوس المقدسة ،
والعادات ، وما الى ذلك من الظواهر الغامضة . وبتعبير اخر تمثل الاجوبة التي
يقدمها التخييل الانساني للمشكلات التي تتعلق بكيفية حدوث الاشياء ، انها
تحاول ان تجيب بالتخيل على الاسئلة التي ينشئ العلم - فيما بعد - ان يجد
لها حللا عن طريق التعليل المقنع (٦٠) .

ففي اسطورة يونانية تتناول بتحليل بدائي قصة اكتشاف النار ، وتشير
إلى اذ بروثيوس Prometheus صعد الى السماء واختلس النار من مخفة
الشمس الملتهبة في غفلة من الالهة ، وهبط على الارض خفية ، بعد ان قاسى
من العنف والعقاب والالم صنوفا والسوانا ، وقدمهما هدية الى قومه
يستخدمونها في قضاء مآربهم ، وقد كانت قبل ذلك ملكا للالهة الممتازين
يحتفظون بجذوها وهي دائمة الاشتعال في مقارهم على قمم الجبال ،
ويحرصون على الارتفاع بها دونبني الانسان لكي لا يرتفع الانسان الى بعض
الدرجات في سبيل رقيه الى مستواهم (٦١) .

وفي الشاهنامة ورد عن بطل يدعى « هشنك » انه قذف يوما افعى بحجر
كبير فاختلطها وتوارت الافعى الا ان الحجر اصاب صخرا قائما فانبث من شدة
الاصدمة لهب تطاير شره وسطع نوره ، فكان هذا اول عهد الناس
بالنار . (٦٢)

ومع هذا فهناك بعض الاختلافات في تحديد معنى الاسطورة ، ولكن
هذه الفوارق لا تعني هنا . والاساطير ، بوجه عام ، واقع ثقافي شديد
التعقيد ، وهي تعكسي كيفية نشوء هذا الشيء او ذاك وفق تفسير الانسان

البدائي الذي يستعين بالآلهة المفترضة او الكائنات الخارقة في تعليلاته ، بما في ذلك تفسيره لظواهر الحياة والطبيعة والنفس والكون .. انها تخيلات الانسان وتعليلاته لما يحيط به .

وقد تخطت الانسانية عهد الاساطير منذ امد بعيد ، ولا يمكن ان نجد في الوقت الحاضر من يكتب الاسطورة ، وتبدو لنا الاسطورة اليوم « اكذوبة كبيرة » بعد ان كانت بالامس البعيد عقيدة راسخة .

والاساطير بهذا المعنى ، مادة لا تناسب الاطفال .. ولكن بعض كتب الاطفال ومجاراتهم تشير احيانا الى بعض الحكايات الشعبية او الخرافات على انها اساطير ، ويشكل هذا خلطا كبيرا بين الاساطير كعقائد وشعائر قديمة وبين موروثات ادبية شعبية .

المبحث العاشر

الحكايات

الحكايات جزء من الأدب الشعبي • وللحكاية معنian ، اولهما واسع يشمل ألوان السرد القصصي الذي يتناقله الناس جيلا عن جيل • وثانيهما خاص يراد به الحكاية الشعبية او حكاية الواقع الاجتماعي الذي يحييه الناس أو ينتظرون أن يحيوه •

وحكاية الواقع الاجتماعي - تدعى في العادة - إلى تأصيل القيم الأخلاقية الإيجابية ، وتكشف عن الصراع الطبقي وعلاقة الجماعات الشعبية بعضها البعض الآخر • وتنصف هذه الحكاية - في الغالب - أبناء الشعب الكادحين (٦٣) •

ويمكن أن تدرج ضمن الحكايات ، بمفهومها الواسع انماط كثيرة من الموروثات الشعبية مثل : الحكاية الشعبية ، والحكاية الخرافية ، والحكاية المرحة ، وحكاية الحيوان ، وحكاية التجارب الشخصية ، وحكاية الشطار • وقد تدرج الاساطير احيانا ضمن هذه الموروثات ، ولكن واقع الحال

يقرر ان الاساطير تخضع لعلم مستقل ، هو علم الميثولوجيا أو علم الاساطير ، حيث خلدت الانسانية بعض الحكايات وصيغتها بهالة من القدسية ، وتجاوزت بها الحدود الاقليمية الى المجال العالمي ، فكانت الاساطير .

والحكايات ، كانت فيما مضى ، ألهية العامة ، وكانت - في الوقت نفسه - مهربا لهم من مواجهة الظلم والكبت ، وعن طريق الاستقطاب ، كان الناس يتقمون ، عبر الحكايات ، ومن يقهر ونهم ، ويسيطر بـهم ، ولكنها بقدر ما كانت مهربا ، كانت مصيدة مغلقة متوقعة ، بل حفرة شبيهة بالقبر الواسع يغرق فيها الجميع ، رغبوا ام لم يرغبوا^(٦٤) .
وتناول - فما يلي - بعض انماط الحكايات :

الحكاية الشعبية

ظهرت الحكاية المروية قبل عصر التاريخ بأماد بعيدة . وظلت الشعوب تتناقلها جيلا عن جيل . وبذل احتلت موقع الاسمية بين الفنون التي تذوقتها الانسانية ، وأمست أقرب الاشياء الى التاريخ الشفاهي لخيالات الانسان وتصوراته واخلاقياته وحياته العاطفية عبر العصور .

ولا يمكن أن نجد شعبا دون أن نجد له حكايات شعبية ، مهما كان ذلك الشعب بدائيا ، بل ان البدائية شرط لازم لوجود الحكايات الشعبية .

والحكايات الشعبية ليس لها مؤلف واحد معروف ، بل هي حاصل ضرب عدد كبير من ألوان السرد القصصي الشفاهي الذي يضيف اليه الرواة أو يحورون فيه أو يغفلون عنه ، وفقا لما يستهدفون منه . والحكايات الشعبية تظل تعبر عن شخصية الجماعة لا شخصية الفرد ، وهذا ما يجعل من الصعوبة أن تنسب الى مؤلف معين ، لذا كان النقاش حاميا حول نسبة بعض الوان الادب الشعبي الى مؤلف معين حيث قيل : « لو وجد ذلك ، لكان على

سبيل الشهرة او الاتتحال ، كالخلاف الذي ما يزال يشتجر حول هوميروس وحول مؤلف اغنية رولان»^(٦٥) .

وكان الفيلسوف الالماني (هردر) الذي أوحى بفكرة جمع الحكاية والاغنية الشعبية من مختلف أرجاء المانيا في بداية القرن التاسع عشر ، يصر على أن مبدع هذه الفنون الشعبية هو الشعب لاغير ، وتابعه في ذلك (الاخوان گريم) اللذان جمعا « حكايات البيوت والاطفال » رغم انهم قد اشارا الى بعض القدرات الفردية الممتازة في الرواية .

ويقابل هذا رأي قال به العالم الالماني « هائز ناومان » ويذهب الى أن الشعب لا يبدع شيئاً جديداً ، وإنما يعيد صياغة موجود ابدعه أفراد متميزون ، ومن قبيل هذا الرأي ما يقول به العالم السويدي (سيدوف) من أن المؤثرات الشعبية لاتنتهي الى الشعب بكامله ، وإنما هي تلحق بأفراد بذواتهم هم الحفظة والرواة . وأشار الى الدور الذي يقوم به الفرد في الحكاية عالم آخر هو « ازادفسكي » الذي تأثر به كثير من الباحثين في ابراز أثر القاص الفرد منذ أن أعلن رأيه عام ١٩٢٦ .

ومن الآراء الجديدة رأي يقول : ان مجھولیة المؤلف لاتعني لاشخصية المؤلف ، فهو شيء ينبغي أن لا نهمله ، ورغم أن باحث الادب الشعبي يبحث عن الاتجاه الجماعي في خلق هذا الادب الا ان الافراد المنتجين الاولئ هم سبب الفرق بين الشعب الناقل للادب وغير الناقل ، ومن هذا الرأي تتج رأي آخر يقول : اذا نظرنا الى احد الاثنين : الفرد او المجتمع ، نقع في خطأ جسيم ، حيث ان الفرد يبدع والمجتمع يتلتف ، ومع الزمن يحور ويحور ، ويسلم الى من يليه من الاجيال حتى يكتب لهذه النصوص التواتر^(٦٦) .

وتتشابه الحكايات الشعبية - الى حد ما - لدى الشعوب المختلفة ، لأنها ترجع الى اصول عالمية منتشرة ورثتها الاجيال عن الامم البدائية ولكن تلك الحكايات تظل مطبوعة بطبع البيئة التي تروج فيها ويظل كل شعب يحكىها

بطريقته الخاصة التي تتأثر بما ينشأ لدى الناس من مواقف ازاء حياتهم الواقعية وما يحيط بهم من ظروف وتحديات .

والادب الشعبي ، بما فيه الحكايات ، لا يقتصر على ما يتناقله الناس من جيل الى جيل ، بل هو اشمل من ذلك ، حيث يمتد ليشمل النصوص المنشورة بين طيات الكتب ورددتها جماهير الشعب في حينه ، وسجلها الكتاب كحقيقة ودليل على تيارات الفكر السائدة في ذلك الحين .. وعليه نجد ادباً شعبياً مروياً واخر مكتوباً (٦٧) .

وقد استمد كثير من قصاصي الاطفال من الحكايات الشعبية افكاراً لقصصهم ، ولاقت تلك القصص هوى في نفوس الاطفال ، وسعدوا لابطالها الذين يتحرّكون بحرية ؟ دون حواجز او قيود ، وانسوا بالحيوانات التي تتكلّم وتتصرف مثل تصرف الانسان ، والنباتات التي تطير وتتحرك وتضحك وتقرأ الشعر ، والادوات الجامدة التي تروح وتتجيء وتترعرع الطبلول وتتغيّي . واثيرت مشاعر الاطفال وسط اجواء التضحية والبطولة والصدق والعدل ، حيث ينتصر الخير دوماً ويُخذل الشر .

والحكايات الشعبية كثير من الطرافة والجاذبية والشاعرية ، وكثيراً ما استلهمها احسن الكتاب والرسامين وواضعي الالحان واستوحوها في ابداع مؤلفاتهم ، وكان بوشكين الشاعر الروسي الكبير (١٧٩٩ - ١٨٣٧) يحب الاستماع الى الحكايات التي كانت تحكيها مربيته العجوز ، وقد كتب يقول عن تلك الحكايات : ما ابهج تلك الحكايات ! ان كل واحدة منها قصيدة شعر (٦٨) .

وكثير من الحكايات الشعبية ما تزال تقدم للاطفال بنفس الصيغ القديمة ، دون حذف او تشذيب . وفي هذا مصدر خطر ، لأن الحكايات الشعبية تعكس في موضوعاتها تصورات الانسان القديم ، وآراءه وطبائعه وافكاره وتأملاته ، خاصة وان كثيرة منها قد احتفظت بصيغها القديمة دون

ان يعترفها التغيير منذ مئات السنين ، مع علمنا ان بعضها منها لم تتخذ صورتها التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة ٠

اجل ، ان كثيرا من الحكايات الشعبية هي وليدة عصور العبودية والاقطاع ، وتشتمل – في الغالب – على مضامين غبية وقدرية ، وهي بالاساس لم تكن معدة للاطفال بل كان يتداولها الكبار في تلك العصور ٠ وعلى ذلك ، من الخطأ ان نعتبر تلك الحكايات التي تعبر عن واقع غير واقعنا زادا للطفولة ، رغم انها تتضمن عبرا وائلية توسيع المدارك ، ولكنها – في معظمها – تخلق في الطفولة روح العدوان والوحشية وتبرز صور الخوف والقلق (٦٩) ٠

وبالواسع تحوير الحكايات الشعبية ، وابراز الجوانب التي تشجع على الوئام والتعاون ومحاربة المعتمدي واستحصال الحق ، بحيث تبدو ملائمة للحياة المعاصرة ، لانه لا يحق لنا ان نجعل من طفولتنا حبيسة اخيلة وتحليلات وتصورات وتأملات مجتمعات مختلفة (٧٠) ٠

وقد دعا الكاتب والصحفي الفرنسي بير كامي في ١٩٧٣ الى تجديد الحكايات الشعبية ، حيث اطلق صيغته المشهورة قائلا : « اطفالنا لم يعودوا ابراء » واخذ الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا مختلفا ، مستغلا الحوادث على نحو ينسجم مع الفكاهة ، متلاعبا بالحديث حينا وبالحدث حينا اخر ٠ وشهر ما نشر لكاميرا ، هو قصة « القبعة الخضراء » المعروفة باسم « ليلي والذئب » ، حيث تناول هذه الحكاية من روئية مختلفة ، واستعان بالحوادث والكلمات ذاتها مع تبديل في المشهد الاول ، واضافة مقدمة الى المشهد الثاني ، وتحريف وقائع ما حدث بين ليلي والذئب ٠ ويشير كامي الى ان : الكبار يكررون افكارهم رغم علمهم بأنهم يخطئون ، ويتساءل : كيف يتمنى لوالد ليلى ان يرسل بابنتهما الى جدتها وهما يعرفان ان الذئب قد افترس طفلة من قبل !

وهناك من يرفض رفضا قاطعا اي تحوير في الحكايات الشعبية بحججة

الحفاظ على اصالة التراث الشعبي ، ولكن فات على اولئك اننا حين نقدم الحكاية الشعبية للأطفال يمسى امر الحفاظ على اصالة التراث الشعبي غير قريب من اذهاننا ، اذ نستهدف اشباع بعض حاجات الطفل ، ومساعدته على النمو . ولا شك انه يمكن السعي لصيانة التراث الشعبي عبر مسارب اخرى لا تمر بالطفولة . ومع هذا يظل هدفنا : الطفل لا الحكاية الشعبية ذاتها .

والذى يهيء لنا تحويل الحكايات الشعبية ، انها تتميز بالمرونة ، اذ اننا نعلم ان الحكايات الشعبية تنتقل من شخص الى اخر بحرية ، فيضيف اليها هذا شيئاً من عندياته ، وقد ينسى او يتجاهل شيئاً اخر . وهذه المرونة جعلتها قابلة للتطور والتطويع ، فاصبحت اكثر طرافـة . فالناس يهذبونها ويجعلونها اكمل على مر العصور . وعلى هذا ، ما الذي يحول دون ان تقوم بدورنا بتقديم زاد شهيـي للطفولة ، تستمرئه وتستطـيب ملذاته !

اننا نرى ان تطوير وتطويـع الحكايات الشعبية بحيث تمسي ملائمة للأطفال ، هو جزء من عملية تطوير فن شعبي عريق ، لا يمكن ان تظل له قيمة ما لم يتجدد . اما ان نضع هذه الموروثات الشعبية في نعش من المخمل فهذا لا يعني اننا نصونها بل ندفع بها الى الانقراض والموت ، تماماً مثلما فعل حينما نقدمها الى الاطفال بكل ما فيها من مظاهر العدوان والتغيبة فندفع بنفوس اطفالنا الذين سينفرون منها بعد حين الى التهلكـة ، وندفع بهذه الموروثات الى الجحيم .

وهكذا يبدو من الضروري تجديد افكار بعض الحكايات الشعبية والخراقة ، وحذف كل ما يسوها من الابهام الذى يقف الطفل قبالتـه محـتاراً ، ووضعها في قوالب ادبية جديدة . ولكن هذا لا يعني ان ننسخ تلك الحكايات مسخـاً ، فتتمـيـيـي شيئاً مشـوـهاً . واذا ما وجدنا اتقـيـنا مـرـغـمـيـن على ذلك المسـخـ والتشـويـهـ فـيـنـبـغيـ انـ نـعـرـفـ انـاـ فـيـ حـلـلـ منـ الـاعـتـمـادـ عـلـيـهاـ .

ولكن ينبغي الحذر ازاء الحكايات الشائعة بين الاطفال ، ان هذه

الحكايات لا يجوز التلاعب بها بأى شكل من الاشكال ، ذلك ان الاطفال سرعان ما يكتشفون اي تحوير فيها فيبدو لهم الامر مربكاً ٠

وقد يستشهد البعض بحكايات كثيرة قدمت الى الاطفال في فترات متعددة بكل مافيها من شطحات خيالية او تعليقات سقية او حوادث تلعب بها الاقدار ، ومنها حكايات الاخوين جاكوب وильهلم غريم Jacob and Wilhelm Grimm ، حيث بدأ هذان الاخوان الالمانيان عام ١٨٠٦ بحماس لجمع الحكايات التي يحكوها الاباء للابناء ويتحاكمها الكبار والصغار في منطقة هسن (الجزء الاول) وفي منطقة حول مونستر وباريسون بمقاطعة فستفاليا ، وكذلك في منطقة كاسل ، وضما الى جانب ذلك حكايات من النمسا ومن بوفن وغيرها (الجزء الثاني) ٠ وكان الاخوان غريم يلتقطان الحكايات من افواه الرواة ، ويسجلانها كما هي، لا يمدان ايديهما الى مضمونها قط ، وانما يتراولان الاسلوب فيهذبانه ويصيّان الكلام في قالب متجانس ، فاخرجا من الاصل الشفهي ما كان به من كلمات غريبة لا قبل لكتيرين بها واستبعدا الكلمات الاجنبية والاخرى التي لا تناسب الاطفال ، فجاء الاسلوب متشابها وفریدا في نوعه ٠

على ان هناك ملاحظات اساسية لابد من الاتباه اليها وهي انه في الوقت الذي كان الاخوان يواصلان عملهما في جمع الحكايات لم تكن النظرة الى الطفل قد تبلورت بشكل علمي سليم ، حيث كان ينظر الى الاطفال على انهم رجال صغار ، وانه باستثناء احجام اجسامهم فلهم من الصفات ما للرجال ٠

يضاف الى ذلك ان الاخوان غريم قاما بعملية جمع للحكايات المتداولة في بعض المناطق والتي يحكوها الاباء الى الابناء ، ولم يكن بحسبانهما ان تسيي هذه الحكايات انسانا وقوانين حياة الاطفال في كل زمان ومكان ٠ لقد كان الاخوان غريم يستهدفان حماية تلك الحكايات من الاندثار قبل كل شيء ولم يكونا يستهدفان ان تكون زادا للاطفال ٠ وتفصح لنا المقدمة التي وضعها الاخوان غريم لحكاياتهما عن ذلك بوضوح (٧١) ٠

لقد حرص الاخوان كرييم على ان تكون حكاياتهما في متناول ابسط الافهام والمدارك ، ولكنهما حرصا في الوقت نفسه على ان تحفظ بجزء كبير من طابعها الاصلي ، وبذلا جهودا كبيرة لابراز المضمون الاصلي لتلك الحكايات ، وحاولا ان يبعثا في تلك الحكايات ما كان لها من اصالة وفطرة (٧٢) .

وهناك قصص معروفة كثيرة طورت لتلائم اذواق الاطفال وقدراتهم العقلية والعاطفية واللغوية وفقا لما استجد من اسس ونظريات في مجالات التربية وعلم النفس والاعلام . وبذا ادخلت على تلك الحكايات معارف وافكار ومعلومات جديدة ، واقتضت منها مقاطع كثيرة . لتدوي دورها في تنمية عقول واخيلة الاطفال وتحول دون ان يجعلهم في نطاق عالم غريب عما يرون ويسمعونه .

والحكايات التي نسبت الى عدد من المؤلفين ، هي في الغالب حكايات شعبية ، اجرى واسعوها عليها تعديلات كبيرة ، فحق لهم ان ينسبوها الى انفسهم .

ويبدو من ثانيا رواية حياة ايسوب الذي ولد عام ٦٢٠ قبل الميلاد ، انه كان يتناول - احيانا - حكايات شعبية عديدة اثناء سنوات حياته التعيسة الفامضة وحتى اللحظات التي سبقت اعدامه بقليل (٧٣) . وعليه فهو لم يكن مؤلفا لكل ما نسب اليه من حكايات ، بل كان محورا فيها ومهندبا لها .

والكاتب المعروف هانز كرستيان اندرسن (١٨٠٥ - ١٨٧٥) الذي كتب القصص الجديدة للاطفال ، كان قد استمد كثيرا من قصصه من الحكايات القديمة ، وكل ما قام به هو تهذيب وتطویر بعض الحكايات التي يتداولها الناس اندماك لتمسي ملائمة للاطفال .

وكان اندرسن ، قد كتب بعض القصص والمسرحيات للكبار فواجهه هجوما عنيفا من النقاد . فسبب ذلك فقدان ثقته في جيله ، فوصف ذلك

الجيل بأنه : قاصر ومحدود التفكير لأنه لم يقدر على فهمه وتقديره حق قدره ، فكان ذلك سببا في اتجاهه إلى جيل آخر جيل طيب لا يعرف الحقد ، يمد في عمر شهرته سنوات طويلة لا تعوض ما ضاع من عمره فحسب ، بل تمتد بعد وفاته أجيالا أخرى وهذا ما يفسر تلك العبارة التي وردت في رسالة يقول فيها « لقد شرعت في كتابة بعض القصص الخيالية للأطفال انتي اريد ان اكسب الجيل القادم » فوضع كتيبا يضم بعض الحكايات ذات الطابع الأسطوري للأطفال منها (القداحة) (كلاوز الصغيرة والكبيرة)

وكان من ملامح العصر الذي عاش فيه اندرسون الاهتمام الزائد بالحكايات الشعبية فلم يكن اي بيت في الدانمارك يخلو من كتب حكايات الاخوين گريم والكاتب الالماني هوفرمان وكان لهذه الحكايات فعل السحر على اندرسون ، ولكنه لم يكتف برواية تلك الحكايات بل كان يهضمها ثم يخلق منها شيئا جديدا نابعا من عالمه الخاص (٧٤)

وكان الكاتب الروسي الشهير ايفان گريلوف (١٧٦٨ - ١٨٤٤) قد أظهر في كثير من قصصه شخصيات من الحيوانات تنبض بالحياة ، وتوضح مظالم الحكم في روسيا القيصرية في وقت كانت تسود فيه الرقابة الشديدة ، ومع ان بعض حكايات گريلوف كانت ذات صلة باحداث واقعية وأشخاص حقيقيين مثل المهزائم والانتصارات أمام نابليون ، الا ان بعضها كانت تطويقا للحكايات الشعبية .

وهكذا كان الحال بالنسبة الى لافوتين وفيديروس وغيرهما ، حيث كان لهم الفضل في تطويق حكايات شعبية ما يزال البعض يصر على وجوب ابقائها على ما هي عليه !

ويبدو لي ان أقل واضعي الحكايات تأثيرا بالحكايات الشعبية السائدة هو الرسام ليوناردو فنشي ، الذي كتب مئات الاقاصيص الرائعة من وحي مخيلته ، لكنه استمد بعضها من الحكايات الشعبية وطوعها لتلائم الحياة

الجديدة التي كان يحياها المجتمع . بل أن (برونو ناردينبي) حين أعد (حكايات واساطير) ليوناردو فتشي ، أعاد صياغتها من جديد ، حيث قال في مقدمته لتلك القصص : « ٠٠٠ ولما كت أحد مواطني توسكانيا ، ولست غريبا عن هذه اللغة التي مازالت حية ومعاصرة منذ عهد ليوناردو فقد أعدت صياغة هذه الحكايات ، كما قمت بشرحها وتقديمها بلغة العصر في صورة تعكس روح صاحبها »^(٧٥) .

ونكتفي بهذه الأمثلة للرد على من يريد للحكاية الشعبية أن تقدم للأطفال بقضها وقضيضها .

ب - الحكايات الخرافية

الخرافات لون من ألوان الحكايات يتناقلها الناس جيلا عن جيل ، وتتناول تفسير كثير من أسرار الحياة ، وهي تختلف عن الاساطير في أن الأولى تناقلها الناس بلغتهم الدارجة في الوقت الذي احتفظت فيها الاساطير بلغة فصيحة ، كما أن الاسطورة ترجع إلى ما قبل الاديان ، أما الخرافة فقد ظهرت بعد الوثنية ، ولذا يغلب عليها الطابع التعليمي والتهذيبى .

وتتخذ الخرافة شكل سلسلة من المخاطرات التي تلعب فيها الخوارق دورا واضحا ، حتى يستطيع البطل تحقيق هدفه . وتمثل هذه الخوارق بقوى مرئية أو غير مرئية كالجبن والمردة والعفاريت والغيلان والحيوانات التي يتحكم فيها السحر .

وابطال الخرافات يظهرون دون ملامح تفسيسية محددة ، ولهם أنماط شخصية متباينة ، ولا يستطيع السامع أن يعرف إلى ما يعتمل في قوسمهم من صراع داخلي بشكل واضح رغم أن صور البلادة والذكاء ، او الشجاعة والجبن ، وغيرها من المزايا والصفات ترسم للخرافة وفقا لما تقتضيه مجرياتها . وتبدو الخرافات مقطوعة الجذور بالمكان والزمان ، حيث أنها تأخذ .

شكلا عاليا ، لأنها تستمد مادتها من العقائد الدينية والأساطير التي تتحدث عن الآلهة ، أو الابطال الذين سرت فيهم دماء الآلهة ، أو انصاف الآلهة .

وقد يبدو العاجز لتناول هذه الحكايات هو التسلية والامتناع ، ولكن الامر غير ذلك ، حيث ان هذه الخرافات ما هي الا وسيلة لتفسير بعض الظواهر التي يلاحظها الانسان كما انها اداة تنفيض له عن احلامه ومكتباته، حيث ان كثيرا من تصورات الانسان القديمة تتعكس في اجزاء من الحكاية الخرافية .

وبعض الخرافات ، بوضعها الحالي ، لا ترجع الى عصور قديمة ، اذ انها لم تتخذ الصور التي هي عليها اليوم الا في عصور متأخرة .

وقد كانت المجتمعات اكثرا ايمانا بالخرافات من ايمانها بالاسطورة ، بل ان كثيرا من البقاع العربية في اقسامها الحضرية والقروية ما تزال تؤمن حتى الان بكثير منها ، وهي لا تختلف بهذا كثيرا عن اناس في الغرب ما يزالون ، حتى اليوم ، يؤمنون ببعض هذه الخرافات^(٧٦) .

وأول ما يسترعي النظر في الحكاية الخرافية هو اتجاهها الاخلاقي ، فهي تكافئ الخير بالخير والشر بالشر ، ثم هي تصور الامور كما - يجب ان تكون الحياة^(٧٧) .

ويعود اندماج الطفل مع الحكاية الخرافية الى عوامل متعددة ، منها التصوير المترنف للشخصوص ، حيث ان مقدرة الطفل على التجريد محددة للغاية ولذلك فان ذلك التصوير المترنف يلائم الاطفال ، كما ان الطفل لا يهمه تحليل الشخصية وانما يهمه صفاتها .

كما يرجع اعجاب الطفل بالاشكال الشيطانية الى قدرتها السحرية ، حيث تتوقع نفسه المفعمة بالرغبات الى تحقيق الشيء الجميل والخيالي ، والشخصوص الخيرة هي وحدها التي توصل البطل الى تحقيق اهدافه . اما الشخصوص

السحرية الشريرة فليست سوى تعبير عن العقبات النفسية التي تعترض طريق تحقيق تلك الرغبات ٠

وعدم تحديد الحكاية الخرافية للوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه شخصاً تحديداً دقيقاً ، كما هو الحال في عدم تحديدها للامتحن الشخصيات يتفق وخيال الطفل الذي ينساب في سرعة مع مجرى الحوادث ليعرف الكثير ويعيش تجارب جديدة توصله في النهاية إلى الهدف الذي يجلب له الرضى النسي لانصاف الضعيف من سطوة القوي ٠٠ ولعل هذا هو سر حب الطفل ببطل الحكاية الخرافية ، ذلك البطل الذي يتحرك بخفة ورشاقة دون أي معوقات مكانية أو زمانية حتى يصل إلى هدفه بمعونة القوى المساعدة والقوى السحرية (٧٨) ٠

والخرافات بوجه عام سهلة خالية من التعقيد ، لذا فهي قريبة إلى مدارك الأطفال ، يضاف إلى ذلك خصوبتها واشتمالها على عجائب وبطولات وغرائب وطغيان مشاعر الوفاء والتضحية والصدق والعدل ، كل هذه تجعل الأجراء الروائية تستهوي الأطفال وتجذبهم ٠

ولكن في كثير من تلك الخرافات ، ما يبيث في ثفوس الأطفال الذعر والخوف والقلق والأنانية والكراهية والجبن ، وما يدفع بهم إلى الإيمان بالغيبيات والتفكير الخافي والقبول بالتفسيرات «المطمئة» والتحليلات الواهية والقوالب الجامدة ٠٠

وتكون خطورة «بعض» الحكايات الخرافية الشفاهية في أنها تتناول الطفل وهو في المهد . فتزرع فيه السلبيات واحدة بعد الأخرى ، وتعلمه - بسبب كون ابطالها كذلك - الهروب من المسؤولية ، ونزعة التبرير ، ورد الأمور إلى القدر وإرادات مستترة ، والاندفاع والطيش عندما يكون التروي والحذر ضروريين ، والجبن والتواكل عندما تدق ساعة الجد ، وتعلم التقليد والتقييد بالقوالب والشكليات الجاهزة ، والإيمان بالخوارق والحماس اللفظي (٧٩) ٠

وإذا كان الأطفال يتسوقون إلى الغرافات ، فإن ذلك لا يبرر تغذية
نقول لهم وعواطفهم عليها ٠٠

ولكن يمكن أن نجد بعض الحكايات الخرافية التي يمكن أن تشيع في
نفوس الأطفال النسوة ، وتخصب خيالاتهم ٠٠ وهذا يستلزم أن نحسن
الاختيار وفق ضوابط أدبية وتربيوية ٠

الفصل الثاني

شعر الأطفال

الاطفال ميالون الى الايقاع + فالطفل ، منذ ايامه الاولى ، يكُف عن البكاء ، ويهدأ ، وقد يستسلم للنوم العميق حين تأخذ الام بالربت على قفاه برقة ، وحين تهز بمده ذات اليمين وذات الشمال ، في ايقاعات متكررة +

ويظل الطفل يأنس الى الايقاعات خلال سنوات نموه واذا ما نما احساسه الايقاعي نموا سويا ، فانه يلعب دورا مهما في حياته « لأن الايقاع يسهل له حركاته حتى يجعلها آلية وهو من ناحية اخرى يبعث فيه القوة ، ويزيد قابليته على الاتصال ، ويوفر له جميع الحركات العضلية غير الالزمة » ، وينشر المرح في عمله اليومي + ومع ان الايقاع شيء جسمى الا انه يعتمد على يقظة الاحساس ونشاط الشعور + ^(١)

ولا يجد الطفل الايقاع في الشعر وحده ، بل يجده في الموسيقى ، وقد يجده في كثير من المقطوعات النثرية ، ولكن ما يميز الايقاع في الشعر هو التركين ، مما دعا البعض الى القول ان « الشعر صعب الفهم على الاطفال » +

ويستمد الشعر ايقاعاته من اوزانه وقوافيه وكلماته ، لذا ترى الاطفال يستطيعون ترديد الكلمات الموقعة ، ويصل الامر بهم الى تكرار انغام من الشعر لا يفهمون له معنى ٠

وشعر الاطفال ، اضافة الى انه يلبي جانبا من حاجاتهم الجسمية والعاطفية ، فهو باعتباره فنا من فنون أدب الاطفال - يسهم في نموهم العقلي والادبي والنفسى والاجتماعي والأخلاقي ٠

وقد فتشت ، هنا وهناك ، بين دواوين محمد عثمان جلال وابراهيم العرب ومعرف الرصافي واحمد شوقي وجبران النحاس وغيرهم الكثيرين فلم اجد ما يصلح ل طفل اليوم ٠

وعدت الى كتب « القراءة العربية » التي ندرسها في طفولتنا ، استعيد ما ارغمنا على حفظه ، فلم اجد شعرا يمتلك القدرة على مداعبة الطفولة وابهاجها واشياعها ، وفتحت بين الجديد الذي يكتب في مجلات الاطفال فخاب مسعاي ، وظللت مقطوعة الطفل الشعرية في ذهني مثلما هي في ذهن الطفل حلما ٠

لقد وجدت نظما ، لا يجد الطفل فيه ما يخاطب وجدانه او يهز انفعالاته او يثير خيالاته او يحرك احساسات الجمال في نفسه ٠ ووجدت اوزانا وقواف وایقاعات رنانة او كبسولة خامدة ، ووجدت الفاظا وتعبيرات فخمة ، قد تكون منفعمة بالصور والمعاني المجردة احيانا ، ولكنها بعيدة عن الصور التي يمكن لاذهان الاطفال تصورها ٠ ووجدت ابياتا من الحكم والامثال والحقائق التي لا يستوحى الطفل منها شيئا ٠

وشعر الاطفال لم يظهر الى الوجود الا بعد ان تغيرت النظرة الى الطفل بوقت قصير ٠ ويمكن القول ان بداية القرن العشرين تشكل اولى المنطلقات لهذا اللون الادبي ٠

ومع اذ شعر الاطفال يتناول كل ما يمكن لالوان ادب الاطفال الاخرى

ان تتناوله ، الا انه يتخذ صيغة ادبية متميزة ٠ حيث يمكن ان يجد الاطفال انفسهم من خلال هذا اللون الفني وقد حلقوا بعيدا في اجواز الفضاء يلقون بالتحية على عوالم جديدة ليستمعوا الى من يرد عليهم باحسن منها ، او ان يتتجاوزوا ابعاد الزمان والمكان ليصافحوا الشعوب التي اقامت الحضارات عبر الحقب او تقدموا الحاضر الى المستقبل ليكتشفوا شيئا من لفائمه المبهرة ٠

وليس هذا فقط ، بل يجدون من خلال شعرهم طيورا تؤدي اجمل الالفاظ والتعابير رغم انهم لم يروها يوما تنبس بنت « منقار ! » ويجدون الى جانب ذلك الجوامد والدمى تتحرك وتعبر عن افعالات نفسية بارعة وتأملات جميلة ٠

وليس بالواسع ايراد أمثلة لما يتضمنه الشعر من افكار ومعان وخيالات ٠ « لانه ليس هناك قيود على الموضوعات التي يعالجها الشعر ٠ اذ انه يعالج اي شيء تحت الشمس ٠ ولكن الطريقة التي ينبغي ان يعالج بها هذه المحتويات هي التي تخضع للتحديد ٠ والقدرة الفنية تقتضي التعبير في كلمات قليلة واحتواء عدد كبير من الخبرات في سطور قليلة » وتوضيح ان ما ترك دون ذكر لا يقل دلالة عما ذكر ، وكل ذلك يحتاج الى مهارة فائقة في استخدام الكلمات .. اذا كانت القافية والنغم والاسلوب - مع ما لها من اثر في التركيز المطلوب ، عناصر مقيدة للشاعر ، الا انها في نفس الوقت ذات اثر في الطفل » (٢) ٠

ورغم ان مسامين شعر الاطفال لا يمكن ان ترسم لها حدود ، الا ان من الضروري ان لا تنطوي على تقرير حقائق ومعلومات ، لأن الشعر يتمثل في إضفاء لمسات فنية على جوانب الحياة لتمسي لوحات فنية زاخرة .. اذا كان - نحن الكبار - قد تحجرت قلوبنا على كثير من مفاتن الحياة والطبيعة ، فان قلوب الاطفال الغضة يمكن ان تجد متعة غامرة اذا ما رسمت في اطار فني جميل ، يسهل عليهم تصورها وتذوقها ٠

ويلعب التصور دورا مهما في تقرير الادب وتذوقه ٠ لذا يلجأ مخرجو

الكتب والبرامج والأفلام إلى الاستعانة بالوصف الدقيق واللوحات والصور والرسوم ، محاولين أن يوضحوا بها للأطفال ما يريد المؤلف التعبير عنه ، حتى يستطيعوا أن يعيثوا ، بقدر الامكان ، في جو ما يسمونه أو يفرون منه . فلكي يتذوق الطفل الأدب ينبغي أن يحيا جو الخبرات الخيالية التي يوحى بها . وبعض الأطفال يمتازون على غيرهم بقدرتهم على أن يتصوروا أن موضوع تفكيرهم قد أصبح شيئاً حقيقياً ، وقد يتتجاوز تصورهم حدود ما يضعه الكاتب ، في بعض الأحيان . وقد قيل أن طفلة سمعت ترجمة لأحدى قصائد « آرثر والي » اليابانية البسيطة ، وعندئذ أخذت تصف القرية التي ورد ذكرها في القصيدة وصفاً احتوى على عناصر لم تكن في القصيدة على الأطلاق . ^(٣)

ولكن الاستاذة « أوليف هويلر » اشارت في دراسة سيكولوجية إلى أن ربط تذوق الأدب ، بما في ذلك الشعر ، بالتصور ، ليست خاطئة ، ولكنها تخلو من الدقة . ونادت بوجود عامل آخر اطلقته عليه « البقاء Duration » الذي قالت بأنه لا يقل في الأهمية عن التصور . وذكرت أن الاستماع الكامل بأحدى القصائد لا يكون ممكناً إلا إذا امتزجت الصور وما تحمله من معان بالتفاعلات المصاحبة لها ، وتدخل بعضها مع بعض ، وإن ما تسميه « بالبقاء » هو ما ينتجه عن هذا الامتزاج ، ومن تدفق مستمر للفكر والوجودان أو حركة دائمة موصولة . وتقول الاستاذة « هويلر » إن ابحاثها تشير إلى أن محاولة تكوين الصور واضفاء الوضوح والتفصيل عليها يعوق تذوق الأدب . وقد يصبح التذوق في بعض الحالات سهلاً بالاستعانة بالخبرات الماضية التي ألمّ الطفل لأول مرة عن طريقها بالأشياء التي يحاول المعلم - مثلاً - أن يثير فيها خياله . ف مجرد وجود الصور ، سواء كانت من صنع الطفل ، أم المعلم ، أو كليهما ، لا يكفي للتذوق الكامل ، واستنتجت (هويلر) من ذلك أن « من المقطوع به أن فهم القصيدة ، والاستماع باجوائهما ،

يتوقفان على الانتقال للحالة المزاجية ، التي كانت مسيطرة على حواس الشاعر وقت ظلمه للقصيدة .^(٤)

★ ● ★

ولو حاولنا تتبع بعض المحاولات لتقديم الشعر إلى الأطفال لوجدنا أن الشاعر أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢) يقف في مقدمة الذين حاولوا ذلك إضافة إلى كونه من أوائل من دعا إلى العناية بأدب الأطفال . فقد قدم نحو عشر مقطوعات شعرية ونحو ثلثين قصة شعرية على السنة الحيوانات^(٥) محاكياً في ذلك الشاعر الفرنسي لافوتين « ١٦٢٠ - ١٦٩٦ »

وقد قال شوقي عن قصصه الشعرية في مقدمة الشوقيات عام ١٨٩٨ : « جريت خاطري في نظم الحكايات على أسلوب لافوتين الشهيرة . وفي هذه المجموعة شيء من ذلك فكنت إذا فرغت من وضع « اسطورتين » او ثلاث اجتمع بأحداث المصريين واقرأ عليهم شيئاً منها فيفهمونه لأول وهلة ويأنسون إليه ويضحكون من الكثرة . وانا استبشر بذلك واتمنى لو وفقي الله لاجعل للأطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للأطفال في البلاد المستحدثة منظمات قريبة المتناول ، يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم . والخلاصة التي كنت ولا أزال ألوي في الشعر عن كل مطلب ، واذهب من فضائه الواسع في كل مذهب . وهنا لا يسعني إلا الثناء على صديقي خليل مطران صاحب المنن على الأدب ، والمؤلف بين أسلوب الافرنج في نظم الشعر وبين نهج العرب ، والمأمول اتنا تتعاون على ايجاد شعر للأطفال والنساء ، وان يساعدنا الأدباء والشعراء على ادراك هذه الامنية » .

ولكن يبدو أن أحداً من الشعراء لم يستجب آنذاك لدعوة شوقي ، بين فيهم خليل مطران نفسه . كما ان شوقي عزف فيما بعد عن الاستمرار في هذا الاتجاه .

ومن يتفحص مقطوعات شوقي وقصصه الشعرية ، يجد ان بعضها ذات

سمات رمزية يصعب على الأطفال فهمها ، يضاف إلى أنها في مجملها ذات ألفاظ لا يتسع لها قاموس الطفل اللغوي ، كما لا يتسع لها قاموسه الادراكي . وكذا يمكن القول بالنسبة إلى مقطوعات الشاعر الشاعر معروف الرصافي « ١٨٧٧ - ١٩٤٥ » .

وكان قد سبق شوقي والرصافي في نظم القصص الشعرية شعراء عديدون ، في مقدمتهم محمد عثمان جلال (١٨٣٨ - ١٨٩٨) في ديوانه « العيون اليواقة في الأمثال والمواعظ »^(٦) وهو ترجمة لامثال لافتين في متنى قصة شعرية .

اما الشاعر ابراهيم العرب « المتوفي عام ١٩٢٧ » فقد نظم تسعين قصة شعرية في ديوانه « آداب العرب »^(٧) منها ما هي على لسان الحيوانات . وبعد ذلك بفترة غير قصيرة اصدر جبران التحاس ديوانه « تطريب العندليب »^(٨) عام ١٩٤٠ وتضمن سبعا وتسعين قصة شعرية مأخوذة اكثراها من امثال لافتين .

ولكن هذه الدواوين الثلاثة لم تكن للأطفال اساسا . « وقد شاع هذا اللون من القصص الشعري فيما بعد لدى جماعة ابواللو في مجلتها الأدبية التي صدرت في ايلول ١٩٣٢ حتى كانون الثاني ١٩٣٤ ، وكانت تنشره تحت باب « شعر الأطفال » . ومن بين الذين نشرت لهم : الصاوي محمد شعلان ، بركة محمد ، علي عبدالعظيم ، وكمال كيلاني »^(٩) .

ورغم صدور عدد آخر من الدواوين ، الا ان محمد المراوي (١٨٨٥ - ١٩٣٩) يعد اول من انصرف بجد نحو شعر الأطفال ، فأبدع مقطوعات شعرية يتاسب كثير منها مع مستويات الأطفال الادراكية واللغوية من خلال منظوماته الشعرية « سمير الأطفال للبنين »^(١٠) و « سمير الأطفال للبنات »^(١١) وكل منها في ثلاثة اجزاء ، ثم « اغاني الأطفال »^(١٢) في اربعة

اجزاء . كما كتب عددا من القصص المنشورة . ولكن شعره في الغالب - كان شعرا تعليميا .

وإذا سارعنا الخطى ، ونحن نستعرض دواوين الأطفال ، فلا بد ان تتوقف عند شاعر قصد التوجه الى الأطفال بعد ان فقد ثقته في جيله - كما يبدو - هو الاستاذ سليمان العيسى . وقدم هذا الشاعر مقطوعات تفوق مستوى ادراك الأطفال ، واستخدام الفاظا يصعب على الأطفال تبيان معانيها . ويبعدوا ان الاستاذ العيسى متوجه الى ذلك ، حيث يقول :

«ربما تعمدت الرمز ، والصعوبة في الالفاظ ، والغرابة في بعض الصور، ربما كانت بعض العبارات فوق سن الطفل ، كل ذلك اعتمد واقتصر في كثير من الاناشيد لايمني بقدرة الطفولة على الالتقاط ، والادراك بالفطرة بـ صغارنا يفهمون باحساسهم المتحفظ اكثر مما يفهم الكبار احيانا بعقولهم الصلبة المرهقة . . . وهدف اخر . . . اريده من هذه الكتابة لعله اهم ما يدفعني الى ان يكون تاجي كله شعرا حتى الان . . انه الموسيقى . . اريد ان يعني الصغار . للحفظ والغناء . . اكتب لهم اناشيد ومسرحياتي الشعرية قبل ان تكتب للقراءة ، والفهم ، والتفكير . . ولتبق بعض الصور صعبة غامضة . . لتظل في اعماق الطفل كنزا صغيرا يشع ويتفتح باستمرار ، ويوحى له على مر الاعوام . . عندما يكبر ستكون له هذه الاسرار الغامضة زادا له ، وذخيرة متواضعة ، يضيف اليها ما يشاء ويني فوقها ما يشاء» (١٣)

ولتكنا نعلم ان الغرض من تقديم الشعر للأطفال هو خلق استجابات ذهنية لديهم يجعلهم في موقع جديد ، يشاركون فيه الشاعر حالاته الوجدانية يوم ابدع مقطوعته ، ويتدوّقون مواقع الجمال عن طريق الصور الملمحة والافكار الجميلة التي تدفع بهم الى التأمل والتفكير ، وتهيء لهم فرص الاستماع ، لا تقديم صيغ يحفظونها دون ان يتبنوا ما فيها من ايحاءات . واحتواء الشعر على افكار او كلمات غامضة تسبب اعاقة التلقائية في تقبل الافكار والقيم والمفاهيم ، وتحول دون معايشة الاطفال للشعر والتأثير به .

وحفظ الشعر ليس الا مهمة جانبية من مهام شعر الاطفال • واستعدادهم لحفظ قصيدة ما ، لا يعني انها تلائم اذواقهم ومداركهم • وحتى لو استعادوها مرة تلو مرة ، فان هذا لا يعبر عن تذوقهم لها ، خاصة وان علماء النفس يؤكدون ان للطفل قدرة على التذكر الالبي •

ووضوح التذكر الالبي Rote memory عند الاطفال الصغار يفسر لنا قدرتهم على استرجاع الاناشيد دون اي فهم للمعنى ، ويرجع تفضيلهم للاسترجاع الذي لا يقوى على الفهم الى ان قدراتهم العقلية محدودة ، ولهذا يلجأون الى التذكر الاسترجاعي الالبي – ولكن حين ينمو الطفل عقليا ، وتكون مادة الحفظ في مستوى ادراكه ، نجد ان التذكر القائم على الفهم ، وهو يبذل في الحفظ مجهودا اقل في حفظ المادة غير المفهومة^(١٤) •

وتذوق الشيء معناه – كما يقول د . ستانلي جاكسون – ادراك قيمته ادراكا يجعلنا نشعر به شعورا شخصيا مباشرا ، وفي نفس الوقت نشعر حياله برابطة وجدانية ، تدفعنا الى تقديره وجبه والاندماج فيه بحرارة • واذا كان التذوق امرا يغلب عليه الوجود او الانفعال ، فإنه الى جانب ذلك ايضا ينصل بالتفكير ويحتاج الى قدر من الفهم ، ولهذا تكون اكثر استعدادا لتذوق الشيء اذا فهمنا معناه^(١٥) •

ونحن لا نفي ان كثيرا من كلمات شعر الاطفال التي لا يعرف لها الطفل معنى بادىء بدء ، قد تصبح ضمن قاموسه اللغوي والادراكي حين يستطيب ايقاعات القصيدة وموسيقاها ويفهم افكاراتها ومعانيها • الا ان اقحام كلمات والفاظ وافكار تفوق المستوى النفسي والاجتماعي والادبي للطفل فان ذلك يحول دون فهم الطفل للشعر ومن ثم عدم الانفعال به •

ويمكن القول ان شعرا للاطفال لم يظهر في واقعنا الادبي بعد ، وكان الشاعر سليمان العيسى قد اكد ذلك منذ بعض سنوات حين قال : « ادبنا العربي يكاد ان يكون فارغا فراغا محزنا من ادب الاطفال ولا سيما شعر الاطفال »^(١٦) •

وبسبب ذلك هناك من يدعوا الى اتقاء بعض القصائد الشعرية البسيطة التي يمكن العثور عليها في تراثنا الشعري القديم او المعاصر .. ولكن هذا الشعر لم يكتب اساساً للاطفال حتى وان بدت فيه بعض ملامح البساطة ، ولم يراع التساعء فيه مستويات الاطفال الادراكية والخيالية ، يضاف الى ذلك ان الصور الحسية والذهنية التي رسمت فيه غير متواجدة اليوم في واقع الاطفال ، ان لم تكن بعيدة عنه كل البعد .

والواقع اننا نجد اليوم في بلدان العالم المتقدمة ألواناً رائعة من شعر الاطفال ، يستمتعون به من خلال الاذاعة المسماومة والمرئية التي استطاعت ان تخلق جمهوراً من الاطفال يستعدّون سماعه ، خاصة ، حين ترافقه الموسيقى التصويرية او المؤثرات الضوئية او الرسوم المعبّرة ، فتزيد من حرارته ودفقة . كما ان الكتب والمجلات تقدم للاطفال فيضاً من المقطوعات والقصص الشعرية ، ويتولى مخرجو تلك الكتب والمجلات بعث الحياة فيها عن طريق اخراجها اخراجاً يجذب الاطفال ، مستعينين بالرسوم الملونة التي يیدعها فنانون كبار لا مجرد رسامين لا يمتلكون غير المهارة اليدوية في الرسم . واكثر الوان شعر الاطفال شيوعاً هو الشعر القصصي .

وإذا كان من الضروري الاشارة الى القسمات العامة للشعر المناسب للاطفال ، فاننا نكتفي بايراد الجوانب التالية :

- استخدام الكلمات التي يتسع لها قاموس الاطفال اللغوي والادراكي ، وان تكون الكلمات ذات انسجام خاص .
- ان يتبعانس اللفظ مع المعنى ، اي ان يكون اللفظ رقيقاً في الموقف الريقة ، وان يكون قوياً في الموقف القوية .. وان يتتساب اللفظ مع المعنى ، بعيداً عن الحشو المخل ، والقصور الذي لا يفي بالمعنى .
- ان يفتح شعر الاطفال باليقان والموسيقى اللذين يوحيان بمعانٍ تتتجاوز المعنى الذي تدل عليه الالفاظ .

- ان يحمل افكاراً وقيماً تمد الاطفال بالتجارب والخبرات ، وتجعلهم اكثر احساساً بالحياة وان تكون تلك الافكار واضحة ، يستطيع الطفل ان يدركها .
- ان يشيع الخيال المنشيء في شعر الاطفال ، لأن ابرز ما يميز المعاني في الشعر انها تنقل الاطفال الى آفاق رحيبة .
- ان يكون شعر الاطفال الصغار مرتبطة بحواس الطفل والخيالات المستندة الى تلك الحواس ، وان يكون شعر الاطفال الكبار مرتبطة بالخبرات والصور الذهنية العامة .
- ان تكشف كل مقطوعة شعرية فكرة او جانباً من جوانب الجمال في الحياة والطبيعة .
- ان لا يتسع شعر الاطفال للعواطف والانفعالات الحادة كالحزن والقلق واليأس والحب المشوب ، وما الى ذلك .
- ان تتتوفر فيه الجاذبية التي تدعو الاطفال الى التعاطف مع ايقاعاته وافكاره وما ينطوي عليه من انفعالات ، من خلال الحيوية التي يضفيها الشاعر والصور الحسية والذهنية التي يرسمها والصيغة الطلبية كالاستفهام والنداء التي يدخلها ، فتجعل الطفل اكثر اشداداً .
- ان تكون لغة شعر الاطفال لغة عربية فصيحة بسيطة .
- ان يتلاءم شعر الاطفال ، شكلها ومضمونها ، مع مستويات نمو الاطفال الادبي والعقلي والعاطفي والاجتماعي . لأن لكل مرحلة من مراحل الطفولة ما يناسبها من الشعر .

الفصل الثالث

موسيقى الأهلكار وأغانيهم

كثيراً ما كان هشام ، الذي لم يبلغ الثالثة من عمره بعد ، يردد لوحده ، عبارة « حبك .. حبك .. حبك نار » و كنت اتساءل :

هشام .. هذا الذي يحيا اليوم بداية مرحلة الواقعية والخيال المحدود
باليئنة يعني هذه الاغنية .. فما الذي يا ترى يفهم منها !؟

انه يفهم شيئاً عن كلمة « حبك » لأنها تتكرر امامه كل يوم مرات عديدة ،
و خاصة حين يغرقه اخوه بالقبالات ويكرر على مسمعيه « احبوك » .. انه اذن
يفهم الحب كشيء رائع .. ولكن ما الذي يفهمه حين يقترن الحب بالنار ..
النار التي نحذر دوماً من خطرها ؟ !

لا شك ان ذلك محير لنا مثلكم هو محير لهشام الصغير ، خاصة و انه
ما يزال في مرحلة من الادراك يربط بين الكلمات والمفاهيم البسيطة ربطاً مادياً
لا منطقياً .

اذن ، نحن اوقعنا الطفل في حيرة ، في وقت ينبغي لنا فيه ان نجنبه مثل هذه المواقف في مثل هذا العمر ، اضافة الى اتنا فرضنا عليه كلمات من خارج قاموسه اللغوي *

واطفالنا « طربا » يطربون لاغاني الكبار ، ويرددونها بكل ما فيها من افكار مهزوزة ، وعواطف ماجنة ، وانعام ناشزة ، اضافة الى أنها لا تناسب طفولتهم ولا تناسب حناجرهم ولا امكانياتهم في الاداء بدل ترديدهم لكلمات منغية جميلة ، والحانان رخيصة عذبة خاصة بهم تعشق في تقوسيهم قيما جمالية وتسسو بعواطفهم ، وتثير في وجاداتهم نوازع فنية ، وتنمي اخيلتهم ، وتنزع عن تقوسيهم رواسب من العواطف الغامضة او الحزينة ، وتحرك احساساتهم ومشاعرهم وتمنحهم لونا من المتعة *

ومن حق الاطفال ان يتسابقوا الى ساع اغاني الكبار وترديدها لأنهم لم يجدوا اغانيهم الخاصة ، فظلوا ثلثاء لا يجدون ما مستمرئه اخيلتهم ، ولا ما تستطعيبه مسامعهم غير ذلك السبيل الغريب عنهم والذي لا يسكن الا ان يزيد في فقرهم الى التخيل والتذوق والاستمتاع *

واغاني الكبار هي تعبير عن آلام الكبار وآمالهم وتجاربهم وذكرياتهم ، وفي كثير من الاحيان تبدو تلك الآلام والذكريات والتجارب والأمال خليعة ماجنة * فقد حللت كثير من الاغاني الكبار في وطننا العربي مفاهيم وافكاراً رخيصة وانطوت على افعالات متشنجه وعواطف سقية وخیالات هشة *

ومثل هذا الفيض الذي يتدفق على مسامع الاطفال ذو اثر ضار في الطفولة ، بل وحتى لو توفرت اغان للkids تصور الحياة تصويراً اميناً ، وتجسستها في كلام جميل ولحن عذب ، وصوت ساحر ، فهي اغان للkids وحدهم ، لأن لأن أغاني الاطفال خصائص تبيها كثير من القصصات عن اغاني الكبار *

والموسيقى هي لغة النغم التي تتخذ لها شكلان فنياً خاصاً من اشكال

التعبير ، او هي شعر يتخذ من الانعام بدليلا عن الالفاظ . فانغام الموسيقى هي عبارات لحنية تنطوي على ما للكلمات من معان . وعلى هذا فالموسيقى هي بناء ادبي يخاطب عقول الناس ومتناعراهم فتتحرك له وتتأثر به .

وهذا اللون الادبي له بنيانه الخاص وخصائصه المتميزة وقدراته الواسعة التي لا تتوفر لغيره من الاجناس .

ومع اننا نسمى الموسيقى لغة – لأن اللغة ، اية لغة ، تتالف من كلمات تعبر عن رموز ذات دلالة ، والانعام هي الاخرى لون من تلك الرموز ذات الدلالةـ الا ان هذه اللغة الموسيقية تتجاوز حدود اللغة التي قد تقف عند حد معين في التعبير عما يعيش في النفس .. كما انها من جانب اخر لغة يفهمها الناس دون الاستعارة بقاموس او معجم . فانت قد تنتشي لموسيقى ابدعتها مخيلة فنان حتى لو كنت تجهل لغته ، لذا قيل عن الموسيقى انها لغة عالمية ، تحدث الناس جسيعا كبارا وصغارا ، متخطية قيود الزمان والمكان .

والموسيقى تهدىء من المشاعر المتشنجـة ، وتحفف من اعباء الانسان ، كما انها تلهب الروح الوطنية ، وكذا يمكن ان تكون وسيلة لتغيير الافكار ، ومصدرا للالهام ، ومن ذلك ما حدث في بروكسل حينما انصت الجماهير الى احدى الاوبرات التي ساختتهم بالالهام فهرعوا ليشعلوها ثورة عارمة انتهت بانفصال بلجيكا عن هولندا ^(١) .

وتعتبر الموسيقى مصدرا غنيا بالبهجة سواء اكان الفرد مجرد مستمع ام كان يقوم بدور ايجابي في العزف والغناء ، والسلوك الايقاعي يرمز للكثير من نشاطاتنا في الحياة ..

كما ان الطلب في سبيل الكشف عن قيمة الموسيقى كوسيلة علاجية مصاحبة . فبينما وجد الطب العقلي ان للموسيقى اثرا فعالا في حالات الامراض العقلية ، كذلك وجد في الصناعة ان الاتجاج يزداد عن طريق رفع الموسيقى للروح المعنوية وقتل الملل . ويذكر علماء وظائف الاعضاء ان الجزء

الاكبر مما نسميه بالتعب هو في الغالب ظاهرة عقلية اكثرا من كونها جسمانية، وانه علامة من علامات الملل اكثرا من كونه تعبا عضليا ، وتلعب الموسيقى دورا في تخفيفه . (٢)

ويذكر المربيون ان الموسيقى اداة من ادوات التربية الخلقيّة والحسنة والعاطفية ، ووسيلة من وسائل التعليم .

والاغنية مظهر من مظاهر الموسيقى تستعين عادة بالشعر الى جانب الانغام .

الموسيقى والاطفال

يطرق الغناء اذان الاطفال منذ ايام المهد الاولى ، عن طريق ما يسمى باغاني المهد او اغاني الترقیص ، حيث ينصت الاطفال الى اصوات الامهات اللواتی یعنین اغانيات ذات ايقاع رتيب في الغالب ، لتهدئه الاطفال وبث الطمأنينة في نفوسهم وذر النوم في عيونهم .

وهذه الاغاني تشيع في جميع بلدان العالم ، وتنتناول اقصاص شعرية قصيرة منغمة او مجرد تصویت لحنی .

ويحفل تراثنا الشعبي بوافر من هذه الاغانيات ، وهي تتناول ، في غالبيتها قيمها ومفاهيم اخلاقية وآمالا وتخيلات حالمه . وفي احيانا اخرى تنطوي على مضامين مرعبة او يائسة او حزينة .

وتبدأ حاسة السمع وظيفتها بعد ايام من ولادة الطفل ، ولكن التأثير بالموسيقى عزفا أم غناء ، يختلف من طفل الى اخر ، ولكن جميع الاطفال الاسيوية ، جسميا وعقليا ، يتأثرون بها ، بشكل او باخر خلال الاشهر الاولى من اعمارهم .

ويجد الاطفال لذة في تقليدهم لبعض الاصوات . وقد اظهرت التجارب ان الاطفال ذوي الاستعداد الموسيقي يمكنهم ترديد النغمات الموسيقية

القصيرة في النهر التامن او التاسع من اعمارهم^(٣) ، اما الاطفال الاعتياديون فانهم يبدأون تقليد الاصوات مع بداية العام الثاني من اعمارهم •

وحين يوقع الطفل بعض الايقاعات او يردد بعض الانغام او الاغنيات ، فانه يمارس لونا من الوان اللعب في الاصوات ، واللعب في حد ذاته حاجة من حاجاته الاساسية له دوره في اثراء عالمه المادي والخيالي •

كما ان اللعب ، بوجه عام ، يعبر عن الحالة النفسية للطفل تعبيرا صادقا لما يمتاز به من صفات الحرية والتلقائية المصحوبة بالملائكة وهو يدفع الطفل الى الاستمتاع والفرح والتفق وابتکار ، ويكتسب الخبرة تلو الاخرى ، ويسهم في نموه • ولهذا يعتبر اللعب وسيلة للنمو ، وهو رمز للصحة النفسية السليمة ، اضافة الى كونه نوعا من انواع العلاج النفسي لانه وسيلة لمعالجة الاطفال غير الاسوية بتعديل سلوكهم وحل مشكلاتهم^(٤) •

والاطفال ، في صغرهم لا يكتفون بمحاكاة بعض الاصوات بل يتعدون ذلك الى اصدار اصوات منغمة تعبيرا عما يختلج في نفوسهم من افعالات كما هو الحال في تعبيرهم عن الفرح او السعادة مثلا •

ولكن هذه الاشكال من التعبير هي تعبيرات بدائية او بسيطة ، وقد تظل البدائية والبساطة تلازمها اذا لم يتم العمل على تنميتها تنمية سليمة •

والمؤثرات السمعية التي تناهى الى مسامع الاطفال في صغرهم تعمل رويداً على تكوين اذواقهم الموسيقية •• ومن هنا يبدو دور البيئة التي يحيا فيها الطفل في تشكيل ذوقه للموسيقى •

المعروف انه من النادر ان نجد طفلا لا يمتلك القدرة على التأثر بالموسيقى ، لذا فان ابراز هذه القدرة يتوقف على ما يستمع اليه في صغره ، حيث ان ذاكرة الطفل الفتية تسجل على السواء اللحن الجميل واللحن الرديء بغير تمييز ، لذا كان من الاهمية بمكان اشباعه بالموسيقى الطيبة حتى يصبح ذا

ذوق جميل ، وان تبعد عن اذنيه كل شاعرية ملتوية ، وكل ما هو رخيص^(٥) .
والاطفال الذين تشيع في بيوتهم او بيئاتهم اغانيات رديئة يكون لها اثرها السيء
في تربية حواس سمعهم .

ولا شك ان الطفل يستقبل في بيئته اصواتا مختلفة ، منها ما هي اصوات
موسيقية ، ومنها ما هي غير ذلك . و التربية حاسة السمع ترتبط بتكونن شخصية
الطفل ، وبدون هذه التربية يفتقد الطفل ذكاءه السعوي . والمرحلة المهمة في
نمو الطفل موسيقيا هي مرحلة ادراكه تركيب الاصوات وتركيب الجمل
الموسيقية وعلاقتها ببعضها ، ويترب على ذلك استماعه بالموسيقى التي
يسمعها ، ونسو قدرته الذهنية على اكتساب الجمال فيها . والحكم على العمل
الموسيقي الجيد او الرديء . ولا يستطيع الطفل ان يصل الى هذه المرحلة
من نسخته الموسيقية الا اذا مر بمرحلة تربية وظائف السمعية بنجاح .
وهكذا فان تربية الوظائف السمعية هي القاعدة الاساسية ل التربية الحاسة
الموسيقية الكامنة في الطفل^(٦) .

وتربية ذوق الطفل تبدأ منذ عمر مبكر ، ويسكن ان نعوده وهو في
مرحلة « الواقعية والخيال المحدود بالبيئة » على التمييز بين درجات وانواع
الاصوات الرقيقة ، وذلك عن طريق تعويذ اذنيه على سماع الموسيقى والاصوات
الصادرة عن الطبيعة والكلام المنغم والالقاء الحسن . ولكن حسن استقبال
الموسيقى من خلال الاذن بشكل صحيح لا يكفي لتربية الاحساس
الموسيقي ، اذ لابد من ان يلازم ذلك تأثير نفسى داخلي ، « وهناك موسقيون
قد تدربت آذانهم تدريبا غاية في الجودة ، ولكنهم مع ذلك لا يحبون الموسيقى
حبا حقيقا ، ولا يحسون اثراها في اعماق نفوسهم ، وهناك آخرون لم تتدريب
آذانهم ذلك التدريب الموسيقي ، ولكنهم رغم هذا النقص الموسيقي في حاسة
سماعهم يعتبرون فنانين حقيقين ساماوا واتاجوا واداء »^(٧)

وموسقي الطفل تصل على انصاف شخصيته ، وتكاملها بوجه عام ، وعلى
انصاف الجانب الوجданى بشكل خاص . حيث انها تربى ذلك الجانب

وتعمقه بالخبرات الحية .. وتعده للتناغم مع المعاني والقيم المحسدة في العمل الموسيقي الأصيل . وهذا امر له اهميته ، فكما اتنا نعمل على تنمية الجانب العقلي من شخصيات اطفالنا ، وتنمية الجانب الاجتماعي منها ، يتبع ان تبني ، فضلا عن ذلك ، الجانب الوجداني ، ذلك لأن الجوانب الثلاثة مترتبة ومتكاملة ، واذا ما حدث تخلف في واحد منها تاثر الجانبان الآخرين واختل توازن الشخصية ^(٨) .

ويدخل في اطار ذلك كون موسيقى الطفل اداة تطبع ضمائر الاطفال وامزجتهم بطابع فني ، وتنمي احساساتهم بالجمال . وتهيء الفرص لحسن استخدام اوقات الفراغ ، واكتشاف الامكانات والطاقة . وحين يشارك الطفل في الاغاني الجماعية فإنه يكتسب شعورا بكيانه كوحدة لها دورها في الجماعة .

يضاف الى ذلك ان الموسيقى تشيع البهجة في نفوس الاطفال ، وتشبع ميلهم الى الايقاع والحركة ، وتشري خيالاتهم . وتزيد قوة تعبيرهم الادبي واللغوي .

اما عن قيمة الموسيقى في التربية فانها ذات شأن ، وقد ادرك ارسطو (٣٨٤ - ٣٢٢ ق . م) منذ حين قيمة الموسيقى في هذا المجال ، فتحدث عن ذلك حديثا مسهما ، حيث قال عن الغاية الاساسية للموسيقى ، بانها وسيلة للاستماع العقلي ، وان لها مع ذلك مزايا خلقية ، لأنها تبث في النفس الشجاعة والاقدام ، والميل الى الرقة والعطف في التعامل ، وتأثير العواطف والانفعالات الطيبة . وعلى هذا فهو يرى ان من الموسيقى ما هو متعة وتهذيب للعقل ، ومنها ما هو مقوّم للأخلاق ، ومنها ما هو مروح للنفس ومهدي للاعصاب . ^(٩)

وقال افلاطون (٢٠٥ - ٢٧٠) في كتابه الجمهورية :

« ان الموسيقى علم يجب معالجته كالرياضية البدنية ، فالاولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها والاخرى تقوى الجسد » ، وقال : « ان

الموسيقى غذاء النفس ، ومبعد الاتزان وهي منحة آلهة الفنون الحرة التي تحول علينا من شاذ منتقل الى محكم ثابت ، وترد كل تناقض الى جناس متناسب، وتبصرنا طريق الهدى » . كما قال « اتنا نعلم اهمية قصوى على التربية الموسيقية لأن الايقاع والتناسب يغوصان الى ابعد الاعماق من اغوار الروح، ويسيطران اقوى سيطرة عليها ، حاملين رقة الشمائل ، ومؤثرين في الانسان ما يجعله رقيق الشمائل اذا احسن المنهل »

وتعنى بلدان العالم المتقدمة اليوم بموسيقى الاطفال ، حيث تدرس التربية الموسيقية كمنهج دراسي في المدارس ، اضافة الى اهتمامها باتجاه الاغاني لتقديم من خلال محطات الراديو والتلفزيون او تقدم لهم في نواديهم واماكن تجمعاتهم . كما تطبع في كتب جذابة ملونة مع النوتات الموسيقية البسطة .

وكان مؤتمر التربية الموسيقية الذي نظمته اليونسكو في بروكسل عام ١٩٤٨ قد بحث موضوع التربية الموسيقية في مدارس العالم ، واصدر توصيات تؤكد على ضرورة الاهتمام بالموسيقى ودعمها من قبل الجهات المختصة نظرا لاحتياجاها التربوية ، حتى ان المؤتمر ذهب الى ابعد من ذلك ، فافرد بحوثا خاصة حول اثر الموسيقى في التربية وتقويم الجانحين .

وعالج هذا الموضوع المؤتمر الثاني للمجمع العربي للموسيقى الذي عقد في طرابلس (ليبيا) عام ١٩٧٢ . وكانت توصيته الاولى الموجهة الى وزارات التربية في الوطن العربي : ان تعطي مادة التربية الموسيقية من الاهتمام في المدارس ما تعطي لمادة اللغة العربية .

الموسيقى المناسبة للطفل

- من المناسب بناء موسيقى ترافق اوجه نشاط مختلفة كالاعمال والألعاب والرقصات والتمثيليات والمسرحيات والقصص الشعري .
- من المناسب بناء موسيقى واغنيات جماعية .

- من المناسب بناء موسيقى تستهدف تربية الاذن قبل كل شيء للاطفال الصغار ، لأن التذوق الموسيقي يعتمد على خبرة حاسة السمع .
 - من المناسب بناء موسيقى تستهدف تهذيب الالفاظ والكلمات ومثل هذه الاغاني تصلح للاطفال الصغار ايضا ، حيث تساعدهم على نطق الالفاظ والكلمات بشكل صحيح .
 - من الممكن تهذيب كلمات بعض الاغاني الشعبية والاستفادة من الحانها الدافقة .. ويستثمر الاطفال بمثل هذه الاغاني لانها قريبة اليهم .
 - من الضروري ايجاد مقطوعات موسيقية للاطفال ، لا تستعين بوسائل تعبير اضافية كالكلمات ، بل تكتفي بالاداء الموسيقي وحده .
 - يترب اذن تلاعيم الحان الاغاني واذواق جمهور الاطفال ، مع العمل على الارتفاع بمستويات اذواقهم شيئا فشيئا ، ولا شك ان للحان اهمية كبيرة في اغنية الطفل ، وكثيرا ما يستمتع الاطفال بترديد اغان ذات الحان جميلة رغم انهم لا يفهمون معاني كلماتها .
 - ينبغي ان تتميز الالحان بالحركة كي تحتفظ الموسيقى بقوتها على التعبير . ويستمتع الاطفال كثيرا بالحركة والايقاع .
 - ان تخرج اغاني الاطفال في معانيها عما ألفناه - نحن من اغان ذات نوازع فردية ضيقة .
 - ان تتناسب موسيقى الاطفال غناء وعزفا مع مراحل نمو الاطفال الحسي والادراكي والوجداني . لأن ما يتناسب الاطفال في مرحلة الطفولة المبكرة لا يتناسب الاطفال في مرحلة الطفولة المتأخرة .
 - ان تحمل كلمات الاغاني معاني صادقة تعجسم الحياة بكلام جميل عذب . وان تكون الاصوات المؤدية للغناء ساحرة جذابة .
 - ان تفيض اغاني الاطفال بكلماتها والحانها بالفرح والتفاؤل .. وان تكون
- (أدب الأطفال - م ١٥) ٢٦٥

كلماتها وتعابيرها يسيرة يسهل على الاطفال فهمها ، وان توحى اليهم بسعان وافكار وصور قريبة الى عالمهم وافق خيالاتهم . وان تكون طافحة بالامل والقوة والنفحة بعيدا عن كل ما يثير احزان الطفولة ويدعوها الى الاتكالية والخمول والتحسسر .

- ان تتناسب الاغاني التي يؤدinya الاطفال مع المستوى الادائي اضافة الى المستوى الادراكي لهم .
 - ان يكون اسلوب الاغاني سلسا واضحا حافلا بالصور الجميلة المشرقة .
 - ان تتناول موضوعات ومعان وشخصيات واسماء محببة الى الطفولة .
- وهنا لابد ان نشير الى ان اغاني الاطفال ليس بالضرورة ان يعنيها الاطفال افسهم . بل ان احب الاغنيات اليهم هي التي يعنيها الكبار .

البابُ الرابع

وسائل الاصفاف لـ الوجه

الفصل الاول

صحافة الأطفال

المبحث الاول

نظرة عامة

يقال ان اول صحيفه للاطفال اصدرها بين ١٧٤٧ - ١٧٩١ في فرنسا اديب لم يفصح عن اسمه ، واتخذ اسما مستعارا هو « صديق الاطفال » واطلق نفس الاسم على الصحيفه ، وخالف ذلك الاديب في كتاباته منهج اتباع جان جاك روسو الذين كانوا يحرصون على التربية الاستقلالية الطبيعية . وامتازت كتاباته بالسهولة والرشاقة . وقد نقل عن طريق صحيفته الى الاطفال الفرنسيين قصص الاطفال في البلدان الاخرى من اللغات المختلفة . وبذلك استطاعت ان تسد فراغا كبيرا من ميول الاطفال ، وان تشبع رغبتهم في القراءة المسلية الممتعة بعيدا عن النصائح والارشادات الاخلاقية والتعليمية . وكانت هذه المجلة بعثا لحركة الكتابة للاطفال (١) .

ولكن اكثـر الـذـين يـتـحدـثـون عن نـسـأـة صـحـافـة الـاطـفال يـقـولـون ان اـوـل صـحـيـفة لـلـاطـفال فـي العـالـم ظـهـرـتـ عامـ ١٨٣٠ فـي فـرـنـسـا . وـبـعـدـ حـينـ اـصـدـرـ بـولـتـيـزـرـ مـلـحـقاـ لـجـريـدـتهـ «ـالـعـالـمـ Worldـ»ـ عـامـ ١٨٩٦ـ فـي الـولاـيـاتـ الـمـتـحـدةـ الـاـمـرـيـكـيـةـ ،ـ يـضـمـ رـسـوـمـاـ لـمـغـامـرـاتـ طـفـلـ فـي شـوـارـعـ نـيـوـيـورـكـ .

وـقـدـ سـبـقـ ذـلـكـ صـدـورـ صـحـفـ خـاصـةـ بـالـتـلـامـيـذـ تـحـتـ اـشـرافـ هـيـئـاتـ عـلـمـيـةـ اوـ تـرـبـوـيـةـ تـعـنـىـ بـاـخـبـارـ الـمـارـسـ وـالـدـرـاسـةـ وـتـسـتـهـدـفـ غـرـسـ الـمـعـلـومـاتـ الـعـلـمـيـةـ وـالـادـيـةـ وـالـفـنـيـةـ فـيـ اـذـهـانـ التـلـامـيـذـ .

وـفيـ الـوقـتـ الـذـيـ كـانـتـ فـيـهـ اـكـثـرـ الصـحـفـ الـأـوـلـىـ مـجـرـدـ صـحـفـ تـسـلـيـةـ اوـ اـشـبـهـ بـشـرـائـطـ فـكـاهـيـةـ يـقـبـلـ عـلـيـهـ الـكـبـارـ الـمـتـبـعـونـ فـيـ شـبـهـ قـرـاءـةـ اوـ قـرـاءـةـ يـسـيـرـةـ لـاـ عـنـاءـ فـيـهـ ،ـ كـانـتـ الصـحـفـ الـأـخـرـىـ صـحـافـةـ مـدـرـسـيـةـ .ـ اـمـاـ صـحـافـةـ الـاطـفالـ الـعـامـةـ ،ـ فـيـبـدـوـ اـنـهـ ظـاهـرـةـ عـصـرـيـةـ لـمـ يـلـتـفـتـ اـلـيـهـ اـحـدـ الاـ بـعـدـ اـنـ تـغـيـرـتـ النـظـرـةـ الـطـفـلـ باـعـتـبارـهـ كـائـنـاـ لـهـ خـصـائـصـ الـمـتـمـيـزةـ .

وـتـتـضـعـ فـوـارـقـ عـدـيـدـةـ بـيـنـ الصـحـفـ الـمـدـرـسـيـةـ وـصـحـفـ الـاطـفالـ الـعـامـةـ .ـ وـتـحـدـيدـنـاـ لـمـاـ تـعـنـىـهـ الصـحـافـةـ الـمـدـرـسـيـةـ تـضـعـ لـنـاـ بـعـضـ مـؤـشـراتـ تـلـكـ الـفـوـارـقـ .

فـالـصـحـافـةـ الـمـدـرـسـيـةـ ،ـ التـيـ تـتـوـلـ اـصـدـارـهـ الـمـارـسـ ،ـ تـعـنـىـ بـوـجـهـ خـاصـ بـالـحـيـاةـ الـمـدـرـسـيـةـ ،ـ باـعـتـبارـهـ مـجـتمـعـاـ مـتـمـيـزاـ ،ـ كـماـ اـنـ هـذـهـ الصـحـفـ تـلتـزمـ -ـ فـيـ الـغـالـبـ -ـ بـمـادـةـ صـحـفـيـةـ مـحـدـدـةـ ،ـ تـسـتـهـدـفـ تـطـوـيرـ الـحـيـاةـ الـمـدـرـسـيـةـ وـتـرـبـيـةـ الـطـلـابـ تـرـبـيـةـ فـكـرـيـةـ فـيـ جـانـبـ الـتـعـلـيمـ وـالـثـقـافـةـ وـالـتـروـيـحـ .ـ وـبعـضـ الصـحـفـ الـمـدـرـسـيـةـ تـخـطـتـ اـسـوـارـ الـمـدـرـسـةـ فـيـ الـبـيـئةـ .ـ وـالـذـيـ يـمـيـزـ هـذـهـ الصـحـفـ اـنـهـاـ تـخـاطـبـ جـمـهـورـاـ قـرـيبـاـ فـيـ التـجـانـسـ مـنـ جـوـانـبـ عـدـيـدـةـ .ـ وـيـشـارـكـ الـمـعـلـمـونـ وـالـتـلـامـيـذـ ،ـ عـادـةـ ،ـ فـيـ تـحـرـيرـهـاـ .ـ وـهـنـاكـ صـحـفـ مـدـرـسـيـةـ تـتـوـلـ اـصـدـارـهـ جـهـاتـ تـعـلـيمـيـةـ اوـ مـعـلـمـونـ اوـ مـربـيـونـ وـتـوـزـعـ ،ـ فـيـ الـغـالـبـ ،ـ عـلـىـ تـلـامـيـذـ وـطـلـبـةـ الـمـارـسـ .ـ وـاـذـاـ كـانـتـ صـحـافـةـ الـكـبـارـ هـيـ وـاحـدـةـ مـنـ الـادـوـاتـ الـفـاعـلـةـ فـيـ تـكـوـينـ

الرأي العام ، فان صحافة الاطفال هي اداة من أدوات تشكيل الطفولة ، وتهيئتها لتكون طاقة خلاقة ، في حاضرها ومستقبلها .

ولصحافة الاطفال خصائص تميزها عن بقية وسائل مخاطبة الطفولة منها : كونها فنا بصريا يعتمد على الكلمة المطبوعة والصورة واللون ، وهذه العناصر تتميز بالثبات حيث يستطيع الطفل ان يقرأها أو يتعمن فيها أو يستمتع بها مرة بعد مرة ، في أي وقت يناسبه ، وحسب ذوقه .. كما ان الاتظام الدوري هو خصيصة ذات أهمية في صحف الاطفال ، لانه يميزها عن الكتابة المتقطعة المتبااعدة .

ولصحافة الاطفال ، باعتبارها وسيطا من وسائل مخاطبة الطفولة ظروفها الخاصة ، وهذه الظروف ، تفرض - بين ما تفرض - اسلوبا خاصا بها ، يشعر الطفل بخفته وسهولته وجماله ، وتحفي له الكلمة المطبوعة بالفكرة المانعة المؤثرة ، وتهذب الصورة ذوقه ، وتتيح لخياله أن ينطلق ، وتغري الالوان بصره ، وعند هذا تكون الصحيفة رفيقة حبيبة للطفل ، تقدم له الحقيقة وال فكرة دون أن تتعبه او ترهقه ، بل هي تدخل المتعة معها الى نفسه . والاطفال يطمحون الى معرفة الحقائق دائما ، ولكنهم يريدونها دون عناء كبير ، تستعين صحف الاطفال بمختلف الفنون الادية والتشكيلية لتبدو امام الطفل مشوقة مغيرة يسيرة .

ولصحافة الاطفال دورها البالغ في تنمية الطفولة عقليا وعاطفيا واجتماعيا وادبيا ، لأنها اداة توجيه ، واعلام ، وامتناع ، وتنمية للذوق الفني ، وتكوين عادات ، ونقل قيم ومعلومات وافكار وحقائق ، واجابة لاستلة الاطفال ، وابشاع لخيالاتهم ، وتنمية ميولهم القرائية . وهي بهذا تؤلف أبرز أدوات تشكيل ثقافة الطفل ، في وقت أصبحت الثقافة فيه ابرز الخصائص التي تميز هذا الفرد عن ذاك وهذا الشعب عن ذاك .

المبحث الثاني

انواع صحف الاطفال

هناك صور مختلفة ومتعددة لصحف الاطفال . . وبالنسبة الى الشكل تقسم الى مجلات وجرائد ، وبالنسبة الى المضمون تقسم الى صحف جامعة ، واخرى هزلية ، وثالثة اخبارية ، ورابعة رياضية ، وبالنسبة الى الجهات التي تتولى اصدارها هناك صحف تصدر عن الهيئات والمنظمات واخرى تصدر عن شركات للنشر بقصد الربح . .

أما بالنسبة الى مراحل نمو الاطفال ، فهناك صحف خاصة بالاطفال في مرحلة الواقعية والخيال المحدد بالبيئة (٣ - ٦ سنوات) ، واخرى للاطفال في مرحلتي الخيال المنطلق والبطولة (٦ - ١٢) وثالثة للاطفال في مرحلة المثالية أو الرومانسية (من ١٢ الى نهاية مرحلة الطفولة) .

ونجد صحفا خاصة بالبنات على نطاق محدود .

وتتناول فيما يلي بعض انواع صحف الاطفال ، ونشير الى اننا لم تتبع اساسا محددا في تصنيفنا هذا ، بل اكتفيينا بتناول أكثر التسميات

شيوعاً مع العلم ان هناك تصنيفات من حيث الموضوع ، واخرى من حيث الاسلوب ، وثالثة من حيث اعمار الاطفال .

الصحف الجامعية :

وهذه الصحف هي من أكثر صحف الاطفال شيوعاً ، وتعنى في العادة بنشر المغامرات والقصص والمسلسلات المصورة والطرائف والفكاهات والمسابقات والمعلومات العامة والاخبار والتحقيقات والاعمدة القصيرة . وتشكل الصحيفة الجامعية او صحيفة المجموعات اضماماً ملونة يتبارى الاطفال لاحتضانها .

وهذه الصحف التي تعتمد على التنوع لازريد للملل ان يتسرب الى نفوس الاطفال ، بل تزيد أن تنقلهم من هنا الى هناك في أوقاته قصيرة كي يظل شوّقهم في تجدد مستمر . والتنوع لا يعني الاختيار العشوائي لأشتات متفرقة ، كما قد يحسب البعض ، بل يمثل لوحة متكاملة تتزوج فيها الالوان الادبية والفنية بصورة متاغمة يجعلها في مجلملها قطعة أدبية وفنية تثير ذوق وخيال وذهن الطفل ، دون أن يتسرب اليه شيء من السأم .

والتنوع لا يشمل المضمون وحده ، بل يتعداه الى الشكل ، اسلوباً ولغة ، كما يشمل أيضاً اخراج المواد على صفحات المجلة ، ويصل التنوع أحياناً الى الالوان والرسوم والاحروف .

ويشارك في تحرير هذه الصحف عديد من الكتاب والمحررين والفنانين ، كل يبدع باسلوبه الخاص ، دون الخروج على الخط العام ، ولكن بعض الصحف الجامعية تكتفي بتوسيع موضوعاتها دون التنوع بالاساليب والاشكال الفنية .

صحف المسلسلات المصورة :

يجد الاطفال في البلدان الغربية ، بوجه خاص ، في أسواق الكتب والمجلات فيضاً من صحف الهزليات المصورة Comics . وهذه الصحف

تعتمد على النكتة السريعة التي كثيرة ما تكون مقلبا او خدعة او محاولة يائسة ، وقد لا تكون الا مغامرة أو جريمة ، وقوامها في العادة الرسوم المتتابعة التي تمثل كل واحدة منهما كاملا مع مسمع قصير مطبوع ، منها ما يضحك ومنها ما لا يضحك .

واساس الهزليات باعتبارها سلسلة من الرسوم ، هو الصورة الهزلية المفردة ، وهذه الاختيارة كانت قد دخلت الصحافة الامريكية في السادس عشر من شباط عام ١٨٩٦ ، حينما نشرت صحيفة World مسلسلا مصورا^(٢) .

ورغم ان صحف الهزليات المنشورة هي من الصحف الشائعة كثيرا في اميركا واوروبا وبعض البلدان النامية ، الا انها تواجه نقدا شديدا يصل الى حد القول انها تقسى خيال الاطفال ..

وهنا ، ننبه الى ان تقبل الاطفال لهذه الصحف وتسابقهم من اجل الحصول عليها لا يعني انها مناسبة لهم ، لأن الاطفال لا يمتلكون القدرة على تبيان مواطن الضرر فيها .

ان الصور المتتابعة التي تملأ صفحاتها ، تبلبل ذهن الطفل وتربكه ، اضافة الى ان الرسوم المجاورة بهذه الشاكلة تضعف بعضها بعضا ، وبذلك تفقد الرسوم قيمتها الجمالية .

وهي أيضا ، تحد من خيال الطفل في مشاهد محددة تكون في الغالب واضحة كل الوضوح بحيث يسهل على الطفل فهمها ، دون الرجوع الى المادة المكتوبة الى جانبها . ولهذا آثاره الضارة في الطفل ، لأن السرد الذي يرافق الرسوم الذي يتحدث به الابطال يكون عادة خاطقا وسريعا ، وقد لا يشكل اسلوبا ادبيا يجد فيه الطفل ما يمتهن كما لا يجد فيه ما يثيري ثقافته .

. يضاف الى ذلك ان الهزليات المنشورة تفوقت على الطفل فرصه اثراء قاموسه اللغوي .. واطهر من ذلك انه بمروز الزمن يعتمد على القراءات السريعة العابرة ، ويكتفي بالمشاهدة دون القراءات الجادة المطلوبة .

وفي اميركا واوربا صيحات عالية ضد صحافة الكوميكس ، وهذه الصيحات تقول ان خيال الاطفال قد اصيب بالمرض لاسباب عديدة من ابرزها هذا اللون من الثقافة التي تمثل ارخص ثقافات العصر ٠

ويقول نانس لارك في كتابه « دليل الاباء الى قراءات الابناء » وهو يتساءل :

« لماذا يقرأ الاطفال مجلات الكوميكس ؟
ثم يجيب »

اولا : لأن مجلات الكوميكس ترضي رغبة الطفل في الحركة والمعامرة

ثانيا : الحوادث تتحرك بسرعة ، والحوادث الاعتراضية قليلة وقصيرة وهذا يعني اشباعا ٠

ثالثا : أنها سهلة القراءة ، بل أن الامي يستطيع فهم القصة من الرسوم والصور ٠

رابعا : أن من الميسور الحصول عليها بارخص الاسعار ، لأن مادتها رخيصة

خامسا : أن الجميع يقبلون عليها ٠ فتحكم الاطفال هنا نفسية القطبيع ، حتى أن الذي لا يقرأها يصبح غريبا ٠

سادسا : أن هناك اطفالا كثيرين لا يجدون شيئا آخر يقرأونه ، فهم لا يعرفون شيئا عن الكتب او كيفية الحصول عليها ٠

وفي كتاب « الاطفال والكتب » اشارت مؤلفته الامريكية ماري هيل ان مجلات الكوميكس قد تضاعفت وزاد فيضها ، وغمرت الاسواق من اجل الربح المادي على حساب الاطفال المتورطين ، حيث يقرأها من الاطفال من الاولاد بين (٦ سنوات الى ١١ سنة) ٩٥٪ ومن البنات ٩١٪ ومن الرجال ٤١٪ ومن النساء ٢٨٪ وتشير المؤلفة ، الى ان تلك الصحف تدرب الاطفال على ارضاء

رغباتهم السريعة الملحقة تم ينتهي استمتعهم بها بانتهاء القراءة، دون ان ترسب في نفوسهم قيمة انسانية واحدة ، كما انها لا تدرّبهم على القراءة الجادة والبحث والدراسة .. وقد تؤدي بهم الى ان يخلطوا بين الواقع والخيال ، ويصبحوا اشبه بالبهاء والمعتوهين^(٣) .

والمشكلة الكبيرة هي ان هذا الاسلوب قد سيطر على صحافة الاطفال في بعض البلدان النامية ، ومن بينها اقطارنا العربية ، حيث نجد صحفا في القاهرة وبيروت وغيرها من العواصم العربية تتولى اغراق الاطفال بهذا الفيض من الثقافة الرخيصة .

وتتّخذ كثير من المسلسلات المصورة من الحيوانات ابطالا لها مثل الرسوم التي تتجهها شركة والت دزنی وتُغرق بها مجلات كثيرة في العالم .

ويلاحظ ان المسلسلات المصورة اخذت تنتشر في الصحافة الى حد كبير بعد ان ظهرت افلام الكارتون ولاقت اقبال الاطفال .. ولكن النجاح الذي تحقق لافلام الكارتون لا يمكن ان يتحقق للمسلسلات المصورة من خلال الصحف ، نظرا لاختلاف طبيعة وقدرات القلم عن طبيعة وقدرات الصحيفة .

وعلى اية حال فان هذا اللون وما يشابهه من الحكايات السهلة رغم انها تصنف في قائمة الادب ، الا انها لا ترتبط بالادب الا برباط رقيق^(٤) .

صحف الاطفال الاخبارية :

تعنى صحافة الاطفال الاخبارية بالانباء وتفسيراتها بشكل خاص ، ولكنها لا تقتصر على ذلك ، اذ نجد في مثل هذه الصحف الى جانب ذلك : قصصا. وحكايات وطرائف وتقارير وتعليقات ورسوما كاريكاتيرية وتحقيقات صحافية . ولكن الغلبة تظل في مثل هذه الصحف للطبع الاخباري .

ويتصور البعض ان الاخبار ، كأخبار ، لا تهم الاطفال ، وهكذا يتصور الاطفال ايضا .. ولكن الاخبار في الواقع ليست حوادث مجردة ، بل هي تصوير ذهني لتلك الحوادث وتقرير عن المواقف والافكار .

والحوادث ، في حد ذاتها ، قد لا تعني شيئاً كثيراً ، ولكن بفضل الصور الذهنية التي نشكلها لها من خلال الصياغة المناسبة يمكن أن يجعلها مادة حية ترضي فضول الأطفال وتروي تعطشهم لمعرفة العالم الذي يحيون فيه ، إذا ما تجاوزنا الحوادث ذاتها إلى كشف المعاني الجوهرية لها ٠

ويظل الأطفال في حاجة إلى الأخبار ماداموا يتصرفون بالفضول والقلق والخوف ، إذ أن هذه العوامل هي في مقدمة أسباب ظهور الأخبار وانتشارها . وقد قيل في تعريف الخبر أنه تسجيل لمحاولات الإنسان المثابرة من أجل اختراق ستر ذلك الغموض البعيد الذي يكتنف افقهه ٠

والصحف الإخبارية تعني ، في العادة ، بأخبار الأطفال ونشاطاتهم والعابهم ومتكرراتهم وهوایاتهم في كل مكان . ومع هذا فليست مثل هذه الأخبار هي أحب ما يريده الأطفال ، لأن الأطفال ليسوا أصحاب قضية ، لذا لا يلتفت كثير منهم إلى أخبار الأطفال الآخرين قدر ما يعنون بالصور المصاحبة للأخبار . وكل خبر قد يهم قطاعاً من الناس ، ولكن ليس هناك خبر يثير انتباه الجميع في كل مكان (٥) ٠

ولذا ، لا تكتفي هذه الصحف بأخبار الأطفال في الدنيا فقط ، بل تتعدى ذلك إلى نشر أخبار الأبطال والبطولات ، مستندة إلى ميل الأطفال الشديد لأن يكونوا قريبين من هؤلاء الأبطال ، وخير وسيلة لإقامة هذه القربي هي نقل الأخبار والتقارير عنهم ٠

وتعني هذه الصحف عناية خاصة باستعراض النشاطات المختلفة في شتى ميادين الحياة العامة كالرياضة والسياسة والعلوم والفنون وشؤون البيت والمدرسة ، وكل ما يرتبط بشكل أو باخر بحياة الأطفال من بعيد أو قريب ٠

ومن أولى مزايا الخبر ، أن يتجاوز مع عامل الوقت ، وتظل معايير تقييم الخبر في جدته ، وبروزه ، وضخامته ، وغرابته ، ونتائجها المرتقبة ،

ومساسه بعالم الطفل واهتماماته وخيالاته ، كما يظل تأثيره في : الصياغة المناسبة والصور الذهنية التي نرسمها له ، ولا شك ان اي خبر لا يمكن ان تقدمه للأطفال بنفس الصياغة والصور الذهنية التي تقدمه بها الى الكبار ، وليس هذا حسب بل انتا ونحن نتحدث عن الطفل والخبر لابد ان تنزع من اذهاننا كثيرا مما علق بها عن الخبر بمعناهيننا نحن الكبار ، لأن بعض الاخبار التي يتلهف الكبار للتلامها تبدو باهته اذا ما قدمت للأطفال وما يزال الكبار يولون الاخبار «الرقطاء» عنابة خاصة «ولهذا وجدنا وكالات الانباء العالمية عموما تميل الى التركيز على اخبار الحروب وصراع القوى والكوارث الطبيعية بدلا من التركيز على اخبار التطورات الايجابية»^(٦) .

والمعلوم ان هناك مذهبين اساسيين في نشر الخبر في صحف الكبار ، الاول يعتمد اولا واخيرا على اثاره القراء بالاستناد الى عنصرين هما غرابة الاخبار والسمة الدرامية لها ، والثاني يعني بالاخبار ذاتها وفقا لما لها من اهمية . وصحافة الاطفال لابد لها ان تجمع بين المذهبين معا عن طريق الاهتمام بالاثارة بقدر والاهتمام بطبيعة الخبر ذاته بقدر اخر . اي ان لا تقدم للأطفال من الاخبار ما يشبع فضولهم الى الغرابة فقط ، بل نسعى من اجل اثارتهم بأخبار ذات اهمية وقيمة يجعلهم اكثر احاطة بالعالم واكثر تحمسا لمزيد من المعرفة ، ومن الضروري ان نضفي دوما - من خلال الصحف الاخبارية - الى حياة الاطفال الطمأنينة والثراء النفسي والابتعاد عما يقلقهم ويبعث الفزع في نفوسهم .

ومن خصائص الصحافة الاخبارية البساطة في الصياغة والتعبير كي لا يجد الطفل صعوبة وخفافا فيها .

وعملية التبسيط كثيرا ما تكون اصعب من الخلق والابتکار الفني ذاته، ولذلك لا يقوم بمهمة التبسيط سوى مبدعين من نوع جديده ، يتقنون الفن الصحفي ، ويضمون المسائل العويصة ، ويحلون غواصتها بحيث يستطيعون الحديث عن اعظم الحقائق ببساطة الالفاظ . ومن لا يستطيع هضم المادة

يسرف في العادة ، في استخدام المصطلحات ويعجز عن الايضاح ، بل قد يبلغ به الامر ان يقول النوافه والبديهيات في اعقد الالفاظ واشتق المصطلحات واصعب العبارات ، فضلا عن ان عملية الهضم نفسها لا تكفي ، وذلك لان التبسيط بتعرض لدى الهاضمين لخطرتين كبيرتين هما الایجاز الغامض او الاطنان المخل .. لذا كان لزاما استخدام الاسلوب الذي يحافظ على المضمون ويسكن المعنى في اللفظ المناسب .

وصحافة الاطفال ، لم يتيسر لها النجاح لولا تطور الفن الصحفي وتفوّقه في خلق اسلوب جديد للتبسيط والتجميد والمسرحة الخلاقة للمعاني ، اضافة الى تطور لغة صحافة الطفل في حدود المحصول اللغوي للاطفال (٧) .

ويلاحظ ان كثيرا من صحف الاطفال الاخبارية في العالم قد انحدرت نحو الهاوية ، ففي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية ، اضطرت كثير من صحف الاطفال الاخبارية الى التوقف ، بعد ان صارت من اجل البقاء سنوات عديدة ولم ينتشلها من مصيرها المحتوم التجاوزها الى اجراء المسابقات واعتمادها على مراسلين من الاطفال والكبار .

ومع هذا فان هناك صحف اطفال اخبارية كثيرة في مختلف بلدان العالم تحظى بحب الاطفال ، ومنها ما يصدر على شكل مجلات اسبوعية انيقة ، ومنها ما يصدر على شكل جرائد نصفية Tabloid وهي تتناول اضافة الى الاخبار التعليقات والاعمدة والقصص والمسابقات واللقاءات مع الشخصيات الاجتماعية والفنية والادبية التي يعرفها الاطفال او التي ينبغي لهم ان يعرفوا عنها ، وتجيب عن اسئلة الاطفال ورسائلهم ومكالماتهم الهاتفية عبر ابواب خاصة .

ومن بين الصحف الاخبارية مجلة American Newspaper Boys وقد انشئت عام ١٩٢٧ وهي شهرية للاطفال بين ١٢-١٧ سنة - ومجلة American Newspaper and Weekly News Review وهي اسبوعية

انشئت في واشنطن عام ١٩٣١ وتتوقف في أشهر العطلة الصيفية ومجلة
الاسترالية التي انشئت عام ١٩٥٣ Australian Children's Newspaper
Canadian High News وتوزيعها نحو ٢٠٠٠٠ نسخة ومجلة

وانشئت عام ١٩٤٠ في تورonto في كندا وهي شهرية مخصصة للصبيان بين
١٦ - ٢٠ سنة ومجلة News Time الامريكية التي انشئت عام ١٩٥٢
وتصدر أسبوعياً للأطفال بين ١٢ - ١١ سنة (٨)

صحف الأطفال الرياضية :

الاطفال يحبون الرياضة باعتبارها لوناً من الوان اللعب المنظم ، وترنو
لتوسيعهم الى البطولة الرياضية ويهرهم ابطال الرياضة .

وما تزال صحف الأطفال الرياضية ضئيلة العدد في العالم ، لأن صحفهم
الجامعة تفتح صفحاتها لمزيد من اخبار السباقات الرياضية ، وتجري مقابلات
مع ابطال ونجوم الرياضة والمدرسين الرياضيين والهواة .

وتقديم مثل هذه الصحف اضافة الى ذلك تمارينات رياضية تصاحبها
الرسوم والصور ، لتعرف الأطفال بأنواع الالعاب المختلفة وقواعدها
الصحيحة .

وتتردد دور النشر في اصدار صحف رياضية في العالم ، استناداً الى رأي
يقول ان الأطفال لا يشعرون بحاجة الى متابعة الشؤون الرياضية بقدر ما
يشعرون بالحاجة الى ممارسة الرياضة ذاتها . يضاف الى ذلك ان دور النشر
تحقق في صحف الكوميكس وصحف المجموعات ارباحاً أكبر .

ومن صحف الأطفال الرياضية المعروفة صحيفة Sport Junier الفرنسية
وصحيفة البطل Champion الانكليزية ، ولكن هاتين الصحفتين تنشران الى
جانب الشؤون الرياضية قصصاً ومسلسلات ومنوعات مختلفة ، ويقرأها
الصغرى والكبار معاً .

صحف الاطفال الصادرة عن الحكومات والاحزاب والمنظمات :

تعنى الاحزاب والتنظيمات السياسية والدينية في كثير من بلدان العالم
بإصدار صحف خاصة بالاطفال .

ففي ايطاليا يشرف الحزب الشيوعي على اكثـر من صحيفـة للاطفال وكذا
الحال بالنسبة الى الحزب الشيوعي الفرنسي ، يقابل ذلك قيام احزاب
وتنظيمات اخرى بـاصدار عشرات الصحف لـلاطفال ، منها الحركـات
الكاثوليكـية التي تـتولـى اصدار عشرات الصحف عن طريق التنظيمـات
التـابـعة لها كـتنظيمـات الكـشـافـة وـالـحرـكـة المـسيـحـيـة لـلـلاـطـفـال وـالـشـبـيـهـةـ الـكـاثـولـيـكـيةـ
وـحرـكـةـ نـشـرـ الـاـيمـانـ اـمـاـ حـرـكـاتـ البرـوـتـسـتـاتـيـةـ فـتـتـولـىـ هـيـ الـاـخـرـىـ نـشـرـ
صـحـفـ عنـ طـرـيقـ حـرـكـاتـ الـكـشـافـةـ وـنـشـرـ الـاـيمـانـ التـابـعـةـ لهاـ ،ـ يـضـافـ إـلـىـ ذـلـكـ
عـشـرـاتـ الصـحـفـ الـاـخـرـىـ الصـادـرـةـ عنـ تـنظـيمـاتـ الـيهـودـ وـالـصـهـائـيـةـ وـالـحرـكـاتـ
الـعـلـمـانـيـةـ .

وفي البلدان الاشتراكية تشرف السلطة على اصدار صحف الاطفال من
خلال المنظمات العـزـيـةـ وـالـاجـتمـاعـيـةـ الـاـخـرـىـ .

فصـحـافـةـ الـاطـفـالـ فـيـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتيـ تـتـلـقـفـ الطـفـلـ مـنـذـ نـعـمـوـمـةـ اـطـفـارـهـ،ـ
لـكـيـ تـعـرـفـهـ بـزـعـمـاءـ الـبـلـادـ مـنـذـ الثـالـثـةـ مـنـ عـمـرـهـ ،ـ وـهـنـاكـ صـحـفـ تـصـدـرـ لـلـاطـفـالـ
بـيـنـ الثـانـيـةـ وـالـرـابـعـةـ مـنـ الـعـمـرـ ،ـ كـماـ انـ هـنـاكـ صـحـفـ اـخـرـىـ تـصـدـرـ لـلـاطـفـالـ بـيـنـ
الـرـابـعـةـ وـالـسـابـعـةـ ،ـ اـمـاـ صـحـيفـةـ الـطـلـائـعـ الـيـوـمـيـةـ (ـ بـيـونـيـرـ سـكـايـاـ بـرـافـداـ
Pioneer Skaya Pravda)ـ فـهيـ تـصـدـرـ لـلـاطـفـالـ بـيـنـ الـعـاـشـرـةـ وـالـخـامـسـةـ
عـشـرـةـ مـنـ اـعـمـارـهـ،ـ وـيـلـغـ تـوزـيعـهـ اـكـثـرـ مـنـ ثـلـاثـةـ عـشـرـ مـلـيـونـ نـسـخـةـ،ـ وـهـوـ اـعـلـىـ تـوزـيعـ
لـاـيـةـ صـحـيفـةـ فـيـ الـاتـحـادـ السـوـفـيـتيـ (ـ ٩ـ)ـ بـلـ هـوـ اـعـلـىـ تـوزـيعـ لـاـيـةـ صـحـيفـةـ فـيـ الـعـالـمـ،ـ
اـذـ اـنـ صـحـيفـةـ اـزـفـسـتـيـاـ Izvestiaـ تـيـ يـلـغـ تـوزـيعـهـ اـكـثـرـ مـنـ ثـمـائـةـ
مـلـيـونـ نـسـخـةـ هـيـ اوـسـعـ صـحـيفـةـ فـيـ الـعـالـمـ كـلـهـ .ـ (ـ ٩ـ)

وتحرص صحيفة الطلائع على متابعة اخبار العالم واحداثه ، وتتلقي عشرات الآلاف من الرسائل يوميا يستفسر فيها مرسوها عن العديد من المسائل والمشاكل الداخلية والخارجية في مجالات السياسة والمجتمع ، وتعمل الصحيفة على تسهيل عملية تبادل المراسلات بين اطفال الاتحاد السوفيتي وبلدان العالم الاخرى ، كذلك تعمد الى اقامة المسابقات بين قرائها وقراء صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية الاخرى ، وتبادل معارض الاطفال الفنية وتبادل الفرق الرياضية للاطفال .^(١٠)

. وفي لقاء صحفي مع رئيسة تحرير صحيفة الطلائع سئلت فيه عن الصفة المميزة لهذه الصحيفة فردت قائلة^(١١) :

« بوسعي ان اقول انها - قبل كل شيء اخر - تستجيب لمطالب جمهور قرائها . ان الاطفال يمقتون بشدة الآراء المكررة ، ويكرهون المرواغط المضجرة ، ولا يتسامحون اطلاقا في عدم الاخلاص ، وسرعان ما يشعرون بخيالية الامل في المعلمين الملثمين غير الموهوبين » .

وحين سئلت : لقد تحدثت الآذن عن عدم الاخلاص .. فهل من الصواب - من الناحية التربوية - التحدث الى الاطفال بصراحة مطلقة عن جميع الاشياء المعقّدة والتناقضات الملاحظة في الحياة ؟ الا يؤدي النقد من جانب الكبار الى تقويض ثقاؤهم ؟

اجابت :

اننا ناقشنا هذه « المخاطر » مرات عديدة قبل ان نقرر نهايتها ان علينا ان نفعل ذلك ، بل ينبغي عمل ذلك ، لأن الطفل سيتحقق بجريدةنا اذا ما وثبتت الجريدة فيه .. ان الاطفال يكتبون لنا ، ويسألون النصح . ويتبعين علينا ان ترد على كل رسالة وان تقدم لهم العون ايضا ، وعندما يعامل البالغون - حتى ولو كانوا من المعلمين - الاطفال بطريقة خاطئة ، فنحن لا ننفيهم من الحساب، واحيانا تكون اعتقداتنا غير فعالة بطريقة كافية . وفي هذه الحالة نلجأ الى

مواصلة النقد في العمود الخاص الذي نشره تحت عنوان « بيونير سكايا برافد تطلب الكلمة » والذى طلبنا من كل من « برافدا » و « ازفستيا » و « كومسومولسكايا » ان تنشرها لنا ٠

وبالاضافة الى صحيفة الطلائع اليومية تصدر المنظمة في بعض الجمهوريات ذات الحكم الذاتي ٢٨ صحيفة للطلائع بتسعة عشر لغة من لغات الاتحاد السوفيتى ، وكل طبعة منها تزيد على ١٧ مليون نسخة ، يضاف الى ذلك ٣٥ مجلة للطلائع ٠

ومن بين تلك المجالات ، مجلة Molodizh'-Mira التي است عام ١٩٤٦ والتي تصدر بعدة لغات ، ومجلة Tekhnika-Molodo Diozhi التي است عام ١٩٣٣ ويبلغ توزيعها نحو مليون ونصف ، ومجلة Byarotka التي است عام ١٩٢٤ ، ومجلة Pioner التي تصدر بلغات متعددة منذ عام ١٩٢٤ ، ومجلة Pionyeriya التي بدأت الصدور ابتداء من عام ١٩٦٧ ١٢) ١٣) ١٢) .

وهناك مجلة باسم « مورزيلكا » كانت قد صدرت عام ١٩٢٥ ، وكان يطبع منها في عامها الاول خمس وعشرون الف نسخة ، لكنها اليوم تطبع اكثر من خمسة ملايين وستمائة الف نسخة ١٣) .

والبلدان الاشتراكية عموما تعنى عناية فائقة بصحافة الاطفال ، ويقوم العمل فيها على اسس عملية ، حيث يتولى شؤونها مختصون في مختلف المجالات ٠

وتتوارد الصحف لمختلف اطوار الطفولة بما في ذلك المعدة للأطفال الصغار الذين لم يلتحقوا بالمدرسة ، حيث ترکز هذه الصحف على تنمية هوايات الاطفال وغرس قيم وعادات طيبة في نفوسهم ٠

ومع بداية دخول الاطفال الى المدارس تقدم لهم صحف تعليمية تعتمد على الالعاب في شرح المواد مع العناية بالتوجيه

الأخلاقي وبث الوعي الاجتماعي والسياسي بين الأطفال ، ويندو فيها الاهتمام واضحًا بمحاولة تنمية قيم أخلاقية ترسخ في اذهان الأطفال مثل : حب الوطن وحب السلام واحترام الشخصيات التي تبني الاشتراكية والسلام ، ومع الاهتمام بالعلوم عامة . الى جانب العمل على غرس النفرة في نفوس الأطفال من كل ما هو سيء وضار ، ولكن غرس النفرة والكراءبية يأتي في مراحل متأخرة بعد دعم عاطفة الحب نحو القيم الرفيعة .

وفي مراحل الطفولة المتأخرة تصدر صحف تقipis بالقصص المتنقة ، مع العناية ببث روح الابتكار عن طريق المسابقات والهدايا كنماذج الطائرات والاجهزة الميكانيكية . وتقدم الهدايا لاهداف تربوية وتعليمية ، تمهد لمهارات النمو .

كما تحرص صحف البلدان الاشتراكية الخاصة بالاطفال على تقديم ابطال القصص من يتجسد فيهم العمل من اجل خير الانسانية . ويلاحظ ان حمامات السلام ، مثلا ، تظهر كثيرا كبطلة من ابطال قصص الاطفال اذ تقوم بمعامرات من اجل السلام والخير . اضافة الى ابراز بطولات من شخصيات معروفة في الادب والتاريخ كنماذج للتضحية والوطنية ، وابراز بطولات الشعوب المكافحة ، ومن خلال ذلك يستكشف الاطفال بانفسهم معاني البطولات (١٤)

وتنسخ صحف منظمات الطلائع للطلائعين نشر تجاهاتهم الفكرية ، وخاصة القصص والقصائد والتعليقات على الاحداث والمسرحيات والافلام وبرامج الاذاعة والتلفزيون .

وتعني البلدان الاشتراكية بتطوير قدرات كتاب صحف الاطفال بمختلف الوسائل الممكنة بما في ذلك اقامة دورات تدريبية وتنظيم سفرات لهم ، وما الى ذلك .

وتقديم صحافة الاطفال في البلدان الاشتراكية احيانا افكارا اجتماعية وسياسية بصورة مباشرة . اضافة الى الصيغ غير المباشرة الاخرى (١٥) .

ويمكن القول ان صحف الاطفال في البلدان الاشتراكية تتخذ في فلسفتها منهاجا اخلاقيا وتربييا واحدا .

ففي المانيا الديمقراطية مؤسسة صحفية متخصصة في اصدار نحو ٣٠ مجلة وجريدة وهي مؤسسة عالم الشباب Junge Welt وتتولى اصدار تلك الصحف للاطفال قبل سن المدرسة وحتى نهاية مرحلة الطفولة ، كما ان نفس هذه المؤسسة تتولى اصدار صحف للمراءحين والشباب حتى سن الثلاثين . وتوزع هذه الصحف ملايين من النسخ ، بل ان مجلة يومي Pummi توزع ما يزيد على المليون نسخة .

ومن المجالات التعليمية مجلة A.B.C وهي مجلة نصف شهرية للاطفال بين السادسة والعشرة ، وتعنى بتعليم الاطفال الحروف والحساب من خلال اللعب ، اضافة الى احتواها على قصص قصيرة واعمدة صحفية ومقالات ويبلغ توزيعها نحو ٦٥٠٠٠ نسخة (١٦) .

وتتصدر للاطفال بين العاشرة والرابعة عشرة مجلة (امرح وغن) ومجلة (فروزى) ومجلة (تيلمان) .

وتتصدر مجلة علمية هي Jugend and Technic وتطبع بالالمانية وتضم مختصرات بالروسية وقد صدرت عام ١٩٥٣ في برلين الشرقية . . . ومجلة أخرى هي Junge Generation صدرت ابتداء من عام ١٩٤٧ (١٧) .

* * *

ويجد الاطفال في أوربا واميركا مئات الصحف الدينية ، وتتولى اصدارها في الغالب ، الطوائف والمذاهب الدينية المتعددة ، فاليهود والكاثوليك والبروتستانت وغيرهم يصدرون صحف الاطفال مستهدفين غرس الوعي الديني في نفوس الاطفال منذ نعومة اظفارهم ، ويلاحظ ان اغلب تلك الصحف لات Bias للخسائر المادية التي تنفقها ما دامت تعمل بين جمهور الاطفال لوجه الله !

ويلاحظ ان اغلب صحف الاطفال الدينية تهتم بيت القيم والاخلاقيات، او تهتم بالقضايا الفنية والادبية ، لذا ليس بالواسع اكتشاف هوية مثل هذه الصحف بسهولة .

ومن بين الصحف الدينية في اميركا صحيفة Adventure للاطفال بين ٩ - ١٢ سنة ، وتصدرها ابتداء من عام ١٩٦٢ « مدارس الاحد للكنيسة المعمودية» في ولاية تنسى، وصحيفة Adventure Time التي تصدر عن دار نشر الكنيسة المعمودية في بنسلفانيا للاطفال بين ١٢-٩ سنة (١٨) ، وفي ايطاليا تصدر صحف دينية لختلف الطوائف منها صحيفة Note Dipastorale Giovanile

ومن بين المجالات الدينية الهولندية للاطفال مجلة Aktie ، وتصدرها جمعية شباب المسيح في هولندا . ومجلة Zo التي تتناول جوانب فنية كثيرة في السينما والمسرح اضافة الى طابعها الديني العام (١٩) . ومن المجالات الدينية البلجيكية Nos Routes للاطفال في حدود الثامنة (٢٠) .

ومن المجالات الدينية في المانيا الغربية مجلة Bremer Missionchiff التي تصدرها احدى البعثات التبشرية .

ومن المجالات اليهودية الكثيرة العدد في ارجاء اميركا واوروبا الغربية مجلة Olomein'u Our World التي تصدر باللغتين العبرية والانكليزية في نيويورك منذ عام ١٩٤٥ للاطفال في خدود الثامنة عن جمعية التوراة (٢١) .

وفي جنوب افريقيا عدة مجالات دينية منها مجلة Ubaqa' Lwabantwana الصادرة بلغة الزولو ، وهي نصف شهرية للاطفال بين ٧ - ١٢ سنة ، ويصدرها اتحاد الانجيل ومجلة Zfug Ons التي تصدرها الكنيسة الهولندية الاصلاحية منذ عام ١٩٥١ (٢٢) .

وتتصدر في الكونغو مجلة دينية للأطفال منذ عام ١٩٤٤ هي مجلة Nenolai Imani باللغتين السواحلية والفرنسية^(٢٣) .

صحف الأطفال التجارية :

أكثر صحف الأطفال في أميركا وأوربا الغربية هي صحف تجارية تتولى اصدارها دور نشر تكون ، في الغالب ، غير متخصصة بصحف الأطفال ، بل تصدر هذه الصحف مع ما تصدره من صحف مصورة للراشدين .

وتتوخى دور النشر في العادة الربح المادي قبل كل شيء ، لذا فهي تعمل من أجل امداد الطفولة بكل ما يجذبها ، مستغلة تعلق الأطفال بالآثاره .

وتحتكر دور النشر اصدارات مئات من صحف الأطفال في أوربا الغربية وأميركا ، كما ان بعض دور النشر في البلدان النامية تتولى اصدار مثل هذه الصحف . ويزيد عدد الصحف التجارية الخاصة بالأطفال في البلدان الرأسمالية والنامية عن ثلاثة الاف مجلة وجريدة .

ومن ابرز المجالات التجارية : ميكى ماوس ، وطرزان ، وسوبرمان ، وسبرو ، وتان تان .

ومن الصحف التجارية ماهي صحف كوميكس ، او صحف قصص ومقامرات ، او صحف جامعة او صحف اخبارية او رياضية .

وابرز هذه الصحف ، ليس لها رسالة اجتماعية او تربوية ، لأن همها الاول هو الحصول على أكبر قدر من الارباح ، ومن هنا جاء اعتمادها على الآثاره والبالغة والتهويل مستعينة بالرسوم الكثيرة – في الغالب – على شكل مسلسلات مصورة .

ومع ان الصحف التجارية التي تطبع لها نسخ كثيرة في بلدان متعددة تتحقق كثيرا من الارباح ، الا ان بعض الصحف الأخرى التي تصدر بطبيعة واحدة تواجه أحياناً أزمات مادية ، لذا اغلقت خلال السنوات الأخيرة عدة

مجلات أو دمجت معاً ، وكمثال على ذلك دمج مجلة Adventure مع مجلة Rover في مجلة واحدة هي مجلة Rover and Adventure ثم دمج ثم مجلة The Wizard معها بعد أن اغلقت لحين ، واصبح الاسم الجديد لها والذى سرعان ما استبدل باسم Rover and Adventure Wizard Rover and Wizard ويبدو أنها اتخذت هذه الأسماء المغيرة لفترات غير بعيدة لتحتفظ بالقراء الأصليين لكل مجلة كي لا يتحولوا الى مجلات جديدة حتى استقرت باسمها النهائي (٢٤) .

وتسعى صحف الأطفال التجارية بمختلف الوسائل لجذب الأطفال من خلال التركيز على المواد المشوقة ونشر الاشرطة المصورة .

صحف البنات :

بسبب اختلاف سرعة النمو الجسми والعقلي والعاطفي ، واختلاف الميل بين الأولاد والبنات في كل مرحلة ، اتجهت بعض هيئات النشر الى اصدار مجلات خاصة بالبنات وخاصة لمن هن في مرحلة الطفولة المتأخرة ، حيث تتضح الفوارق بين الجنسين بشكل بارز .

وهذه الصحف تلبي أولاع البنات ، لذا نجد هذه الصحف ذات جاذبية خاصة في قصصها ومقالاتها ورسومها وصورها .

والمعلوم ان البنات يقرأن اكثر من الأولاد ، لذا تحمل صحفهن مادة مكتوبة كافية نسبة الى صحف الأطفال العامة .

وال الأولاد يولعون بالغمارات والقصص البوليسية ، اما البنات فهن لا يحفلن كثيرا بها .

ويميل الأولاد الى قراءة المواد العلمية وقصص الرحلات عبر البحار ، وبين الكواكب والنجوم ، أما البنات فهن يفضلن قراءة سير المشاهير من

الرجال والنساء ، والروايات الخيالية ، وقصص الحيوان ، وهن يظهرون بما يتعلق بالبيت والحياة المنزلية .

ومن بين صحف البنات صحيفة Flipteen Magazine التي تأسست عام ١٩٦٤ في نيويورك وهي للبنات بين ١٣ - ١٩ سنة ويبلغ توزيعها نحو ٥٠٠،٠٠٠ نسخة ومجلة IN, for girl of today, the Woman of tomorrow وقد تأسست عام ١٩٦٥ في اميركا ، ومجلة Young Miss التي كانت تسمى All Girls وقد صدرت عام ١٩٥٣ ومجلة American Girl ويبلغ توزيعها نحو مليون نسخة وتصدر في نيويورك وكانت قد انشئت عام ١٩١٧ ولها طبعة على طريقة برايل للعميان^(٢٥) .

صحف الاطفال وفق اطوار الطفولة

تحتخص كل صحيفة من صحف الاطفال بطور معين من اطوار الطفولة، وليس هناك صحيفة يمكن ان تناسب مرحلة الطفولة بجميع اطوارها . وقد سبق ان اشرنا الى ان اولى خصائص ادب الاطفال ، انه يتناسب مع كل طور من اطوار الطفولة . فما يصلح للاطفال في طور الواقعية لا يصلح للاطفال في طور البطولة . وهكذا .

وعلى هذا نجد ان كل صحيفة من صحف الاطفال تتوجه الى جزء من جمهور الاطفال ، وقد تعلن الصحيفة ذلك على صفحتها الاولى كأن تقول «للأطفال من ٦ - ٨ سنوات » مثلا ، او « من ٩ - ١٢ » وقد تضمر ذلك ولكن في كلتا الحالتين يضع محورها لذلك حسابا .اما الصحف التي تعلن انها لمن هم بين ٧ الى ٧٧ سنة او بين ٨ الى ٨٨ سنة فهي تطلق نكتة باردة . مع أنها تعني أنها للاطفال الذين تزيد اعمارهم عن السابعة او الثامنة ويمكن للكبار ان يجدوا فيها المتعة « والكبار يؤلفون جزءا من قارئي ادب الاطفال اضافة الى ان الطفولة تظل في نفوس بعض الكبار »^(٢٦)

وهناك مجلات كثيرة للأطفال الصغار الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، وهذه المجلات تعتمد على الرسوم والصور ، وحين تستعين بالكتابة ، فهذا يعني أن الكبار مدعوون إلى قراءتها ليعيدوا روایتها للأطفال الصغار .

من بين مجلات الأطفال الصغار صحيفة Bilanz التي تصدر في النمسا ، وتوزع نحو ٤٥ الف نسخة في حجم التابلويد Tabloid وهي مخصصة للأطفال في سن الرابعة وصحيفة Blue Triangle التي أست في لندن عام ١٨٨٤ ، وهي مخصصة للأطفال في سن الثالثة وصحيفة Canton التي أست عام ١٩٦٦ وصحيفة Dal Buco Della Sperratura اللتان تصدران في إيطاليا للأطفال في حدود الرابعة . وصحيفة Funzel لمن هم في الثالثة ، وصحيفة Freier Blick التي تصدر على مقاس تابلويد وهاتان الصحفيتان تصدران في المانيا الغربية (٢٧) .

اما الأطفال الذين يبدأون القراءة في نحو السادسة فلهم صحف خاصة بهم ، وكمثال على ذلك مجلة ABC. Zeitung التي أنشئت في برلين الشرقية عام ١٩٤٧ للأطفال بين ٦ - ٨ سنوات ، ويبلغ توزيعها نحو ٦٥٠ ألف نسخة . ومجلة Canteceleer المخصصة لاطفال السادسة في هولندا والتي يبلغ توزيعها نحو ٦٠٠ نسخة وصحيفة Giselaner المخصصة لاطفال السادسة ، وقد أست عام ١٩٥٥ في المانيا الغربية ويبلغ توزيعها نحو ٩٠٠ نسخة (٢٨) .

وللأطفال بين السادسة والسابعة تصدر صحف عديدة منها Roadrunner الأسبوعية التي بدأت الصدور منذ عام ١٩٦٩ ، وصحيفة She's Josie التي يبلغ توزيعها نحو خمسة ملايين نسخة ، وكلتا هما تصدران في اميركا .

وتصدر صحف للأطفال الذين لا تتجاوز اعمارهم التاسعة منها صحيفة Deryn التي أست في ويلز عام ١٩٦٣ وصحيفة OKKI التي أست في

هولندا عام ١٩٥٣ ومجلة Champuk التي تصدر بالانكليزية والهندية في
نيودلهي منذ عام ١٩٦٦ لمن هم بين السادسة والتاسعة .

ولما بعد ذلك تصدر صحف اخرى مثل مجلة adventurer الانكليزية
التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٩٢ للاطفال بين ٩ - ١٤ سنة ومجلة
Czechoslovak Youth في ويلز لمن هم بين ٩ - ١٢ سنة ، وصحيفة Cymru'rplant
التي تصدر بالجيكية والانكليزية في براغ لمن هم في العاشرة منذ عام ١٩٦٥
وصحيفة Find Ingout التي ابتدأت الصدور في انكلترا منذ عام ١٩٥٩ لمن
هم بين ٨ - ١٢ سنة ومجلة مجلتي العراقية التي بدأت الصدور منذ نهاية عام
١٩٦٩ لمن هم بين ٩ - ١٢ سنة ، ومجلة Freundschaft النمساوية التي
اسست عام ١٩٢١ لمن هم بين ٨ - ١٢ سنة والبالغ توزيعها نحو ٤٨ الف
نسخة . ومجلة Fripounet-Marisette الفرنسية الاسبوعية المخصصة
للاطفال بين ٨ - ١٤ سنة . وكانت قد بدأت الصدور منذ عام ١٩٤٥ ، ومجلة
الامريكية Fun for Middlers الاسبوعية الامريكية Worlds of Cheer التي بدأت الصدور منذ عام ١٨٧٦
لمن هم بين ٩ - ١٤ سنة .

وللاطوار التالية نجد صحفا اخرى خاصة ايضا منها على سبيل المثال
مجلة Action الامريكية لمن هم بين ١٢ - ١٤ سنة وجريدة المزار العراقية
لمن هم بين ١١ - ١٤ سنة ، ومجلة Accenton Youth الامريكية لمن هم
بين ١٢ - ١٥ سنة ومجلة Youth التي اسست في ويلز عام ١٩٢٠ لمن هم بعد
الرابعة عشرة ، ومجلة Jeugd الهولندية التي اسست عام ١٩٢٢ لمن هم بين
١٢ - ١٦ سنة .

وهناك صحفية تتولى اصدار صحف متعددة لتفطير مرحلة الطفولة
بجميع اطوارها . (٢٩)

ويلاحظ ان هذه الصحف لم تتبع اطوارا محددة بسنوات ثابتة وفق ما
اشرنا اليه في باب « جمهور الاطفال » . ويعود ذلك الى تداخل تلك الاطوار
الى حد ما ، كما ان تحديد بدايات ونهايات هذه الاطوار تختلف باختلاف
البيئات والثقافات .

وهناك صحف كثيرة ذات طابع فني ، حيث تعنى بشؤون الافلام
والسينما والمسرح وغيرها من الفنون منها صحيفة Diskus لمن في الثامنة
من اعمارهم ، وقد اسست عام ١٩٥٠ في المانيا الغربية على شكل تابلويد
وصحيفة His World التي انشئت عام ١٩٦٧ في هوليوود ، وصحيفة
Jevnesse and Deux Mille الفرنسية ، وصحيفة الكندية ، وصحيفة
Childrens Theatre Review الامريكية .

ومجلات اخرى ذات طابع علمي منها صحيفة Tekhnika Molodo Diozhi السوفيتية
التي توزع نحو مليون ونصف نسخة وقد انشئت عام ١٩٣٣ .

وهناك صحف خاصة بالعميان تكتب على طريقة برييل Braille منها
صحيفة Illuminator التي بدأت الصدور في امريكا منذ عام ١٩١٠
للأطفال في سن الثالثة ، عن مدرسة بنسلفانا الغربية وصحيفة اخرى اسست
عام ١٩١١ (عدداً أيلول وحزيران) في نيويورك (٣٠) .

وهناك مجلات للاطفال تصدر طبعات خاصة للعميان منها صحيفة
American Girl وصحيفة Current Events التي اسست عام ١٩٠٢
وصحيفة Curren Science وصحيفة Jack and Jill Magazine وكلها صحف امريكية .

وهناك عدد من مجلات الاطفال الصم ، منها مجلة Vriend التي
انشئت عام ١٩٠٦ في هولندا (٣١) .

المبحث الثالث

الفنون الصحفية

في صحافة الاطفال

تستوعب صحافة الاطفال الوانًا ادبية وصحفية متعددة ، ولكن هناك من يرى ان صحف الاطفال ينبغي ان تقتصر على التسلية والهزليات والثرثارات الضاحكة والاغاز والمسابقات .. ولكن هذا الاتجاه لا يقوم على اساس صحيح .. لان للطفلة ميزاتها وخصائصها وحاجاتها التي لا يمكن لتلك الالوان وحدتها ان تلبيها ..

وتنقل صحافة الاطفال مضامينها ، في العادة ، عبر الوان ادبية وصحفية متعددة ، من ابرزها : القصة ، والشعر ، والخبر ، والتحقيق الصحفي ، والحديث الصحفي والمقال ، والعمود ..

وقد تناولنا القصة والشعر والخبر ، وتناول فيما يلي بعض الالوان الصحفية ..

- التحقيق الصحفي :

السؤال الذي يردده الاطفال باستمرار مبدوعاً بكلمة الاستفهام لماذا ؟
يجيب عنه التحقيق الصحفي .

وصعبية التحقيق الصحفي تكمن في : كيف نقدم الجواب للاطفال
بطريقة مقبولة عن كثير من الاسرار والحقائق والمعاني والمفاهيم بأسلوب
سلس ولغة مشوقة ، بحيث يستطيعون من خلاله استجلاء الاجابة عما
يسغل اذهانهم ، ويزدادون احاطة بالبيئة والعالم .

ونحن نعلم ان الاطفال يستمتعون ببعض الاخبار ، وينشدون الى
سماعها ، ولكنهم ، في الغالب ، بعد كل خبر يسائلون : لماذا ؟ لماذا ؟
حدث هذا ؟ ولماذا لم يحدث ذاك . كما انهم يسائلون مثل هذا التساؤل
بعد ان تناهى اليهم معلومات وحقائق ومفاهيم غير متكاملة ويكون
الجواب ما نسميه بالتحقيق الصحفي

والحياة حافلة بالحوادث والواقع ، ويجهل الاطفال جوانب متعددة
عنها ، والمناهج الدراسية لا يمكن لها ان تعنى كثيراً بمثل هذه الواقع
والحوادث التي تحيط بعالم الطفل ، لذا وجد التحقيق الصحفي في صحفة
الاطفال كأحد الالوان الفنية لتفسير هذه الواقع والحوادث واسباب
وقوعها والمشاركين في صنعها .

ويتناسب التفسير الذي يرد ضمن التحقيق الصحفي مع قدرات الطفل
العقلية والنفسية والعاطفية والاجتماعية ، كما يخضع للقيم والمبادئ التي
يريدتها المجتمع لاطفاله . ويتعامل التحقيق الصحفي ، في العادة ، مع حوادث
ومنكلات واقعية ، لذا كان هذا اللون الصحفي ابعد ما يكون عن الخيال .

والتحقيق الصحفي لا يكتفي بسلسة الاسلوب او بساطة التراكيب
والتشويق والاثارة ، بل يستعين بالصور من اجل ان تكون الحقائق المحمولة
بين طياته اكتر وضوحاً وطراوة وجاذبية .

وتتعدد انواع التحقيق الصحفي ، حيث نجد تحقیقات تفسيرية وارشادية ، وتعلیمية ، وتحقیقات امتعة وتسليه ولكن التحقيق الصحفي الجيد هو الذي يجمع جميع او بعض هذه الجوانب مرة واحدة . ومن اکثر قوالب التحقيق الصحفي ملائمة للاطفال هو الذي يتخد قالب القصة .

ـ الحديث الصحفي :

في ثفوس الاطفال حب شديد لاستطلاع احوال الاخرين ، والوقوف على اسرارهم ، لذا تراهم يلصقون باذانهم عند الابواب ، وينظرون من شقوفها او من مداخل مفاتيحها ، محاولين ان يسمعوا ويروا ما يدور بين الناس من صراع .

ويحمل الاطفال اعجابا بالقادة والمبuden والمغامرين ، ويسلّهم ان يطلعوا على احوالهم وافكارهم ، ولهذا كان الحديث الصحفي فنا محبا للاطفال .

والحديث الصحفي يستطيع ان ينقل الاطفال عبر الزمان والمكان ليجعلهم وكأنهم امام الشخصيات والحوادث .

ومع ان الحديث الصحفي مع الشخصيات البارزة له اهمية خاصة ، الا انه يمكن ان يتم ايضا مع شخصيات اعتيادية حققت نجاحا معينا في مجال معين ، او حتى مع المعمورين الذين يمكن ان يجد الاطفال في افكارهم ونشأتهم ما يدعوه الى التأمل والتفكير .

ولا يتعرف الاطفال من خلال الحديث الصحفي على هذه الشخصيات وانماط تفكيرهم ، وما يحملون من قيم ومفاهيم ووجهات نظر فحسب ، بل يتعرفون الى المثل التي قادتهم الى النجاح ، والصعب التي اعترضتهم ، والاساليب التي استعنوا بها لتذليل تلك الصعاب .

والاحاديث الصحفية مع الشخصيات المحبوبة تتمتع الاطفال ، وتدفعهم الى التمثل بها ، ولهذا تحرص صحف الاطفال على اجرائها مع الشخصيات الناجحة كي تكون اداة الهمام للطفولة ، رغم ان الاطفال يرحبون بان يتعرفوا على حياة وتفكير الاشرار واللصوص والفاشلين .

ونحن نجد ان كثيرا من الادباء والكتاب والعلماء حين يستعيidon ذكريات طفولتهم يشيرون الى تأثيرهم بدرجات مختلفة بشخصيات معينة ، فهذا شاعر تأثر في طفولته بشاعر مبدع ، وهذا عالم كان في طفولته قد تأثر بشيء من افكار ونظارات عالم معين ، وهكذا .

والحديث الصحفى ، ليس مجرد اسئلة واجوبة ، بل هو عملية حوار درامي تتكشف من خلاله الافكار والانطباعات ، ويكون بطلاه ، في الغالب اثنان هما المحرر والشخصية . ولكن يمكن ان يتم الحديث مع أكثر من شخصية واحدة .

وتهنئ احاديث صحفية للرأي ، تتضمن خلالها الافكار ووجهات النظر والتأملات ، وأحاديث التسلية لامتناع الاطفال واسعادهم ، وآخرى للأخبار والحقائق وتتم من خلال لقاء مع مختص او شاهد عيان .

ويصاغ الحديث الصحفى المناسب للطفل على شكل قصة اخبارية ، تشتمل على مقدمة مثيرة .

والذى يكسب الحديث الصحفى الجاذبية هو نبض الحياة فيه ، ويتمثل ذلك في عرض افكار جديدة ، وغربلة الحديث من النصائح والارشادات المباشرة ، وتصوير الشخصية تصويرا معبرا ، بحيث يجد الطفل نفسه وكأنه قبلة المتحدث .

- المقال :

ليس بالواسع تحديد اطار ثابت لمقال الطفل ، ذلك لأن المقال لا يرتبط ب قالب تعابيري محدد ، ولا يلتزم شكلا اديبا معينا .

وابرز ما يميز المقال ، هو انه يخاطب الطفل مخاطبة الصديق للصديق، ينقل له الفكرة او الرأي بدعة وهدوء وسلامة وકأن علاقه وطيدة قد قامت بين الكاتب والطفل منذ امد مدید ، ومهدت للاول ان يتحدث الى الثاني حديثا وديا مباشرا .

وكاتب المقال يحّدث الاطفال عن كل شيء ، من وجهة نظر فيها شيء من الموضوعية وشيء من الذاتية ، وهي ليست نظرة الباحث او العالم او المحاضر او الدارس ، لاق المقال ليس بحثا علميا ولا محاضرة ولا درسا او قصة ، بل هو نظرة جديدة تتعامل مع خيال وذوق واحساسات الطفل .

ويتضح في ثنايا المقال ، عادة ، ما ينم عن احترام الكاتب لشخصيات وقدرات الاطفال ، من خلال التساؤل الذي يطرحه عليهم احيانا ، او استطلاع اراءهم في فكرة او موقف ، او وضعهم في موضوع الحكم ازاء قضية ، او اثارتهم لابداء اراءهم ، او اجراء ما يشبه المسامرة معهم ، دون املاء او استعلاء . ولكن ، مع كل هذا يظل المقال تعبيرا عن رأي الكاتب ، ولكنه ليس تعبيرا ذاتيا بقدر ما هو تعبير عن الوجودان الجماعي .

لذا لا يغالي كاتب المقال في استعراض عواطفه وانفعالاته بشكل مثير ، وكانت الادية الانكليزية فرنجينيا وولف تقول :

« .. ان المقال يجب ان يبدأ بداية تملك منساعر القارئ ، وتوقيته من سباته حتى يشارك الكاتب خبراته النائفة المدهشة الغريبة ، بل ان الكاتب قد يصطحب صديقه القارئ محلقين في عالم الخيال ، او انهما قد يغوصان معا باحثين عن دور الحكمة ولكن على اية حال لا يجوز اثارة القارئ اثارة ما » (٣٢)

واسلوب المقال هو اسلوب بسيط يخلو من التعقيد ، وكان ديفو الذي تقبل الاطفال بعض ما كتب ، يقول :

« اذا سألني سائل عن الاسلوب الذي اكتبه قلت انه الذي اذا تحدثت

به الى خمسة آلاف شخص ممن يختلفون اختلافاً عظيماً في قواهم العقلية -
عدا البلة والمجانين - فانهم جميعاً يفهمون ما اقول » *

وهناك انماط متعددة من المقالات منها المقال الكاريكاتيري الذي
يجسد رأياً ما او مفهوماً ما في سرعة وسخريّة ، ولكن بقوة وجاذبية ، ويعتمد
على تجسيم بعض عيوب الاشياء او الشخصيات او الافكار او القيم .
والنمط الثاني هو مقال الاعتراف الذي يتضمن خواطر او حوادث او طرائف
يصادفها الكاتب ويضفي عليها لمسات وابعاداً اجتماعية وانسانية ليجد فيها
الاطفال الاماًة ومتنة وتعبيرًا للحياة وتصویراً للنفس الإنسانية .

اما المقال العلمي ، فيتميز بأنه يستمد من العلوم العامة مادته ، ويجد
الاطفال فيه حقائق وافكاراً ممتعة ، يزيد الكاتب في قوة تأثيرها بفضل
الوسائل التي يقيّمها بينها وبين الحياة ، والحيوية التي يضفيها عليها ،
والصور العقلية والخيالية التي يرسمها لها .

ويطمح بعض كتاب المقال العلمي الى امداد الاطفال بمعلومات وحقائق
غزيرة ، ورغم شرعية هذا الطموح ، الا ان الاطفال لا يتقبلونه برضى ، لذا
لابد من الاتباه الى انه ليس المهم اغراق الاطفال بالمعلومات والحقائق
والافكار العلمية من خلال المقال العلمي ، بل المهم هو اشباع الطفل بذاء
علمي وفني وخيلي يقوده الى التفكير اولاً والثقة بقدرة الانسان الخلاقة
ثانياً ، وبفاعلية العلم المبدعة ثالثاً .

ومقال العلمي الجيد هو الذي يبتعد كثيراً عن استخدام المصطلحات
العلمية ، على اساس ان ذلك عبء لا قبل للاطفال به . والاطفال في - لقائهم
العادية - يميلون الى الابتعاد عن المصطلحات وخاصة في مراحل اعمارهم
الاولى ، فهم حين يريدون وصف شيء صلب يكتفون بالقول (انه مثل
الحديد) مثلاً اذ هم يوحون بالمعنى فقط .

يضاف الى ذلك ان المقال العلمي الجيد يتضمن معلومات وحقائق وآراء

وافكارا علمية بشكل بسيط ، تبدو امام الاطفال واضحة ممتعة ، لان الاطفال يكرهون المواد الجافة او المعقدة .. ولكنهم بنفس الوقت ينفرون من المواد الساذجة لأنهم يجدون في ذلك احتقارا لقدراتهم .

العمود :

هو لون من الوان المقال ، ولكنه يتخذ له عنوانا ثابتا ، ومكانا ثابتا في الصحيفة ، وهو يتناول موضوعات مختلفة ببساطة وایجاز ، فهناك عمود سياسي واخر رياضي وثالث فني ... وقد يتناول فكرة صغيرة توجيها مشكلة من مشاكل الاطفال او رسالة من رسائلكم او مكالماتهن الهاںافية او خبر من الاخبار يعرفه الاطفال من قبل ، او شأن من شؤون الصحيفة ، وهذا الاخير في العادة ، يكتبه رئيس التحرير ضمن العمود الرئيس .

وعلى هذا يمكن ان تكون اية قضية ارتبطت بعقول وخيال الاطفال او يمكن لها ان ترتبط موضوعا للعمود الصحفي .

المبحث الرابع

الخراج صحيفي للأطفال

يتتألف البناء الشكلي للصحيفة ، مجلة كانت ام جريدة من وحدات على الورق ، وهذه الوحدات هي مجموع الحروف والصور والرسوم والفوائل والهواش والاطر والنقوش والمساحات الكائنة بين السطور والفراغات الاخرى والمساحات اللوئية .

وشؤون هذه الوحدات ينتظم في فن التایپوغرافيا او فن الوحدات المطبوعة . ويؤلف الخراج الصحفي جانبا من هذا الفن ، اذ يتناول طرق اختيار وتوزيع هذه الوحدات على الصفحات لتهدي اهدافاً أدبية وفنية ونفسية معينة ، تتمثل في جمال الصفحات ووضوح مضامينها ودقتها وصدقها في التعبير وسهولة قراءتها .

والخراج الصحفي ، مع انه فن قائم بذاته ، الا انه يستند الى حصائر ومستخلصات الفن التشكيلي من جهة ، وعلم نفس الجمهور القارئ ،

وعلم وظائف الاعضاء ، وبصورة خاصة ما يتعلق بحاسة البصر من جهة أخرى ° القراءة - في حد ذاتها - ليست مهارة تربوية فقط بل هي عملية عضوية °

والخرج الصحفي الفنان هو الذي يحول المادة المخطوطة الى مادة مطبوعة نابضة بالحياة والجاذبية عن طريق توزيع الوحدات على الصفحة البيضاء ليجعل منها لوحة فنية ذات جمال ، ومعنى ، وشخصية °

ولكن المخرج ، رغم انه فنان ، له حرية في ابداع فنه ، الا ان الحرية الحقة هي التي تفرض مزيدا من المسؤوليات والضوابط °° وتتمثل هذه المسؤوليات والضوابط في اعتبارات تمليلها الاسس الصحفية والادبية والنفسية والفسيولوجية والجمالية °° ويظل الابتكار تحت مظلة هذه الضوابط هو الاساس في صحة الالخراج °

ويراعي مخرجو صحافة الاطفال الاسس النفسية والفسيولوجية والفنية للالخراج الصحفي ، بما في ذلك ميول الاطفال واذواقهم وقصر فترة اقبالهم والالوان التي ترتاح لها عيونهم °°°

فعلى صعيد الاسس الصحفية او الفنية يراعي المخرجون المدف الموضع للمادة الصحفية بحيث يمكن له أن يبرز بوضوح ° ولهذا يدرس المخرجون انواعهم بين ثانيا المادة المخطوطة ليتذوقوا رائحتها قبل اي شيء ، ومن ثم يقررون هيكل الهندسة المناسبة للصفحات والالوان وفقا لذلك °

وتدخل ضمن الاسس الفسيولوجية للالخراج احجام الحروف المناسبة والالوان والفراغات والعنوانين التي تناسب قدرات الاطفال الذهنية والعاطفية والحسية ، بما في ذلك قدرات حاسة بصر الطفل °

وفي جميع الحالات يهدف المخرجون الصحفيون الى تشكيل وحدة فنية تناسب قدرات الطفل على استخدام عينيه ويسهل له القراءة وتنمي قابلياته على التذوق الفني ، وتساعده على تكوين صور ذهنية ايجابية °

وتميز الوحدة الفنية التي ينشدها المخرجون ، في العادة ، عناصر ذات أهمية منها : التوازن ، سواء أكان متماثلاً أم متبيناً . والايقاع ، الذي يسهل انتقال عيني الطفل بين الكلمات والسطور والمساحات اللونية والصور والعناوين والصفحات دون تشعر أو ملل . والتناسب والانسجام من خلال توافق الوحدات الطباعية وتناغم بعضها مع البعض ومع الالوان التي تظهر بها .

وعلى هذا فلابد أن يكون اخراج صحافة الاطفال متميزاً عن صحافة الكبار ، ما دام جمهور الاطفال يختلف عن جمهور الكبار ، وما دامت المواد الصحفية المقدمة للأطفال تختلف من حيث مضمونها واسلوبها عن المواد المقدمة للكبار . ولاشك ان شكل ومضمون صحيفة الطفل شيئاً مترابطاً ومتفاعلاً ، يكمل احدهما الآخر ، ولا يمكن لمضمون الصحيفة ان يتراكأثره المطلوب في الطفل الا من خلال شكل فني يغري الطفل ويجذبه . وشكل الصحيفة يخدم مضمونها في العادة .

الرسوم :

تمثل الرسوم في صحافة الاطفال وحدة طباعية أساسية ، وتشمل الصور الفوتوغرافية ، والاشكال المرسومة كالرسوم الكاريكاتيرية والواقعية ، والتوضيحية .

ومع اتنا تتناول الرسوم ضمن باب الاراج الصحفى الا انها في الواقع ليست عنصراً اخراجياً فحسب ، بل هي مادة صحفية حية ، لها قيمة جمالية واعلامية وثقافية كبيرة . وقد تفوق المادة المكتوبة في تأثيرها - في بعض الاحيان - كما انها كثيرة ما تفوق الاشياء التي تصورها في قدرتها على توضيع كثير من الواقع والمفاهيم . لذا لم يقتصر استخدامها على الصحافة بل تعدتها الى السينما والتلفزيون والمسرح .

ومنذ فجر التاريخ كان الانسان يسجل على الصخر برسوم ملوثة قصته مع الطبيعة القاسية وكواسرها الضاربة . وبذذا كان الانسان قد عاش

عصر الرسم قبل ان يعيش اي عصر آخر ٠٠ وعبر مسيرة الانسانية الطويلة ظلت الرسوم - لغة وفناً - اداة للتعبير والتصوير ٠ ورغم مرور الاحداث الطويلة الا ان الانسانية ما تزال تحيا ذات العصر ٠

وقد قدرت الانسانية منذ ازمان متقدمة اهمية الفنون التعبيرية كالرسم والنحت كوسائل تزيد من كفاءة الاتصال بين المربى والدارس ، واعتبر شيرون Cicero (١٠٦ ق ٠ م - ٣٤ ق ٠ م) للرسوم اهمية كبيرة في الاتصال لأنها تساعد على تذكر المجردات ٠ وقال سينكا Seneca (٤ ق ٠ م ٦٥ م) ان الناس يصدقون الرؤية أكثر من تصديقهم الكلام ٠ لذلك اهتم بالرسوم على الرمل في التعليم (٣٣) ٠

والرسوم الجميلة الملونة تربى ذوق الطفل ، وتلفت نظره الى مواطن الجمال فيها ، والى انسجام الالوان واتساقها ٠ كما انها اداة ل التربية حاسة البصر ٠ والبصر هو الذي يطلع الاطفال على المؤثرات الصوتية ، وعلى الالوان الاشياء وشكلاتها وامتداداتها وابعادها ٠ والعين التي أحسن تمرينهما تستطيع ان تدرك فروقاً لونية لا تدركها العين غير المدربة ٠

كما ان الرسوم تغنى المعلومات المقدمة للطفل بالاحساسات المقابلة ٠ ففي قصة من القصص لا يكفي عرض القصة بالمادة المطبوعة بل لابد من أن ترافقها الرسوم ٠ وفي معركة بطولية ، لا يكفي سرد البطولات سرداً ، بل لابد من أن يصاحب ذلك تصوير يقطر بالحياة ، ويصدق هذا بالنسبة الى المفاهيم والمثل التي لابد ان ترافقها مدلولات حسية ٠ والاطفال لا يفهمون المجردات فهما حقيقة ، ولا يحبون الخوض فيها ٠ والاحساس الذي تتركه في ذهن الطفل هو اساس المعرفة ، ولو لا هذا الاحساس لما عرفنا شيئاً عن العالم الخارجي ، ولما استطعنا دراسة ودراسة قوانينه واستخدامها لصالحنا ٠ والاستناد الى الاحساس في التربية سواء اكان عن طريق الرسوم ام غيرها هو مرحلة من مراحل التربية ينتقل بعدها الطفل الى التعليم المجرد عن

المحسوسات ، ولكن كلما كانت تربية الطفل الحسية قوية ، كان تعليمه المجرد - فيما بعد - أسهل مناً واقرب إلى النجاح^(٣٤) .

فالرسم تعين خيال الطفل على الانطلاق وتشكل صور ذهنية عن المواقف والافكار . وهذه النقطة على جانب كبيرة من الدقة ، لأن الرسوم التي يرسمها رسامون مبتدئون او غير متخصصين في الرسم للأطفال ، او مجرد رسامين مهرة يفتقدون الى الروح والذوق الفني ، كل هؤلاء يمكن ان يؤثروا تأثيرا سالبا في ذهن الطفل وخيالاته ، لأنهم يحبسون خيالات الأطفال في افق محدودة .

وما يرسمه الأطفال بأنفسهم هو نوع من التعبير ، وبسبب اعتماد الطفل على الرسم في ذلك ، اضافة الى ما للرسوم من تأثير في نفسه ، فقد اعتمدت وسائل ثقافة الطفل - بما فيها كتب الأطفال ومجلاتهم - على الصورة المرسومة اعتمادا كبيرا . واستعانت - الى حد ما - بالصور الفوتوغرافية ايضا . وقد ذهب البعض الى القول ان الرسوم والصور تناسب الطفل اكثر من اللغة المكتوبة او الكلام المباشر ، ذلك ان الكلمة المكتوبة تستدعي بعض الجهد لقراءتها وفهمها ، في الوقت الذي لا تستدعي فيه الصورة كل ذلك ، لأن الطفل يجد المتعة في التطلع الى الصورة .

ولهذا تصدر في البلدان المختلفة صحف وكتب لا تضم غير صفحات قليلة تعتمد على الصور والرسوم فقط . وهذه الصورة والرسوم بمجموعها تؤلف في الغالب قصصا قصيرة او معلومات عن ادب المائدة او الطريق او عن عالم الحيوان ، ويقتبلاها الاطفال الصغار الذين تتراوح اعمارهم سن ٦ - ٣ سنوات بشغف عظيم ، لأنهم يستطيعون قراءتها من خلال رسومها ، خاصة وان الرسوم والصور تفوق الكلمة في قوة تأثيرها وسهولة فهمها ، وطول فترة التأثير بها ، لأنها تخاطب عيني الطفل وفكره وذوقه وخياله .

وبواسع الاطفال اليوم في مختلف اعمارهم ان يفهموا كثيرا من القصص المصورة ، حتى وان كانوا لا يعرفون اللغة التي تصدر بها تلك المجالات او

الكتب ، معتمدين على الرسوم وما تحمله من تعبيرات ومعانٍ . ففي مجلة ايطالية مصورة للأطفال - مثلاً - يستطيع الطفل العربي أن يتعرف إلى مضمون كثير من القصص بمجردة التمعن في رسومها حتى وإن كان يجهل لغة الطليان .

وقراءة صورة ليست بتلك السهولة دائماً ، وكثير من الصور يقف الكبار أمامها حيال لفترة غير قصيرة ، لأن الصورة في حد ذاتها ليست الشيء ذاته بل هي تمثيل للشيء . لذا وجب أن تكون الصورة المقدمة للطفل بسيطة ، واضحة ، خالية من كثير من التعقيدات والتفاصيل المربيكة ، وإن تناسب وخبرات الطفل ومعلوماته وقدراته . والمعنى ليس في الصورة ذاتها بقدر ما هو في من يشاهدها . وهي ليست إلا مثير بصري يوحى بالمعاني ويرتبطاً .

وما يزال بعض رجال التربية عندنا يتخوفون من تسلل الاتجاهات الحديثة في كتب الأطفال ومجلاتهم ، ولكن التجارب التي أجريت في الخارج أثبتت أن الطفل يرحب ب مختلف الألوان الفنية الجميلة ، فكتب ، الأطفال ومجلاتهم الحديثة هي في الواقع معارض متوجلة يشاهد فيها الطفل أحدث الاتجاهات والمدارس والمذاهب الفنية . وهذا يعني له أن يتعرف إلى لغة العصر في المجال الفني . (٣٥)

وإذا كانت صحف الأطفال الصغار (٣ - ٦ سنوات) تعتمد على الرسوم وحدها ، فإن الانسجام والتوازن بين المادة المكتوبة والرسوم لا بد أن يتوافر للأطفال بعد سن السادسة .

والرسوم باعتبارها عناصر بصرية تعتمد على نمو حاسة البصر ، كما تعتمد على قدرات الطفل العقلية عموماً ، إضافة إلى اعتمادها على مدى ثقافة الطفل ، لأن فهم الرسم يرتبط بثقافة الطفل نفسه ، شأنه في ذلك شأن اللغة اللفظية ، بل يسمى البعض الرسوم : لغة غير لفظية . وهي بهذا أبعد من أن تكون وسيلة من وسائل التعبير الجمالي فقط .

وأكثر الرسوم شيوعا في صحفة الأطفال هي الرسوم الكارتونية Cartoons ، والكاريكاتيرية Caricature ويقصد بالرسوم الكارتونية تلك التي تعبّر عن أفكار وحوادث ومواضف في الوقت الذي يصور الكاريكاتير الشخصيات قبل اي شيء اخر . ويلاحظ ان كثيرين يريدون الرسوم الكاريكاتيرية كلاً من الرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية ، مصدر هذا الخلط اعتماد اللونين على اسس واحدة في الرسم .

وتعتمد الرسوم الكاريكاتيرية على ابراز السمات الواضحة او الشاذة، ويقال ان اصل الكلمة كاريكاتير مأخوذة من الكلمة لاتينية تفيد معنى الرسم الذي يبالغ في ابراز العيوب ، لكن هناك رأيا يقول انها مأخوذة عن الكلمة كاريكيير الايطالية التي تفيد معنى : يبالغ .

واهم ما يميز الكاريكاتير هو قوة تأثيره الانفعالي الراجع الى قوة التعبير وعنته وعمقه ، وقد يعالج الكاريكاتير موضوعا كاملا او قصة او حادثا او تعليقا على حادث بالسخرية او التمجيد او الهجاء او التأييد او المدح او الذم . (٣٦)

ويعبّر على الكاريكاتير انه يتحيز الى جانب واحد من الموضوعات الشائكة التي تختلف فيها وجهات النظر بأن يضخّم بعض العناصر ويتفّه العناصر المضادة ، وبذلك فهو يضلّ ، اذ يوحّي بعدم وجود وجهة نظر غير الوجهة التي يمثلها ، بينما توجد في الواقع وجهات نظر متباعدة . (٣٧)

والرسوم الكارتونية والكاريكاتيرية تناسب الموضوعات ذات الطابع الهزلي او المرح .

وتشير الى جانب هذا اللون من الرسوم الوان اخرى في صحفة وكتب الأطفال منها الرسوم الواقعية التي تناسب المضمون التاريخية والعلمية والثقافية ، والرسوم الزخرفية التي تناسب الموضوعات الخيالية او الشعبية .

خصائص

الرسوم المناسبة للأطفال :

تتميز الرسوم المناسبة للأطفال في مجلاتهم بمجموعة من الميزات ، من ابرزها :

- ان تكون الصور والرسوم جميلة من وجهة النظر الفنية .
- ان تتناسب مستويات نمو الاطفال العاطفية والعقلية والفنية والحسية .
- ان تستخدم الالوان فيها ، مع مراعاة درجات التباين اللونية ، وفي حالة اظهار الاوضواء والظلال تنبغي مراعاة الدقة التي تفرضها على اللوحة .
- ان تعبّر الصور والرسوم عن الفكرة الرئيسية والافكار الثانوية الاخرى بشكل دقيق .
- ان تكون الرسوم معبرة عن البيئة التي تعبّر عنها المادة المكتوبة زمانياً ومكانياً .
- ان يتم التوازن بين المادة المكتوبة وبين الرسوم . فليس من المناسب ان تطغى الصور على المادة المكتوبة كما هو الحال في صحف المسلسلات الهزلية Comics التي تحصر خيالات الاطفال في افاق محدودة ، وتجعلهم فيما بعد مجرد باحثين عن القوالب الجاهزة التي لا تستوجب شيئاً من العناء . لأن رسوم المسلسلات الهزلية لا تستلزم في العادة غير قراءة سطور قليلة الى جانب الرسوم التي تتضمن خلالها وقائع وحوادث القصص .
- ان تشكل الرسوم مع المادة المكتوبة وحدة فنية متكاملة من خلال الترابط الوثيق بينهما .

الالوان :

تدرك الاشكال من خلال الالوان . واللون خاصية ضوئية بصرية ، تعتمد على انعكاس موجات الضوء على السطوح . والاجسام التي تعكس

كل الموجات نبدو بيضاء ، بينما تبدو الاجسام التي تمتص كل الموجات سوداء .

وتستقبل حاسة البصر الالوان من خلال انعكاس الموجات ذات الترددات المختلفة ، وتأثر الخلايا العصبية بها ، وتنقلها عبر العصب البصري الى المخ .

ولللون دور مهم جدا في الفن ، لأن له اثرا مباشرا في الحواس . وربما وضع اللون في مجموعة متواالية تتقابل ومجال الانفعالات ، فيتقابل اللون الاحمر مع الغضب ، والاصفر مع الفرح ، والازرق مع النسق ، وهكذا . واغلب الظن ان هناك تفسيرا فسيولوجيا بسيطا لهذا التقابل ، حيث ان العامل الذي يحدد السرور ، او عدم الارتياح ، هو عدد الذبذبات التي تصطدم بها موجات او اشعة الضوء شبكيّة العين . كما ان للون نواحية السيكولوجية ، في بعض الناس يحبون ، او يكرهون الالوانا معينة لانهم يربطون بينها وبين ما يحبون ، او يكرهون ، فهم يحبون اللون الاخضر مثلا ، لانهم يربطون بينه وبين الربيع ، او يحبون اللون الازرق لانه يذكرهم بالسماء . وهم يكرهون اللون الاحمر لما له من ارتباط عندهم بالخطر . (٣٨)

ويختلف تأثير الالوان في النفوس باختلاف الثقافات والمجتمعات كما يختلف باختلاف خبرات الافراد واحساساتهم وانفعالاتهم فيما يتصل بالالوان المختلفة ، ويفضل اغلب الاطفال الالوان الدافئة الزاهية ، بينما يفضل الكبار الالوان الهدئة . وهناك بوجه عام ، الوان تبعث على السرور والبهجة ، اذ تجلب الهدوء والارتياح الى النفس ، بينما هناك الوان اخرى تشير في النفس الكآبة . فاللون الاحمر من الالوان المثيرة التي ترمز الى القوة والعنف والدم وشدة التأثير ، وهو رغم ذلك لون يفضله الكثيرون ويرتاحون اليه ، لانه من الالوان الزاهية المشرقة . واللون الازرق يرمز الى الصفاء والهدوء ، وكذا الحال بالنسبة الى اللون الاخضر ، فهو لون مهديء وترتاح

إلى رؤيتها النفس . ويبعث الأصفر في النفس البهجة والفرح ، بينما تبعث الألوان البنفسجية القاتمة والسوداء شيئاً من الكآبة^(٣٩) . وتعبر الألوان الأرجوانية عن الخصوبة والرخاء . ولكن المخرج الصحفي أو الرسام لا يعتبر هذه الارتباطات قوانين قاطعة .^(٤٠)

ولا تستخدم الألوان مجرد النواحي الجمالية وحدها ، بل تستخدم لتسهم في تحقيق التمييز بين مكونات الأشياء ، وابراز العناصر المهمة ، وتسهيل ادراك العلاقات وتأكيداتها ، وزيادة واقعية الخبرات وجذب الانتباه ، والتسويق .^(٤١)

والاطفال يختلفون في استجاباتهم للألوان ، فبعضهم يميلون إلى الألوان الصارخة كاللون الاحمر والألوان القريبة منه ، وبعضهم يميلون إلى الألوان الهادئة كالخضراء والزرقاء .

وتلون كثير من الرسوم بغير ألوانها الاعتيادية تبعاً للضوء او تعبراً عن حالات وظروف نفسية معينة ، كتلون بعض الوجوه باللون الاحمر تعبراً عن العنف والقسوة ، او باللون الاخضر المزرق تعبراً على الحقد .

الفصل الثاني

كتب الأطفال

المبحث الأول

نظرة عامة

كل منا يتذكر - ولا شك - لقاءه الاول مع الكتاب ، وهو ، في الغالب ، لقاء مع الكتاب المدرسي ، الذي لم يكن جذابا ، وكان في لغته و موضوعاته واسلوبه كثير من العضاف ، كما كان يخلو من الصور والرسوم والالوان الجميلة .. ولو كان الكتاب الاول ملائما لمستويات عقولنا وميولنا ونمونا اللغوي ، جذابيا ، زاهيا ، لا دخل السرور الى تفوسنا ولا صبح اكثر تأثيرا فنيا ، ولو جدناه كبارجة كبيرة نقلنا الى عوالم اخرى .. وجواه يطوي بنا شيئا من الازمة واخرى من الامكنته ، وشاشة تعرض لنا الالوان من الفنون تنمي اذواقنا الفنية ، وتجعلنا اكثر احساسا بالجمال ..

ولا شك ان لتلك العلاقة بينما في طفولتنا وبين الكتاب اثارها الواضحة
فيمااليوم . ألم تروا اولئك الذين يعزفون عن الكتب
اليوم عزوف الذباب عن نسيج العنكبوت ! ألم تروا اولئك الذين يجمعون
الكتب لغرض الجمع ، او اولئك الذين لا يحسنون اختيار ما يقرأون ، او
اولئك الذين يرددون ما قرأوه في الاندية والمجالس كالبيغاوات دون ان
 تكون لقراءاتهم تأثير في حياتهم ! ٠ ٠ ٠ ان هؤلاء جميعا لم تكن لقاءاتهم
 الاولى مع الكتاب حميّة - في الغالب - لأن الكتاب لم يقدم نفسه اليهم في
 طفولته كرفيق مهيب .

وكم من مرة كانت الكتب الاولى سببا في اقبال الاطفال على القراءة
الوعائية المستمرة ، مثلما كانت في مرات اخرى سببا في نفرة اطفال اخرين
وعزوفهم عن القراءة . ولاشك ان للكتاب نفسه وللظروف المصاحبة
لتقديمه الى الطفل اثارها الفاعل في هذا او ذاك .

كتب الاطفال الاولى تضع لهم خطواتهم على طريق معرفة الناس ، سواء
ا كانوا يقيمون حوالיהם ام بعيدا عنهم ، حيث يقفون عند طباعهم وعاداتهم
وعواطفهم وطموحاتهم واهتماماتهم واعمالهم وحضارتهم ، كما انها تفتح
اذهانهم على ما اعتدنا - نحن الكبار - ان نسميه « خيرا » وذاك الذي نسميه
« شرا » ، فتتمو مقدرتهم على اتخاذ المواقف الصائبة .

ويقتصر الاطفال - من خلال الكتب - على الكلمة المطبوعة التي تفتح
امامهم عوالم من الصور وتنمي قوة خيالاتهم (٤٢) .

ومن خلال هذا او ذاك يقف الطفل عند مواقف جديدة غير التي
يصادفها في بيئته كل يوم فتستامي رويدا رويدا حواسه ومداركه وتطور
ملكة تفكيره .

ان اي مثقف لا يستطيع الا ان يشير الى ما لا يقل عن كتاب واحد كان
له الاثر الكبير في حياته بشكل ما .

ويرى الخبير الفرنسي « مورييس فلورانت » ان كتب الاطفال تقودهم الى التفكير والتأمل وطرح الاسئلة على انفسهم وعلى الآخرين ؟ او بمعنى اخر تؤهلهم للمرحلة التالية التي هي مرحلة المراهقة .

ويرى ان الهدف الاساس لقراءة الكتب هو تأمين الارتباط المستمر بين نمو الطفل الجسدي ونمو تفكيره وادراكه مع تجنيبه اي انقطاع يمكن ان يحصل في نمو شخصيته لدى انتقاله من مرحلة الى مرحلة ، خاصة وان العصر الراهن يحتاج بصورة دائمة الى زيادة معلومات الطفل التي يمكن ان يلبيها الكتاب وينمي الرغبة في اكتساب معارف جديدة . (٤٣)

ويشير الشاعر الفرنسي بول ايلسوار الى ان الكتاب يعطي القارئ العلوم والمعلومات والاتصالات ، وان الكتاب اذا قرئ من قبل شخصين فإنه يقيم جسرا يربط بينهما ، ويستطيع هذا الشخصان اللذان اطلعا على الكتاب مثلا ان يختلفا في تقييمهما له من خلال الاختلاف الايديولوجي والاجتماعي والديني ولكن الكتاب يستطيع ان يقربهما بعضهما الى بعض بالرغم من ذلك لانهما سيحصلان معا على ثروة مشتركة .

وللكتاب تأثيره في الطفل لما له من قدرة على تغذية الصفات الانسانية النبيلة في نفسه ، وتنمكيته من تذوق الجمال وتقييمه ، وتعريفه الى كثير من المعرف والقيم ، اضافة الى امتعاه وادخال السرور الى قلبه .

ويؤكد الخبير الفرنسي فلورانت ، ان قدرة الكتاب تتبع من كونه يقدم الافكار والقيم والمفاهيم والمعلومات الى الاطفال مثبتة على الورق ، حيث يتيسر لهم ان يتعاملوا معها وقتا طويلا بانفاسه وتواءده ، كما يمكن لهم ان يعودوا اليه في اي وقت يشاءون ، في حين لا يتهدأ لهم ذلك من خلال الاذاعة او التلفزيون او السينما او المسرح ، اذ كثيرا ما تغيب عن اذهانهم الصور والقيم بعد وقت غير طويل .

وللكتاب ميزة اخرى انه يبقى بالإضافة الى ذلك الوسيلة التي يمكن

اصطحابها في لحظات الوحدة وآوقات الراحة لتدخل في نفس الطفل الانس وتنزوده بشتى العلوم والمعارف والصور .

والذي يميز كتاب الطفل عن مجلته هو ان الكتاب يضم لوغاً أدبياً معيناً في الوقت الذي تشكل المجلة اضماماً ملونة من القصص والصور الأدبية الأخرى والأخبار ، ولا يمكن لاحدهما أن يكون بديلاً عن الآخر لأن لكل منها دوره في حياة الطفولة .

وهناك مطبوعات تأخذ من الكتاب مادته ومن المجلة الصدور في مواعيد ثابتة ، وهي في هذه الحالة تأخذ حالة وسطاً بين الكتاب والمجلة ، حيث تصدر في سلسل متلاحقة ، تأخذ كل سلسلة موضوعاً معيناً ، ففي الوقت الذي تتناول فيه سلسلة معينة موضوع الاتصالات بين الناس منذ أقدم العصور ابتداء بالحمار حتى مركبات الفضاء - مثلاً - ، تتناول سلسلة أخرى موضوعاً آخر كالفضاء مبتدئة بتصورات الإنسان الخرافية عن الفضاء وصولاً إلى معارف الإنسان الحديثة عن الكون .

وتقسم كتب الأطفال من حيث مضمونها إلى : كتب قصصية ، وهي التي تتضمن قصة أو مجموعة من القصص سواء كانت قصصاً واقعية أم خيالية أم بوليسية أم تاريخية أم علمية أم اجتماعية أم دينية ، أو كتب علمية ، وتستهدف إيصال الأفكار العلمية للأطفال والأجابة عن تساؤلاتهم في مجالات العلوم عموماً ، وكثيراً ما تتخذ هذه الكتب شكل سؤال أو جواب أو تتخذ بناءً أدبياً قريباً إلى القصة ، أو على شكل رحلات علمية بين البقاع والبحار والمحيطات أو بعيداً في الأجراء بين السحب ، أو في الفضاء بين الكواكب والنجوم وال مجرات . والكتب الدينية ، وتسعى إلى تبسيط المعلومات الدينية للأطفال ، وتسعى في العادة بسرد قصص الانبياء والواقع والمثل والحكم الدينية ، ومثل هذه الكتب إذا لم تقدم مضمونها بشكل أدبي وسليم فإنها قد تلقي في نفوس الأطفال الصغار الخوف والهلع خاصة إذا

تضمنت قصصا عن الاولىء والجان وغيرها من الامور التي لا يمكن تقديم كل الاجابات للاطفال عنها بشكل مقنع حيث ان تظل تلك الجوانب مبهمة امام الاطفال ويظلون يتساءلون عنها باللحاج . وكتب الشعر والاغاني والاناشيد، وكتب الحوليات ، ودوائر المعارف والمعاجم المصورة ، وكتب الرحلات ، والكتب التاريخية وكتب المشاهير .

ومن جانب آخر تقسم كتب الاطفال وفقا لمراحل نمو الاطفال ، حيث نجد كتابا خاصة بالاطفال الذين ما يزالون دون سن المدرسة ويطلق علىها كتب الاطفال الصغار ، وكتب اخرى للاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ٦ - ١٢ سنة ، وكتب اخرى لمن هم اكبر من ١٢ سنة .

المبحث الثاني كتب الأطفال الصغار

في تقديمنا لفصل «قراءات الأطفال» اشرنا إلى العوامل الأساسية التي تؤثر في مدى استجابة الطفل للكتاب . وقد قسمت تلك الاستجابات ابتداءً من السنة الثالثة .. ووجدنا أن مراحل نمو الأطفال عقلياً وعاطفياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً من جانب ، وطبيعة البيئة التي يحيا فيها الطفل والاستعداد الذي يكتسبه الطفل من تلك البيئة من جانب آخر ، تقرر نوع وطبيعة استجابة الطفل نحو الكتب .

والسنوات التي تسبق دخول الطفل إلى المدرسة تشكل مرحلة حاسمة من حياته ، لما لها من تأثير كبير في مستقبله ، وتشير البحوث والدراسات النفسية والاجتماعية أن الطفل يمر في هذه الفترة بمرحلة تربوية تفوق خطورتها أية مرحلة تربوية مقبلة .

ومن هنا تأتى خطورة الثقافة للطفل خلال هذه المرحلة ، وخطورة توجيهه توجيهًا سليمًا ، ولكن إذا كان من أكير الأخطاء التبكيّر بتوجيهه

الطفل توجيهاً مقتناً قبل الموعد المناسب او تأخير توجيهه الى ما بعد فوات الوقت الملائم ، فان هناك خطأ آخر لا يقل خطورة هو : الخطأ في طرق واساليب التوجيه *

وقد نشأ خلال السنوات الاخيرة اهتمام جدي بهذه المرحلة في بلدان العالم المتقدمة ، على وجه الخصوص ، فأتجهت الافلام القصيرة التي يستطيع الاطفال الصغار فهمها ، وقدمت لهم برامج تلفزيونية ومسرحيات وكتب ومجلات *

وبهذا ظهرت اضافة جديدة من ادب الاطفال لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة ولم يدخلوا المدارس بعد .. واطلق على هذه الاضافة : **ادب الاطفال الصغار** *

وإذا كانت صورة هذا الادب واضحة بعض الوضوح من خلال التلفزيون والمسرح ، فهي من خلال الكتاب والمجلة تثير التساؤل : اذ كيف يمكن لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد أن « يقرأوا » الكتب والمجلات ؟

والاجابة عن ذلك يسيرة ، ذلك ان كتب الاطفال الصغار تعتمد على الصورة قبل الكلمة ، حيث يجد الاطفال كتاباً في صفحات قليلة يزدان بالرسوم الجميلة المتتالية التي تشكل في مجلتها قصة قصيرة او فكرة بسيطة صغيرة .. ويستطيع الطفل في هذا العمر من فهم عدد غير قليل من تلك القصص والافكار بنفسه ، ولكن في كثير من الاحيان يتولى الاب او الام معاونة الطفل في تقليل صفحات الكتاب ، ومتابعة وقائع القصة او تبيان الفكرة التي تعبر عنها الرسوم *

وبعض كتب الاطفال الصغار تكتفي بالرسوم وحدها عندما تستطيع الرسوم ابراز حوادث القصة وفكرتها ، وفي احياناً اخرى تكتفي بكلمة واحدة او مجموعة كلمات في الصفحة الواحدة ، لتكون عوناً للام او الاب

في قراءة حوادث ومضمون القصة ، واحيانا تتصدر الكتاب مجموعة من السطور ، هي القصة بكاملها ، بينما تحوي الصفحات الأخرى رسوم القصة فقط .

وكتب الأطفال الصغار ، ذات اشكال جذابة ، ورسومها زاهية ، وصفحاتها سميكة مصنوعة من الورق والقوى او القمان او البلاستك . ولا تقتصر كتب الأطفال الصغار على القصص المنشورة ، بل تتتوفر كتب تتناول موضوعات متعددة كالشعر والفناء والمعلومات .

ومن كتب الأطفال الصغار ما لها مزايا اللعبة ، كالكتب التي قطوي طيأ ، أو تفك وتشكل تشكيلات مختلفة ، والكتب التي يمكن للطفل أن يحوّلها إلى مجسمات كالقطارات والسيارات والمعماريات ، وترفق مع بعض هذه الكتب دمى صغيرة تتحرك بين أقسام القطارات او السيارات او العماريات ، كما ترافق مع بعض الكتب دمى عديدة تمثل كل أشخاص القصة ، بحيث يتسعى للطفل أن يستعيد القصة من خلال الدمى ، ويرتبطها شخصية بعد شخصية حسب ظهورها في القصة ، معتمدا في ذلك على رسوم الكتاب ذاتها .

وقد يستهين البعض باهمية الكتب للأطفال في هذه المرحلة ، واولئك ، ولاشك ، يجهلون تأثيرها القوي في نفوس الأطفال .. فهي تبني في أعماقهم أفكارا واتجاهات نفسية واحساسات وخبرات جديدة ، وتقسّي قدراتهم على الملاحظة الدقيقة ، وتفتح أمامهم آفاقا واسعة من المعرفة والاكتشافات ، وتعد واحدة من النبهات القوية المحيطة بالطفل ..

فمن خلال نقل الرشد - أما كان أم أبا أم أخا أكبر - إلى الطفل مضامين الكتاب ، يتزايد نمو الطفل اللغوي ازديادا واضحا ، حيث يتعرف إلى مفردات وتعابير جديدة ، إضافة إلى تعرّفه إلى نطق الكلمات بشكل صحيح ، وقد لا يتهيأ للطفل ذلك كله في هذا العصر دون الكتاب .

والاصناف ، الذي يقولون عنه انه فن ، يمكن ان يعتاده الطفل منذ

صغره ، عن هذا السبيل ، لأن مضمون الكتاب الجيد يجذب الطفل ويسحره ، فينتبه ، بكل جوارحه ، إلى ما ينقل إليه منه ، ولاشك أن الأصغاء الجيد هو الأساس الذي يتتيح للطفل تقبل قيم ومفاهيم وافكار كثيرة في مستقبل حياته .

يضاف إلى ذلك أن علاقة تعاطف متينة تقوم بين الطفل والراشد ، أبا كان أم أما أم أخا أكبر ، حين يجد الطفل من يعني به ، ويقدم له قصصا وأفكارا لذينتها ، واجابات عن كثير من التساؤلات التي قد تعن له . وهذه العلاقة هي أساس الشعور بالثقة بين الطفل ومن حوله ، وهي كفيلة بالاسهام في منحه الثقة كي يختار اساليب مرحلة الطفولة الاولى .

ومن خلال الصور المعبرة يستوحى الطفل خيالات تزيد في آفاقه ، حيث تفتح له السبيل لتخيل صور تفوق تلك التي يراها ، وبمرور الوقت يبدأ في توقع تنتائج معينة ، ويصدر أحكاما ، ويكتسب قدرة على فهم العلاقات بين الاسباب والنتائج إلى حد ما .

وفوق هذا وذاك فهي تبني الذوق الفني لدى الأطفال من خلال صورها الجميلة التي تشكل الوانا من الفنون التشكيلية .

وهذه كلها تضاف إلى دور هذه الكتب في تنمية علاقة وطيدة بين الطفل والكتاب قبل سن المدرسة . والطفل الذي تقع عيناه على الكتب لأول مرة عند دخوله المدرسة يميل إلى الربط بين الكتب وبين وضعه الجديد الذي كثيرا ما يهاب منه أو يرفضه ، وعند ذاك تظل النفرة بينه وبين الكتاب مستمرة حتى بعد انهائه دراسته .

ولا شك أن مادة الكتاب ، في هذه المرحلة ، من حياة الطفل ، تلعب دورا بارزا في تنمية احساس رقيق لدى الطفل ينم عن رضاه عن نفسه أولا وعن الكتاب ثانيا . وعليه ينبغي أن لا تكون مادة الكتاب ساذجة دون مستوى الطفل أو صعبة لا تسع لها قدراته ، لأن سذاجتها يجعله يستهين بالكتاب ، وتفقد في نفسه روح التحدي ، ولا يجد في الكتاب تلبية لحاجة

من حاجاته . وصعوبتها توقع الكتاب في دائرة نفقة الطفل ، وعند ذلك قد تكون العلاقة – عندما يساء تقديم الكتاب المناسب للطفل – نقطة افتراق بين الطفل والكتاب في وقت يراد للطفل فيه ان يشعر بحاجة طبيعية الى رفقه دائمة مع الكتاب ، والاستمرار في التعلم ، استنادا الى الخبرات السعيدة الاولى .

ويتمكن من خلال هذه الكتب تناول حكايات صغيرة ، قصيرة ، ابطالها في الغالب ، من الحيوانات ، كما يمكن تناول معلومات عامة ، وكل ما يغرس فيهم قيم الاعتماد على النفس والمثابرة والشجاعة ، وحب الطبيعة والرفق بالحيوان ، وحب الوالدين ، وآداب المائدة والمحادثة ، والنظافة ، فضلا عن اسباغ روح المرح على حياة الاطفال .

ان تكوين العادات الصحيحة لدى الاطفال من اهم اغراض التربية الخلقية ، لأن كثيرا من جوانب السلوك تقوم عليها . ومساعدة الطفل منذ نعومة اظفاره على تكوين العادات السليمة من خلال الكتب – الى جانب ادوات ووسائل اخرى – هي من اساسيات توجيه الاطفال .

ويستلزم الحذر الشديد والدقة في مخاطبة الطفولة في هذا العمر ، لأن اكتساب الطفل لاي عادة سيئة سيكون لها تأثير سلبي كبير في نفسه ، اضافة الى ان تعلم عادة سيئة في البداية يعرقل كثيرا من العادات الطيبة . وتصحيح اية عادة سيئة يستغرق وقتا طويلا وقد لا تؤدي المساعي الى نتيجة مجدية .
ان الاطفال في هذا العمر يمتلكون مرونة واستعدادا تمهدان لانشاء العادات والقيم الطيبة .

والمؤسف اننا لا نجد كتب اطفال بهذه المرحلة من مراحل الطفولة في الوطن العربي وقد نجد احيانا كتابا مترجمة فقط ، هي في حد ذاتها غير مناسبة لاطفالنا .

والطريف ان بعض كتب الاطفال لهذه المرحلة في بعض بلدان تتناول موضوعات غريبة . ففي السويد مثلا تصدر كتب للاطفال الصغار تتحدث عن كثير من جوانب الحياة ، بما في ذلك قضايا الجنس (٤٤) .

المبحث الثالث

كتب الاطفال في العالم

بعد اختراع الطباعة ، صدرت كتب عديدة تضم حكايات شعبية وخرافات ، وكان في مقدمتها خرافات ايسوب التي طبعت بين عامي ١٤٧٥ - ١٤٨٠

ولم تكن تلك الخرافات الشعبية مخصصة للأطفال ، ولكن كان يمكن لهم ان يجدوا في بعضها شيئاً من المتعة . وقد أدخلت بعض تلك الخرافات والحكايات في المناهج الدراسية المقررة .

واعقب ذلك صدور كتب دينية عديدة منها على سبيل المثال كتاب «وصية لابن» لفرانسيس اوزبون عام ١٦٥٦ .

وفي عام ١٦٥٨ صدر اول كتاب مصور للأطفال .

وبعد ترجمة الف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية ابتداء من عام ١٧٠٤ ، وغيرها من الحكايات والاقصاصيص العربية ، والشرقية عموماً ، اخذ

الكتاب الاوربيون ينسجون قصصا للاطفال من وحي تلك الحكايات
والاقاصيص .

ورغم ذلك ، فان اهتماما حقيقيا بكتب الاطفال لم يكن ظاهرا آنذاك . بل ان جان جاك روسو اكتفى بكتاب واحد هو « روبنسون كروسو » للطفل « أميل » .

واول من اصدر مجموعة وفيرة من كتب الاطفال هو الناشر والاديب جون نيوبيري (١٧٦٧ - ١٧١٣) اذ تولى مع عدد من المؤلفين تبسيط عدد كبير من قصص الكبار وتقديمها الى الاطفال في سلسل كتبه ، منها رحلات جاليفر ، وروبنسون كروسو ، وغيرها من القصص والحكايات الشعبية والخرافات .

ولكن مع بدايات هذا القرن حدث تغير هائل في عالم ثقافة الطفل وكتبه ومجلاته . ويصل الاهتمام بكتب الاطفال اليوم مرتبة متقدمة . ففي الاتحاد السوفييتي يجد ٧٠ مليون طفل يتكلمون ٥٧ لغة ما معدله ٥٣ كتاب جديد لكل طفل ، وهذه النسبة توازي ما يصدر من كتب الاطفال في انكلترا تسعة مرات ، وفي الولايات المتحدة الامريكية اربع مرات . ورسوم تلك الكتب في الغالب ، ذات طابع واقعي بعيد عن التجريدية . وتتولى اصدارها عشرات الدور المتخصصة بنشر كتب الاطفال ، ينصرف فيها عدد كبير من الكتاب والرسامين والعلماء والمربيين والمحترفين بشؤون الطباعة . وتصدر هذه الدور في العام الواحد ما يزيد عن الف وخمسين كتاب بـ ٣٠٠ نسخة ، منها الكتب القصصية ، والكتب العامة ، والكتب العلمية المبسطة والعلمية الخيالية ، وكتب الشعر ، وكتب الفنون التشكيلية والموسيقية ، والكتب التي تتحدث عن مشاهير العالم في مجالات الفكر المختلفة ، وكتب الرحلات وطبع بعض هذه الكتب باكثر من ٣٠٠ ألف نسخة . (٤٥)

ومن بين هذه الكتب ما هو مترجم عن لغات اخرى ، ومن ابرز الكتاب الذين يترجم لهم هناك الكتاب الانكليز والامريكيان ، والفنلنديين والهنود

والبولنديين والبلغار ، وغيرهم . وفي عام ١٩٦٤ ترجمت كتب اطفال من ٧٢ لغة الى مختلف اللغات في الاتحاد السوفيتي

هذا ، مع العلم ، دار النشر الاولى لكتب الاطفال ، قد انشئت خلال الايام الصعبة لمواليد الاتحاد السوفيتي ، وكانت اول دار نشر لكتب الاطفال في العالم . ويزيد اجمالي الكتب التي صدرت عنها وعن الدور السبعين الاخرى المتخصصة بالنشر للاطفال ، حتى الان اكثر من ٤٥٠٠ مليون نسخة .

وترکز الكتب التي تصدروها دور النشر السوفيتية على تغذية صفات العطف ، وامداد الاطفال بالقابلية على تقدير الجمال وتشويقهم الى الوقوف على ما ضيئهم وحاضرهم ، وادخال السرور الى فنونهم ، لكي ينشئوا فيهم القوة والشجاعة وحب العمل الجماعي وحب الانسان ، مع تعريفهم بدولتهم ، وكان مكسيم غوركي يقول :

« يجب ان نكتب للاطفال كما نكتب للكبار . ولكن يجب ان نبذل عناء خاصة واهتمامًا كبيرا بما نكتب للاطفال ، فالاطفال يتطلعون الى شيء مثير وغير عادي . فلنقدم لهم هذا الجديد . »

وفي المانيا الديمقراطية تعمل (دار نشر الاطفال - برلين) على اصدار كتب خاصة بالاطفال ، لمختلف مراحل الطفولة ، وهي تستعين بكتاب المؤلفين والرسامين والمختصين بشؤون الكتب والمكتبات . وكانت هذه الدار قد اسست عام ١٩٤٩ ، واصدرت منذ ذلك التاريخ هذه الدار اواسط عام ١٩٦٦ اكثر من ٨٥ مليون كتاب . وقد احتفلت هذه الدار عام ١٩٧٤ بالعيد الخامس والعشرين لتأسيسها ، واثنت عن انتاجها ١٢٥ مليون نسخة من كتب الاطفال .

ورغم ان اهتمام الدول الاشتراكية بكتب الاطفال اوسع واكبر بكثير من اهتمام البلدان الغربية بوجه عام ، الا ان شركات واتحادات دور النشر

الغربية تقوم بدور كبير في اصدار الوان الكتب الخاصة بالاطفال ، وهي في غالبيتها ذات طابع تجاري ، باستثناء الكتب التي تتولى التنظيمات الدينية والسياسية اصدارها ٠

ففي انكلترا تقوم دور النشر الخاصة بنشاط واسع لنشر الكتب التعليمية وكتب الاطفال ، حيث ان وزارة التربية هناك لا تقرر كتابا معينة على التلاميذ في اغلب المواد ، بل تضع المناهج ثم تقيم المعارض الدائمة للكتب التعليمية ليطلع عليها المعلمون لاختيار افضل الكتب التي تعالج الموضوعات الواردة في المناهج ، وهم يختارون اكثر من كتاب في كل مادة كي لا يتحول التلاميذ الى ما يشبه الآلة الحافظة او آلة التسجيل ، كما انهم لا يفرضون اتجاهها معينا او وجهة نظر محددة في اي من المواد ، ويدربون الاطفال على تجميع المعلومات من عدة كتب ، ويعملون على تنمية قراءات الاطفال ودفعهم الى بذل الجهد للتقطاط المواد الدراسية من بين صفحات كتب عديدة ، كي لا يصبحوا سلبين او مجرد متلقين ٠٠ اذ يرون ان كتابا واحدا مقررا يجعل من الكتاب مقدسا ، وهمهم هو تحطيم قدسيّة كتاب واحد ، وعدم احاطة كتاب ، مهما كانت قيمته بهالة من القدسية التي تحول بين الطفل وبين كتاب اخر وكتاب اخرين ٠

وعليه ، لا تتضح هناك فوارق كبيرة بين الكتاب المدرسي وبين الكتاب الثقافي ، حيث انها يتداخلاً ويتمزحان في كثير من المواد مثل اللغات والعلوم والاجتماعيات والرياضيات ولكن الى جانب ذلك تتتوفر كتب اخرى ، تباع في حوانيت الكتب ، ويشتريها الاباء والاطفال وتزود بها المكتبات المدرسية ، وتشتمل على القصص والحكايات وشئون المعرفة الاخرى)) (٤٦)

وفي ايطاليا يلاحظ ان ٨٠٪ من كتب الاطفال مترجمة عن مؤلفات الكتاب غير طليان ، فالكتاب المقدمة لهم غريبة عنهم ، وكثير منها ، اما

مجموعات من المعارف والمعلومات المدرسية ، كدوائر المعارف ، او مجموعات من القصص الملائمة بالمعامرات التي تدور اغلبها حول الحرب العالمية الثانية ، وبالذات في الفترة التي احتل فيها النازيون ايطاليا ، وتستهدف هذه القصص تأكيد معنى سياسي : هو ان ايطاليا تقاوم النازية والفاشية ، وانها كانت مع الحرية .. وذلك بهدف ربط عجلة البلاد والاطفال بالغرب والفكر الغربي .^(٤٧)

وتتدفق على ايطاليا كتب المسلسلات والمعامرات الامريكية التي تعمل على تخريب عقول الاطفال .

المبحث الرابع .

كتب الاطفال في الوطن العربي

في الوقت الذي عم العالم كلها اهتمام واسع بكتب الاطفال ، ظل الطفل العربي دون كتاب خاص به .. اذا اردنا ان نقول الحقيقة كلها ، فان كتابا قليلة صدرت للاطفال بمبادرات شخصية بادىء الامر وقد استغلت مؤسسات «ثقافية» اجنبية ذلك الجدب في عالم ثقافة الطفل العربي ، فعملت على نشر عدد من الكتب المترجمة ، وتعاونت مع مؤسسات نشر عربية في هذا المجال ، واغدقـت على بعض الكتاب والمتـرجمـين بالامـوال كـي يـسـرـوا لـهـا هـذـهـ المـهـامـ . ولـمـ تـكـنـ تـلـكـ المؤـسـسـاتـ «ـالـثـقـافـيـةـ»ـ الـاجـنبـيـةـ تـرـيـدـ لـلـطـفـلـ العـرـبـيـ انـ يـنـموـ سـلـيـماـ ،ـ وـلـاـ شـكـ ،ـ بلـ كـانـتـ تـهـدـفـ إـلـىـ تـكـرـيـسـ الـاـتـكـالـيـةـ وـالـاـنـايـةـ وـالـلـاـبـالـيـةـ فـيـ تـفـوـسـهـمـ ،ـ وـتـرـسـيـبـ المـفـاهـيمـ الـاقـليـمـيـةـ إـلـىـ قـلـوبـهـمـ الغـضـةـ ،ـ وـابـعادـهـمـ عنـ وـاقـعـهـمـ ،ـ ليـشـبـّـهـواـ ،ـ فـيـمـاـ بـعـدـ ،ـ غـرـبـاءـ عـنـ الـحـيـاةـ ،ـ مـتـرـدـيـنـ ،ـ نـاقـصـيـنـ ،ـ جـبـنـاءـ لـاـ تـرـبـطـهـمـ وـحدـةـ فـكـرـيـةـ اوـ ثـقـافـيـةـ مـحـدـدـةـ الـاـبعـادـ بـقـدـرـ ماـ تـمـزـقـهـمـ اـشـنـاتـ مـنـ اـلـافـكـارـ وـالـمـفـاهـيمـ الـمـتـنـاقـضـةـ ،ـ وـبـذـلـكـ ،ـ وـجـدـتـ تـلـكـ الـكـتـبـ الـطـرـيقـ إـلـىـ قـطـاعـ مـحـدـودـ مـنـ الـاطـفـالـ .

وكان حجة القائمين على اصدارها ، وائلثك الذين فتحوا اذرعتهم لها - من غير الاطفال - : ان اطفالنا وجدوا فيها كثيرا من اللذة . ولكن هذه الذريعة مردودة ، لأن تلك « اللذة » التي تحملها تلك الكتب المترجمة منبعها « المخدر » .

وهذا لا يعني اتنا نريد حجب كتب الاطفال الاجنبية عموما عن اطفالنا ومنع ترجمتها الى اللغة العربية ، ولكننا نشير هنا الى اتجاه كانت قد خططت له « جهات » انشئت بالاساس في بعض الاقطار العربية لتسهيل مهام الغزو الثقافي ، فاتتني من كتب الاطفال الغربية ما يتحقق لها ذلك .

هذا بالنسبة الى بعض كتب الاطفال الاجنبية التي رشق بها اطفالنا رشقات خفيفة ناعمة كانت شديدة الواقع في تأثيرها .

وكان يوازي هذا الاتجاه ، اتجاه اخر لا يقل ضررا عن الاتجاه الاول ، وهو تقديم اشتات متفرقة من حكايات العرب وايامهم ومعارفهم وامثالهم بشكل عشوائي ، لم يستند الى اسس سليمة تتافق مع قدرات الاطفال العقلية والخيالية واللغوية ، ولم تجر عمليات اتقانه وتنقيتها مناسبة لتلك الحكايات وال ايام والمعارك والاقوال والامثال ، بل قدمت بكل ما فيها من جفاف ومن قيم سلفية ، واحيانا كثيرة ، بلغة عربية غير معاصرة . وقد كان لهذا اثره في عزوف الاطفال عن قراءتها .

وفوق هذا وذاك ، فقد صدرت بعض كتب المعلومات والمعارف العامة ذات الطابع المدرسي ، وقد قيل عنها انها كتب اطفال . لكن الاطفال لم يأبهوا لها كثيرا لأنهم لم يجدوا فيها ما يجذبهم .

ولكن لابد من الاشارة الى ان كتبا ذات مضامين تراثية و أخرى مترجمة صدرت بمستوى جيد ، ولكنها كانت نادرة الى حد بعيد .

وخلال السنوات الاخيرة ، وبالذات عند مطلع السبعينات بدأ الوعي باهمية كتاب الطفل يتسع فوجدنا مؤسسات عربية تعنى بشؤون كتاب الطفل

في العراق وتونس ولبنان ، وهذه العناية يمكن ان تكون منطلقا لاصدار كتاب الطفل المناسب .

وفي المؤتمر الاول لثقافة الطفل الذي عقده وزارة التربية والتعليم في مصر من ١٤ الى ١٦ مارس ١٩٧٠ تنبه المؤتمرون الى ذلك الفيض من كتب الاطفال الذي لم يكن يشتمل الا على عدد قليل مناسب ، حيث جاء في توصيات ذلك المؤتمر :

[لو حاولنا احصاء الكتب الصادرة باللغة العربية لوجدنا ان عددها نسبيا غير قليل ، ولكن اغلبها تميز بطابعه الضعيف . لذا فان المؤتمر ينادي العاملين في ميدان اصدار كتب الاطفال من مؤلفين ورسامين وناشرين ومن اليهم ان يجعلوا لمعايير الجودة والاتقان المكانة الاولى من اهتمامهم بصرف النظر عن « عدد » الكتب التي يصدرونها] .

والواقع ان كتاب الطفل يواجه مشاكل خاصة به ، اضافة الى ان مشكلة الكتاب بوجه عام تؤثر هي الاخرى على كتاب الطفل ، بما في ذلك قلة انتاج الكتب لكل في الوطن العربي .

والاحصائيات بهذا الشأن تشير الى ان انتاج الكتب في الوطن العربي يصلح حوالي خمسة الاف كتاب في السنة اي ١٪ من المجموع العالمي الذي بلغ عام ١٩٦٩ حوالي نصف مليون كتاب ، وهناك فجوة فيما يخص الكتب العلمية ، اذ ان ٤٠٠ كتاب فني كل عام لا يلبي حاجة الاقطار العربية التي تواجه مشاكل التطور والتنمية .^(٤٨)

وعلى هذا فان معدل الاتاج السنوي في الوطن العربي يصلح ٤٠ كتابا لكل مليون نسمة مقابل المعدل العالمي البالغ ١٤٠ كتابا ، وعدد النسخ ٤٠ لكل فرد مقابل المعدل العالمي البالغ سبع ٢٠ .

وفي عام ١٩٧٠ كانت كتب الادب والمكتب العامة تمثل ٢٠٪ من المجموع او حوالي المليف كتاب ، طبع منها ثلاثة ملايين نسخة بينما كان ينبغي

ان تصل الى اربعة الاف كتاب بثمانية عشرة مليون نسخة حسب حاجات الحد
الادنى . (٤٩)

وفي عام ١٩٧٠ بلغ عدد الاطفال دون سن الخامسة عشرة ٥٤ مليونا في
الوطن العربي او ٤٥٪ من مجموع السكان ، منهم ٣٢ مليونا يمكنهم
القراءة ، وهم يحتاجون الى ما لا يقل عن ١٥٠٠ كتاب سنوياً باثنين وثلاثين
مليون نسخة .

عيوب اخرى في كتب الاطفال في الوطن العربي :

اضافة الى ضعف مستوى كتب الاطفال في الوطن العربي عموماً ،
وضائدة عددها نسبة الى سعة جمهور الاطفال ، هناك جوانب ضعف اخرى ،
من ابرزها :

١ - نحن نعلم ان كل طور من اطوار الطفولة له خصائصه وحاجاته
الخاصة ، وهذه الخصائص وال حاجات تتفرض لكتاب الطفل في كل مرحلة
شكلًا ومضمونًا ، يتاسب وقدرات الطفل النفسية والاجتماعية والعقلية
واللغوية .

ولكن هذا الجانب الاساسي في ادب الاطفال غائب الى حد بعيد ، فما
ترزال كتب الاطفال ذات طابع شامل . ففي كتاب واحد نجد قصة يمكن ان
تصلح لاؤلئك الذين لم يصلوا سن المدرسة الى جانب قصة اخرى لا تصلح
الا لاؤلئك الذين شارفووا على اعتاب المراهقة ، بل قد نجد الى جانب ذلك
قصة ثالثة لا تصلح للطفولة اساساً . وهذا لا ينطبق على كتب القصص
وحدها بل يتعداها الى جميع الانواع الادبية التي يجدها الطفل في كتابه .
فهذا كتاب « ديني » نجد في الفصل الاول ما يرعب الطفولة ويفزعها عن
طريق ايراد غيبيات لا يمكن ان يستوعبها الطفل ، وفي الفصل الثاني كلام عن
الجنة التي تجري من تحتها الانهار ، والنار الموددة وفي الفصل الرابع عودة
الى ما هو مفزع ومخيف من خلال كلام ينطوي على ما معناه : ان الموت آت
اليكم ياتاركي الصلاة .

ونجد كتابا آخر ذا صبغة علمية يتناول فصولا عن « اصل الانسان » يقول ان اجدادنا كانوا قرودا يتسلقون الشجر ويرقصون . ولا شك ان الطفل غير قادر على فهم مثل هذه الامور .

وي يمكن ان نجد أمثلة كثيرة تكشف لنا عن عدم توافق مضامين كتب الاطفال مع مراحل نموهم .

يضاف الى ذلك اننا نجد كتابا لا تتلاءم في لغتها واسلوبها مع ذخيرة الطفل اللغوية ، ونجد اخرى تتحدث بلغة بدائية ساذجة في الوقت الذي ينبغي فيه ان تتناسب الالفاظ والعبارات طرديا مع الحصيلة اللغوية للطفل . اما بالنسبة الى كتب الاطفال الصغار التي تقدم لاولئك الذين لم يتعلموا القراءة والكتابة بعد ، فان دارا للنشر لم تجرب حتى اليوم على اصدارها لأن بعض تلك الدور تتوجه نحو الربح المادي ، وهي لا تريده ان تعزف في بدايات لا تتوقع لها مثل ذلك الربح .

٢ - هناك كثير من الكتب الصادرة للاطفال لا تلتزم الدقة العلمية ، وحجة بعض كتابها ، اننا يمكن ان نقدم للاطفال ما يمتعهم ويسليهم دون اعتبار لتلك الدقة ، ولكن من قال ان التحرر من الالتزام العلمي هو سبب لامتناع الاطفال وتسليتهم . ان الكتابة الفنية للاطفال توجب مزيدا من الالتزام بالدقة . والكاتب المجيد هو الذي يتلزم هذا الجانب ، ويضفي عليه ما يمتع الاطفال وما يثيرهم وما يجذبهم . ونحن حين نقدم المعلومات والافكار الخاطئة للاطفال سنواجه صعوبة بالغة في تصحيحها في مستقبل الايام ، فضلا عن ان تلك المعلومات الخاطئة التي تقدم للطفل لا تتيح له ان يتعرف على الحياة تعرفا صحيحا .

٣ - ومن حيث النشكل ، وما يزال اخراج كثير من كتب الاطفال العربية ضعيفا ، فاغلب الكتب المترجمة تنقل الرسوم الاصلية ، وبعض تلك الرسوم تصور جوانب من الحياة والتشكير والعادات والازياط تختلف عما هو متعارف عليه بيننا .

وبعضها ، لا تستعين بالرسوم اطلاقا ، وهذا نقص كبير ، لأن للرسوم دورها الكبير في تنمية الذوق الفني للطفل ومساعدته على تكوين صور ذهنية جديدة لمضمون الكتاب ، اضافة الى ان الرسوم والالوان تبعث في نفس الطفل الرضي .

وبعضها الآخر ، تستعين بالرسوم ، ولكنها تجعل منها خلفية للكتابة ، وفي هذه الحالة قد تغطى الكتابة على الرسوم ، او قد تغطى الوان الرسوم ، على الكتابة وبذا تفقد الصورة تأثيرها .

وكثير من تلك الكتب تطبع بحروف ناعمة يضجر الطفل من قراءتها ، واخرى تزيد في تعقيد القراءة عن طريق تشكيل اواخر الكلمات في الوقت الذي ينبغي فيه تشكيل الكلمات الصعبة التي يمكن ان تؤدي دون تشكيل الى معنى اخر .

ومع ان هناك دور نشر عربية عديدة اخرجت كتبا ذات طباعة انيقة ورسوم جذابة الا ان هـ..ا لم يجنِبها الواقع في اخطاء ادبية وفنية وعلمية عديدة .

ويصف احد الفنانين المشرفين على احدى سلاسل كتب الاطفال الحديثة، كتب الاطفال العربية .

« .. انها تحمل قصصا فاشية .. والكتاب يسقط على الطفل من فوق ، فاللغة ليست لغته ، والصور او الرسوم ليست من عالمه ، والخط ايضا غريب عنه ، حيث تختار لغة معقدة ، ورسوما تزيينية او توضيحية لافكار تربوية قديمة وخط رقعي او نسخي معقد ايضا » (٥٠)

المبحث الخامس

شكل الكتاب

حين يقف طفل عند مجموعة من كتب الأطفال ، في حوانيت البيع ، نجد انه يلقي بنظره اليها فترة قصيرة ، ثم يمد يده لالتقاط واحد منها .. ويفدوا في تأمل غلافه وتقليل صفحاته ، وقد يعيده الى موضعه ليلتقط كتابا اخر ، وي تتطلع الى غلافه ويقلب صفحاته ، ويتأمل رسومه الداخلية .
ترى ، ما الذي يدفع الطفل الى التقاط هذا الكتاب ، ثم ما الذي يدفعه بعد ذلك الى اعادته لالتقاط كتاب اخر .

في البداية قد يستهويه جمال الغلاف ، او حجم الكتاب او عنوانه ..
وبعد ان يقلب صفحاته ، قد لا يجد فيه الطباعة الانيقه التي تجذبه ، او الرسوم التي تشوّقه ، او الالوان التي تسحره ، او الورق الذي يستهويه ، فيلقي به جانبا ، وقد يجد هذه كلها اضافة الى المضمون الذي يسوقه ، فيحتضن الكتاب برفق .

اذن ، هذا يعني ان الاطفال يريدون كتبهم جميلة ، ذات احجام مناسبة ،

وطباعة انيقة ، وحروف واضحة ، واغلفة قادرة على الاحتمال .. اي ان يكون اخراجها جيدا وتصنيعها ممتازا اضافة الى المضمون الجيد ..

والاخراج الجيد هو التعبير الشكلي الصادق الجميل عن المضمون ، وهذا يعني ان الاخراج الجيد يهدف الى اغراض جمالية كجاذبية الكتاب ، واخرى تطبيقية تتحقق الوضوح والدقة والصدق في التعبير وسهولة القراءة ويسر الفهم ..

ويحتل اخراج الكتاب اهمية في استهواه الطفل ، وفي تنمية ميله لقراءته، لذا اهتمت مؤسسات النشر المختلفة باخراج كتب الاطفال اخراجا انيقا جداً وامسى اخراج كتب الاطفال عملية صناعية فنية ..

اما الجوانب الاساسية التي يستند اليها اخراج كتب الاطفال فهي :
اولا : جاذبية الغلاف ، والوانه ، وحركته :

الغلاف الجميل ، هو الوجه الذي يطل على الاطفال ، فتسرهم اطلاقاته ، فينجدبون نحوه ، وكثير من الاطفال يستقون كتبهم لجمال اغلفتها ..

ومن المناسب ان يكون في غلاف الكتاب شيء كثير من التعبير عن مضمون الكتاب ، وان تكون الوانه متناسقة بدرجة عالية ، وان يكون تصميمه مبسطا خاليا من التعقيد ، وان يشير في مجلمه شيئا من مكانن الطفل او يلبي شيئا من حاجاته النفسية ..

ويراعى ان تكون اغلفة كتب الاطفال متينة كي لا تكون عرضة للتلف .
السرير ..

ثانيا - جمال تصميم الصفحات الداخلية :

لا يشكل الغلاف السوى الرئيس في الكتاب ، مادام الطفل سينطوي بعد حين صفحة الغلاف الاولى متقللا الى صفحاته الداخلية ، وال طفل سرعان ما يلقي بالكتاب جانبا اذا لم يجد في صفحاته الداخلية ما يلبي له حاجاته في

التذوق الفني الجميل .. وعليه ، لابد ان يكون تصميم الصفحات خاليا من التعقيد ، وان تزدان الصفحات بالرسوم المناسبة التي تزيد في وقع الكلمة المكتوبة ، وتنحها ابعادا جديدة .

ومن الضروري وضع الرسوم في أماكنها المناسبة على الصفحات ، وان تكون متفقة في تفاصيلها الى حد ما مع النص المكتوب ، وهذا لا يعني اننا ندعوا الى الاتفاق الكامل ، لأن الرسوم في كتب الاطفال ، ليست وسائل ايضاح بقدر ما هي لسات فنية اخرى تضفي على النص الادبي قوة تعبير وجاذبية .

اما الالوان ، فمن الضروري مراعاة تناسيبها مع مساحات نمو الاطفال وبيئاتهم وحياتهم الاجتماعية ، اضافة الى تناسب الالوان ذاتها .

ويجد الاطفال في بعض بلدان العالم كتابا على جانب من الايقاف ، فقد صنع بعضها من البلاستيك ، واخرى من القماش المعطر ، او ورق المقوى الصقيل . وصدرت في باريس عام ١٩٧١ مجموعة من الكتب جميع حروفها من صور الحيوانات والزهور الملونة التي تزيد في استمتاع الطفل بالقراءة وتنمي ذوقه الفني .

وهجرت بعض دور النشر اصدار الكتب بشكلها المستطيل المألف ولجأت الى اصدار بعضها على شكل حيوانات وأشجار ودمى وما الى ذلك . وتتدخل ضمن جمال الصفحات الداخلية ، اضافة الى التوزيع المناسب بين الرسوم والكلمات ثلاثة عناصر اساسية هي : علامات الوقف ، وشكل الكلمات ، والحرروف .

ويلاحظ ان كثيرا من كتب الاطفال العربية ، تعفل علامات الوقف اغالبا تماما ، وتبدو مادة الكتاب ، وكأنها جملة واحدة لا تنتهي الا مع نهاية الكتاب .

ان علامات الوقف ، لا تمنح الصفحات جمالا فحسب ، بل تحمل معنى

خاصةً في حد ذاتها ، كما أنها تفك ما يتراءأى للطفل من تشابك بين الجمل ونقوده إلى ادراك الجمل واحدة بعد الأخرى ، فالاطفال يحبون الجمل القصيرة الواضحة ، ويحرصون على أن يحصلوا على النتائج بسرعة .

وهذا لا يبرر لنا الاكتئاف من علامات الوقف ، ولكن يمكن الاكتفاء بالنقطة الدالة على الوقف التام في نهاية الجملة ، والنقطتين الواحدة على الأخرى بعد فعل القول ، والفاصلة الدالة على الوقف القصير ، إضافة إلى علامتي الاستفهام والتعجب ٠٠٠

ومن الضروري الالتزام بقواعد ثابتة للتنقيط ، لأن هذا يساعد الطفل على أن يفهم ما يقرأه بسرعة .

اما ضبط الكلمات بالشكل فهي تؤلف صعوبة من صعوبات القراءة للاطفال ، لأنها تعرقل انطلاقتهم في القراءة . ولكن هذا لا يعني أن تتجاهل الضبط الصحيح للكلمات ، وعليه فان الامر يستلزم الدقة الفائقة في ضبط بعض الكلمات بالشكل والتي يمكن أن يقع فيها الطفل في الخطأ لو تركت دون تشكيل .

اما بالنسبة الى الحروف ، فيلاحظ ان بعض كتب الاطفال تطبع بحروف ناعمة او تخطط بخطوط صغيرة ، ولكن هذا يؤذني عيون الاطفال ، لأن المعروف ان نمو العصب البصري ، والتواافق الحركي البصري ، غير مكتمل لدى الاطفال ، لذا وجب الالتزام بهذه الحقيقة البيولوجية بتقديم الكتب لمن هم دون العاشرة بخط الخطاط او يبنط كبير (٣٦) وان يتم التدرج بعد ذلك في ابناط المطبعة . (٥١)

ومع هذا ، يظل خط الخطاط في كتب الاطفال أكثر جمالاً إذا ما شفنا الخطاط في رسم خطوطه ، وابعد عن الالتزام بالأنماط التقليدية للخطوط في مراحل الطفولة المتأخرة . ولكن بالنسبة إلى الاطفال الصغار من المناسب اما تكون الخطوط قريبة من حروف المطبع إلى حد كبير كي لا يحس الطفل الصغير بفارق كبيرة بين الحروف التي يجدها في كتابه المدرسي ، وكتابه الآخر الذي يقرأه قراءة حرجة .

المبحث السادس

موسوعات ومعاجم ومفكريات الاطفال

لقد اتسعت آفاق المعرفة اتساعاً واسعاً ، ولم يعد بامكان اي كان ان يلم ببعض من هذه الجوانب مرة واحدة ، لذا كان من الضروري ان يتيسر المستودع الذي يضم خلاصات وافية لمختلف الحقائق والمفاهيم والافكار والمعلومات الادبية والعلمية والفنية والتاريخية وسير الاعلام ، وغير ذلك من جوانب المعرفة ، وهذا المستودع هو الموسوعة او دائرة المعارف .

وهناك نوعان من دوائر المعارف ، منها تحمل معلومات عامة موجزة ، دون الاقتصار على تقديم تعريف للكلمة او تقديم معناها بل يتعدى الامر ذلك الى تناول وصف شامل للسمى او المصطلح ، بما في ذلك تاريخه وعلاقته مع المسميات او المعطيات الاخرى . . . ومثل هذه الموسوعات هي الموسوعات العامة .

اما النوع الآخر منها فهو الموسوعات المتخصصة التي تتناول فرعاً

واحدا من فروع المعرفة ، كموسوعة خاصة بالحيوانات ، او الزهور ، او الطائرات او الاجهزة البيتية او سير الادباء والعلماء وما الى ذلك .

وهناك موسوعات تجمع بين النوعين ، وهي الموسوعات الاستعراضية التي تتناول نشوء وتطور جانب واحد من الانشطة الانسانية ، كنشوء وتطور الاختراعات والاكتشافات ، وما الى ذلك .

ويشير مؤرخو التاريخ الثقافي ان صدور دائرة المعارف البريطانية «بريتانيكا» عام ١٧٧١ ودائرة المعارف الفرنسية «انسيكلوبيديه» في الاعوام بين ١٧٥١ - ١٧٧٢ ، ودائرة المعارف الالمانية «بروكهاوس» بين الاعوام ١٧٩٦ - ١٨٠٨ ودائرة المعارف الامريكية ، «أمريكانا» بين الاعوام ١٨٢٩ - ١٨٣٣ كانت تعتبر من الاحداث المهمة في حياة تلك الشعوب .

وقد عنيت الامم المتقدمة باصدار الموسوعات للاطفال لما لها من أهمية في ثقافة الطفل ، حيث يستطيع الرجوع اليها لاستجلاء ما يستعلق عليه من افكار والمعلومات .

ورغم اهمية الموسوعات للاطفال ، الا اننا في وطننا العربي ، لم نرو ظماً اطفالنا بدائرة معارف عربية ، وكل ما صدر من موسوعات صغيرة لهم كان ترجمة لموسوعات اجنبية عملت بعض المؤسسات الاجنبية على تقديمها لاطفالنا تغذية للغزو الفكري وهي في مجملها غير قريبة الى بيئات اطفالنا .

والاطفال مشغوفون بالاستطلاع ، كثيرو التساؤل ، يشعرون بحاجة دائمة الى ان يعرفوا كثيرا من الحقائق والمعلومات . ولا شك ان الموسوعات تروي ظماهم وتجيب عن تساؤلاتهم بسهولة ويسر ودقة .

والاطفال يتذمرون طيلة فترة طفولتهم بشيء من الغربة عن واقعهم والعالم . وهذه الغربة لا تخف وطأتها الا عن طريق تعرفهم الى كل ما يعن في خواطيرهم . وحين نضع موسوعة بين يدي الطفل ، فاننا نعمل على شده

الى واقعه .. ونعرفه الى الدنيا وشعوبها واحيائها النباتية والحيوانية وجغرافيتها وتاريخها ..

يضاف الى ذلك ان الموسوعات في حد ذاتها تقود الطفل الى التنقيب والبحث كما تقوده الى تساؤلات جديدة يمكن ان يجد لها اجابة بين صفحاتها ..

والموسوعات المعدة للاطفال تأخذ في اعتبارها قدرات الطفل وفق مراحل نموه المختلفة ، حيث تصدر موسوعات للاطفال الصغار ، واخرى للاطفال متوسطي الاعمار ، ثالثة للاطفال الكبار ..

المعاجم :

قد لا يستعين كثير من الكبار بالمعاجم اللغوية ، ولكن الاطفال جميعا بحاجة ماسة اليها لانها تحتوي على معاني الكلمات المستخدمة في ادب الاطفال وفي المناهج الدراسية وفي حياتهم الاجتماعية ، مشروحة شرعا مبسطا وافيا ، يستطيعون من خلالها ان يتبيّنوا جميع الدلالات التي ترمز اليها كل كلمة ..

ولم تكتف بعض معاجم الاطفال بابراط ما تعنيه الكلمة من دلالات ، بل تعدت ذلك الى التعرض لا شتقاقاتها ، او جمعها وتشذيبها ، وتعريف الافعال ، وادخال الكلمة في جملة مفيدة ..

واستعانت المعاجم بالرسوم والصور التي تزيد في ايضاح الدلالات وكل معجم يعد لمرحلة معينة من مراحل الطفولة ..

المفكريات :

ويدخل ضمن هذا الفصل نوع اخر من كتب الاطفال هو « المفكريات » التي تخصص لكل يوم من ايام السنة صفحة واحدة تحمل في اعلاها تاريخ

ذلك اليوم بتقويم واحد او اكثر . وتحصص مساحة مناسبة على الصفحة لقصة قصيرة او فكرة موحية او معلومة لها ارتباط بذلك التاريخ ، الى جانب رسوم معبرة وتحصص المساحة الباقية من الصفحة للطفل ليسجل فيها مواعيده او برنامج عمله او ذكرياته . وهذه المذكرات مقسمة حسب مراحل نمو الاطفال حيث يستخدم الطفل في السنة السابعة مثلا غير المفكرة التي يستخدمها طفل في الثامنة ، وهكذا .

وأطفالنا في الوطن العربي لم يجدوا بعد معاجم ومذكرات خاصة بهم .

الفصل الثالث

مسَرَحُ الْأَطْفَالِ

المبحث الأول

نظرة عامة

العمل المسرحي شكل اخر من اشكال الادب ، ومع هذا فهو يستعين بالفنون والاداب جميعا و يقدمها متناغمة على خشبة في اتساق وانسجام ٠

ومع ان المسرحية في الاساس هي قصة او رواية ، الا ان للقصة او الرواية افاقا واسعة بينما ترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانيات ممثليه افاقا واسعة بينما ترتبط المسرحية بامكانيات المسرح وامكانيات ممثليه وقدرات جمهوره ، بينما يمكن للقصاص ان يذهب الى ابعد من هذه الحدود ٠ وكثيرا ما يتتجاوز حدود الزمان والمكان ٠ ولكن القصة او الرواية تتخذ لها شكلنا فنيا من خلال المسرح والممثلين والجمهور ، ويضفي المخرج على هذه

العناصر كلها ، بدرجات متفاوتة ، صورا فكرية وفنية ، تجعل الاطفال أمام عالم ينبع بالحياة وتشيع فيه الانوار والاضواء والمناظر والازياط سحرا اذا ، في وقت يلقي الطفل القصة او الرواية وسط آفاق خياله هو .

من المناسب هنا ان نفرق بين مسرح الاطفال والمسرح المدرسي ، فالمسرح المدرسي هو اشبه ما يكون بمختبر تجارب او معرض لنساطرات التلميذ ، وهو جزء من بقية جوانب المنهج المدرسي ، ويهدف الى اغراض تربوية منها : الكشف عن قدرات التلميذ وتطويرها ، وتنمية العمل الجماعي التعاوني ، وتنمية اتجاهات اجتماعية مرغوب فيها ، والتوعية القومية بالبيئة والحياة ، وتنمية ميول التلاميذ والاستخدام المشر لامور فراغهم ، وخدمة العملية التعليمية . وسوف نرى ان مسرح الاطفال يستهدف اغراض اخرى ، ويستعين بوسائل واساليب مختلفة .

المسرح ولعب الاطفال :

في لغات كثيرة يعني التمثيل واللعب معنى واحدا ، ولا عجب في هذا ، فكم يقترب اللعب من التمثيل .

وبولع الاطفال باللعب ، لذا كان التمثيل لديهم ولما اخر ، بل هم في لعبيهم يمثلون . ويدهب البعض الى القول ان الكبار يتعلمون فن التمثيل من الاطفال .

ونحن الكبار نلعب - ولا شك - ولكن لعبنا - في اكثر الاحيان - هو لعب عاشر ، ان لم يكن نكوصا الى فترات الطفولة . اما لعب الاطفال فهو لعب هادف ، لأنهم يلعبون من اجل ان يخترعوا العالم ويكتشفوا خباياه ويمضوا في عمليات النمو ، وعليه فما نطلق عليه « عبث اطفال » لا يمثل عبثا حقيقيا .

وللعب اهمية في تكوين شخصية الطفل ، وقد كان الكاتب الكبير

مكسيم غوركي يصف لعب الاطفال بأنه وسيلة لاتraction إلى ادراك العالم الذي يعيشون فيه والذي يتطلب منهم أن يغيروه فيما بعد .

وحيثما نجد تجتمعا للأطفال نجد نشاطا تلقائيا له بعض أبعاد العمل المسرحي ، حيث تختلط فيه الحركات والاصوات .

ويرى كثيرون من علماء النفس ان التمثيل من اهم الوسائل التي تستخدم لتحقيق الشفاء النفسي ، فقيام المرأة بتمثيل دور ما في احدى التمثيليات او قيامه بمشاهدة تلك التمثيلية ، يؤديان عادة ، إلى نقص التوتر النفسي وتحفيظ حدة الانفعالات المكتوبة ، وذلك عندما يندمج الممثل او المتفرج في جو التمثيلية ويترافق دورا معينا . ويلاحظ ان بعض التمثيليات تزيد الاعصاب توترا اذا كان المتفرج غير راض عن الفكرة التي يشاهدها ، او اذا كان الممثل غير راض عن الدور الذي يقوم به . اي أن التفيس عن الانفعالات العادة المكتوبة لا يحدث في التمثيليات الا اذا رضى المتفرج او الممثل عن المواقف والشخصيات التي تؤثر فيه . ومن الظواهر النفسية التي يمكن معالجتها عن طريق التمثيل الجلل والانطواء وعيوب النطق^(١) .

وقد يرتبط معنى التمثيل في اذهان البعض على انه وسيلة تقتصر على الترويح ، والتسلية ، وهذا الفهم قاصر ، بطبيعة الحال ، لأن التمثيليات وسائل اتصال فعالة للتعبير عن فكرة او مفهوم او شعور معين ، وهي تعتمد في ذلك على اللغة وحركات الجسم وتعبيرات الوجه والاشارات واسلوب الكلام . وكل ذلك يجعل منها وسيلة ذات قوة اجتماعية هائلة للاعلام والتشريع والتأثير والتوجيه الى جانب الترويح والتسلية المهدفة .^(٢)

ويقرر علماء النفس وال التربية ان الحيوانات التي هي اقدر على التعلم تكون كذلك اقدر على اللعب . اما تلذئ التي لا تهتم الا بغائزها الموروثة فانها لا تعرف اللعب ، فصغارها تسلك مسلك كبارها من اول امرها ، دون ان تستطيع اضافية شيء جديد الى حكمتها جنسها . اما الحيوانات التي تلعب ، فتلذئ هي الحيوانات المستطلعة الفاحصة المنقبة ،

وهي تكتسب الخبرة في لعبها ، وتنزيد خبرتها كلما زاد حظها من اللعب . أما أقرب الحيواناتلينا وهي القردة ، فهي مثلنا تحتفظ بالليل إلى اللعب حتى بعد البلوغ ، بيد أنه ليس بين صغار الحيوانات ما يشبه صغار الإنسان في حرية لعبه ، ودوام رغبته وتفنته في اساليبه . ويؤدي ذلك أن في اللعب معنى بليغاً باعتباره وسيلة لنمو الحيوان القابل للتعلم . ويرى البعض أن لعب الأطفال هو الوسيلة التي تنتهجها الطبيعة في تربية الفرد . ويمكن النظر إلى اللعب على أنه رمز للصحة النفسية ، فإذا لم يقبل عليه فرد ، كان ذلك دليلاً على عيب فطري أو مرض نفسي .^(٣)

واللعب يكسب الأطفال المهارة أو القوة أو الفهم . فالطفل يشارك إقراه في إعداد الخطط وفي تنفيذها ، ووضع القواعد ، واصدار الأحكام ، وما إلى ذلك . وهذا ما يعينه على الاستقلال عن الكبار . ويقول أحد المربين أن وراء كل لعبة مغزى أكبر مما تراه العين .

المسرح والاطفال :

تعتبر القصة من احب الوان الادب الى الاطفال ، ولما كانت المسرحية هي « قصة مسرحة ذات هدف » كما يعرفها ارسطو ، فهي ولا شك ذات تأثير فاعل في الطفولة ، لأن القصة في هذه الحالة تقدم الى الاطفال من خلال الحركة بعد ان يضفي اليها فنانون عديدون لمسات من اذهانهم وعواطفهم ، ويجعلوا منها شيئاً اخر يدب ويتحرك بقوة ، تحيط به حالات فنية جميلة وسط اجواء دنيا اخرى تنقل الاطفال اليها ، وتترك قدراماً كبيراً من الاثر في تقويمهم .

والمسرح يحرك مشاعر الاطفال واذهانهم ، ويعززهم فنياً وادبياً ووجودانياً ، وهم باعتبارهم - جمهوراً - يشكلون بعدها أساسياً من ابعاد العمل الدرامي الذي يستند الى الممثل والمخرج - اذا استثنينا المؤلف حيث حل محله المخرج - لذا يؤلف مسرح الاطفال علاقة متسقة بين الابعاد الثلاثة ؛ المخرج ، والممثل ، وجمهور الاطفال .

وبسبب التشكيلة التي يتالف منها العمل المسرحي تراه يجمع بين الادب والفن معا ، فالرواية او القصة ، لا تمثل عملا دراميا ما لم تنتظم في تمثيل وحوار وآخر اخراج مسرحي ٠٠ اي أنها ترتدي رداء اخر يجعلها تزداد حيوية وتصبح اقوى تأثيرا ٠

ومدى تأثير المسرح في الاطفال واضح كل الوضوح ، فهم يبدون ردود فعل شديدة حيال الاعمال الدرامية التي يشاهدونها ، وكثيرا ما يستغرقون في الضحك او يجهشون بالبكاء - اثناء العرض - او يصابون بالزعزع او يولون هاربين ، او يختبئون تحت المقاعد او يطلقون صرخات عالية ، تبعا للمواقف الدرامية ٠ ولا شك انهم لا يمكن ان يتاثروا بهذه الحدة لو قرأوا قصة المسرحية ذاتها بين دفتري كتاب ٠

ويغلب على الاطفال الطابع الاندماجي ، والمسرح بخصائصه الدرامية يساعدهم على هذا ، لانه يربهم الحوادث امامهم ، في اماكنها ، وبأشخاصها ، بالإضافة الى مناظره وديكوراته ، واصناعاته الساحرة ، التي تتعاون جمعا على نقل الطفل الى العالم الذي يسعده ان يراه ٠٠ اي ان عوامل الایهام المسرحي تتعاون مع خيال الطفل ، وموقعه الاندماجي ، وحالات التعاطف الدرامي الى ان تصل به الى قمة المتعة والانفعال والتأثر اذا احسن الربط بينها ، وروعيت الخصائص التربوية والسيكولوجية والفنية المختلفة ، بالإضافة الى خصائص المسرح كوسیط يقدم للاطفال لونا من ادبهم على صورة نص مسرحي جيد ٠ (٤)

وعلمون ان دور الممثل ان يوهم الجمهور ان ما يجري امام احساساتهم هو حقيقي ، ودور المخرج - في هذا المجال - هو ان يوهم نفسه بان ما يجري امامه هو حقيقي ، وكلما الدورين لذلذ ممتنع ٠ (٥)

وتتوفر في مسرح الاطفال عوامل متعددة ، منها الایهام المسرحي ، وخیالات الاطفال ، ومواصفاتهم الانفعالية ، واندماجهم وتعاطفهم ٠ وهذه كلها

تجعل من المسرح ذي تأثير كبير في غرس القيم الجديدة في أعماق الأطفال . حيث يفوق المسرح في تأثيره في الطفولة وسائل ادب الاخرى ، فالمعروف ان لونين من التفكير يغلبان على الاطفال هما التفكير الحسي الذي يعتمد على الاشياء الملموسة ، والتفكير الصوري الذي يعتمد على تكوين صور حسية ، اما التفكير المعنوي مجرد فلا يبلغه الاطفال الا في سنوات طفولتهم الاخيرة . والمسرح بهذا اكثرا ملائمة للاطفال من الوسائل الاخرى ، لانه يضع امامهم الواقع والأشخاص والافكار بشكل مجيد ، وملموس ، ومرئي ، ومسموع ، في الوقت الذي يقدم الكتاب والمجلة صورا مكتوبة او مرسومة وتقدم الاذاعة صورا مسموعة ، ويقدم التلفزيون والسينما صورا مرئية وسموعة فقط .

وهنا لابد من الاشارة الى ان انفعال الاطفال الشديد مع وقائع العمل المسرحي ، لا يعني انهم لا يفرقون بين ما هو واقع وما هو مجرد عمل درامي ، انما يمكن ذلك كله في شدة ارادتهم في التقمص والمحاكاة والتعاطف والاندماج - اي انهم يندمجون بالادوار ويضعون انفسهم ضمن بعض المواقف ويعايشون الاجواء الانفعالية .

ويمكن القول ان مسرح الاطفال ، هو احد الوسائل الفاعلة في تنمية الاطفال عقليا وعاطفيا وجماليا ولغويا وثقافيا . او هو احد ادوات تشكيل ثقافة الطفل . فهو ينقل للاطفال ، بلغة محببة - شرائما شعرا - ، وبتمثيل بارع ، والقاء ماتع ، الافكار والمفاهيم والقيم ضمن اطروحية حافلة بالموسيقى والغناء والرقص .

والمسرح يضع المرايا امام الاطفال ليروا من خلالها واقعهم ، ويدفعهم الى ان يدركون ان لهم دورا في تغيير ذلك الواقع ، ويقودهم الى التفكير ، واحترام المثل النبيلة والالتزام بها ، وازدراء المفاهيم البالية ، وابشاعهم بروح الكفاح والوطنية ، وتوسيع مداركهم ، وتهذيب وجدانهم ، وارهاف احساساتهم وعواطفهم ، وايقاظ شعورهم ، وامتعتهم ، وادخال الجمال الى حياتهم ، واعدادهم لان يكونوا طاقات خلاقة متنبجة .

وقد كتب مارك توين عن مسرح الاطفال يقول :

« اعتقد ان مسرح الاطفال من اعظم مكتنفات القرن العشرين ، وان قيمته التعليمية الكبيرة - التي لا يبدو واضحة او مفهومة في الوقت الحاضر - سوف تتجلى قريبا ٠٠ انه اقوى معلم للاخلاق ، وخير دافع الى السلوك الطيب اهتدى اليه عقريمة الانسان ٠ لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة ، او في البيت بطريقة مملة ، بل بالحركة المنظورة التي تبعث الحساس ، وتصل مباشرة الى قلوب الاطفال التي تعتبر انساب وعاء لهذه الدروس ٠ ان كتب الاخلاق لا يتعدى تأثيرها العقل ، وقلما تصل اليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة ، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الاطفال ، فانها لا تتوقف في منتصف الطريق ، بل تمضي الى غايتها ٠ ٠

وليس هذا فقط ، بل يضع المسرح "الاطفال" وجهاً لوجه امام تجارب جديدة ، ويحفزهم الى التطلع نحو تجارب اخرى ٠ وبذا يوسع من آفاق حياتهم ٠ فضلاً عن اجابته على آلاف التساؤلات التي تدور في اذهانهم ، بطريقة شيقة وفي صورة فنية واضحة تعتمد على الابحاث الخفية التي تتسلل الى تفاصيلهم بدعة ٠

يضاف الى ذلك كلّه ان عرض المسرحيات للاطفال يخلق منهم في المستقبل جمهوراً مسرحياً ناضجاً ، يتذوق منها الرفيع ، ويزدرى منها الرديء ٠ ولا شك ان ازمه مسرح الكبار اليوم في الوطن العربي تعود في كثير من اسبابها الى ان جمهور الكبار اليوم لم يتدرّب في طفولته على التذوق المسرحي الفني ٠ لهذا نجد جمهور الكبار يتدافع لمشاهدة المسرحيات القيمة او المبتذلة ٠ ولا شك ان الجمهور الذي يتقبل المسرحيات الرخيصة يعجز عن وضع الاسس لاجاد مسرح رفيع !

موضوع مسرحيات الاطفال:

من يحاول ان يستعرض بعض المسرحيات المقدمة للاطفال ، في اي

يلد من بلدان العالم ، يجد بينها ما يتوجه هدفاً تعليمياً أو ثقافياً عاماً ، أو فكاهياً أو وطنياً أو أخلاقياً . . حتى ذهب البعض إلى تقسيم مسرحيات الأطفال وفقاً لموضوعها . ولكن الناقد ، - وحتى الطفل المترعرع - لا يمكن أن يقف عند هدف واحد فقط ، لالية مسرحية ناجحة ، لأننا قد نجد في مسرحية ترفيهية قيماً إلخلاقية ، ونجد في مسرحية تعليمية مفاهيم سياسية وقومية .

ومن هنا يتضح أن مسرحية الطفل يمكن أن تتوجه أكثر من هدف واحد في آن واحد ، ولكنها قد تركز على هدف معين بشكل يفوق تركيزها على بقية الأهداف ، فيرمي الأول هدفاً مركزاً للمسرحية ، وتتصبح الأخرى أهدافاً ثانوية . وفي كل حالة ينبغي أن يظل الهدف الرئيس متاماً ، وتظل الأهداف الثانوية متراقبة كي لا تبدو المسرحية أمام الطفل مفككة أو مشوشة .

ويلاحظ أن بعضهم يرى أن المسرحيات الفكاهية هي من أحب المسرحيات إلى الأطفال ، ولكن هذا الرأي تعوزه الصحة ، فقد وجد أن المسرحيات الفكاهية أقل تأثيراً في جمهور الأطفال من المسرحيات العجادة التي تشتمل على بعض المشاهد الفكاهية ، ذلك أن عرض مشاهدة مسرحية تتضمن فيها من الفكاهة تجعل الأطفال يتلقون ؟ إنهم يفضلون كثيراً خصلة عابرة في مسرحية جادة .^(٦)

والمعروف أن أولئك الذين يترددون على المسرح من أجل الضحك وحده ، لا يؤلفون جمهوراً مسرحياً بالمعنى الصحيح ، وعلى هذا ، وما دمنا نسعى إلى تربية شخصية جمهور المسرح من الأطفال ، وجب الابتعاد عن المغالاة في الضحك ليكون المسرح جمهوره من الأطفال الذين يحافظون على ديمومته ويشرونه ، لا مجرد جمهور عابر .

وتقول ناتاليا ساتر أول مديرية مسرح الأطفال في موسكو :

« علينا أن لانستهدف بين خلال مسرح الأطفال خلق مجموعة من

الشاهدين المترجين بل ان تكون من الاجيال الجديدة مناضلين ، بناة « مناضلين للدفاع عن الوطن ، وبناء لصرح مجده » ٠

وجاء في العدد الاول (١٩٧١) من مجلة « مسرح الطفولة والشباب » التي تصدرها الجمعية الدولية لمسرح الطفولة والشباب في ايطاليا عن تاريخ الحركة المسرحية للطفل في ايطاليا ، ان (جيسي جراتتو) اهتمت عام ١٩٥٩ بانشاء مسرح للأطفال الذين تتراوح اعمارهم بين خمسة اعوام الى عشرة ، وكان اهتمامها في اختيار النص المناسب ليس للطفل فقط وانما للأب والأم اللذين يصطحبان الطفل الى المسرح ٠ وقد ركزت جيسي على المسرحيات التي كان لها رنين وصدى في المشاعر مثل « سند ريلا » و « الاميرة الجميلة النائمة » وبدأت بعرضها فلاقت اقبالا وبعد ذلك قدمت مسرحيات من تأليفها هي ، وحازت على نجاح كبير ، واكتسبت ثقة الآباء والامهات واقبال الأطفال ٠ فقد كانت تستخدم لغة سهلة وتستحوذ على الجمهور بالمواقف الحركية الطريقة المسلية ٠ وتميزت كتاباتها بالمهارة الفنية ، فكانت تضحك المشاهدين من اول المسرحية الى اخرها مع ان المسرحية ليست كوميدية ٠ وكانت تمزج بين الخير والشر وبين موافق البهجة والحزن ، وتخلق جوا مريحا يجذب الكبار والصغار ويثبت في نفوسهم بعد العرض لمدة طويلة ، وكان هذا سر نجاح مسرح الأطفال في ميلان ٠ (٧)

وهنا لا بد من التحذير من اغرار اجواء اجراءات الأطفال بالحزن او التعasse التي تبكّيهم وتجعلهم يكرهون الحياة ٠ « ولكن لمسات الحزن الرقيقة تصقل شخصية الطفل وتجعله قادرا على تحمل ما قد يصادفه في الواقع من صدمات ٠ » (٨)

بعد هذا هل يمكن ان تحفز الدراما المترجين الصغار على التفكير في قضايا سياسية ؟

بالتأكيد ينبغي ان تحتل مسرحيات الافكار مكانا في مسرح الأطفال بت، بل ان لا تكتفى هذه الافكار ذات مسحة دعائية واضحة ، ذلك ان كثيرة

من المسائل ذات العلاقة بالسلام والتي يهتم بها الكبار قد لا تؤثر في الاطفال لافتقارهم الى التجربة ، ولكن المسرحية التي تعمل على ندعيم حسن الجوار داخل الوطن وخارجها ، والتي تناهض الحرب قد تكون ذات تأثير في الطفولة اذا كان في موضوعها وشخصياتها ما يمتنع الاطفال . وهذا يعني ضرورة تواري الوعظ امام العرض المشوق . وفي مسرح الاطفال السوفيتى يتلقى الاطفال مبادئ الاشتراكية ، ومساوى الرأسمالية ، وشرف العمل ، وتقاهة التمييز العنصري .^(٩)

وبشكل عام تصاغ كل الافكار والمشكلات الاجتماعية والمثل الاخلاقية من خلال المسرح صياغة تلقي في نفوس الاطفال كثيرا من المتعة بعيدا عن الصيغ التعليمية الصريحه ، لأنها في الحالة الاخيرة تقود الطفل الى الملل وتشير شكوكه .

وما دمنا نتحدث عن موضوعات مسرح الاطفال ، فان من المناسب ان تؤكد ضرورة توخي غرس الافكار والعادات الجديدة ومحاربة الاوهام والخرافات والتقاليد البالية وتنمية اذواق الاطفال وتحريك ضمائرهم نحو الخير ، وترغيبهم المثل العليا والقيم كالشجاعة الوطنية مع الاهتمام بما يحفزهم على التفكير الخلاق .

والمسرحيات الجيدة تشير عواطف كثيرة مثل الشفقة ، والاحترار ، والخوف ، والفزع ، والاعجاب ، واذا اثيرت هذه العواطف بطريقة سليمة – وهو امر على جانب كبير من الاهمية – فانها تبني في الطفل الاحساسات الطيبة والادراكات السليمة ، اما اذا اثيرت بطريقة رخيصة ، وعلى مستويات زائفة ، او بصورة مبتذلة ، فقد تسبب ضررا . وليس من حق احد ان يثير مشاعر الاطفال بطريقة رخيصة ، ان ذلك اسوأ ضياء في اوقاتهم ، واسوء هدر لقدراتهم ، انه جريمة في حقهم .^(١٠)

وهناك مسرحيات لا ترمي الى هدف واضح ، وكتاب مثل هذه المسرحيات يرون ان الهدف لا يكمن في المسرحية ذاتها ، بل في جذب انتباه

الطفل فترة من الزمن في فهو برىء ليس فيه شيء من الضرر ، ولكننا نرى أن من الضروري أن تذكر دوماً أن الأطفال بحاجة ماسة إلى من يساعدهم على النمو السليم ، كما أن المسرح ، سواء كان للصغار أم للكبار ، يعبر عن صراع من أجل حياة أفضل وليس وسيلة للهرب من الحياة .

اما بالنسبة الى موافق العنف في العمل المسرحي ، فان ذلك يتوقف على الجرعة التي تقدم للأطفال ، ولا شك ان تعلم الطفل للعنف - في حدود معقولة - أمر ضروري لاستخدامه عند الحاجة ، كالدفاع عن النفس ، مثلاً ، ولكن العنف ينبغي أن لا يخرج عن الحدود المرسومة له ، لأن الامان في في العنف في العمل المسرحي يولد الخوف لدى الطفل .⁽¹¹⁾

وليس المهم ان تكون افكار المسرحية خارقة او ان تكون حافلة بالاحداث والافكار الغريبة ، لقد كان اتون شيشكوف يبتعد دوماً عن هذه النماذج في مسرحياته ، ويدعو الى الابتعاد عن هذه النماذج حيث كتب في اكتوبر ١٨٨٧ الى شقيقه بمناسبة اتمام مسرحية « رايفانوف » وهي اولى مسرحياته يقول .

« ان كتاب المسرح عندنا يملاؤن مسرحياتهم . بالملائكة والاشرار والهرجين .. وانا لا ادرى اين يجدون هؤلاء في روسيا .. ولكنني اختلف عنهم ، فليس في مسرحيتي ملائكة او شرير واحد ولو ان بها بعض المهرجين .. »⁽¹²⁾

ويعزف الأطفال عن المسرحيات ذات السمة الغرامية ، بل ان مشهد الغرام القصير الذي لا يؤذى الشعور يبدو في نظر الأطفال سخيفاً . ويدعشن كثير من الممثلين حين يلمسون رد الفعل الذي تحدثه مثل هذه المشاهد ، اما لماذا لا يستسيغها الأطفال ، رغم مداومتهم على مشاهد افلام الكبار ، فامر لا يمكن تفسيره . ان اقحام مشاهد الغرام يفسد جو المسرحية ، والاطفال الصغار لا يعيرونها التفاتاً ، ومن الثامنة الى الثانية عشر ينظرون إليها بازدراء ، اما الاطفال من الحادية عشرة الى الخامسة عشرة فيخجلون من رؤيتها .. وليس

معنى هذا ان «الجمال النائم» لا يمكن ان تتزوج من الامير وتعيش معه في سعادة ، انها نهاية سارة ، فمن حق شخص المسرحية ان يتحدثوا عن الحب اذا كان على مستوى رفيع ولكن اذا حدث ان تعانق رجل وفتاة ، بعض النظر عن اتقانهما لهذا الدور ، فان موجة من الاستياء تسود بين الاطفال . (١٣)

وتنتهي مسرحيات الاطفال عادة نهايات عادلة ، هذا ، اذا لم يهدف المؤلف الى اثارة المتفرجين لتصحيح خطأ او اثارة الشفقة على مسكين . ولدى الاطفال احساس قوي بالعدالة ، ويرتاحون الى المسرحية التي يوزع فيها الثواب والعقاب بالقسطاس على من يستحقونه ، ومسرحيات الكبار ، بالطبع ، لا تراعي هذا الامر بالرغم من ان اغلب المتفرجين الكبار يفضلون النهايات السعيدة . ويحاول كثير من المؤلفين رسم الحياة على حقيقتها – والحياة لا تخلو ، احيانا ، من المظالم .

فهل معنى اختيار المسرحيات التي تتميز بالعدالة المثالية للاطفال اتنا نعطيهم صورة غير صحيحة للحياة ؟ واذا كان الامر كذلك ، فلماذا لا تقدم لهم مسرحيات تهيئهم لما سيواجهونه في الحياة ؟ ولماذا لا تقدم لهم صورة واقعية حتى لا يختلط عليهم الامر في المستقبل ؟

ان الاسباب التي تدعو الى تجنب هذا ، معقوله ، اولها ، ان الطفل يحتاج الى ان يعرف اولا المقاييس الصحيحة للعدالة قبل ان يستطيع الحكم على الاعمال الطيبة والشريدة ، واذا ما اقحم الطفل في موقف يكون الغزي جزء من يعمل الخير ، وينال العشاش احترام المجتمع ، التبس عليه الامر . ان الطفل ليس على استعداد لتقبل مثل هذه المظالم . ولا داع لان يواجهه الطفل كل حقائق الحياة المرة . والطفولة هي المرحلة التي يقوى فيها ادراك الطفل و Miyah السليمة واحساسه بالقيم حتى يستطيع مواجهة الواقع حين يصادفه . ولكي يتحقق هذا ينبغي ان يتعرض الطفل لكل ما هو جميل وسار ومثالي . (١٤)

وقد كتب احد المعنيين بشؤون مسارح الاطفال يقول « اتنا لا نريد

الكثير من النهايات السعيدة التي تحمل المترجر على الاستكانة ، وتجعل شعاره ، حسن ، كل شيء قد سار على ما يرام . ان كل مسرحية يجب ان تقدم دافعا الى تطوير احساس المبادأة لدى الاطفال »

ان مثل هذه العاطفة تكون معقوله اذا كانت نهاية المسرحية تدعوا الى التفكير لا الى التواكل . ومجمل القول ان اهم ما في الامر هو ان المشاركة الوجدانية ينبغي ان تثار في الموقف المناسب ، والمسرحية الهدأة التي تخوض من شرير قد لا تتيح فرصة اثارة العطف على ما هو جميل والكره لما هو قبيح .

التمثيل المسرحي للاطفال :

للتمثيل اهميته الكبرى في مسرحيات الاطفال . فالاطفال – رغم ان بعض هفوات الممثلين قد تفوت عليهم – الا انهم شديدو التأثر بالتمثيل البارع . اما التمثيل الضعيف ، فانهم سرعان ما يعزفون عنه .

ويشير المسرحي الروسي قسطنطين ستانلافسكي ان « التمثيل امام الاطفال يشبه التمثيل امام الكبار ، على ان يكون بصورة افضل واوضح وانقى ، ويقبل الاطفال على مسرحهم وكأنهم ذاهبون للاحتفال بعيد ، وهم يشهدون على خشيته اعمالا مؤلفين كبار »

ويمكن تقسيم مسرح الاطفال من حيث ممثلوه الى :

- مسرحيات يمثل فيها الاطفال وحدهم .
- مسرحيات يمثل فيها الاطفال الى جانب الكبار
- مسرحيات يمثل فيها الكبار وحدهم
- مسرحيات تتولى العرائس اداء الادوار

وتستعين المسارح المدرسية – في العادة بالاطفال وحدهم كممثلين ، كما ان بعض المسارح في بعض بلدان العالم تقتصر التمثيل على الاطفال وحدهم

ايضا ، ولكن الاطفال لا يمتلكون القدرة على بعث كل ما تحمل المسرحية من نبض مهما برعوا في التمثيل ، لأن نقص خبراتهم وعدم نضوجهم الجسمي والعقلي واللغوي تقف في طريقهم لتقديم ادوار مؤثرة على خشبة المسرح ٠

وقد دلت التجارب المتعددة في مختلف بلاد العالم ان انجاح المسرحيات هي التي يقدمها الكبار بالغون للاطفال ، لأن المسرح الذي يقدمه الكبار للاطفال هو المسرح قادر على تقديم قيم فنية مرتفعة ، وهو المسرح الذي يمكن ان ينقل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين الصغار ولكن لوحظ ايضا ، انه في معظم المسرحيات التي فازت بأعجاب الاطفال ، كان يشتراك في بطولتها من البالغين من يبدو مظهراً لهم وكأنهم في الخامسة عشرة او ما حولها وذلك كجزء من العمل ، على ان تكون عناصر العمل المسرحي قريبة من الطفل ومن عالمه (١٥) ٠

وقد لوحظ ان ظهور الاطفال على خشبة المسرح يدعم في نفوسهم اسطورة او عقدة « النجوم » ٠

يقول سبرجي اوبرا زسروف ، مخرج مسرح الدمى المركزي في موسكو ، والذي يحمل لقب فنان الشعب السوفيتي (١٦)

« ٠٠٠ كنت في حوالي الثامنة عشرة عندما عملت مدرساً للرسم في احدى مدارس موسكو ٠ كانت في المدرسة فرقه للتمثيل ، والمسرحية المختارة هي حكاية فيها شخصيات الملك والاميرة والمهرج وشخصيات اخرى ٠ واختار المخرج لدور الاميرة اجمل فتاة في المدرسة ولدور المهرج فتى بدينا قصير القامة « كانت الفتاة لا تزيد عن الثانية عشرة من العمر ولم تدرك حتى ذلك الوقت انها بمثيل ذلك الجمال ، ولم يكن الصبيان قد اتبهوا الى جمالها كذلك ٠٠ ألبسوها ثوبا طويلاً من المسلمين الاييض ووضعوا على رأسها تاجاً مذهبياً من الكارتون بعد ان حلوا ضفائرها الطويلة واسدلوها على ظهرها ، وعندما ظهرت على المسرح ذهل الجميع لجمالها الباهر ٠

في اليوم التالي لم نعد المتأة بقادرة على تعود تلك التلميذة البسيطة الخجولة ملما كانت .. لقد أصبحت محط انتظار الاعجاب ، ودخل الزيف الى علاقتها بالآخرين وعلاقة الآخرين بها - واصبح الموقف يهدد مستقبل الطفولة نفسها ، اذ كيف تتمكن منمواصلة حياة الطفولة البريئة المرحة حتى تبلغ سن الرشد ، اذا كان لها هذا العدد من المعجبين وهي ما تزال في الثانية عشرة ؟ !

اما الطفل البدين فقد مثل دور المهرج ببراعة . كان يستطيع بحركة واحدة باصبعه الصغير ان يحرك القاعة بالضحك . لقد حقق في ادائه ما يدعى بـ « النجاح » ، ولكن الامر استمر في اليوم التالي ايضا . واصبح من الصعب ان ينفصل عن ذلك « النجاح » ويعود تلميذًا اعتياديًا بين مئات التلاميذ . اخذ يؤدي حركات دوره في التمثيلية وهو يتقدّم اثناء سيره ، ويلقي النكت المتواصلة في الصف وفي القسم الداخلي حتى غدا من الصعب ان تدخل معه في اي حديث جاد . وكل من يمارس مهنة التعليم يعرف جيدا اولئك الصغار الذين يستمرون عملياً اضحاكه الصف الى درجة مهينة للنفس»

« هناك اسلوبان متعارضان للتمثيل الاول هو ان تستخدم اليدين والقدمين والعينين والقلب لتكشف جمال شخصية جولييت ، وهذا هو سبيل الفن ، والثاني ان تستخدم جولييت لتكشف عن جمال اليدين والقدمين والعينين والقلب ، وهذا هو المتاجرة بالفن ، .. وقد يجيء هذا الاخير بشكل تلقائي لاواع ، وقد يتقبله الجمهور ، ولكن هذه الروح الاستعراضية تقتل موهبة الممثل .

هذا لا ينطبق على الممثل فقط بل يشمل المخرج والفنان والكاتب . وادراك هذه النقطة الحساسة يكتسب اهمية قصوى بالنسبة للمسؤول عن تربية الاطفال بالوسائل الفنية .

ان اختيار طفل ما لاداء دور معين بسبب من مظهره الخارجي هو جريمة يحق الاطفال .

والغرور مرض خطير غير قابل للشفاء في اغلب الاحيان ، ويمكن للغرور ان يحطم العلماء والساسة والفنانين .. والغرور في الفن ولا سيما فيما يتعلق بالاطفال ، مثل كومة من القش يمكن ان تحرق اية مقدرة او موهبة تقترب منها .. يقول المخرج كونستانتين ستانسلافسكي : « يجب على المرء ان يحب الفن في ذاته ، لا ان يحب ذاته في الفن » فكيف يجوز ل احد ان يفعل العكس فيعلم الاطفال « ان يحبوا انفسهم في الفن ؟ »

وعلى اية حال فان تأثيرات سلبية عديدة تصيب الاطفال الذين يمثلون ، سواء كان ذلك للمسرح ام للتلفزيون ام للاذاعة ، حيث لا يلبيون ان يصبحوا شديدي الثقة في انفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، ثم لا يلبيون ان يصابوا بالاحباط بعد ان يفقدوا اهتمام الناس بهم فيما بعد ..

والطفل ، حين يمثل ، يعبر عن ذاته ، كنوع من انواع اللعب ، او كوسيلة للتنفس . عن طاقاته الابتكارية الخلاقة ، وهو حين يمثل دور الام او الاب - مثلا - فانه ينفذ بخياله الى موقفهما ازاءه ، ويكتسب شيئاً من الفهم لاقوالهما وافعالهما ، ويحس كأن مقدرتهم ومواهبهما العظيمة - في نظره - قد انتقلت اليه . وهكذا يستطيع الطفل ، عندما يمثل ، ان يقوم بالاعمال او يتلبس بالاحوال التي يحس في عالم الحقيقة انه عاجز عن فعلها او ادراها . لهذا ، فالطفل ، عندما يمثل ، انما يعبر عن نفسه ، ولا يعبر عمما يريد له المؤلف ، ولا ما يهدى اليه المخرج ، ولا ما يجب ان ينقله الممثل الى جمهوره المشاهدين بعكس الممثل المحترف البالغ ، القادر تماما على ان ينقل الى الطفل المشاهد كل القيم والمفاهيم التي تنطوي عليها المسرحية .

ويؤكد المخرجون المسرحيون الذين تعاملوا مع ممثلين من الاطفال ان الطفل الممثل يؤدي دوره في كل ليلة بأسلوب مختلف حسب مزاجه وحالته النفسية ، رغم توصيات وتوجيهات المخرج اليومية ، ودون اية سيطرة واعية بقصد توصيل فكر وفن المؤلف والمخرج الى المشاهدين .. يضاف الى ذلك ان الطفل ، حين يقف على خشبة المسرح ، يحس ، عادة ، ان المسرح مسرحه

وحده ، وان المشاهدين حضروا لرؤيته هو ورغم استمرار التدريب ، فكثيرا ما يسيطر على الطفل الممثل هذا الاحساس ، مما يفسد العرض او يفككه ، في حين ان من اهم اهداف مسرح الطفل هو مساعدة الاطفال على صقل تذوقهم للفنون ، عند المزج بين المغزى والمتعة الفنية . وعلى هذا فان الاداء الفني المتقوق لا يمكن ان يتتوفر الا من خلال ممثلين كبار .^(١٧)

ولا يمكن للمسرح ان يؤدي دوره الا من خلال التعاطف بين الجمهور والممثلين ، والاطفال الممثلون يعجزون عن نقل الاطفال المشاهدين الى مستوى التعاطف ، اضاف الى ذلك ان الاطفال اكثر تأثرا بالكبار من تأثرهم بأقرانهم ، لذا فهم يستجيبون ، ومن ثم يتعلّقون مع الممثلين الكبار اثناء العرض المسرحي .

وهذا لا يعني ان يحرم الاطفال من ممارسة التمثيل المسرحي لان التمثيل دوره في تنمية قدرات الطفل ، ولكن المجال المناسب لقيام الاطفال بهذا النشاط هو المسرح المدرسي الذي يمكن ان يسمم فيه اكبر قدر من الاطفال ، بل قد يساهم الاطفال جميعهم من خلال مشاركتهم الفعلية في التمثيل ، انطلاقا من الرأي القائل ان ليس من المناسب ان يظل الطفل مجرد متعلق او متفرج . وفي هذه الحالة يشارك الاطفال في العمل والغناء والأنشاد وتحول قاعة المسرح المدرسي الى حلبة فعلية يشارك فيها الجميع .

وتعتمد بعض المسارح الى استخدام كبار لهم اصوات اطفال ، او يظهرون على المسرح في ثياب اطفال ، ويلاحظ ان الاطفال المترجين لا يسألون عن اعمار الممثلين .

وهناك رأي اخر هو ان المجموعة المشتركة من الممثلين الكبار والاطفال هي افضل الصيغ من ناحية المظهر ، وان اکثر المسارح التي جربت الصيغ الثلاث في اختيار الممثلين اهتدت الى ان المجموعة المشتركة هي خير ما يرضي المترجين .

ولكن هناك مسرحيات لا يصح الا ان يمثلها الكبار وحدهم .

فالمسرحيات التي تستلزم مقدرة عالية من الاداء لا يمكن للأطفال اجادتها ، حتى وان كانت فكرتها بسيطة ، فليس كل الافكار التي يفهمها الأطفال يستطيعون التعبير عنها على خشبة المسرح وليس كل الحركات التي يستوعبونها يقدرون على القيام بها ٠

وفي حديث مدير المسرح المركزي للأطفال بموسكو ، يقول :

« المسرح المركزي للأطفال يضم بعض الممثلين المبتدئين - من الكبار - الى جانب ممثليه القدامى ذوي الخبرة ٠ والمبتدئون ، مع انهم متخرجون في المعاهد العليا للتمثيل الا انهم مستمرون في دراستهم في المسرح ، حيث يتدرّبون بانتظام على اصول النطق وحركات الجسم وتربيّة الصوت والالقاء» اذ انه رغم ان الاصول الاساسية لفن التمثيل واحدة بالنسبة الى مثل الكبار وممثل الأطفال ، الا ان المثل في مسارح الأطفال يجب ان يكون بارعا في رسم شخصيات الأطفال وشخصيات الروايات الخرافية وروايات الجان ، وغيرها من الشخصيات التي قل ان تصادفها في مسرح الكبار ٠ وهناك بنوع خاص صعوبة ز، مهمة الممثلة التي تقوم بادوار الأطفال ، فليس من السهل العثور على النمط الملائم لهذه الادوار من بين المثلات ، والممثلة الملائمة من ناحية الهيئة والصوت قد لا تتوفر فيها بقية الصفات الازمة ، اذ لا يكفي ان تقلد مظهر الطفل وطريقه ٠ واذا كان تصوير الدور لا يعدو مظهره الخارجي فأن المشاهدين كثيرا ما يلاقون صعوبة في التخلص من فكرة ان الولد الممثل هو امرأة ٠ ومهما اتقن المكياج والملابس فانه بلا شك امرأة ، والمتفرج الصغير الصريح لا يتردد في الاعراب عن احتقاره لهذه الفتاة التي تلبس ملابس الفتى ، وعندما يتحقق من انه خدع في هذه النقطة فانه يتشكك في كل الحوادث التي تجري على المسرح ، وهذا يقلل من القيمة التربوية للرواية دون اي اعتبار لمدى براعة الممثلة في فنها ٠ ولكي تكون شخصية من هذا النوع مقنعة فمن الضروري ان تجمع بين الصور الخارجية للدور والصور الحقيقية لما في داخل نفس الطفل ، اي لنفسيته ومنطق سلوكه ٠

وكل شخص قوي الملاحظة يعرف ان عقلية الولد وتعبيره عن افعالاته وطريقة استجابته تختلف تماما عن البنت - ولكي تنجح الممثلة في ادوار الصبيان عليها ان تعمل بجلد وصبر ، وان تدرس دراسة جدية سيكولوجية الاولاد ، وان تلاحظ بعناية تامة الاسباب الداخلية التي تجعل الاولاد يتصرفون تصرفات مختلفة عن البنات حين يوضع الجميع في ظروف متماثلة .

ولكن المعرفة التامة بالظواهر المميزة لعقلية وسلوك واعمال الاولاد ليست وحدها الاساس الذي ترتكز عليه الممثلة في تصوير الشخصية التي رسمها المؤلف . بل عليها ان تبحث عن الميزات الخاصة الجديدة دائما التي تمكّنها ان تعطيه تعبيرا ملماوسا لفكرة رواية معينة . وحيثذا فقط تستطيع الممثلة ان تخلق صورة فنية لا مجرد تقليد .

ولقد نجحت كثيرات من المثلثات اللواتي يمثلن أدوار الصبيان نجاحا كبيرا وأعطين صورا مقنعة لدرجة ان المتفرجين من الاطفال لم يكونوا هم الذين يعتقدون انهم - اولاد - فعلا ، بل كان المتفرجون الكبار يعتقدون ذلك أيضا .

ومن الادوار الصعبة أيضا في مسارح الاطفال دور الولد أو البنت التي تكبر في فصول الرواية المختلفة ، لأن ينمو البطل نموا تدريجيا متغيرا من تلميذ في المدرسة الى شاب ، ففي هذه الحالة يجب ان يمثل الدور نفس المثل او المثلة ، اذ ان المتدرج سيلاحظ التغيير فورا - ويجب أن تعطى هذه الادوار للممثل الشاب الذي يجيد تمثيل الاطفال والكبار بنفس الماهارة والاقناع .

ومن أهم ما يفيد المثلثات والممثلين في كسب الماهارة في التمثيل لادوار الاطفال الاتصال المستمر بمتفرجيهم . وثمة أدوار صعبة اخرى هي تمثيل الجمام او الحيوان ، وفي هذه الحالة يلعب المكياج والملابس وإعداد المسرح دورا مهما في نجاح الممثل ، وقد قدم المسرح المركزي للاطفال في موسكو ادورا كان تعاطف الاطفال معها شديدا الى درجة ان المسرح تلقى

رسائل كثيرة من التلاميذ معنونة لا بأسماء الممثلين ، بل باسماء الشخصيات
كأن يقول « عزيزي الكلب زوحا » أو عزيزي « الحصان الاحدب »^(١٨) .

شخصيات

مسرح الاطفال :

شخصيات أية مسرحية هي عنصر اساسي لها . ويتولى الممثلون تجسيد
الشخصيات على خشبة المسرح بكل ما تحمل من أفكار وصفات نفسية
وجسدية .

وما دام الممثلون أدوات نابضة لنقل الاحساسات والافكار الى
الجمهور ، فان الدقة في تجسيدهم للشخصيات بحيث يتأثر الطفل اتفاعيا
بحركاتهم وسكناتهم تمنح المسرحية بعدها اساسيا من ابعاد نجاحها . وهذا
يحتم أن تكون اقوال وافعال كل ممثل متقدمة والصفات الجسدية والنفسية
والاجتماعية لایة شخصية في المسرحية ، كما يحتم ان يبلغ الممثل بالفكرة الى
المستوى الذي يحرك عواطف المشاهدين ويشد انتباهم ويستولي على
اهتماماتهم ، وعند ذلك فقط ، يشعر الاطفال بشعور الشخصيات ذاتها ،
ويتجاوّبون معها ، وينحازون الى جانب من جوانب الصراع ، وينشدون
الانتصار لهذا الجانب .

وكما هو الحال في القصص ، يستلزم الامر أن تكون الشخصيات
واضحة للاطفال ، وتكون على قدر قليل من الدهاء والتعقيد ، وان يكشف
مظهرها عما تنطوي عليه من افكار ، او تكون خطوطها من الوضوح بحيث
يكون من السهل عليهم ادراك حقيقتها ، والاطفال تستهويهم شخصيات
الابطال النبلاء ، والشخصيات النسائية الشجاعة المحبوبة التي تستطيع أن
تحقق ما يتحققه الرجال الابطال والتي تستطيع التغلب على العقبات ، كما انهم
يحبون الشخصيات الغريبة والهزيلة والشريرة ، ويريدون كذلك أن يروا
انهم إن ابرازوا البطالة تنتصر على التسرير وتنزل العقاب به ، وهم لا يفرون من كثيرة

١ بين المسرحيات التي تشتمل شخصياتها على اطفال او التي تخلو منهم ،
ويلاحظ ان اكثر مسرحيات الاطفال شهراً ليس بين شخصياتها اطفال (١٩) .

الحوار

المسري

الحوار عنصر ذو أهمية بالغة في أية مسرحية ، لانه اداة التعبير عما
تنطوي عليه من صور وافكار .

ومن خلال الحوار يمكن تقييم اسلوب المسرحية اديباً .
ويعتمد الحوار على الحيوية والحركة والصوت ، وينحى المثلون
هذه الابعاد .

والحوار المناسب للأطفال يشابه الحوار المألف بين الناس من حيث
قصر عباراته واتضاحها ودقتها .

والحوار الطويل يبدو امام الاطفال اشبه ما يكون بالمواقظ والخطب
والمناقشات الباردة التي تلقى على مسامعهم دون أن يستطيعوا احتمالها ،
فتموت الحياة على المسرح .

والاطفال يتفاعلون مع الاحداث المرئية في المسرح اكثر من تفاعلهم مع
الحوار المسرحي ، وهذا يوجب ان يتم التوازي بين ما يتراءاً امام أعين
الاطفال وبين ما يتناهى الى مسامعهم ، وان لا يكون الاهتمام بجانب على
حساب جانب آخر .

وطبيعة المسرح لا تتيح لجمهور الاطفال فرصة للاحقة المعاني والتعابير ،
وهذا يقضي أن تخلو لغة المسرح من كل تعقيد او استطراد او غموض ،
وان تكون معبرة ومركزة . ونحن نعلم ان اللغة السلسة المعبرة تنفذ الى ذهن
الطفل بيسر دون أن تبعث في نفسه الملل او الارهاق أو تجره الى الشرود
الذهني .

وهنا لابد من التساؤل عن الفصحى والعامية في مسرح الاطفال ، أيهما ينبغي أن تكون لها الارجحية ؟!

ونرى جواباً على هذا انه اذا كنا نرى من اللازم استخدام لغة فصيحة بسيطة في كتب ومجلات الاطفال ، فان من الممكن الاستعانت بالعامية القريبة الى الفصحى في بعض المسرحيات التي تستمد موضوعاتها من بيئة الطفل او البيئة الشعبية . فكما ان من الضروري أن يرتدي الممثلون - في هذا اللون من المسرحيات - ثيابا شعبية ، وينتزنون اغان شعبية ، ويستعينون بالامثال والحكم الشعبية فيها كذلك يمكن استخدام اللهجة الشعبية فيها . وهذا يصح - الى حد ما - بالنسبة الى المسرحيات الضاحكة ايضا .

اما في المسرحيات ذات الطابع العلمي او التاريخي او الادبي او الاجتماعي فيقتضي استخدام اللغة البسيطة ، ومن هنا جاء التركيز على استخدام اللغة الفصيحة في المسرح المدرسي .

شروط اخري

يضاف الى ما ذكرنا ، وجوب توفر شروط اخرى في العمل المسرحي المناسب للاطفال :

- ان تتناسب المسرحيات (في اشكالها ومضامينها) مع نمو الاطفال عقليا ونفسيا واجتماعيا ولغويا . وهذا يعني أن تكون للاطفال ابتداء من الخامسة او السادسة وحتى الحادية عشرة او الثانية عشرة مسرحياتهم ، وان تكون للاطفال بعد هذا السن مسرحياتهم . فالمسرحيات التي يتقبلها اطفال مرحلة الخيال المنطلق قد تبدو تافهة امام اطفال المرحلة الثانية .

وهذا يعني ان تتلاءم المسرحيات مع حاجات ورغبات وقدرات الاطفال في كل مرحلة .

- أن يكون الحدث الرئيس في المسرحيّة محاًدا واضحا ، وان تكون

الاحداث الاخرى مكملة او مفصلة للحدث الرئيس ، مع الابتعاد عن افتعال الحوادث الفرعية ، لأن الحدث الرئيس لا يمكن له أن يتبلور ويتتصاعد بشكل سليم الا من خلال تتبع الواقع والحوادث الفرعية بصورة منطقية محكمة . وبهذا البناء وحده تخلو المسرحية من الحوادث المعقدة والمصطنعة . والاطفال سريعاً ينتبهون الى أية فجوة تتخلل الحوادث .

- ان لا تكون المسرحية في نصها بعيدة عن تصورات الطفل وعن عالمه ، أو تكون مجرد تلقيقات أو مجرد آراء يستلمها المؤلف فيصبها في قلب مسرحي ، متتصوراً أنها ذات شأن . الا أن أول ما يقتضيه مسرح الاطفال نصاً يتلاءم مع قدراتهم وينجحهم بخبرة مسرحية .

- اتنقاء عناصر مسرحية كفوءة على مستوى المخرجين والمنفذين والممثلين والموسيقيين والمعنى والمصممين . لأن النص المسرحي لا يتيح له ان يتحول الى قوة نابضة بالحياة على المسرح الا من خلال تلك العناصر . وبالنسبة الى الممثلين لابد من توفر قدرات خاصة فيهم تؤهلهم لخاطبة الاطفال ونقلهم من مجرد متلقين الى متعاطفين مع الممثلين . ومن انساب المسرحيات تلك التي يؤديها الكبار ، الا اذا كانت هناك أدوار معدة اساساً لادائتها من قبل الاطفال . وفي هذه الحالة الاخيرة ، يجب ان لا تتحمّل المواقف والتصرفات على الممثلين الاطفال اقحاماً في ادوار لا قبل لهم بها .

- ان لا يبالغ في اظهار الاشارات باشكال منفردة مخافة ان يتصور الاطفال خطأً ان الشر يرتبط بالظاهر الخارجي .

- ان يتم التوازن بين مراحل تطور المسرحية ، دون الانساب في المشاهد التي لا تستلزم ذلك ، او الاختصار في مشهد آخر الى درجة تخل بالمعنى او لاتهيء للطفل فرصة ملاحظة الافكار او الاستمتاع والتعاطف .

- الابتعاد عن المواجه او الاسلوب الخطابي الذي يثير جزع الاطفال ، وينقلهم من كونهم بعداً مسرحياً كجمهور من اولى خصائصه التعاطف الى مجرد متفرجين .

- ان يكون النص نابضا بالحياة ، مثيرا لخيال الطفل وتفكيره وان لا تكون مشاهده وكأنها مألوفة يمكن للطفل ان يتوقع مجرياتها مقدما وકأنها سلسلة من الافكار النمطية .

- ان تراعى في المسرحية قدرات الاطفال على التركيز والانتباه ، اذ المعروف ان صبر الاطفال قصير ، وهذا يستوجب انتسواء المسرحية على مواقف مثيرة او مقلقة او مفاجئة ، او مواقف ترقب او مفارقات او احزان او افراح . وتؤلف هذه المواقف أدوات شد الى المشاهد المسرحية واحدا اثر آخر ، تاركة الاطفال يتوقعون نتيجة المسرحية اكثر من حكم حتى آخر اللحظات .

- استثمار حب الاطفال للطبيعة والحياة لتنمية جفهم للعلم والانسانية واذ رأيهم لكل الافكار التي لا تزيد للانسانية السلام والرفاه والسعادة عن طريق تنمية عواطف الحب عموما . واعلاء تعلق الاطفال بالخيال عن طريق تسلية الافكار والمواقف الخيالية الى مسرحياتهم ، على أن لا يكون ذلك بشكل مفتعل ، لأن افتعال المواقف الخيالية يثير سخرية الاطفال ، وتفتف خيالاتهم رافضة الانسياق اليها .

- ان يتقنن الفنانون في شد الطفل من خلال استخدام الانارة والرسوم والاغاني والموسيقى وغيرها من الامكانيات المسرحية لخلق عالم جديد ساحر جذاب . وان يكون الديكور المسرحي مريحا ذا تراكيب بسيطة وألوان زاهية متوازنة . ويمكن اظهار اكسسوارات مبالغ فيها في احجامها وألوانها او اسياخ صفات انسانية او حيوانية عليها كاظفها او تحريكها . وهذا يعني ان يكون الاخراج شيئا واضحا .

- مراعاة الابعاد الزمانية والمكانية في المسرحيات التاريخية وما يرتبط بذلك الابعاد من ظروف ومعتقدات .

البحث الثاني

مسرح الأطفال في العالم

اهتمت دول العالم المتقدمة بمسارح الأطفال اهتماماً بالغاً ، وتقف
البلدان الاشتراكية في مقدمة دول العالم في هذا الميدان .

وتتناول ملامح سريعة عن مدى اهتمام بعض البلدان بمسارح
الاطفال .

الاتحاد السوفيتي :

لم تكن مسارح الأطفال في الاتحاد السوفيتي نتيجة جهود فردية ،
بل كانت قضية الدولة السوفيتية ذاتها ، حيث عنيت الدولة السوفيتية وهي
ما تزال فتية بقضية الطفولة وافتتحت اول مسرح دائم للاطفال في موسكو
في الذكرى الاولى لثورة اكتوبر في وقت كانت فيه الدولة تعاني من آثار
الدمار والجوع بسبب الحرب .

ويزيد عدد مسارح الأطفال في الاتحاد السوفيتي عن ٤٧ مسرحاً

(بشرياً) واكثر من ١١٠ مسارح للعرائس اضافة الى مسارح مزارع الدولة الجماعية ، وهي تنتشر في كافة الجمهوريات .

وهذه المسارح هي مسارح محترفين ، ولكل مسرح فرقة من الفنانين والفنين اضافة الى عدد من كتاب الاطفال والمعنيين بشؤون الطفولة .

وتتوالى البحوث في الاتحاد السوفيتي لدراسة جمهور الاطفال دراسة منظمة ، ليقفوا على ميله وعواطفه واتجاهاته ، ومع ذلك فان المخرجين لا يترددون عن حذف او اضافة بعض المقاطع بعد العروض الاولى قبل الاستمرار في العرض استنادا الى مدى استجابة الاطفال لها .

والمسرح المركزي للاطفال في موسكو هو نموذج لجميع مسارح الاطفال في البلاد ، وهناك عديد من المسارح المماثلة له ، وله صلات وطيدة بمسارح الاطفال كلها ، حيث يعينهم في عملهم الفني وينظم مؤتمرات للمشغلين فيها في الاقاليم ، ويعث بالمستشارين عند الضرورة ، وله متصرف خاص به يضم معارضات كثيرة تبين تطور تاريخ مسارح الاطفال .

وتقول فالنتين كوليسييف ، مديرية المسرح المركزي للاطفال :

« ان المسرح يحدث جمهوره عن معنى الحياة ، انه يحدثهم حديثاً جاداً واحياناً حديثاً قاسياً ... والمترجر الصغير ما زالت امامه حياة حافلة بالعمل المفيد والجوانب المختلفة من التجارب المثيرة ، ولن تكون هذه الحياة سهلة كالسفينة في البحر الهادئ ، لذا يجب ان نعده له .

يجب أن نريه الحياة كما هي على حقيقتها دون أن نخفي عنه جوانبها المظلمة ، ولقد نصح « بلنسكي » الكتاب الذين يكتبون للاطفال قائلاً :

« لا تشوهو الحقيقة ولا تفتروا عليها ولا تزينوها ، ارسموا الحياة كما هي ، على حقيقتها ، بكل ما فيها من سحر وكل ما فيها من عبوس قاس ونحن المشغلين بالمسرح نعمل بهذه النصيحة .

ومسارح الاطفال تشتمل على طائفة مختلفة من الروايات والعروض أكثر من مسارح الكبار ، فتشتمل براجحها روايات سوفيتية معاصرة عن الحياة في الاتحاد السوفيتي ، وروايات عن موضوعات الحياة الأجنبية ، واخرى مأخوذة من روايات الحوريات والجن الشعبية . كما ان بعض الروايات مأخوذة من الروايات الكلاسيكية الروسية والأوربية ، والبعض الآخر تاريفي او عن الثورة او روايات المغامرات او الروايات العلمية او تمثيليات مأخوذة من الاعمال الادبية المؤلفة للاطفال والشباب .

وهذه جميعها تدور حول أنماط وألوان مختلفة من الشخصيات ، بعضها كبير والآخر صغير ، وبعضها معاصر او قديم ومنها شخصيات الحيوانات او الطيور او قوى الطبيعة او شخصيات حكايات الجن كالسحرة والحوريات والتنين والوحوش الهائلة .

ويكتب لمسرح الاطفال عدد من اكبر الكتاب السوفيت ، حيث ضرب لهم هذا المثال من قبل الكاتبان البارزان الكسن تولستوي وكونستانتين ترينيف اللذان ما زالت رواياتهما الممتازة تعرض حتى اليوم في مسارح الاطفال » .

في المانيا الديمقراطية

وفي المانيا الديمقراطية افتتح اول مسرح للاطفال بمدينة لايبزك عام ١٩٤٦ تحت اسم « مسرح العالم الفني » رغم ان آثار الحرب ماتزال ثقيلة على صدور الناس . وكان من بين اهداف ذلك المسرح ازالة الذكريات المؤلمة للحرب من نفوس الاطفال والبدء فنيا وانسانيا لتحمل مسؤوليات الحياة الجديدة .

ولم يكن لفن المسرح في المانيا الديمقراطية آنذاك تراث وتقاليد توفر له أن ينمو ويتطور ويتنغلب على المشكلات التي تواجهه ، ولكن الايمان بقضية

هذا الفن في تنمية الطفولة كان له الاثر في مضي المسرح بخطوات عريضة ،
كما أن المسرح السوفيتي قدم العون للمسرح الجديد .

وجمهور هذا المسرح مقسم الى ثلاث فئات ، تترواح اعمار الفئة الاولى
بين ٥ - ٨ سنوات ، وتقدم لهم حكايات بسيطة مسرحة ، ومسرحيات
موسيقية او ايحائية بسيطة عن الاوبرا والباليه . والفئة الثانية تترواح
اعمارهم بين ٩ - ١٢ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات تتناول واقع الحياة
ومسرحيات مغامرات ، اضافة الى المسرحيات الموسيقية ، أما الفئة الثالثة
فترتوح اعمارهم بين ١٣ - ١٤ سنة ، وتقدم لهم مسرحيات كلاسيكية واجزء
معاصرة . وهذه الاعمال اضافة الى اسهامها في تنمية شخصياتهم فانها تؤهلهم
ليكونوا جمهورا واعيا للمسرح فيما بعد .

ولكن هذه الحدود بين مراحل الطفولة ليست فاصلة او حدودية او مطلقة
بل تتداخل وتتشابك ، ويراعي المعنيون بالطفولة هذا الجانب .

وذكر هذا المسرح بسيط ساحر ، وموسيقاه مثيرة ، وممثلوه على
جانب من الحيوية والخفة والمهارة ، يتحدون باسلوب ممتع وبسيط
ومدروس ، لذا يكون التجاوب بين جمهور الاطفال وممثلي المسرح على اشدده .
ويتضح الصراع بين الخير والشر في اغلب المسرحيات . ويندر ان تعرض
مسرحية لا يجد الاطفال فيها ما يؤصل الصدق والشجاعة والاخلاص وحب
العمل والحياة والحرية والسلام والألفة بين الناس والرفق بالحيوان والعناية
بالنبات .

وفي عام ١٩٥١ افتتح معرض الصداقة في برلين الشرقية كمسرح مركزى
للأطفال والشباب ، وكانت اولى مسرحياته « انك الانسان المناسب » لغوستاف
فون فانجنهايم .

وقد اكتسب هذا المسرح بسرعة سمعة شهيرة ، وتمكن من ايجاد
مجموعة ثمينة من المؤلفات المسرحية الخاصة به ، وتكوين فرقه من الفنانين
القديرين وجذب جماهير من الاطفال والشباب .

ويمتلك المسرح الى جانب الاقسام المسرحية التقليدية ، قسما تربويا خاصا ، مهمته تحليل سلوك الاطفال ونفسياتهم وقدراتهم على الاستيعاب في مختلف مراحل نموهم ، لان نفسيات وسلوك وقدرات الاطفال في تبدل مستمر ، وردود فعل البيئة المتبدلة تحت شروط الثورة العلمية - التكنيكية تؤثر ، هي الاخرى ، في سلوك وقدرات الاطفال . ويقوم القسم التربوي بمراقبة سلوك الاطفال في قاعات المسرح اثناء العروض ، وفي فترات الاستراحة، وفي صالات المسرح كأساس للدراسات الموضوعة عنهم ^(٢٠) .

وتنتشر المسارح الاخرى في جميع المدن الالمانية الديمقراطية . وهذه المسارح في مجلملها تتولى الى جانب العروض المسرحية نشاطات اجتماعية متعددة منها قيام الممثلين والفنانيين بزيارات مستمرة الى المدارس لتوضيح اهداف المسارح للمعلمين والتلاميذ ، والاستئناس بأرائهم حول ما عرض ويعرض من مسرحيات . كما تعقد المسارح ندوات اخرى في منظمات الطلائع .

الولايات المتحدة الامريكية :

انشأ أول مسرح للأطفال عام ١٩٠٣ ، وكان مسرحا تعليميا ، يشرف عليه الاتحاد التعليمي في نيويورك . ولكن هذا المسرح لم يستمر غير بضع سنوات .

وانشأت بعد ذلك مؤسسات وجمعيات مختلفة مسارح للأطفال منها جمعية الناشئين التي قدمت أول عمل مسرحي لها عام ١٩٢٢ ، وهي مسرحية « اليـس في بلـاد العـجـائـب » ، وبعد ذلك تولت هذه الجمعية امداد فروعها في بعض الولايات المتحدة بالبرامج المسرحية . كما انشأت بعض الكليات والجامعات والمدارس المهنية مسارح للأطفال . وحتى الجامعات والكليات والمدارس التي لا تشرف على مسارح خاصة بها تتولى كل موسم تقديم مسرحية لاطفال المنطقة . ومن جانب آخر فان عددا من الجامعات والكليات بدأت

أخيرا في تدريس منهج مسرح الاطفال لتخریج فنانين ومتخصصين في هذا
الميدان .

وللمجالس البلدية في الولايات المتحدة مسارحها الخاصة بالاطفال
وهناك مسارح أهلية ثابتة واخرى تتنقل بين المدن والقرى .

أما مسرح الاطفال العالمي الذي أسس عام ١٩٤٧ فله نشاط مسرحي في
جميع الولايات .

ويقول الكاتب الامريكي وينفرييد وارد في كتابه عن مسرح الاطفال .

« غالبا ما يكون الفرق كبيرا بين المسرحيات التي يعتقد الكبار انها
 تستهوي الاطفال ، وبين المسرحيات التي تستهويهم بالفعل . ففي الماضي
 كثيرة ما كانت جماعات السيدات تقدم مسرحيات خيالية عن اطفال يصعدون
 الى القمر ويلعبون مع سكان الكواكب ، ثم يستيقظون ليجدوا ان كل ماحدث
 كان مجرد حلم . او غيرها من المسرحيات الخفيفة التي تنقصها الحيوية
 والموضع الجيد الذي يستميل قلوب الاطفال . ورغم ان كثيرة من المسرحيات
 الركيكة التافهة ما تزال تقدم للاطفال حتى الان ، الا ان مستواها يتوجه الى
 الارتفاع » .

ويضيف الكاتب قائلا :

« ونحن في اميركا ، لم نصل الى الحد الذي ينظر فيه الى مسرح
 الاطفال نظرة جادة ، ونشعر بالزهو حين نقدم لاطفالنا بعض حفلات ترويحية
 بعد ظهر أيام السبت ، ونقنع بتقديم مسرحيات يستطيعون بها الهرب ، فترة
 قصيرة ، من عالم الواقع الى مغامرات ساحرة في عالم الخيال .

وما من شك في ان الخطوات التي قطعناها في طريق مسرح الاطفال
 كانت سريعة . فمن لاشيء منذ سنوات قليلة ، استطعنا ان نقدم كل عام عدة
 مئات من المسرحيات في مختلف انحاء البلاد وادخلنا الفرحة الى قلوب مئات

الآلاف من الاطفال . وهذا العمل عظيم وجدير بالتقدير ، ولكن ما يزال أمامنا شوط طويل للغاية .

ونحن في حاجة الى فهم اكثراً عمقاً للأولاد والبنات ، ولا بد لنا من دراسة جمهور المترجين دراسة علمية متصلة والاستفادة منها ، وهذا يتطلب اخراج مسرحيات لمستويات معينة من السن بدلاً من اخراجها للأطفال عامة . ومسرحيات الكبار قد تستهوي من تراوح أعمارهم بين الثامنة عشرة الى السبعين ، اما بالنسبة لمسرحيات الاطفال فان فارق ثلاث سنوات في السن يجعل المسرحية تلائم مستوى معين دون غيره .

وزيادة العناية باخراج مسرحياتنا واتاجها سوف يصون الصورة الوهمية في خيال المترجين ، ويبعث الحياة في القصة . ونظراً لأننا نعمل للطفال لذا ينبغي أن لا نقدم لهم انتاجاً هزيلاً ، وتقديم أقصى ما نستطيع من اخراج متقن وتمثيل صادق واتاج رائع . ينبغي أن يكون المستوى الذي يحافظ عليه كل مسرح للילדים في هذه البلاد .

فإذا درسنا متفرجين دراسة دقيقة ، واخرجنا مسرحياتنا اخراجاً جميلاً ، فاننا نشجع على تأليف المزيد من المسرحيات الجيدة . اتنا فريد لمسرحنا مسرحيات أكثر جمالاً واعمق دلالة ، بعضها مليء بالأراء والافكار التي تعين أطفالنا على تفسير الحياة تفسيراً أكثر صدقاً ، وبناء مجتمع أفضل ، وأخرى لأثراء جماعاتنا بتنمية احساسها بالجمال وتذوقها الواعي للفن ، وكلها تملأ قلوب أولادنا وبناتنا بفرحة غامرة » .

البلدان الاوربية الغربية :

في البلدان الغربية الاوربية لم نجد اهتماماً على مستوى عال بمسارح الاطفال . ويبدو ان في مقدمة اسباب ذلك انه يفترض في مسرح الاطفال أن

تكون اسعار تذاكر الدخول زهيدة ، لذا عزفت الدور التجارية عن انشاء مسارح للأطفال نظرا لما يستلزمها من تكاليف تعجز الموارد عن ايفائها .

ولكن المسارح المدرسية تقوم بنشاط مسرحي واسع في جميع المدارس وعلى مختلف المراحل الدراسية .

ومن جانب آخر فان موسام ومهرجانات مسرحية كبيرة تنظم للأطفال في جميع البلدان الاوربية الغربية .

المبحث الثالث

مسرح الدمى

الدمية في حياة الطفل

عرف الانسان الدمى قبل أن تظهر ممثلة على المسرح بزمن بعيد . ولعبت أثراً في حياته منذ عصور ما قبل التاريخ .

وهذه آلاف الدمى الصغيرة التي تمثل مختلف الاحياء وجدت في آثار الانسان القديم في بلاد ما بين النهرين يعود تاريخها الى الالف السادس قبل الميلاد . واذا كان الانسان قد استخدم هذه الدمى الصغيرة لاغراض طقوسية دينية او استخدمها الاطفال للهو واللعب ، او كمحوز تنظيم في القلائد لتفعل فعلا سحريا يحمي حامليها من التسرب والاذى ! فانها ، ولا شك ، كانت تعني شيئا كبيرا بالنسبة الى الانسان آنذاك ، ناهيك عن المنحوتات التي كانت تمثل الرجال والنساء من الآلهة والملوك الذين كانوا ينتصرون في المعابد ، يتبعده لها الناس ويتركون بها ويقدمون لها القرابين .

وما يزال المنقبون بين الآثار القديمة يعثرون على دمى صغيرة تمثل :

مختلف الحيوانات . وقد عثر في مصر على ذات دمى ذات أذرع وارجل متحركة ، مما دعا الباحثين الى التساؤل فيما اذا كانت هذه الدمى المفصلية تشير الى أن هناك مسارح دمى في تلك الفترات الغابرة في التاريخ .

وذكر ارسسطو خبر دمى تتحرك تلقائيا اذا أسقط عليها الرمل أو الزئبق ، وقارن هوراس الشاعر الروماني بين الانسان والدمى الخشبية التي تتحرك بشد الخيوط .

ووُجِدَتْ مجاميع ضخمة من دمى معدنية لجنود وفرسان ومصارعين وعربات وأنواع مختلفة من الحيوانات في ايطاليا في مقبرة للاطفال تعود للاتروسكيين القدماء . وكان قد عثر قبل ذلك في مصر على دمى في مقابر بعض الاطفال تعود الى ما قبل الميلاد بمئة وخمسين سنة قبل الميلاد .

واطفال اليوم أشد تعلقاً بالدمى من ذي قبل ، بعد أن تطور صنع الدمى ، وأصبحت ذات اشكال جذابة . وهماهم الاطفال اليوم يقضون مع دماهم أوقاتا طويلا . . ومنهم من يسعده ان ترافقه دماء حتى عند خروجه من البيت ، بل منهم من يصطحب دماء الى مدرسته في الايام الاولى لدخوله المدرسة كي يبعدوا عن انفسهم الشعور بالغربة في المحيط الجديد .

والدمية رفيقة الطفل منذ مراحل طفولته الاولى ، وهو يضفي عليها كثيرا من المشاعر والاحساسات ، ويحدثها ، ويضاحكها ، ويبدغدغها ، واحيانا يغضب عليها فيخاصمتها ثم لا تثبت سورة غضبه أن تهدأ فيعود اليها يتعامل معها برفق كأنها صديق وفي .

وهذا القرب بين الطفل والدمية يجعل الطفل يستمتع بحركات الدمى ورقاصاتها واغنياتها ، كما يتقبل ما تقوله له برضاء بالغ ، بل ان كثيرا من النصائح التي يعزف عنها الطفل ، في العادة في حين يسمعها من انسان ، فانه يتقبليها حين تحدثه بها الدمى المحببة . ومن هنا يتضح الاثر النفسي لمسرح الدمى . اذ ان خيال الطفل يجعل من الدمى حية حياة كاملة .

ومن جانب آخر يميل الاطفال الى تجربة الانباء من نفاصيلها وتحليل تراكيبيها الى عناصر اولية – وهذا ما يبدو جليا في اسلوب رسومهم – ولهذا كان تمثيل الدمى مؤثرا في الطفولة ، لأن حركة الدمى هي حركة ميكانيكية ومحللة الى عناصرها الحركية الاولية والى اصولها التشكيلية .. فضلا عن ان الدمى من حيث تكوينها كشخصيات مسرحية هي بالضرورة شخصيات مثبتة أي كل منها احادية الصفة^(٢١) .

مسرح الدمى

مسرح الدمى هو امتداد للدمى التي لعب بها الاطفال اولا ، ولذلك التي عبر بها الانسان في فجر التاريخ عن عالم الروح وما فوق الواقع ، فأسبغ عليها مهابة وقداسة – هي في رأيه – لا يمكن ان ينالها الا الآلهة والملوك والامراء ..

ويؤكد المؤرخ شارلس نور بيه انه ليس هناك ما يمنع من أن يكون الطفل قد حدد لاطراف دميته وسائل تحريكها لكي يمنحها اكبر قسط من الواقعية ، وذلك لأن الطفل يرى دائما دميته كائنا حيا ، ويعامل معها على هذا الاساس^(٢٢) .

وعلى أية حال ، فان الدمية التي « تمثل » على المسرح اليوم هي غير دمية اولئك الذين أسبغوا عليها القدسية ، وهي غير الدمية التي يلهمو بها الاطفال ، لأن الدمية في هذا اللون المسرحي هي كائن خارق الحيوانية ، يفكر ، ويخطط ، وينفذ ، ويتحرك ، ويتكلم ، ويجب عن كل الاسئلة ، ويحل العقد والمشكلات ويشارك في مختلف البطولات ..

ويقوم مسرح الدمى على بعث الحياة في الدمية .. وهذه الحياة لاتسحر الاطفال وحدهم بل تثير ثفوس الكبار أيضا ، لذا فان مسرح الدمى في نشأته الاولى لم يكن للاطفال ، بل كان للكبار ، وما يزال الكبار يجدون في عروضه متعة كبيرة ، بل أن بعض مسارح الدمى مخصصة للكبار وحدهم ..

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أدى لاعب العرائس الروسي الشهير سيرجي برازوف الكثير من العروض الرئاسية أمام الجنود في جبهات القتال .

ويتميز مسرح الدمى بطبعان الخيال الذي يبتكره الفنان ، انه عالم من الفانتازيا تتسع آفاقه الى حيث تتسع آفاق خيالات الفنان ، وعلى هذا يقال عنه انه مسرح الخوارق ، لأن من المألف أن نجد فيه الخارق للمألف .

والدمية على المسرح ليست صورة أخرى من الإنسان ، تقلده وتحاكيه ، تماما مثلما هي ليست لعبة للأطفال ، بل هي هيكل يمثل وفق ما يريد الفنان تمثيلا غير اعتيادي ، لأن الدمى لا يمكن ان تتحرك وتعبر بنفس الطريقة التي يتحرك بها الممثل . كما أن الممثل لا يمكن أن يقلدھا . وهذه ميزة ذات أهمية لأنها تجعل من الدمى وسيلة تعبر مكتملة « بما توحى به من دلالات رمزية وبما تنطوي عليه من امكانيات تعريفية ، وهي بهذا تكون أقوى تأثيرا من الممثل بكل أدبيته وطاقته البشرية . وهذا جوردن كريج الذي كان يحلم أن يكون ممثلا مثل الدمى ، بل وان يتلمس عليها ، وهذا ما أسماه بالدمية الخارقة »^(٢٣) وعلى هذا الاساس اكتسب مسرح الدمى ميزة عن المسرح البشري .

فإذا كان المسرح البشري بامكانياته ، ومقوماته ، ومناظره ، ومؤثراته الصوتية والصوتية ، وحيله المختلفة ، يتفق مع تفكير الأطفال الحسي ، ويستطيع أن ينقلهم الى العالم الساحر الخلاب ، الذي يسعدهم أن يعيشوا فيه .

وإذا كانت المسرحية الناجحة تستطيع أن تستغل عوامل الإيهام المسرحي لتجسم امام الأطفال ما يتراءى لهم في خيالهم الإيهامي أو خيالهم الابداعي ، وتصل بهم الى درجات كبيرة من الاندماج والتعاطف الدرامي مما يرتفع بهم الى قمة الثقة والسرور .

إذا كان هذا يصدق على المسرح بصفة عامة فإنه اكتر ما يكون صدق بالنسبة الى مسرح الدمى بصفة خاصة ، ذلك لأن الفرق بين المسرح (البشري)

ومسرح الدمى يكمن في نوع الممثلين ، فهم في المسرح الاول بسر ، لهم صفات واصوات وامكانيات البشر ، ولا يستطيع (الماكياج) ، ولا يستطيع الملابس وامكانيات الارتجاع ، بصفة عامة ، ان تعدل من هذه الصفات البشرية الا الى قدر محدود .

اما في المسرح الثاني ، فان الممثلين مخلوقات خيالية ، ابدعها خيال المؤلف ، وصنعتها موهبة الفنان ، وحركتها اراده المخرج ، في إطار واسع من الحرية في مجال الابداع الفني لا نظير له في المسرح الادمي ، وهذا يتبع مسرح الدمى ان يصبح في عالم الخيال ، مما يصعب تفيذه على المسرح (البشري) بالاشخاص العاديين (٢٤) .

وهناك من يتصور ان مسرح الدمى يبدأ من حيث تنتهي امكانيات المسرح البشري ، ولكن مسرح الدمى لون فني له خصائصه المتميزة ، ويعتمد على التواхи البصرية اكثر مما يعتمد على الحوار اللفظي ، وتزداد قوة هذا الفن واقترابه من خصائصه كلما زادت امكانية مرئياته في التعبير عن المضمنون (٢٥) .

ويستخدم مسرح العرائس اليوم في رياض الاطفال والمدارس الابتدائية في كثيير من بلدان العالم ، حيث تتم مسرحة المناهج ، واصبح بالامكان تقديم العلوم والتاريخ والاداب وغيرها من خلاله . ويتيح للتلاميذ فرصا للتعاون والعمل الخلاق فيما يتصل بالرسم ، وصناعة الدمى ، واعداد الملابس المناسبة ، واعداد الحوار ، وفي عرضها ، وفي اداء الموسيقى المصاحبة للعرض ، وغير ذلك من النشاط المتصل بهذا اللون .

واستخدام الدمى يوفر للتلاميذ خبرات تعليمية ممتازة ، اضافة تسليتهم والترويح عنهم ، ومن جانب آخر فان هذا الفن يشكل طريقة مؤثرة في التعبير عن الافكار والمواضيع المختلفة (٢٦) .

وتصعب على الدمى التعبيرات والحركات الاعتيادية ، لأنها بطيءة .

- سواء في مركبها أم تحريرها - تبزع نحو البساطة أو التهويل ، لكي تركز وتوضح خصائص معينة . لذلك فمن اهم ما يجب مراعاته في الدمية ان تكون على طبيعتها ، وهذا لا يتأتى الا اذا صممت بعد دراسة مستفيضة للشخصية وعلاقتها بالشخصيات الاخرى ، وجو المنطقة التي تعبر عنه المسرحية ، وجو العصر الذى تحدث فيه^(٢٧) .

وطبيعة الدمى البعيدة عن طبيعة الممثلين في المسرح (البشري) تفرض أن تكون لها خصائصها وفقا للدور الذي تؤديه ، وان تكون اصواتها خاصة بها ، أي أن لا تكون اصواتا اعتيادية . ويميل محرکو الدمى الى التكلم من حناجرهم أو أنوفهم . ولكن بظهور الآلات الحدينة أمكن التحكم آليا بالصوت الآدمي . وكان للاعبو الدمى القدماء يستخدمون زمارات مختلفة الاطوال والاحجام لاخراج أصوات متميزة عن الاصوات الاعتيادية .

ومن الدمى ما هي قفازية تلبس باليد وتحركها الاصابع ، وهي صغيرة في العادة ، ومنها ما هي ذات خيوط تحرك بخيوط او اسلامك رفيعة من الاعلى او الاسفل . أما خيال الظل أو ظل الخيال فان عرائسه تصنع من جلد ، ويعرض خلف سارة بيضاء ومن خلفها مصباح ، فتنعكس ظلال تلك الدمى على الستارة ليراها المشاهدون من الجهة الاخرى .

الفصل الرابع

برامُجُ الاطفال في الاذاعة

المبحث الاول

نظرة عامة

يوم قال الشاعر العربي : ان « الاذن تعشق قبل العين أحياناً » كان على حق ، لأن الاذن اداة استماع فني ذات شأن *

وبرنامج الاطفال في الاذاعة هو فن مسموع ، يعتمد على الاذن ، في الاساس ، وحين يحمل مضمونا ثريا ويتحذ شكلها فنيا جميلا ويطرق آذان الاطفال بهدوء ودعة ، ويتناجم مع احساساتهم ، فإنه ، ولاشك ، يسهم في تشكيل وجدانهم ومعاوتهم على النمو السليم *

وبرامج الاطفال في الاذاعة مجال آخر من مجالات الاتصال بجمهور الاطفال * وعلى ذلك ، فمضامينها تؤلف جزءاً من أدب الاطفال *

والاذاعة تعتمد على الصوت فقط ، اي انها تعتمد على حاسة السمع ،
وحيث تطلق الاصوات عبر الاثير ، فأن حاسة البصر قد تعطي المجال للاذن
للتقطها لتحول فيما بعد الى صور حسية وذهنية ترسمها المخيلة ، وقد
لا تعطى مثل هذا المجال حين تكون مشغولة في التطلع الى شيء آخر شاغلة
معها الذهن . والاستماع ، في حد ذاته ، يتطلب شيئاً من الجهد ، اذ نادراً
ما يستطيع الفرد الانصراف الى الاستماع دون ان يجد نفسه قد انشغل
بنشاط مرئي آخر .

وعلى هذا ، ومن اجل ان تحول الاذاعة دون انتغال الطفل بعيداً عنها ،
ينبغي لها أن تستولي على مشاعره ، ولن يتهيأ لها ذلك الا من خلال الاصوات
الحية والكلمات المعبرة والمؤثرات الصوتية الدافقة والمضامين المثيرة .

والاذاعة اداة اجتماعية فريدة ، ذلك ان المذيع أعمى وأصم مع جمهوره ،
والمستمع كذلك أعمى وأصم وأبكم مع المذيع ، ومع ذلك فان قوة الاصوات
تستطيع أن توحى بصور خيالية هي أكثر من أن تعيش من عدم توفر
الرؤية . ذلك ان الصورة تتكون في ذهن السامع دون أن تتقيد بتفاصيلات
محددة ، فهي لذلك صورة كاملة ، لأن السامع يستطيع أن يكيفها حسب
ذوقه الخاص ^(١) .

لذا فالصوت الاذاعي يتتحمل اعباء ثقيلة من أجل أن يشد بأذني الطفل
إليه رغم افتقاره الى الاصوات والديكور وحركات الممثلين وتعبيرات
وجوههم . ومع هذا تتوفر له تقديم ألوان فنية زاخرة من أدب الأطفال ،
وبهذا استطاع أن يسد ما يعانيه من نقص بازار صور صوتية تهيء للطفل
أن يفهم ما يجري خلف المايكرفون من وقائع .

وبفضل ما اضافته الاذاعة للكلمات والاصوات البشرية والحيوانية
والمؤثرات الصوتية من أبعاد جديدة استطاعت ان تحمل بالثقافة بعيداً
متجاوزة حواجز زمانية ومكانية ، وان تحمل بها عريضاً مخاطبة كل الاجناس

البنسبة وكل الاعمار ، بمن فيهم الاطفال ، اينما وجدوا . وبذا ان فعل الاطفال بالكلمات وتغنو بالنغمات المسابة عبر الانير .

شكل ضمون برنامـج الاطفال

الاسلوب غير المباشر في المخاطبة الاعلامية والاتصال الثقافي ضرورة أساسية بوجه عام + والطفل ، بسبب حساسيته المرهفة لا يطيق الاستماع ، به الأمثال ، لما يقدم له بشكل مباشر ، خاصة وان الطفل في مجتمعنا هو « رجل متعب » لانه يحيا في بيئته ومدرسته تحت سماء من النصائح والارشادات والتوجيهات الآمرة المنفرة ، وهو كثيرا ما يقف حيالها حائرا لا يجد الا أن يتهدأها ويمرق عليها . فضلا عن أن كثيرا من المضامين التي يتلقاها الطفل ، وفق الصيغ المباشرة او الخطابية ، لا تلبث ان تغيب عن ذاكرته بعد حين . وعندما تعود اليه من جديد ، يجد نفسه مدفوعا الى النفرة منها بينما هو يتقبل تكرار المواد الادبية المألقة وكثيرا ما يلح من اجل ان تعاد عليه مرة بعد مرة . فهو يلحف عليك من اجل ن تعيد له رواية قصة اعجبته كلما وجده على استعداد لذلك ، واحيانا لا يوفق في التعرف الى استعدادك للرواية فتزجره ، وعند ذاك يضطر الى السكوت ، ولكنه ما ان يستوحى استعدادك بعد ذلك حتى يطالبك من جديد .

وليس بالواسع تحديد صيغ ثابتة الابعاد لطريقة مخاطبة الطفل من خلال البرنامج الاعذاعي ، ويظل للقدرة الادبية والذوق السليم دوره الكبير في تحديد ذلك . ويسكن القول أن أفضل الصيغ هو الشكل القصصي ، سواء كان مروياً أم مسللاً أم مسرحاً أم على شكل دياלוג قصير مثير ، كما يمكن تقديم الاخبار والمعلومات والحوادث على شكل قصصي .

وما كان الطفل كثير النزود ولا يقوى على الانتباـه الطويل ، لذا كان من الضروري أن تكون مسامع البرنامج موجزة ومكثفة ، وان يجد الطفل في كل فقرة ما يشد انتباـهـه وما يدعوه الى متابعة الفقرة التالية . والروح

الخفيفة التي يتحقق بها البرنامج واجواء المرح تقييم بين الطفل والبرنامج
معبرا لاتقوى آية موجة عابرة على اجتياده .

والإيجاز في النص الإذاعي لا يتيح لنا ان نختصر الى الحد الذي
يسبي فيه من الصعب على الطفل ان يقف على ما نريد بسهولة ، لذا وجب
أن يقترن الإيجاز بالوضوح لأن الطفل يصاب بقرف شديد حين يجد مادة
مقدمة له لا يقوى على فهمها ، كما اتنا حين نغالي في الشرح والتفصيل نجد
ـ بعد حين ـ اتنا تتحدث الى افسينا ، فقد عزف عنا الطفل وتبرم .

ولغة البرنامج الإذاعي هي لغة بسيطة في العادة ، خالية من الالفاظ
الغريبة والتركيبات اللغوية المعقدة دون الوصول الى حد السذاجة ، لأن
الطفل يرى في ذلك استصغارا لشأنه وامتهانا لذكائه .

وببرامج الأطفال ، شأنها شأن كل ألوان ادب الأطفال ، يتبعين ان
تحدد وفق مراحل العمر شكلا ومضمونا ، لأن اهتمامات وميل وقدرات
و حاجات الأطفال تختلف من طور الى طور .

أما فقرات برنامج الطفل فليس بالواسع وضع اطار ثابت للقسمات لها
ولكن من الضروري أن يكون للبرنامج خط فكري متكملا ، والا تحول
إلى مجرد متفرقفات منوعة او مختارات لا تربط بينها رابطة ولا يجمعها هدف
مشترك ، وحتى ان كان بين تلك المختارات المتفرقة ما هو مفيد ومؤثر فان
ذلك لا يدفع لبرنامج لاتخضع فقراته في مجلتها لفلسفة واضحة .

والكتابة للاذاعة بوجه عام ، لون ادبي له أبعاده وخصائصه المتميزة ،
بل هناك من يذهب الى القول انه فن قائم بذاته ، اما الكتابة للأطفال من
خلال الاذاعة ، فهي جانب من هذا الفن ، وهي ولاشك اكثر الجواب
صعبية .

ومن الالوان الادبية التي يسكن تناولها في برامح الاذاعة ما يلي :

- المسرحيات :

لاتتيح الاذاعة تقديم كل الالوان المسرحية لاعتمادها على الصوت وحده . ولكن هذا لا يمنع من تقديم المسرحيات والالوان التمثيلية الاخرى التي تعد أساساً للاذاعة . وهي تتميز عادة ببساطة بسيطة تهيء للاطفال فرصة متابعة احداثها والاستمتاع بها ، كما تتميز بالقصر ، وبالاثارة ، والحركة السريعة ، ووضوح الحوادث ، ووضوح الفكرة ، مع الابتعاد عن الاسلوب المباشر في نقل القيم والافكار .

وبالواسع تناول الحوادث والشخصيات الخيالية اضافة الى الواقعية ، مع الحرص على عدم شحن الالوان التمثيلية بالكثير من الاثارة التي تصل الى مستوى التوتر ، لانها في هذه الحالة تعطي مردوداً سالباً .

- القصة :

يمكن تناول كل الالوان القصصية ضمن برامج الاطفال ، على أن تتم صياغتها واجراجها بما يناسب امكانيات الاذاعة .

ويتخد تقديم القصة عبر المايكرفون اشكالاً متعددة منها القصة المقرؤة ، والقصة المروية (التي تعتمد على الراوي) والقصة المستندة الى الحوار .

وفي هذه الحالات جميعها لابد ان يكون الالقاء انسانياً ومعبراً ، وأن تستخدم الامكانيات الصوتية بطريقة فنية . كالموسيقى التصويرية والموسيقى الخلفية والمؤثرات الصوتية والاغاني . وطبعية القصة تفرض اسلوب الارتجاج المناسب وتقرر الاصوات المناسبة ، لكي تصل الى الطفل نابضة حية تحمل المعاني والقيم .

وهنا لابد من الاشارة الى ان كثيراً من الشخصيات الخيالية التي يصعب تصويرها من خلال التلفزيون يمكن التعبير عنها من خلال الاذاعة عن طريق الرواية مع الاستعانة باصواتها . كما ان الاذاعة تهيء للاطفال الفرصة

لتشكيل الصور الذهنية عن تلك الشخصيات وفقاً لمستويات نموهم العقلية والعاطفية ، وخبراتهم الثقافية .

- الشعر :

الشعر يهز الأطفال ويؤثر في نفوسهم ، والاذاعة هي الوسيلة الفضلى لتقديم الشعر للأطفال .

وتتضمن برامج الأطفال ، في العادة ، قصائد يقرأها الأطفال بأنفسهم ، مجتمعين او فرادى ، اضافة الى ما يقرأه لهم الكبار بطريقة منغمة .

والقصائد المقدمة للأطفال قبل السادسة من اعمارهم تركز على الابداع والموسيقية أكثر من تركيزها على المعاني .

وتسهم القصائد الشعرية في تدريب اذني الطفل على الاستماع اضافة الى ما تحمله من معانٍ اخلاقية وادبية وفنية ، وما تشيعه في نفسه من التبات والثقة والمرح .

فقرات خرى :

وتتنوع برامج الأطفال في الاذاعة ، اضافة الى ذلك ، للاغاني والألعاب والمسابقات والاخبار والهوائيات والريبوراتاجات الاذاعية والمقابلات .

مقدمو البرنامج :

هناك من يدعوا الى أن يتولى الأطفال وحدهم تلاوة فقرات البرنامج من اوله الى آخره . وهذا خطأ كبير وقعت فيه كثير من الاذاعات ، ومتزال بعض الاذاعات تقع فيه حتى اليوم . واللاحظ ان الأطفال يتلقون بكثير من الكبار من مقدمي برامجهم في اذاعات كثيرة في العالم ، ذلك ان هؤلاء وفقوا في ان يقيموا صدقة بينهم وبين جمهورهم من الأطفال عبر المذيع ، مثل شخصية ساندمان التي تتخذ شكل رجل في الراديو ودمية في التلفزيون في المانيا الديمقراطية ، وشخصية بايون كوليختانوفيتشن في اذاعة بيلوروسيا .

والاطفال في العادة ينتظرون القصة او الحكاية او المعلومة او الفكرة من رجل او امرأة ، ذلك لأنهم يتصورون ان هؤلاء وحدهم يحفظون الشخص والحكايات ويعرفون الحقائق والمعلومات ، وهم يستبعدون أن يكون افراهم الاطفال من مقدمي البرامج على بينة بما يقال في هذا المجال مادامت تلك الفقرة المقدمة جديدة على الطفل مثيرة له .

ومما يتتيح لنا في الوطن العربي فرصة أكبر في هذا الميدان ، هو أن ظاهرة احترام الصغير لل الكبير في مجتمعنا ما تزال قوية ، وبالتالي فإن الطفل يعني بما يقال له من الكبار أكثر من عنيته بما يقال له من انداده ، يضاف إلى ذلك أن الاطفال الذين يتولون تقديم البرامج كثيراً ما يتعرضون لما يسمى « اسطورة النجوم » .

وهناك من يقول « على مقدم برنامج الاطفال ان يكون لديه الاستعداد لنسopian عمره وما يستتبع هذا العمر من احترام ووقاز » ولكن هؤلاء يقولون جزءاً من الحقيقة ، فقد اتضح امر اولئك الذين كانوا « يتظافلون » أو « يتصابون » وهم يقدمون برامج الاطفال . وإذا كان قد تهيأ لاولئك الذين اتوا بتلك « المقوله » ان شاهدوا الاطفال يتجمعون حول مثل « متطا凡ل » أو متصاب وهم يتضاحكون ، فهم ولا نشك يضحكون عليه وهو يمط ببوزه ، وحين يمدون باعناقهم نحوه فهم « ولا تشك ، يراقبون أذنيه وهم ترتفعان وتتحفظان ، أو رقبته وهي تهتز ذات اليمين ودادات الشمال ، وهم ، بلا ريب ، سعداء ، وسر سعادتهم لافيما يقدم لهم ، بل بهذا المشهد الذي لا يمكن أن يتواتر أمامهم كثيراً ، هذا بالنسبة الى الاطفال الذين يتجمعون حول « المقدم » في الاستوديو ، اما اولئك الذين ينتظرون ان يكونوا قبلة الراديو يستمعون ، فقد تتصور - أيها القارئ الكريم - انتي أقول عنهم مساكين ، ولكن لا ، لأنك لن تجدتهم الا بعيداً عن الراديو ، مadam لكل منهم ساقان يمكن ان تجريا سريعاً ، بل

لكل منهم من الأفالم ما يمكن لاثنين منها فقط ان تسكت الراديو
الى الابد .

ان الطفل يسعده أن تقييم معه صداقة متينة ، وان تحبه وان تحترمه ،
وان لا ترفع عليه ، وهو لا يريد ان تقلل من شأن شخصيته وتحاطبه وكأنه
ما يزال مخلوقا ساذجا لا يقدر على فهمك كما انه لا يريد من الآخرين ان
يقللوا من شأن انفسهم ، لذا فهو لا يريد من مقدم البرنامج الكبير
ان يضرب وقار كبره عرض الحائط ، وهو يستهين به ان هو ارتضى
التضحية بكبريائه . . انه يريد محترما له وصديقا حميا لا يتعال عليه .

يضاف الى ذلك ان مقدم البرنامج الناجح هو الذى يجيد الالقاء
والتحدث الى الاطفال ويبدي استمتاعه بما يقرأ دون افتعال او تكلف
ويستطيع من خلال صوته ان يبعث في النص شيئا من الحيوية والتشويق .
وفي بعض الاذاعات يتم انتقاء مقدمي برامج الاطفال بحذر وعناية ،
وتقام لهم دورات خاصة قبل ان تنتقل اصواتهم الى اسماع الاطفال .

أما بالنسبة الى المقدمين الصغار فقد لوحظ انهم كثيرا ما يصبحون
شديدى الثقة بانفسهم ، متصنعين ، او مبالغين في رقتهم ، وقد يتأصل في
نفوسهم الشعور بالعظمة حين يجدون اقرانهم يستمعون اليهم باعجاب
واكباد ، ومن جانب آخر قد يصابون عندما يشبوون ، بخيئة أمل او احباط ،
لانهم يجدون أنفسهم في طفولتهم « كبارا » ثم لا يلبثون بعد أن يتسبوا أن
يجدوا انفسهم بمستوى اقرانهم او أقل منهم . . ولهذا تحترس كثير من
الاذاعات من قيام الاطفال بتقديم البرامج .

ولكن لضرورات فنية وادبية يقتضي الامر اشراك الاطفال في تقديم
البرامج الى جانب الكبار .

ولا يدخل ضمن التحذير الذي نورده مشاركة الاطفال في برامج

الألعاب والمسابقات والانسانيات ، ذلك ان من مشاركته هؤلاء هي مشاركات غير متواصلة ، في الغالب كما أنها ليست حكرا لطائفة محددة من الأطفال .

الإخراج برامج الأطفال :

مهمة المخرج الإذاعي هي نقل المادة المكتوبة الى كلمات واصوات ، أو بعث الحياة في النص المكتوب وتحويله الى لوحة فنية تنبض بالقصوة والاثارة والتسويق .

والبرنامج الجيد هو الذي ينقل الطفل الى اجواءه ليعيش فيها للحظات ، وهذا لا يتم الا بتأثيره الطفل وتسويقه ودغدغة خيالاته الرحيبة .

ولما كان البعض قد أطلق على الإذاعة اسم « الإادة العرجاء » بعد ظهور التلفزيون ، فإن الإخراج الجيد من خلال الإذاعة لا يضع لها عكازة متينة بدل الساق المشلولة ، بل يمنحها ساقا جديدة سلبية ، مادام لها لسان قادر على إيصال الصوت الى المسامع وسط موكب مهم يفهم المخرج في قيادته لتصبح في موقع لا يضارع التلفزيون حين يخاطب الأطفال فحسب بل تتخطاه قوة وتأثيرا . فالاصوات البشرية والمؤثرات الصوتية والموسيقى التصويرية والامكانيات الاجرى المتاحة للإذاعة يمكنها اذا ما استخدمت بشكل فني ان تسحر الأطفال وتشبع خيالاتهم . والتلفزيون ، ان كان بوسعه ان ينقل الصورة بصدق بالغ فان من الصعوبة ابراز الصور الخيالية التي تهفو اليها نفوس الأطفال . والاطفال يرسمون ، في العادة ، صورا خيالية لأشخاص والحوادث والواقع من خلال ما يتناهى الى مسامعهم ، أما التلفزيون فإنه يضيق الخناق على آفاق الأطفال ويسارع الى تقديمها جاهزة في وقت يطلقبها الراديو من عقالها .

وما نلمسه اليوم من تدافع الأطفال امام الشاشة الصغيرة ، وعزوفهم عن الراديو ، لا يقلل من صحة تلك الحقيقة ، لأن الخلل الرئيس هو في برامج الأطفال من حيث النص والإخراج ، لا في الجهاز نفسه ك وسيط .

ومتى ما تهيات للاطفال برامج اذاعية تتكامل فيها الابعاد الاساسية فانهم ولا شك سيجدون فيها ضالة من ضالاتهم .

ولا شك ان اخراج البرنامج الاذاعي أصعب بكثير من اخراج البرنامج التلفزيوني ، لاذ على المخرج الاذاعي أن يعوض عن الحاسة الناقصة وهي البصر وان يخلق الصور في ذهن الطفل ويimده بالعوامل التي تساعدة على تخيلها ورسمها في الوقت الذي توفر فيه للمخرج التلفزيوني امكانيات أخرى كثيرة تعتمد على حاسة البصر .

مواصفات أخرى :

أشرنا الى بعض مزايا البرنامج الناجح ، ونشير في أدناه الى بعض آخر ، رغم انه ليست هناك قواعد ثابتة محددة ، لكن ما نشير اليه ليس الا مبادئ عامة :

- ان يثير الاطفال ويجذبهم ، وان لا تصل الاثارة الى حد التوتر

- لما كانت البرامج عموماً تتميز بطبيعة سريعة لا يمكن استعادتها او التمعن فيها كما هو الحال في الكتاب او المجلة ، لذا وجب أن تتميز المادة بالوضوح .

- حيث انه من المستبعد أن يتربّط الطفل موعد البرنامج ، لذا لابد من ان تكون مقدمة البرنامج مشوقة ومثيرة . وان يكون لحنـه المميز جذباً ، ومن المستحسن ان تسبق برامج الاطفال مجموعة من اغاني الاطفال الجميلة .

- أن يستمر شد الطفل الى برنامجه ، لأن الطفل سريع الشروق والانشغال بأمور أخرى غير الاستماع ، وحيث ان تركيز الانتباه لا يمكن أن يكون الا في موضوع واحد ، لذا فان انصراف الطفل عن متابعة البرنامج أمر محتمل ان لم يكن البرنامج قد استولى على مشاعر الطفل منذ البداية حتى النهاية .

- أن يكون البرنامج وحدة متكاملة ، وان لا تحشر أية مادة حشرا ، لأن الطفل سرعان ما يدرك أنها دخيلة ومفتعلة .
- أن تستهدف كل مادة اثارة تفكير الطفل ، اضافة الى ما قنطروي عليه من قيم وافكار ومبادئ ومعلومات ، لأن هناك خشية دائمة من أن تكون برامج الأطفال اداة لتعطيل قدرات الأطفال على التفكير الخلاق ، حين يخضعون تفكيرهم لما يستمعون اليه ويتقبلون ما فيها دون مناقشة أو تبحص باعتبارها صادرة عن توسم فيهم الأطفال الخبرة والمعرفة .
- ان تتناسب مضامين البرامج وشكلها مع حسائط الأطفال اللغوية ومستويات نوهم العقلية والعاطفية والنفسية والاجتماعية .
- ان تكون المعلومات والافكار دقيقة وصحيحة ، لأن اكتشاف الأطفال للخطأ يفقدهم الثقة ببرامجهم . كما ان اكتساب الطفل لخطأ من الاخطاء يتلزم جهودا مضنية لتصحيحه . ولاشك أن من اسباب عدم نجاح خطط الارتساد الاجتماعي والتنمية الاجتماعية لدى الكبار يعود الى الطرف الخاطئة في الصغر التي غرست في عقولهم مفاهيم وافكارا خاطئة .
- ان تقدم البرامج في الاوقات المناسبة التي يستطيع اكبر عدد من الأطفال الاستماع اليها .
- ان يستخدم المخرج كل الامكانيات المتاحة للاذاعة من اجل بث الحياة في النص وتشكيل لوحة متناسقة مؤثرة منه .
- ان تكون الشخصيات صادقة ومعبرة ، وان يتم الابتعاد عن افخام شخصيات مثالية او كاملة ، لأن مثل هذه الشخصيات لا وجود لها ، والاطفال شديدو القدرة على التمييز . ويستحسن ان تكون لكل شخصية طريقة خاصة في الكلام والتعبير عن نفسها ، كي لا يجدوا البرنامج راكدا .

المبحث الثاني

برامج الأطفال في العالم

في إذاعات العالم برامج متعددة للأطفال على مختلف اطوار نموهم .
ففي إذاعة المانيا الديمقراتية برامج مخصصة للأطفال في مرحلة من العمر بين ٥ - ١٠ سنوات ، وبرنامج للأطفال بين ١١ - ١٤ سنة ، وهو برنامج الطلائع . أما الأطفال الذين تقل اعمارهم عن الخامسة فلهم برنامجهم الخاص الذي يتضمن فقرات ثقافية مسلية ، وهو مخصص للأطفال الذين لا ينتظرون في رياض الأطفال ، ويسعى إلى أن يجعلهم بمستوى اقرانهم في رياض الأطفال ، ليكونوا على استعداد لدخول المدرسة .
وهناك برامج أسبوعي عن الريف يتناول كل ما يتعلق بالزراعة الحديثة وحياة الفلاحين وحياة النبات والاهتمام بها .
أما برامج الأطفال السياسية فهي تتناول كفاح الشعوب من أجل حريتها ، وتشجع الأطفال على أن يكونوا ايجابيين ازاء اطفال الشعوب الأخرى ، وتتحدث لهم عن اصدقائهم واعدائهم ، اضافة الى تناولها لكثير

من الامور السياسية بشكل يتناسب ووعيهم . يضاف الى ذلك برامج القصص والحكايات والتمثيليات والاغاني .

ومن أحب الشخصيات الى الاطفال شخصية (ساندمان) وهو يظهر في الاذاعة كرجل يحدث الاطفال وينشر النوم في عيونهم وفي التلفزيون يمثل دور دمية (٢) .

واذاعة بولندا تقدم ٤٠ دقيقة للاطفال كل يوم بالإضافة الى اربع ساعات يوم الاحد ، وهذه النسبة تشكل ٣٠٪ من الارسال العام وتتضمن هذه البرامج لخطة سنوية عامة ، واخرى تفصيلية كل ستة اشهر تناقش مع منظمة الطلائع ووزاري الثقافة والتعليم .

وتتميز برامج الاطفال في بولندا بكثرة اللقاءات والمناقشات الحية مع الاطفال ، وهذه اللقاءات تقدم في الغالب على الهواء دون تسجيل سابق .

وتعنى برامج اخرى للاطفال بالعلم واتصالاته .

ومن البرامج التي استطاعت جذب اقبالآلاف الاطفال ، برنامج اخباري يقدم تفسيرا للأحداث المحلية والعالمية ، ويركز على علاقة بلادهم بالدول الأخرى ، كما يقدم عرضا للمقالات الصحفية المهمة باسلوب مبسط (٣) .

وفي رومانيا اذاعة خاصة بالاطفال واخرى بالشباب ، وهي موزعة بحيث ينال كل فريق من الاعمار عنائية خاصة . فهناك ، مثلا ، برامج خاصة بالاطفال الذين لم يبلغوا سن الالتحاق بالمدرسة ، وبرامج خاصة بالكتافة والتلاميذ ، وبرامج تزيد في دعم المعرفة التي يحصلون عليها في المدرسة ، وتنمية حبهم للتاريخ بلادهم القديم والحديث ، وحبهم لقادتهم الحالين وأسلافهم ومن اضاءوا ظلمات التاريخ القديم بأعمالهم البطولية التي تحفz هم الاطفال اضافة الى برامج تسعى لغرس روح العمل في نفوس الاطفال وتعريفهم بجمال بلادهم وتنميته في نفوسهم محبة الآخرين (٤) .

وفي الاتحاد السوفياتي يبلغ حجم متوسط برامج الأطفال اليومية التي تذاع من راديو موسكو عشر ساعات . وكانت البرامج إذاعية للأطفال قد بدأت بصورة منتظمة ابتداءً من عام ١٩٥١ .

وتحتل البرامج الفنية مكاناً هاماً في برامج الأطفال ، وتقدم لهم أكثر الأعمال الأدبية للكتاب المعروفيين ، إضافة إلى القصص والحكايات وبرامج لهواة الرحلات العلمية . وهناك برامج لم تصبها الشيخوخة رغم مضي عشرات السنين على مواصلة إذاعتها .^(٥)

وفي جمهورية هنغاريا الشعبية تقدم الإذاعة برامج قصص وحكايات بعنوان « تصبحون على خير » وتقدم مرتين في الأسبوع برنامجاً بعنوان « اليوم تسمعون حكاية من .. » وتستغرق الحكاية بين خمس دقائق إلى عشر دقائق .

وتقدم الإذاعة إضافة إلى ذلك تمثيليات وقصصاً على شكل أوبرات ، بحيث يؤلف كبار الملحنين الموسيقي لصاحب القصص ، وتسجل الفنانين مع فرق الأطفال واوركسترا الإذاعة الهنغارية السمفونية ، وتستغرق الأوبرات ما بين ٤٠ إلى ٦٠ دقيقة ، وتصبح بعض الأغاني فيها ذات طابع جماهيري تتعدد على أفواه الأطفال ، فضلاً عن برامج المسرحيات والألعاب والباريات والحزوارات ، وبرامج رسائل المستمعين ، وأخرى صحافية واخبارية وموسيقية .

وجاء في التقرير المقدم من قسم الأطفال بالإذاعة الهنغارية إلى حلقة برامج الأطفال في الراديو والتلفزيون التي نظمها اتحاد إذاعات الدول العربية في القاهرة عام ١٩٧١ عن مضمون البرامج :

ان الهدف الذي تسعى إليها هذه البرامج هي :

١ - مسائل اخلاقية عامة :

وتتضمن الموضوعات الآتية : احترام الآباء والمعلمين والكبار ، ومفاهيم اخلاقية أخرى متنوعة ، مثل العطف والمحبة والمرؤة والنجدة ، والتمييز بين الخير والشر وتقدير العمل . . . الخ .

٢ - انا نضع في اعتبارنا فئات السن عندما تتعرض لهذا الموضوع . ولهذا يمكن تفسير الموضوعات الآتية تفسيرات متفاوتة، وبطريقة غير مباشرة، حسب فئة العمر : الاحساس بالجماعة ، تقاليد الحياة الجماعية ، الاشتراك في حركات الاطفال ، تقدير العمل ، اختيار المهنة ، النشاط اليومي والمشاركة في العمل اليومي ، ممارسة مختلف اشكال الحياة . . . الخ .

٣ - الوطنية والاشتراكية :

تساعد الموضوعات السابقة على تنمية النزعة الاشتراكية ، ولكننا نحاول التأثير في الاطفال بتقديم نماذج نوعية . فمثلاً ، عن طريق برامج مأخوذة من واقع بيئتهم ، ومن واقع احداث بلدتهم ، ومن تاريخ الامة المجرية ، وتاريخ الحركة العمالية ، تقوم البرامج بجمع المواد الشيقية و تعرضها عرضاً شبيقاً بلغة جبليّة سليمة تسجّع الاطفال على استخدام اللغة المجرية استخداماً صحيحاً ، وتبذل عناية كبيرة لتعريف الاطفال بتاريخ ربع القرن الاخير ، وتطور هنغاريا في مجال التحرر والاشتراكية ، وحملهم على احترام ما قدمه آباؤهم وعلى مواصلة الجهد في سبيل التطور والتقدم .

٤ - المفهوم الدولي :

لا ينفصل هذا الموضوع عن الموضوعات السابقة ، لأن المواطن لا يمكنه ان يكون مواطناً حقاً الا اذا عرف الشعوب الأخرى ، واحترمها ، وتعرف الى مذاكلها ، ولهذا يكون من المهم ، حسب فئات العمر ، ان يعرف الاطفال ثقافة شعوب العالم ، وان يتعدوا عن كل نوع من انواع التفرقة العنصرية ، وان يحترموا الاتحاد السوفيتي وان يعجبوا به . وبان يعتزوا باتساقهم الى المجتمع الاشتراكي ، وبارتباط بلادهم بصداقات مع كثير من البلاد الأخرى ،

وفي الوقت نفسه يجب ان يفهم الاطفال معنى الظلم عبر التاريخ ، وان يدينووا كل شكل من اشكال العدوان ، وان يعبروا بطريقتهم وبوسائلهم الخاصة عن تضامنهم مع الذين يحتاجون الى المساعدة .

ويشير التقرير الى ان هناك قصصا وحكايات تستغرق خمس او عشر دقائق ، وتحقيقات تستغرق بين عشرين الى ثلاثين دقيقة ومواضيعات فنية تتراوح بين ثلاثين الى ستين دقيقة ، وبرامج مركبة مدتها ساعة كاملة . ومن اهم ملامح البرامج المركبة ان هناك عنصرا موحدا يربط بين الموضوعات المختلفة التي تتركب منها هذه البرامج . اي هناك وحدة عضوية بين الحكايات والفترات الموسيقية والمجلة الفنية القصيرة . وجولة الدقائق العشرة والمسرحية القصيرة وبرنامح الموسيقى المقدم من الموسيقيين البارزين ضمن برنامج مركب قوامه ساعة واحدة . وتعد اذاعة بعض البرامج بصورة منتظمة لتمكن الاطفال من الاستماع اليها نظرا لان الدوام المدرسي مزدوج .
يضاف الى هذه البرامج برامج اخرى تعليمية » .

الفصل الخامس

برامج الأطفال في التلفزيون

المبحث الأول

نظرة عامة

التلفزيون دخل أكثر البيوت ، واجتذب أكثر الناس ، سواء كانوا مدفوعين إليه للاستماع أم « لقتل » الوقت أم كانوا يلتمسون فيه بدلاً عن النشاط الواقعي الذي يرثون إلى تحقيقه عن هذا الطريق أو ذاك .. وارتبطت به العيون برباط قد يكون متينا ، وقد يكون رفيعاً وأهياً .. ومع هذا فهو أداة تأثير في هؤلاء جميعاً .

وتحتيبة للتلفزيون عناصر عديدة ، نزيد في متناة المعبر بينه وبين عيون الناس وآذانهم . فصوره التي تبدو واضحة ، وال المجال المتاح للمخرج لأن يبعث في تلك لصور أبعاداً ومعالم جديدة ، إضافة إلى قدرة التلفزيون على أن

ينتقل بعيداً عن غرفة البت ليسجل متساهد حية في أي مكان كانت ، ويعرض أفلاماً سينمائية إلى جانب أفلامه الخاصة ، وقدرته على مخاطبة الناس جمياً ، حتى أولئك الصغار الذين لم تتح لهم اعسارهم أن يتعلموا القراءة والكتابة . كل هذه وغيرها الكثير وضعته في موقع رفيع بين أجهزة الثقافة .

يعتمد التلفزيون على حاستين هما السمع والبصر ، وهما تستقبلان الصورة والحركة والصوت ، ويفوكد علماء النفس أنه كلما ازداد عدد الحواس التي يمكن استخدامها في تلقي فكرة معينة ، أدى ذلك إلى دفعها وتقويتها وتبسيتها في ذهن المتلقي « وتشير بعض تأثيرات البحوث أن ٩٨٪ من معرفتنا نكتسبها عن طريق حاستي البصر والسمع ، وأن استيعاب الفرد للعلومات يزداد بنسبة ٣٥٪ عند استخدام الصورة والصوت ، وأن مدة احتفاظه بهذه المعلومات تزداد بنسبة ٥٥٪ » (٦)

وفي الوقت الذي توفر للإذاعة ثلاثة عناصر هي الصوت البشري والموسيقى والمؤثرات الصوتية يمتلك التلفزيون إضافة إلى ذلك عناصر أخرى منها المؤثرات البصرية والخيال السينمائي وتوزيع الأضاءة ، وما زجات الصور وما إلى ذلك .

وبفضل الصورة حظى التلفزيون بشقة مشاهديه وتصديقه لهم له ، لأن الصورة من الوسائل التي قلما يرقى إليها الشك ، وحين ترتبط الصورة بالحركة والصوت فإن ذلك أكثر مدعاه إلى الثقة . يضاف إلى أن بوسع التلفزيون التركيز على التفاصيل مما يزيد في قدرته على الاقناع .

ويستولي التلفزيون على متاعر مشاهديه إلى حدما ، في الوقت الذي لا يحول فيه الراديو دون انشغال مستمعيه فكريياً أو يدوياً وبالتالي شرودهم عنه .

التلفزيون والأطفال

المؤشرات القوية التي نومىء إلى اثر التلفزيون في الكبار ، تسد الابهام قائماً لتشير إلى أن اثر التلفزيون في الأطفال أشد وأسرع من تأثيره في الكبار .

لذا نرى الاطفال يتجمعون قبالته ، وهم يتركون مقاعدهم ، عند عرض مادة مثيرة ، ليربضوا قريبا منه جلوسا على الارض ، وكثيرا ما يمدون باعناقهم اليه وكأنهم يريدون ان يكونوا اكتر قربا من مشاهده . وهم يتباينون مع حوادثه ، ويتقىصون شخصياته ، ويقلدون كثيرا من الحركات التي تأتي بها الشخصيات المؤثرة .

وتشير احصائيات عديدة من مختلف بلدان العالم ان متوسط ما يقضيه الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست سنوات الى ستة عشر سنة امام الشاشة الصغيرة نحو ٢٤ - ١٢ ساعة اسبوعيا .

وييسر التلفزيون للطفل ، بسبب جمعه بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية ، الاستيعاب من خلاله ، لما لهذا الجهاز من قدرة على تحويل المجردات الى محسوسات ، خاصة وان الاطفال اقدر على ادراك المحسوسات .

ويؤثر التلفزيون في الاطفال باكثر من طريقة منها :

- التلفزيون يكسب الاطفال انماطا من السلوك الاجتماعي في حياتهم الاعتيادية وبيئتهم المحدودة . كما انه يلعب دورا مهما - سلبيا او ايجابيا - في عملية التكيف الاجتماعي التي تسهم فيها الاجهزة الاجنبية كالاسرة والبيئة .

- يسهم التلفزيون في بلورة وتغيير الاتجاهات ، ولا يتم ذلك بالاساليب المباشرة ، بل باثاره ردود افعال عاطفية لدى الاطفال من خلال تقديم درامي ذكي ، عن طريق موازنة الافكار المقدمة وتقرير مدى جاذبيتها ونوعيتها ، وطبيعة الشخصيات التي تقدمها . مع العلم ان لكل طفل قابلية الخاصة للتأثير بالتلفزيون .^(٧)

ويهىء التلفزيون للاطفال ان يتعرفوا الى اشياء كثيرة منذ صغرهم ، منها ما هي في محیطهم ومنها ما هي بعيدة عنه . والمادة من خلال التلفزيون تمثل بديلا للخبرة الحقيقية فالطفل الذي لا تتاح له مشاهدة حياة الحيوان في

غابة كثيفة ، او سفينة شحنة تشق عباب البحر ، او مسابقة في قيادة السيارات ، يمكن ان يشاهدها من خلال الناشه الصغيرة .

وتشير بعض الدراسات الى ان الاطفال الصغار الذين يتبعون مشاهدة التلفزيون (*) يسبقون اقرانهم في التعرف الى كثير من الحقائق والمعلومات بما يوازي عاما واحدا ، ولكنهم يفقدون هذه الاسمية خلال ستة الاعوام الاولى حين يمتهنون بالحياة الاجتماعية .

وعملية مشاهدة الطفل للتلفزيون عملية معقدة تجمع بين احتياجات وافعالات نفسية عديدة منها الكبت والاعلاء والنقل والتبرير والايحاء والاستهواء والمحاكاة والتقمص .

والتلفزيون ببرامجه وافلامه ، يزود الطفل بخبرات واقعية ، وأخرى متحركة عن الواقع . ويجد في الخبرات الأخيرة هروبا من واقعه الذي قد يلاقي فيه بعض القيد ، وتنفيسيا عن الدوافع التي لا يجد لها مخرجا في حياته ، كما ان برامج الخيال تشبع كثيرا من رغباته ، اي ان التلفزيون ليس وسيلة تزود الطفل بالمعلومات والافكار والقيم ، فحسب ، بل هو ، الى جانب ذلك يسهم في تشكيل لون من ألوان السلوك . لذا يقال عن اطفال اليوم انهم اول جيل ينشئه ويربيه ثلاثة آباء ، هم : الاب ، الام ، التلفزيون .

لقد غير التلفزيون من حياة الاطفال ، كما غير من عادات الاسرة كلها ، فمعادرتهم البيت قلت ، واخذوا يسهرون اكثر من ذي قبل واصبح هذا الجهاز بمثابة وسيلة للتسلية لا تبارى . اما بالنسبة الى تأثير التلفزيون في حياة الطفل المدرسية ، فقد اجريت دراسات كثيرة حول الموضوع منها

(*) اجرى الدكتور باني الناصر والدكتور عبدالعبار توفيق البياتي عام ١٩٧٣ دراسة عن استقصاء عادات تلاميذ المرحلة الابتدائية في مشاهدة البرامج التلفزيونية وما يفضلونه منها ، ونشرت في جزئين عن مركز البحوث التربوية والنفسية في جامعة بغداد ، ويمكن للقارئ ان يرجع اليها للتعرف الى بعض المؤشرات الخاصة بتلقى الاطفال للتلفزيون في العراق

دراسة في شيكاغو اجريت عام ١٩٥١ دلت على ان ٦٩٪ من تلاميذ المدارس كانوا ينجزون واجباتهم المدرسية قبل مشاهدة التلفزيون ، و٨٪ كانوا ينجزونها بين البرامج المختلفة ، و٢٪ كانوا ينجزونها اثناء مشاهدتهم . اما الباقيون فقد كانت اجاباتهم غامضة .

وفي بحث اخر اعترف خمس التلاميذ بأن التلفزيون كان يؤدي بهم اما الى الاسراع في انجاز واجباتهم حتى يستطيعوا مشاهدة برامجهم المفضلة واما الى الهاءهم اذا حاولوا انجازها . اما الاربعة اخmas الباقية فقد ذكرروا ان التلفزيون لا يعطليهم بحال من الاحوال . ووجد ان ثلث التلاميذ يؤكدون ان التلفزيون قد ادى الى الاقلال من الكتب التي كانوا يقرأونها . اما الثالثان الاخرين فقد قررا ان عادة القراءة لم تتأثر بالتلفزيون . كما ان التلفزيون قد اثر في كثير من التلاميذ في اختيار الكتب والمجلات التي يفضلونها ، فقد اوحى الى اكثـر من ١٢٪ منهم بموضوعات جديدة ، وبالتالي بانواع جديدة من الكتب والمجلات ، واصبحوا يقرأونها بعد ان كانوا لا يعرفونها ، او يعرفون ، ولكنهم كانوا منصريـن عنها . كما دل بحث اخر على ان التلفزيون قد غرس هوايات جديدة في ١٪ عدد الاطفال وأدى الى تغيير في هواياتهم القديمة . ولكن نسبة من التلاميذ قد اجابت بأن التلفزيون قد قضى على هواياتهم نهائيا دون توجيهـهم نحو هوايات اخرى تقوم مقامها . وعلى العكس من ذلك وجد ان اربعة اخmas التلاميـذ يؤكـدون انـهم درسوا اشياء كثيرة وعرفوا امورا كثيرة عن طريق التلفزيون . فالبنات أجبـنـهنـ قد تعلـمـنـ كثـيراـ عن الطهي والحياـكةـ والاقتـصادـ المنـزـليـ وتحـسـينـ مـظـهرـهنـ ، اما الاولـادـ فقد تعلـمـواـ كـيفـ يـقـتنـونـ بـعـضـ الحـيـوانـاتـ (٨) .

وفي بحث اخر اجاب ٣١٪ من التلاميذ ان التلفزيون قد ساعدـهمـ علىـ انجازـ واجـباتـهمـ الـبيـتـيةـ المـدرـسـيةـ بـفـضـلـ ماـ يـنـشـرـهـ منـ ثـقـافـةـ . ولـوـحظـ انـ نـسـبـ منـ اـجـابـواـ بـأـنـ التـلـفـزـيـوـنـ يـسـاعـدـهـمـ عـلـىـ اـنـجـازـ وـاجـبـاتـهـمـ الـبيـتـيةـ أـكـثـرـ اـرـتفـاعـاـ لـدـىـ التـلـامـيـذـ الـذـيـنـ تـنـراـوـحـ اـعـمـارـهـمـ بـيـنـ ١٠ـ -ـ ١٢ـ سـنـةـ . كما اـكـدـ

البحث على القراءة اذ اجاب خمسا التلاميذ ان اقبالهم على القراءة قد قل ، وخمسان اخران اجابا بان الاقبال على القراءة قد استمر كما هو بلا زيادة ولا نقصان ، بينما اجاب الخمس الاخير ان الاقبال قد ازداد ^(٩)

ومن الاثار المهمة ان التلفزيون بحجزه الاطفال في المنزل بعيدا عن زملائهم الذين يلعبون معهم في الشارع وفي النادي اما يقضي على جانب كبير من جوانب التنشئة الاجتماعية للطفل ، لأن الطفل من سن العاشرة الى الثانية عشرة سيعتزم الشيء الكثير من اختلاطه بزملائه خارج البيت في جو لا يتحقق في المنزل ، كما ان المواد التي يكتسبها عن طريق تفاعله مع زملائه لا يمكن ان يكتسبها من تفاعله مع افراد اسرته ، لأن العلاقة بينه وبين افراد الاسرة تؤدي بتفاعلاته معهم الى اكتساب مواد اخرى غير تلك التي يكتسبها من تفاعله مع اقرانه خارج البيت . فتفاعلاته مع افراد الاسرة يقوی فيه رغبته في المشاركة الوجدانية مثلا ، ومن ثم الشفقة والعطف واحترام الوالدين . اما تفاعله مع اقرانه خارج البيت فيعوده على التعامل مع الاخرين وكيفية مواعيده بين موافقهم وموافقه ، مما يكون له اثر في تشكيل شخصيته . وعلى أية حال فان حرمان الطفل من اللعب مع اقرانه وتفاعلاته معهم يقلل من فرص تقوية نزعته الاجتماعية وتنشئته ، يضاف الى ذلك ان مشاهدة التلفزيون في البيت في جو من السكون المطبق من شأنه ان يقلل من فرص التفاعل بين افراد الاسرة وفرص تفاعل الاطفال مع آبائهم واخوانهم مما يؤدي الى نقص في تنشئتهم اجتماعيا عن طريق الاسرة . ^(١٠)

وكانت قد اجريت دراسة لاختيار الفروض السببية لتأثيرات التلفزيون في الاطفال في انكلترا ما بين ١٩٥٦ ، ١٩٦٥ ، وبلغ حجم العينة ٤٧٣ طفلا ، تتراوح اعمارهم بين ١٣ ، ١٤ عاما و ٤٥٤ طفلا ، تتراوح اعمارهم بين ١٠ ، ١١ عاما من اعتادوا على مشاهدة التلفزيون ، وقورن هؤلاء الاطفال مع اطفال مجموعات لها نفس الاهمية ، ومكونة من اطفال من نفس السن والجنس ومن نفس المستوى العقلي والذهني ، ومن نفس البيئة الاجتماعية

مع فرق انهم لا يشاهدون التلفزيون ، كما درس الباحثون حالة ٣٧٦ طفلاً من « نورفتشر » قبل وبعد حصول عائلاتهم على جهاز التلفزيون ، وكان هؤلاء الأطفال يجربون عن بعض الاستقصاءات ، وهم بقصد قراءة ما بين أيديهم من صحف ، كما وضعت اسئلة لعلمي هؤلاء الأطفال ، وتم تحليل محتوى البرامج التلفزيونية . ونرى من المناسب ان ننقل موجزاً على شكل سؤال وجواب لامم تأثير هذا البحث :

س - من هم الأطفال الذين يشاهدون التلفزيون في سن مبكرة جداً ؟

ج - انهم الأطفال الذين تكون لهم رغبة شديدة في انواع التسلية الجاهزة .

س - كم يخصص الأطفال من الوقت في الاسبوع لمشاهدة التلفزيون ؟

ج - من ١١ الى ١٣ ساعة في الاسبوع لدى الفريقين ، أي ان الوقت المخصص لمشاهدة التلفزيون يتعدى الوقت المخصص لاي نشاط آخر من انشطة اوقات الفراغ .

س - ما هي العوامل التي تؤدي الى التقليل من الاهتمام الموجه الى التلفزيون ومن الوقت الذي يقضى أمام الشاشة ؟

ج - هذه العوامل هي ذكاء كبير وحياة نشطة والمثال الذي يعطيه الآباء للابناء .

س - هل يتبع الأطفال عدداً كبيراً من البرامج الموجهة الى الكبار ؟

ج - نعم .

س - أي نوع من البرامج يفضله الأطفال ؟

ج - ثلاثة اربع الأطفال يفضلون البرامج الموجهة الى الكبار وبوجه خاص قصص الاجرام المثيرة والمشوقة ، اما اهتمامهم بالبرامج السياسية والافلام التي تعتمد على وثائق واقعية وبنقاشات قليل . وحتى البرنامج

الذى يقدر الجمود اكبر تقدير لم يلتفت اليه غير ثلث مجموع الاطفال .
س - هل يمكن تنمية ذوق الاطفال بأن تقدم لهم افلاما نعرف مسبقا
ان اهتمامهم بها قليل ؟

ج - لقد لوحظ ان الاطفال ، عندما لا يتوفرون الا على شبكة واحدة
للتلفزيون ، ينتهيون الى مشاهدة وتقدير برامج لم يكونوا بحكم العادة
ليختاروها من تلقاء أنفسهم .

س - ما الذى يستهوي الاطفال ويروّهم في التلفزيون ؟

ج - وجود التلفزيون دائما في متناول الاطفال يسمح لهم بقتل
الوقت .. المتعة الحاصلة من الاطلاع على الاخبار ... الموضوعات والبرامج
المألفة او الاعتيادية تطمئن الاطفال وتحمّلهم الشعور بنوع من الاطمئنان
والاستقرار ... التلفزيون يدخل التغيير ، ويحرض ويشوق ... ويتيح
الفرصة للانتعاق والافلات ... وللتعرف على النفس ... ويظهر للاطفال
شخصيات طيبة ومحببة يشعرون معها بالتعاطف .

س - الى أي حد تتأثر افكار الطفل بما يشاهده على شاشة التلفزيون ؟

ج - ان قيم التلفزيون في الاطفال تؤثر تائيا قويا عندما تقدم لهم في
شكل دراما ، وعندما تكون لهذه القيم علاقة بافكار او بقيم تكون حساسيتهم
مستعدة لقبولها ، وعندما لا يكون بامكان الطفل الحصول على اخبار او
معلومات في الموضوع من أبويه أو زملائه الاطفال .

س - ما الذي يخيف الاطفال في برامج التلفزيون ؟

ج - ان ما يخيف الاطفال هو التشخيص الواقعي للعنف ، وليس
العنف الذى يصاغ في قوالب فنية . وكذا الاحداث الخيالية لبرامج
«الرعب» او البرامج المخصصة للمجالات الخارقة للعادة . والطفل يخاف
بسهولة اكبر عندما يتفرج وحده في الظلام .

س - ما هي انماط السلوك العدائي التي تحمله - أكثر من غيرها -
الاطفال على الاضطراب ؟

ج - نادرا ما يكون ذلك عائدا الى استعمال الاسلحة النارية بل يعود
ذلك بوجه خاص الى استعمال الخناجر او السكاكين وغيرها من الالات
الحادية او القاطعة ، وكل ما يجعل الحيوانات في خطر .

س - هل تجعل هذه البرامج الاطفال عدوانيين ؟

ج - ليس هناك ما يبرهن على هذا ، الا انه لا يوجد كذلك شيء يبرهن
ان لهذه البرامج تأثيرا حسنا على الاطفال .

س - هل يحسن التلفزيون المستوى العام للمعلومات ؟

ج - نعم ، وبصورة واضحة ، وذلك عند صغار الاطفال او قليلا
الذكاء فقط .

س - ما هي آثار التلفزيون في العمل المدرسي ؟

ج - يلاحظ ان المشاهدين من الاطفال الاذكياء ، يميلون الى القيام
بعمل أقل جودة من العمل الذى يقوم به الاطفال الآخرون .

س - ما هو أثر التلفزيون في أوقات الفراغ :

ج - يلاحظ ان اصغر المشاهدين سنا يقل ترددتهم على السينما ،
ويلاحظ ان جميع الاطفال قد انقطعوا عن الاستماع للراديو خلال فترات
من الوقت ، وذلك عندما أصبح في امكانهم مشاهدة التلفزيون ، كما ان
مطالعة الكتب قد تضاءلت بدورها في البداية ، غير انها عادت الى مستوى
عادي بعد ذلك ، يضاعف التلفزيون ميل الطفل الى استقبال الآخرين عنده
في البيت ، كما اتضح ان الزمالات الطارئة وغير الراسخة تعاني بعض الفتور .

س - ما هي آثار التلفزيون في حياة الاسرة .

ج - يجعل التلفزيون افراد الاسرة يرتبطون بالبيت ارتباطاً أكبر ، دون أن يزيد في توطيد الروابط التي تجمعهم .

س - هل يجعل التلفزيون الاطفال راقدين ؟

ج - لم يكتشف الباحثون أية صحة على وجود مثل هذا الأثر .

س - هل يجعل التلفزيون الاطفال أكثر نشاطاً وفاعلية ، وهل يدفعهم إلى صنع بعض الأشياء وإلى المشاركة في بعض المسابقات وإلى زيادة بعض الأماكن المهمة ، وإلى الانصراف إلى هوايات جديدة ؟

ج - لا ، بوجه عام .

س - ما هي آثار التلفزيون في الراحة في الليل وفي البصر ؟

ج - يلاحظ في داخل الأسر التي تملك جهاز التلفزيون ، أن الاطفال ينامون بوجه عام في وقت متأخر بعشرين دقيقة . غير انهم يطفئون الانوار بسرعة أوسع ولا يلعبون إلا قليلاً في فراش النوم . ولا يوجد ، من بين الاطفال الذين لهم بصر ضعيف ، عدد من بين المشاهدين أكثر منه من بين الاطفال الآخرين (١١) .

ومهما يكن من حال فإن تنتائج حدية لا يمكن الوصول إليها عن أثر التلفزيون في الاطفال ، لأن أي دراسة من هذا القبيل تستلزم اتباع أكثر من منهج علمي في البحث ، كما تستلزم اتساع اطر البحوث لأبعاد زمانية طويلة ، لأن تأثيرات التلفزيون تؤلف مجمل التراكمات التي تترسب في نفوس الاطفال على آماد غير قصيرة . يضاف إلى ذلك صعوبة دراسة هذه التأثيرات في حد ذاتها ، وفيما إذا كانت بالفعل كآثار للتلفزيون وحده ، فضلاً عن احتمال ، اختلاف هذه التأثيرات في البيئات المختلفة مما لا يقطع بصحة تعريفها . ولكن القول الذي يبدو أكثر معقولية هو أن التلفزيون يقوى من الصفات الموجودة لدى الطفل أصلاً ، فالاطفال الكسالي يجدون فيه فرصة لللامبالاة والسلبية ، والاطفال الأذكياء يجدون فيه فرصة ذهنية لأشباع خيالاتهم

وتنمية عواطفهم ، ولغتهم ومعارفهم • وكل طفل يتأثر فيه بشكل يختلف عن الآخر •

وتلافياً لما قد يتعرض له الاطفال من سلبيات نتيجة انشدادهم الى برامج التلفزيون العامة ، هناك من يدعوا الى أن تتم متابعة الاطفال للبرامج تحت اشراف ذويهم • ولكن هذا الاسلوب يبدو غير عملي لاسباب عديدة تتعلق بالاطفال من جهة ، وبنذويهم من جهة اخرى ، اضافة الى ارتباطها بطبيعة التلفزيون نفسه •

أما الحل الأمثل الذي نراه ، فهو الاتساع في رقعة البرامج المخصصة للاطفال ، وتأثير هذه البرامج بمواد خصبية مشوقة ، والعمل على اجتذاب الاطفال اليها بشتى السبل ، وابشاع الاطفال بكل الالوان الفنية التي تتناسب ومستويات نموهم كي تزيد من تعلقهم ببرامجهم وتطفئ ظمآنهم الى برامج الكبار • الى جانب قضية أخرى ذات أهمية ، وهي : ان نضع في حسابنا عند وضع برامج الكبار أن جمهوراً غفيراً من الاطفال يتلقونها ، وعليه لابد من تهذيبها حماية لهم •

برامج الاطفال :

أمام برامج الاطفال في التلفزيون مجالات واسعة تغنى الاطفال ثقافياً وترى حياتهم ، وتزيد في متعتهم • فالقصص والحكايات والتسلسلات والمسرحيات والشعر والموسيقى والفناء والاخبار والمسابقات والألعاب الفردية والجماعية والهوايات وسير الابطال والمبuden ، كلها تتبع لثقافتهم ان تنمو وتبذور ، وتسهم في تنمية قدراتهم اللغوية والعاطفية والاجتماعية والنفسية ، وتشارك في تربيتهم الخلقية ، وتشيع في تقويمهم البهجة ، وتدفعهم الى التفكير الاشائي •

وبرنامج الاطفال الجيد ، هو الذي يشيع شيئاً من خيالات الاطفال ويجعلهم اكثر احاطة بيئتهم وعالمهم الذي يعيشون فيه ويلتزم باسس منها :

- ان يتسع البرنامج لالوان أدب الاطفال المناسب للتلفزيون ليشكل اضماماً ملونة ، وان تراعي فيه الخصائص الفنية لكل لون ادبي نسبة الى امكانيات التلفزيون .
- ان تستخدم امكانيات التلفزيون بشكل فني دقيق بما يتفق ومراحل نمو الطفولة ، كاستخدام المؤثرات البصرية والحيل السينمائية ، وان تشيع الحركة والحيوية في البرنامج كلها .
- ان تتخذ البرامج لها خطاباً فكرياً واضحاً ، وان لا تتحسر أية مادة حشرها مهما كان لها من أهمية .
- ان تستخدم اللغة العربية الفصيحة السهلة التي تناسب ثروة الاطفال اللغوية ، وان لا تستخدم اللهجة المحلية الا في أضيق نطاق .
- ان تنتقى الموضوعات الخيالية بحذر ودقة لتنمية ملكة الخيال التكوييني لدى الاطفال بما لا يتيح المجال للجنوح الى مستوى التوهم والخيال المدحوم .
- ان لا تكون الاثارة التي ينبغي أن تتميز بها البرامج على حساب استدرار انتباه الاطفال واجتذابهم الى مستوى الانقياد .
- أن يتم الابتعاد عن الاسلوب الخطابي والتعليمي ، وان تكون المساحة الفنية هي الاسلوب الاكثر شيوعاً .
- ان يتلاءم ، شكلاً ومضموناً - مع مستويات نمو الاطفال ، وهذا يقتضي أن يكون هناك لونان من البرامج على الأقل ، لون للاطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ٣ - ٦ سنوات ، ولون آخر لمن هم بين ٦ - ١٢ سنة . والاكتفاء بتقديم برامج لمرحلة الطفولة المتوسطة والمتاخرة فقط (بين ٦ - ١٢ سنة) يجعل الاطفال الصغار في حيرة تبلبل أفكارهم في حالة

مشاهدتهم لها ، وفي حالة عزوفهم عنها فاننا في هذه الحالة تكون قد ارتضينا التضحية بوسيلة هامة يسكن للاطفال الصغار أن يتذمروا بها .

وفي حالة تقديم برامج للاطفال الصغار فقط تكون بهذا قد ارتضينا للاطفال الكبار السخرية منها ومن ثم العزوف عنها .

وهناك من يدعوا الى برامج عامة تلائم كل اذواق الاطفال على مختلف مراحل طفولتهم . ولكن هذه الدعوة تضاعف المشكلة لانها تسبب نفور الاطفال عموما منها او عدم تعلقهم بها . يضاف الى أن اعداد برامج للاطفال تلائم كل الاطفال هو أمر غير ممكن أساسا ، لاختلاف الاطفال وفق أطوار نسوبهم المختلفة من جوانب عديدة .

وعلى هذا فهناك آراء تؤكد على أن تصميم البرامج الموجهة الى الاطفال دون السادسة من العمر بحيث تحقق اهدافا ابرزها (١٢) :

١ - «ندعيم التواصل الوجداني بين الطفل والديه وأخوته المحظيين

به .

٢ - تنمية احساسه بالثقة في الذات وفي الآخرين .

٣ - نعرف الطفل على جنسه (ذكر ام انثى) وتوحده معه .

٤ - مساعدته على تكوين مفاهيم بسيطة عن الواقع المادي والواقع الاجتماعي .

٥ - استخدام القواعد البسيطة المتعلقة بالامن والسلامة والصحة .

٦ - تعلم التمييز بين ما هو مقبول (صواب) وما هو غير مقبول (خطأ) ، واحترام القواعد والنظام .

وان تستهدف البرامج الموجهة الى الاطفال من ٦ - ١٢ سنة تحقيق اهداف ابرزها .

- ١ - ان يكتسب الطفل معرفة أشمل وفهمًا أعمق للعالم المادي والاجتماعي •
- ٢ - مساعدة الطفل على تكوين اتجاهات سوية نحو فكرته عن ذاته •
- ٣ - ان يتعلم دورا اجتماعيا ذكري او انثوي مناسبا ، مع مراعاة عدم تمجيد جنس وتحقيق جنس آخر •
- ٤ - معاونة الطفل على ترقى الضمير والاخلاق وتكوين مقياس مدرج من القيم •
- ٥ - تنمية اتجاهات سوية نحو المجموعات والمنظمات الاجتماعية التي يتتألف منها المجتمع الوطني الذي يعيش فيه الطفل ، وتشجيعه على الالتماء الى بعضها بقدر طاقته ومستوى نضجه •
- ٦ - تعلم الحصول على مكانة بين رفقاء السن الواحدة والمحافظة عليها ،
- ٧ - تعلم الاخذ والعطاء والمشاركة في المسؤولية •
- ٨ - تنمية اطراط تقدم الطفل في انجاز الاستقلال الشخصي »
- يضاف الى ذلك ضرورة تنمية عواطف الطفل وتهذيب ضميره وانفعالاته على مراحل متتابعة ابتداء من مرحلة ما قبل المدرسة مرورا بالمرحلة المتوسطة وانهاءً بالمرحلة الاخيرة ويدخل في اطار ذلك تنمية حب الوطن وحب القيادة المخلصين والعلماء المبدعين والعاملين المخلصين والامناء وحب الامال الوطنية وحب العمل الخلاق ، وما الى ذلك • اضافة الى تهذيب الضمير والعواطف والانفعالات الاخرى كالخوف والغضب وما اليها •
- ومن الضروري تناول كل ما من شأنه تنمية عقل وجسم الطفل وتربيته بوليتكنيكيا عن طريق تعريفيه بالمبادئ الاساسية للعمل والصناعات ، وتنشئته عليها •

- ان يكون الماملون في ميدان برامج الاطفال عموماً مؤهلين لعملهم ، سواء كانوا كتاباً أم مخرجين أو ممثلين أو مقدمين او فنيين آخرين ويتضمن ذلك ان يكونوا على درجة من سيكولوجية الطفولة و حاجتها واهتماماتها .
- مراعاة الشمول في برامج الاطفال بحيث تتحقق ثقافة عامة للاطفال في جميع المجالات ، و تدربهم على التفكير الانساني
- ان يكون مقدمو البرامج على درجة عالية من الثقافة واللباقة والقدرة على التحدث بسلامة ، و ان تبني من الاساس علائق حميمة بينهم وبين الاطفال .

المبحث الثاني

شكل ومضمون أدب الأطفال

شهدت السنوات الأخيرة اهتمام محطات التلفزيون ببرامج الأطفال اهتماما بالغا حتى اطلق على طفل اليوم انه الطفل الالكتروني لاعتماد جوانب من نموه على التلفزيون بشكل من الاشكال . ونعرض صورا سريعة عن بعض برامج الأطفال في عدد من بلدان العالم :

في الاتحاد السوفيتي :

تذاع البرامج التلفزيونية في الاتحاد السوفيتي من أعلى برج في العالم ، وتبث من أكثر من ١٢٠ ستوديو ، وتشاهد في مساحة يشغلها ٧٠٪ من الشعب السوفيتي .

وتحاطب برامج الأطفال جمهورا تتراوح اعمارهم بين ٤ - ١٧ سنة لتنشئتهم واعدادهم للدفاع عن الوطن وغرس الولاء للنظام للمجتمع . وكانت برامج الأطفال قد بدأت في الاتحاد السوفيتي بصورة منتظمة ابتداء من عام ١٩٥١ . ويتم التخطيط لهذه البرامج استنادا إلى دراسة جمهور

الاطفال وحصائل علم نفس الطفل وخبرات التعليم ، ويساهم في اعدادها كتاب كبار ٠

وجاء في البحث الذي قدمه فيكتور كريتكوف مدير برامح الاطفال في الاتحاد السوفيتي الى حلقة برامح الاطفال في الراديو والتلفزيون الذي نظم تحت اشراف اتحاد اذاعات الدول العربية :

« .. عند اعداد البرامح فاتنا نوفق بين نشاطنا ونشاطات المؤسسات الحزبية ومؤسسات منظمة الكومسومول (الشباب) والهيئات العلمية واجهة التعليم والصحة العامة . وكقاعدة عامة يساهم في هذه البرامح اكثرا الكتاب شهراً كاماً يسمهم فيها العلماء ، والقادة العسكريون البارزون وابطال الرياضة المعروفة ٠

وتوجد ضمن برامح الاطفال في الراديو والتلفزيون السوفيتي برامح سياسية واجتماعية وبرامح علمية وموسيقية ورياضية ، وهناك برامح تلفزيونية لذوي الاعمار الصغيرة من الاطفال ، وهي تبني قدرتهم على التصور ، وتوقظ فيهم الخيال والميل الى التكنيك ، ولهذه البرامح صفة التسلية واللعب » ٠

وتذااع برامح الاطفال على محطة التلفزيون المركزية على ثلاث قنوات في اليوم ، وتذااع هذه البرامح في الصباح والمساء ، كما تقدم قصة مدتتها ربع ساعة كل مساء ٠٠٠٠

ومن بين تلك البرامج « الايدي الماهرة » الذي يستهدف ان يكتسب الاطفال حب العمل ، وهو يعلم الاطفال الصغار على اللعب والاشياء المسلية من الورق والخشب والبلاستيك ٠

ومن اكثر البرامج شهرة ذلك الذي يذاع ايام الاحد ويسمى « المنبه » وهو يضم العديد من الطرائف والاغاني والرقصات ، ويستهدف خلق مزاج طيب نشط في العائلة وخاصة لدى الاطفال »

رسالة بحثية بعنوان «الاتصال في الانسحاب السوري من إدلب»، من عام ٢٠١٧م.
المؤلف: د. عاصي عصي، بحاثة نشأة معاذنة، «رسالة ارشادية»، «رسالة ارشادية»،
أرجو قراءتها إلى البطل الصنف.

فِي الْمَأْتِيَّةِ الَّتِي وُجِدَ فِي أَعْلَمِهِ :

فالمجتمع الإنساني محتاج لإنسان يسلونه بارداً، وإن تردد على تناوله
الحياة، وبالغسل وحده يستطيع الإنسان أن ينفع، فهو يعتمد إما على ذاته
وهذا المفهوم هو منطلق العاملين في برامجنا الائمة، منه الائمة بالانطلاق ..
ونحن نحاول أن نختار موضوعات واساليب لبراءة اقتصاد قتابا عمليا في
المجالين العقلية والاجتماعية ..

والشرط الأساسي الذي يخدم هذا الغرض هو الاحساس المرهف ، والاسلوب الواضح ، واللغة التصويرية المفهومة ، والرجح المقنع بين الصوت والصورة . وهذه جميعاً تؤدي الى ايجاد موقف فعال ، فعند تحديد الهدف العلمي لبرنامج اذاعي يجب عدم الوقوف عند حد صياغة الموضوع والمشكلة

والسراج ، بل يجب على من يخرج البرنامج ومن يسلح معه أن يحاولوا الرد على هذا السؤال : ما أثر هذا البرنامج في عقل الراهد وتفكيره وسلوكه ؟

وتهارى التردد ان كفاح الطبقة الكادحة يترك بصمات راذعة على سرناه والتلفزيون الاشتراكي ، كأدلة للطبقة الداية ، يجب ان يتمكّن كفاح هذه الطبقة عن درايسيا في برايم ، ومن الواضح ان المذاعة الاشتراكية لا بد ان تكون غالبة على جميع برامج التلفزيون .

ارى مساعدو برامج الاممال على شاشة التلفزيون الاحداث الاجتماعية المائمة لنطاقنا بلادنا والبلدان الصديقة كما يرون مهرجانات الشباب ، وال棠ية وبالليل ، الرياضة والمرحجانات ولقاءات التقانة .

ويحقن نتف الروم في بداية الطريق ، لمرحلة جديدة من التقدم ، فتقى خلقنا في بيورتنا في هذه السنوات ، نظاما متقدما من الاشتراكية نيرز فيه الثورة المائية والفنية .

وديي هذه المهمة النازية اسئلة عديدة للمسؤولين في الصحافة والفن وأنتبهي برامج التلفزيون - واخض هذه الاسئلة هو ما هي المحتويات والأهداف والاساليب التي تحتاج اليها لكي تكون برامج الاطفال في التلفزيون معايرة لمتطلبات المجتمع في السين القادة .

ولا شك في ان التلفزيون لا سكن ان يظل نشطا الا بدخول افكار جماليات بصفة مستمرة ، والاتاج اليومي للافكار الجديدة هو بمتابعة الخبر اليومي لرجال التلفزيون . ولكن ذلك لا يكفي ، فعل اساس تقدمنا الاشتراكي المخطط مسبقا يجب اعداد انواع جديدة من البرامج وخلق شخصيات جديدة يتعاطف معها الاطفال المشاهدون .

هناك برامج معدة لطلاب المدارس ومقسمة وفقا للاعمار وبرامج خاصة للاطفال وآخرى للشباب . ويقدم التلفزيون تحية المساء للاطفال في برنامج مدته من خمس دقائق الى سبع دقائق يضم حكايات وتجارب وملحوظات ،

ويقوم « رجل الرمال » وهو اسم البرنامج واسم الشخصية الاسطورية التي يقوم عليها البرنامج بذر الرمال في عيون الاطفال كي يخلدوا الى النوم بهدوء . . . ويعد هذا البرنامج من احب البرامج للاطفال ، ويعتبر جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية لآلاف العائلات .

وهناك مسلسلة اخرى للاطفال تعرض في نهاية كل اسبوع بعنوان « المعلم الخياط يروي الاقاقيص » ويتضمن صورا متحركة من جميع انحاء العالم في اطار جديد متتنوع يظهر فيه المعلم - وهو شخصية خرافية ألمانية بصحبة الدمى - وقد ثبت منذ امده بعيد التأثير الكبير للدمى في الاطفال ، ولدينا عائلة كبيرة من هذه الدمى تمتلك قلوب الاطفال الصغار ، وهي تظهر في حلقات « صديقي الجندي » والحلقات التي يشترك فيها ممثلون معروفون مع الدمى ، وتتناول مشاكل الطبيعة والمجتمع .

وبالنسبة الى البرامج المخصصة لنفائذ الاطفال من الاعمار المتوسطة تقدم برامج ومسلسلات منها مجلة الرواد « صندوق الدنيا المعاصر » وتعتمد على عرض جهود الاطفال افسهم ، ومهمتها المساعدة في تعليم الاطفال ، وتنظيم تبادل الخبرات بين الاطفال ، وعرض افلام تتصل بجميع الميادين كالسياسة والتكنولوجيا والثقافة والرياضة . . . وتقوم بالتعريف بحياة الاطفال في البلاد الاجنبية .

اما المسلسلة الاجنبية فعنوانها « مع البروفسور فليميريش » وتقدم فيها بصورة رئيسية افلام تعليمية وتسجيلية ويقوم البروفسور فليميريش بشرح الافلام للاطفال . . . وهو يقدم لهم النصائح والارشادات اثناء ذلك . . . اضافة الى برامج اخرى رياضية وفنية وموسيقية . . . »

ويقدم التلفزيون حوالي ١٥٠٠ دقيقة في الشهر للاطفال بمعدل نصف ساعة كل مساء ، وفي ايام السبت والاحد يقدم برنامج صباحي اخر امده

ساعة واحدة ، بالإضافة إلى البرنامج اليومي الذي يستمر من خمس إلى ست دقائق والذي يتولى « ساندمان » تقديمها .

وتهتم برامج الأطفال في التلفزيون بتقديم البرامج الخاصة بالألعاب الجماعية ، داخل المنزل وخارجها إيماناً منهم بأن الأطفال يتعلمون الكثير من خلال اللعب .

والتلفزيون يقدم خطته التفصيلية ، ويتم التنسيق بين هذه الخطة ، وخطبة برامج الابطال في الإذاعة ، وذلك باشراف الأجهزة المختلفة مثل منظمة الطلائع والشباب ووزارة التعليم ووزارة الثقافة^(١٤) .

وقد سئلت احدى المعنيات بشؤون برامج الأطفال في التلفزيون في المانيا الديمقراطية عن أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر لبرنامج ناجح للأطفال ، فقالت :

« إن يكون برنامجاً واضحاً ، يتناول موضوعاً ، ويعالجه بوضوح ، وينجح في أن يصل بالموضوع إلى الطفل .. وان يتتوفر له عنصر التسلية ، وفي نفس الوقت يتيهأ له ان يشجع الأطفال على التفكير ، ويضم شيئاً من العلم ، ويعطيهم خيطاً يبدأون منه التفكير والبحث ومعرفة أشياء جديدة .. ومن عوامل نجاح البرنامج أيضاً ان يحس الطفل ان له صديقاً في البرنامج يستطيع ان يثق به » .

وحين سئلت عن أهم الصفات التي يجب توفرها في مقدم برامج الأطفال ، أجبت :

« اهم اساس بالنسبة إلى مذيع الأطفال ان لا تكون صلته بالبرنامج مجرد رغبة في الظهور على الشاشة الصغيرة ، بل يجب ان يحركه ويدفعه للعمل حب حقيقي للأطفال ... المهم ان لا يظهر في البرنامج ليقول كلمات يحفظها او يقرأها ... الافضل أن يكون قادراً على الارتباط بالأطفال وفهمهم ، وعقد صلات شخصية معهم ... ويلجأ التلفزيون عندنا الى وسائل كثيرة لعقد

جَلَّ عَظَمَتِي

٣٠٣- التأهيليون البريئاني البرامج للأطفال ابتداءً من سن الثالثة .

وتغدو بعدها الأذانة البريلية خمسين الثانية لهم كل سنتها من
أدبيها النافذة، ونذكر برامج الأطفال ١٠٪ من جملة برامج النساء
الأولى، ولاتختلف عن هذه النسبة برامج كثيرة مخصصة أسلنا للأسرة
من خلال حلقات أيام الأحاديث التقليدية أو القصص العلية التي تعرّض يوم السبت
التي يقتصرها عدد كبير من الأطفال مع أسرهم.

وذلك موجهاً سبعة رؤساء قسم برامج الإنماء في هيئة الأذانة البريدية في تقريرها إلى حلقة اتصال إذاعات الدول العربية:

« .. اذا استثنينا النشرات الاخبارية، يمكننا اعتبار برامج الاطفال في التلفزيون البريطاني B.B.C. كأنها صورة محسنة لقناة تلفزيونية كاملة .. فكل نوع من البرامج يمثل فيها ، فهي تجمع بين التسلية والتوعية واثارة الخبراء ، وتقديم الافكار الجديدة لتشجيع الاطفال على اختلاف اعمارهم ومستويات تحصيلهم واهتماماتهم ..

وَكُثِيرٌ مِنْ بُرَامِجْنَا ذُو طَابِعٍ تَربُويٍّ بِأَوْسَعِ مَا فِي هَذِهِ الْكَلْمَةِ مِنْ مَعْنَى ،
وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ تَعْلِيمِيَّةً ۝

ويعرض التلفزيون افلاما الى جانب برامج خاصة بألعاب الأطفال مثل (مدرسة اللعب) وبرامج رسائل الأطفال واقتراباتهم وتعليقاتهم واستئتمهم وبرامج للقصص والتمثيليات والأشعار والاغاني والموسيقى ، واختراعات الأطفال ورسومهم .

ونحن لا ذكر لا إله إلا في البرامج كممثلين محترفين ، لأننا لا نريد
أن نستغل المروءات الذاتية ، أو تسييد بها أكثر مما ينبغي ، حتى لاتثير غيرة
الآباء ، الآخرين الذين لا يملأ لهم في الظهور يوماً في برنامج ، وحتى لأن تكون
هذا ، لـ «أبا الكبار» ، بل ندخل استثناء فنيين محترفين لهم خبرتهم في
دبلوماسيات رفقاء ، المكانية الفنية .

وهذا ، برأيي ، ناجي بالإنفاق السنار الذين لهم يصانوا العسر الذي
يُبذّل لهم لإنجاز المدارس ، وتقديم لهم حلقات مسلسلة مثل «شاهد مع أمك»
ـ برامجه المائية ، تربية الآباء ، في رياض الأطفال ، وبرامج خاصة تتضمن
ـ دراما وتنمية بشرية ، «إلهي الطفل الصغير» ، عن طريق المرح والتكرار ،
الرقة ، الإيجابية والآدلة ، رئيس المفاهيم الأساسية » .

في، الله ألا يزبوره :

أبرز ما يميز برامج الأطفال في تلفزيون الدانمرك شخصيات رباع ساعة
يومياً لفترة انبارية للأطفال بدأ بتنفيذها ابتداءً من عام ١٩٦٩ موجهة إلى
الأطفال ما بين ١٠ - ١٢ سنة ، لتزويدهم بقدر كافٍ من الآباء ، ليكونوا
على استعداد لفهم البرنامج الخبري الرئيسي فيما بعد . والمادة التي نفعها
الفترة الخبرية لا تؤخذ من عالم الأطفال ، بل تغطي نفس المجالات التي
تناولها نشرة الأخبار الرئيسية في التلفزيون . وينم انتاج الفقرة الخبرية
المخصصة للأطفال بالمشاركة بين قسم برامج الأطفال وقسم الأخبار ، وتم
حياغة الأخبار بصيغة جديدة ، ويقدم ربع هذه الفقرة مصحوبة بتعليق على
الآباء وتفسير لها . كما تتبع أساليب فنية مناسبة لزيادة تقويب الأخبار
إلى الأطفال .

وقد وجد أن ٥٣٪ من الأطفال في ذلك العمر يواكبون على مشاهدة
هذه الفقرة الاخبارية (١٥) .

الفصل السادس

لِفَلَامِ الْوُصْفَاتِ فِي السِّينَمَا وَالْتَّلَفِيُونِ

المبحث الأول

الافلام والاطفال

تنتقل الافلام السينمائية والتلفزيونية بالاطفال الى دنيا بديلة ، وقد تكون تلك الدنيا قرية الى دنيا الطفل بعض القرب ، وقد تكون بعيدة عنها كل البعد .. وقد يحيا الطفل تلك الحياة بعض الوقت او يحلم بها او ينفر منها او يخافها .. وفي كل حالة من هذه الحالات يتأثر الطفل بها ، قليلا ام كثيرا ، لحظات عابرة ام عمره كله ..

وحين تنتقل الافلام بالاطفال الى دنيا الواقع ، فانهم يتعرفون على الناس وعلاقتهم وطباعهم وابداعاتهم وافكارهم وآمالهم في كل الاماكنة وعبر

مختلف الاذمنة .. ويتعرفون الى عالم الحيوان ، وظواهر الطبيعة .. وحين تنتقل بهم الى دنيا الخيال فانها تطلق لاذهانهم ان تحلق بعيدا في الافق ..

والسينما ليست اداة للهو الاطفال وامتعهم فقط ، بل هي اداة فاعلة من أدوات ننميتهم عقليا وعاطفيا واجتماعيا وخلقيا ، ووسيلة من وسائل ثقافتهم ، وهي فن يخدم « جمهور الاطفال » ويسيهم في تأصيل كثير من القيم والمفاهيم .. وعلى هذا فسينما الاطفال ليست اداة « لقتل » فراغ الاطفال ما دامت فنا رفيعا ..

وشتان بين نظرتين على مستوى العالم في هذا المجال ، الاولى ترى فيها اداة من أدوات تشكيل الطفولة تشكيلا سليما ، والثانية ترى فيها اداة للربح المادي .. وتصدر هذه الاخرية اصحاب رؤوس الاموال والشركات التجارية في البلدان الرأسمالية الذين ينتجون افلاما للاطفال بقصد الربح المادي قبل كل شيء .. وترجمة لهاتين النظرتين تبدو سينما الاطفال في العالم الاشتراكي كفن في خدمة الجمهور وتأكيد قيم المجتمع الاشتراكي ، بينما تبدو في العالم الرأسمالي تجارة مربحة ..

وقد اثبتت تجارب عديدة ان الاطفال يفضلون السينما على غيرها من الفنون^(١٦) وهذا يدعونا الى الاهتمام بهذا الفن اهتماما كبيرا ، والعمل على استخدامه كوسيلة من وسائل ثقافة الاطفال ، وبنفس الوقت ، الى العمل على حمايتهم من تأثير الافلام الضارة التي تفسد ضمائرهم واحسانتهم وتفكيرهم ..

وهذا الاهتمام يعني في الاساس ، التفكير في انتاج افلام للاطفال ، ومع ان صعوبات كثيرة تقف امام انتاج مثل هذه الافلام ، الا انها لا تبرر اغفال هذا الجانب اغفالا تاما ، لانه يؤلف جزءا من قضية التناول الاشتراكي للفنون والآداب .. ولا يكفي أبدا أن نعمل من اجل حجب الافلام التجارية عن أعين اطفالنا ، لأن هذا ليس الا جزء هامشيا من المشكلة ..

وقد اهتمت بـبان العالم المتقدمة باقتراح افلام الاطفال من رومان ديلان حيث بدأ الاتحاد السوفيتي باقتراحها من عام ١٩١٩ ثم اقيمت نادي اول فلم للاطفال عام ١٩٢٠ ، واليابان عام ١٩٣٤ .

وبعد العرب العالمية الثانية لاقى انتاج افلام الالطالق رواجا ، فما تبعته في بعض البلدان المتقدمة افلام تمثيلية وتسليمية وافلام قصيرة للاناشيء الجساتية والرسوم المتحركة والادمى *

ومن مؤسسات انتاج افلام الاطفال الكبرى في العالم مؤسسة والت ديزنى في الولايات المتحدة الامريكية ، ومؤسسة (سبي سبي اف اف) في بريطاانيا واستوديوهات مكسيم غوركى في الاتحاد السوفيتى .

الافلام الاجنبية:

نجزو محطات التلفزيون ودور السينما في الوطن العربي وفي القطران النامية عموماً، افلام اجنبية، وتحظى الافلام الامريكية بحصة الـ 60%، بل أن رقعة الافلام الامريكية الخاصة بالاطفال تمتد الى اوربا الغربية أيضاً.

وكان من نتيجة ذلك أن اشتد السخط ضد تلك السبيل المخربة التي تجتاح اذهان واخيلة الاطفال ، فعملت بعض البلدان من أجل الحد منها ، والتفكير الجدي في انتاج افلام محلية . اما بالنسبة الى بعض البلدان الاوربية الغربية فقد بدأت بتقديم البديل ، وكمثال على ذلك ان التلفزيون اليطالي استبدل الكارتون الامريكي ميكى ماوس او فرافيرو بفار آخر هو توبو جيجو ، وهو ليس رسوما متحركة كما هو الحال في ميكى ماوس

بل هو عرائس ، كما انه اعتيادي وليس خارقا ، وقد وجدت هذه الافلام كثيرا من القبول لدى الاطفال الطليقان والاوربيين الغربيين ومنطق المختر الاول في الافلام الامريكية يكمن ، في الاساس ، في الاتردة الى القائم ، ففي الرقة الذي يبني لانا النظر فيه الى الفلم بكونه اداة تنبؤية سلوكية وعماضبة وفنية . فان الفلم الامريكي يمثل سلعة ، الهدف منها السبورة على الاسواق ، وهو لا يهدف الى ملوك التنمية التي تنسدها بل يراد به الاستيلاء على عقول الاطفال واستماماتهم ومساعيرهم ، وهذه نقطة ذات شأن ، برافعها وبعقبها الحصول على مزيد من الارباح .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فانه مثل تلك الافلام الذي تستخدمن حيلاً ومؤشرات صوتية وصورية تثير الاطفال وتجذبهم ، الا انها في نفس الوقت اداة لصرف الاطفال عن واجباتهم ، اضافة الى انها لا تقدم لهم التقييم والمعاهدات التي نريد ، وحتى لو تضمنت جوانب ثقافية ، فقد لا تكون هي الجوانب التي نريدها لاطفالنا . وعلى ذلك ففي كثير من الاجانب تكون مثل هذه الافلام اداة لمحو ما نطمح الى تبييه في اذهان اطفالنا من فيم ومعاهدات ومؤشرات ثقافية .

والنقطة الاخري ، هي اننا لا يجوز لنا ان نفهم الفلم على انه صناعة لذاتها ، انه ولاشك فن من الفنون . ومتى نحوال الفلم الى صناعة لذاتها خرج على الاطار الذي تتناوله ، باعتبار اننا تتناول ادب الاطفال الذي يتسلل الفلم وسيطا بين هذا الادب والاطفال .

وقد يقول قائل ان مثل هذه الافلام ، ساخرة ، جذابة ، ميره ، ينسابق الاطفال الى مشاهدتها . ولكن هذا المنطق يظل واهيا ما دمنا نسعى الى فلسفة واضحة الابعاد لثقافة الطفل . وعلى هذا فان ما لا ينضوي تحت تلك الملاعة ، وما قد يشوش الصورة في ذهن الطفل ، لابد ان يعد غريبا على عالم الطفل . أما بالنسبة الى انسياق الاطفال وراء تلك الافلام وشغفهم

بمشاهدتها ، فإن هذا لا يكفي وحده ، لأننا ينبغي أن نقرر بأنفسنا أبعاد ثقافة الطفل وفق الأسس النفسية والاجتماعية لأطفالنا ووفق الخطة التي وضعها لفلسفتنا . . أما الأطفال فلا يمتلكون القدرة على ذلك ، وفي كثير من الأحيان ينساق الأطفال وراء كثير مما يلحق أفعى الأضرار بهم .

وأغلب الأفلام الأمريكية الخاصة بالاطفال - غير افلام الكارتون والدمى - تحاول تصوير جوانب مشرقة من الواقع الأمريكي ، والهدف من ذلك هو فصل الأطفال في بلدان العالم الأخرى عن واقعهم وربطها بغرام الحياة الأمريكية . وواقعية هذه الأفلام ليست مذهبها فنيا ، بل هي رأي سياسي واقتصادي .

ويرون الأطفال في العادة إلى تقليد جوانب من تلك الحياة كالتقليد الذي يظهر في ملابسهم وطريقة حياتهم ، ولاشك ان صناع السينما في أمريكا قد نجحوا اقتصاديا في جذب الاف من الزبائن الذين اقبلوا على الصناعة الأمريكية . فالفتاة تريد ثوبا كثوب البطلة ، والفتى يريد ربطه عنق تشبه ربطه عنق البطل . وفي حالة عدم تحقق ذلك للفتى او الفتاة ربما يؤثر في مزاجه ، ويثير مشكلات ضمن الاسرة .^(١٧)

وليس هذا فقط ، بل ان كثيرا من الأفلام الأمريكية ، وخاصة البوليسية منها هي في واقعها افلام دعائية لشركات ومؤسسات تجارية ، حيث تظهر فيه اشكال منوعة من السلع والمنتجات التي يرسيل لها لعب الأطفال .

ولا شك ان التقليد في الجوانب الأخلاقية والفكرية هي اخطر وقعا من التقليد في الملبس او المأكل .

ومن ثالفة القول الاشارة الى انه حتى الأفلام التي يقال عنها أنها تستهدف الامتاع واساعه المرح فقط ، هي في واقع الحال تحمل في اطوالها قيمها ومفاهيم معينة والوانا من الحياة الاجتماعية وانماطا من العلاقات ، وهذه كلها تعلق مع الفلم بشكل او باخر وبالتالي تناسب الى اذهان الأطفال .

ولهذا نجد فلمين مختلفين لنص سينمائي واحد في حالة اتنا جهمما في مجتمعين مختلفين ، وكمثال على ذلك ما نجده من اختلاف بين فيلم « هاملت » البريطاني و « هملت » السوفياتي حيث عولجت نفس القصة بطريقتين مختلفتين .

و اذا كنا قد ركزنا على تبيان التأثير السلبي للافلام الامريكية ، فان هذا هذا لا يعني ان الافلام الاوربية الغربية تختلف عن الافلام الامريكية كثيرا ، بل هي في الغالب ، تميز بذات الخصائص ، وان كان الفيلم الامريكي اكثر ايجالا في السعي للاستحواذ التجاري والطغيان الفكري .

ومن خلال حديثنا عن الافلام الامريكية والاوربية الغربية ، قد يبدو اننا ندعوا الى حجبها عن جمهور اطفالنا حجباما ، ولكننا في الواقع لاندعا الى هذه الدعوة ، لا ننا بهذا كمن يريد ان يضع الاطفال في عالم ضيق الجنبات ويعزلهم عن العالم بعيد ، ويحجب عنهم حياة الاخرين وتقاليدهم وازياءهم وموسيقاهم ورقصاتهم وهزائهم وانتصاراتهم . . . هذا مع العلم ان الطفل متغوف بآداب البلاد البعيدة ويحسره دوما ان يتعرف على الناس وكيف يحيون ويفكرن في مختلف بقاع العالم . . . نحن ندعوا الى اتقاء ما يصلح لاطفالنا بتحفظ شديد وفق خط فكري نخذه لثقافة الطفل .

المبحث الثاني
استجبابات الأطفال
لأفلام الجريمة والعنف

اكثر الدراسات والبحوث تربط بين بعض « جرائم » الأطفال وبين بعض الأفلام السينمائية والتلفزيونية . وهناك دراسات تقول ان للأفلام دورا مباشرا في تلك الجرائم ، واخرى تقول ان لها تأثيرا ثانويا فقط ، اذ هي تساعده على بلورة بعض الميول الاجرامية لدى الأطفال وثالثة ترى ان الأفلام هي تحصين للطفلة من الانسياق نحو الجريمة .

وهنا ، لا بد من الاتباه الى نقطة مهمة ، وهي انت اذا سلستنا باتر الأفلام في دفع الطفل الى الجريمة ، فانه ليس بالضرورة ان تكون مضامين تلك الأفلام متناولة الجريمة ، فقد تؤثر أفلام بعيدة عن الجرائم الاغنيادية في خلق عالم وهمي للطفل يجد نفسه فيه مهياً لاقتراف الجرم .

وهناك نظرية ترى ان الأفلام المحافلة بالصور التي تسلل حياة الترف الخيالي الذي يوفل فيه ممثلو السينما ، مع ابراز حياتهم الخاصة تبعث الضجر في نفوس المراهقين الذين يعيشون في محيط فقير ويسكرهم ذلك النعيم

وينما ذكر في الفيلم أن الأفلام لا تحدث إثارة ضارة إلا إذا كان الفيلم مملاً للأفلام الأخرى الذي يعيشها باعنة والذي لم يفهمه أو لا يهمه، بينما يدخل الأفلام به إلى الاكتئاب النفسي أو المرض.

والمزيد من كل الدراسات العالمية بافر الناتج على انحراف الملايين ، على
ان اراد ان الامر اداه الاجرامي له اسلوب اكشن بعدها ، وجذوره اكثراً عمقاً في
النحوين المستند عليه ، بالاضافة الى عوامل تشكلها اسرة العاجز نفسه او
ادعاؤه ، وكل الذي يضفيه الفلم الى الطفل هو اسهامه في الانحراف .
ولا يتكون تأثيره الا في الطفل المهيئ للانحراف ، فمثلاً يمكن للفلم ان يطلع
ال طفل على وسيلة واسلوب للسيطرة او الضرب مثلاً ، ويؤدي للطفل ببعض
الانحراف التي ترسي رغباته في العداء على حساب ضحية مماثلة او مشابهة
لضحية التي يشاهدها في الفلم . فاما كان الفلم مثلاً يوحى باستخدام
الايدي او الاداء العادة لارتكاب اي اعتداء فانه من الممكن ان يقوم الطفل
تحت تأثير الغضب باستخدام هذه الوسيلة متى كانت الفرصة سانحة ، وهذا

لا يحدث في كل الاحيان لأن الاسرة تعلم الطفل اشياء مخالفة للعدواني ، ولكن لا يمكن القطع بان هذا لا يمكن حدودته^(١٩) .

ويقول الدكتور فرديريك ويرنام الذي انشأ وشرف على ادارة عدد من اهم العيادات النفسية في اميركا ، انه تبين له من مشاهداته الطبية ، انه ليس هناك ما يؤثر الرأي القائل ان الاطفال المضطربين الاشكار وحدهم الذين يتاثرون بهذه البرامج ، بل ان كل طفل قابل للتاثير بها .

ويقول الدكتور رالف باني مدير احدى عيادات بروكلين انه يرى ويستمع ويدرس حوالي ٤٠٠ من الاصحاحات سنويا ، وقد تبين له ان الافلام جعلت الفتيان يحسون ان الحياة كلها مليئة بالجريمة ، ووجد انهم على علم قام بفنون الاجرام ، كما انهم يتصرفون بعنف في محيط الاسرة ويتحدون المسؤولين ..

ومن جانب اخر فقد نفذت دراسة قام بها عدد من اساتذة جامعة هارفارد الزعم القائل ان افلام الجريمة تعلم الاطفال ان الجريمة لا تجدي ، حيث جاء في تلك الدراسة « ان هزيمة الشير في الثلاثين ثانية الاخيرة من البرنامج ، ليس لها الا تأثير تافه في الاطفال بالنسبة للتاثير الذي تحدثه الدقائق الكثيرة المحسوسة بالجرائم العنيفة والاعمال المنافية للقانون » .

وكتب دون وارتون في مجلة عصر التلفزيون ، وهو يتحدث عن افلام الجريمة في التلفزيون الامريكي :

« لقد امضيت بضعة اسابيع جالسا امام التلفزيون خلال الساعات المخصصة للاطفال ، ورحت اراقب سير هذا الاستعراض الفاسد .. واليك بعض عينات من مشاهد العنف التي رأيتها » :

« هندي احمر يربطه البعض بشدة الى خيوط تجري في اتجاهين متضادين ، ثم يطلقون عليه النار ، وهو ملقى على الارض ، لا ح Howell له ولا قوة .. سيجارة مشتعلة توشك ان توضع في عنق رجل .. بطل القصة يضرب

رجالاً فيوقيه على الأرض ثم ينهض على قدميه ليعيد استقاطه مرة أخرى ، ويكرر ذلك مرة ثالثة . . . رجل جريح شدوا وثاقه إلى شجرة ، بينما يرتفع صوت أحدهم قائلاً : اتركوه للحيوانات ! »

« وشاهدت أيضاً رجلاً يشنقونه بسلك رفيع ، وفتاة يقتلونها بخنجر ، وطفلان صغيراً يختطف بعنف وهو راكع يبكي فوق جثة أبيه القتيل ويحاول الهرب فيطارده هندي أحمر كثيب الوجه ليقبض عليه مرة أخرى »

. « واحضر من هذا كلّه ، التي شاهدت ومعي بالطبع بضعة ملايين من الأطفال - طفلاً لطيناً في العاشرة من عمره ، يجذب بعنف رأس رجل سقط في معركة ، ليدقه مرة بعد أخرى على الأرض الصلبة »

« تلك بعض عينات من الجرائم التي يقدمونها للأطفال في مدينة واحدة ، وكلها تحاول أن تزيد من شدة تأثيرها عن طريق الموسيقى الصاخبة ، والاضاءة المصحوبة بالظلال ، والصور المقربة للرعب ، وتعبيرات الفزع على الوجوه ، والصراخ والبكاء والانين »

ويقف وارتون معقباً :

« قد يزعم البعض أنه ما دام لم يثبت من الأحصاءات أن إذاعة جرائم العنف في التلفزيون ، كانت سبباً في جرائم الأحداث فليس هناك ما يدعو إلى القلق ، وهذا زعم سخيف ، أذ كيف لا يكون مثل هذه المادة التي تعرض يوماً بعد يوم أثر في أطفال لم يتم نضجهم بعد ، ويسهل ، التأثير فيهم ؟ »

ويتتجز الغرب مجاميغ كبيرة من أفلام العنف والرعب ، ففي بريطانيا مثلاً تتولى شركات عديدة انتاج مثل هذه الأفلام من بينها شركة « هامر فيلمز » . وأفلام العنف والرعب تشكل أهم صادرات إنكلترا إلى العالم . وفي مطلع عام ١٩٦٨ منحت ملكة بريطانيا وسام الاستحقاق لتلك الشركة لأنها امنت لإنكلترا خلال ثلاثة سنوات مدخلات كبيرة تصل إلى نحو ٢٠ مليون دولار .

وتدل كثيـر من الـدراسات ان الـطفل عادة يـحاول التـشبه بالـشخصيات التي يـعرضها التـلفـزيـون نـظـرا لـاعـتقـاد كـثـير من الـاطـفال انـالـعالـم الـذـي يـشـاهـدوـنه عـلـى الشـاشـة هو مـرأـة صـغـيرـة لـالـعالـم الـحـقـيقـيـ. كما انـعـدـدا كـبـيرا منـالـمـراهـقـين يـحاـولـون تـقـليـد الـادـوار الـتي يـقـدمـها التـلفـزيـون لـكـيـ يـلـعبـوها فيـحيـاتـهم الـواـقـعـيـة، وـعـنـدـما تـقـدـم الشـاشـة عـنـصـر العنـف فـانـهـذا العنـف يـتـسـلـل إـلـى نـفـوس الـاطـفال، وـيـحاـولـون تـقـليـدـه وـمـحاـكـاته حتـىـيـشـعـرـوا بـاـتـمامـهـم إـلـى عـالـمـالـكـبارـ. وبـهـذا يـكـتـسبـ الـاطـفالـ وـبـطـرـيـقـة تـدـريـجـيةـ غـيـرـمـباـشـرةـ مـجـمـوعـةـ منـالـقيـمـالـاجـتمـاعـيـةـ وـالـاخـلـاقـيـةـ عنـ طـرـيـقـ المـشـاهـدـةـ الـتـيـ تـؤـديـإـلـىـاـسـتـجـابـةـ الـتـيـ تـتـلاـعـمـ معـ مـفـاهـيمـ الـجـتمـعـ الـمـتـحـضـرـ. وـبـالـرـغـمـ منـ هـذـاـ فـلـيـسـ التـلفـزيـونـ هوـ السـبـبـ الرـئـيـسـ فيـ نـشـرـ العنـفـ، بـيـنـ اـفـرـادـ الـجـتمـعـ، لـأـنـ التـلفـزيـونـ يـقـدـمـ بـرـامـجـهـ وـسـطـ بـيـئـاتـ مـعـقـدةـ، تـلـسـخـلـ فيـ تـشـكـيلـ الـقيـمـ وـالـسـلـوـكـ الـاخـلـاقـيـ فـيـهـاـ عـنـاصـرـ وـعـوـاـمـلـ عـدـيدـةـ. (٣٠)

ويـعتقدـ الـبعـضـ انـعـنـصـرـ العنـفـ لاـ يـكـتـسبـ منـ الـافـلامـ وـالـاعـمالـ الـدرـامـيـةـ فـقـطـ، لـأـنـ مشـاهـدـ العنـفـ مـوجـودـةـ فيـ الـافـلامـ الـاخـبـارـيـةـ تـفـسـهـاـ. مـثـلـ اـفـلامـ مشـاهـدـ الـحـربـ وـالـمـظـاهـراتـ. (٣١)

المراجع

مراجع الباب الاول « جمهور الاطفال »

الفصول ١ ، ٢ ، ٣

- ١ - فيليب بوشار - جمهور الاطفال ، ترجمة محمد انور العناعي ، (القاهرة دار الكتاب المصري) ص ١٦ .
- ٢ - د . مصطفى فهمي - سيكولوجية الطفولة والراهقة . (القاهرة) ص ١٥١
- ٣ - لاحظ « مناهج التربية » (بيروت) .
- ٤ - د . أحمد زكي صالح - علم النفس التربوي - الطبعة ٨ - (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٥) ص ٦٧ .
- ٥ - كامل بنقسلی وخالد قوطرش ، آباء وابناء ، (دمشق) ص ١١٢
- ٦ - ولارد اولسون وجون ليولن - كيف ينمو الاطفال ، ترجمة د . محمد خليلة بركات ، سلسلة دراسات سيكولوجية « ٢٥ » ٠٠ (القاهرة مكتبة النهضة ، المصرية) ص ٧٩ .
- ٧ - المصدر السابق ص ١١ ، ٩٨ .
- ٨ - لاحظ « التربية الاجتماعية » من سلسلة دراسات سيكولوجية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية) ص ٧ .
- ٩ - وينفرييد وارد - مسرح الاطفال - ترجمة محمد شاهين الجوهري ص ١٤٧ (القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة) .

- ١٠ - لاحظ « مشاكل الاطفال النفسية » القاهرة .
- ١١ - لاحظ « رياض الاطفال » بغداد
- ١٢ - مجلة « الشرق » مايو ١٩٥٩ .
- ١٣ - ولارد اولسون - مصدر سابق من ٨٤
- ١٤ - ضياء الدين ابو الحب - علم النفس التربوي - بغداد ص ١٤٧
- ١٥ - د . فهمي مصطفى - مصدر سابق من ١١٨
- ١٦ - د . ابو العزم - لغة الاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة كتاب الطفل ومجلته
عام ١٩٧٢ غير منشورة *
- ١٧ - المصدر السابق
- ١٨ - المصدر السابق *
- ١٩ - د . محمد محمود رضوان - لغة الاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة كتاب
الطفل ومجلة عام ١٩٧٢ القاهرة غير منشورة *
- ٢٠ - د . عبدالعزيز عبدالمجيد - القصة في التربية - الطبعة الخامسة ، (القاهرة
دار المعارف بمصر) ص ١٦
- ٢١ - راجي عنایت « مسرح الاطفال بين الواقع والاسطورة » مجلة الطليمة السنّة
الثانية ابريل ١٩٦٦ القاهرة ص ٧٥ *
- ٢٢ - المصدر السابق ص ٧٥ *
- ٢٣ - لاحظ مشاكل الاطفال النفسية ص ١٠ *
- ٢٤ - لاحظ : « لماذا نخطى العلاج » القاهرة *
- ٢٥ - راجي عنایت - مصدر سابق من ٧٥ *
- ٢٦ - د . ابو العزم - مصدر سابق . (غير منشور) *
- ٢٧ - محمد ناصر « الاستدلال عند الاطفال » المعلم الجديد . مارس ١٩٤١ بغداد
من ٣٥٣ *
- ٢٨ - لاحظ : لماذا نخطى العلاج ؟ *
- ٢٩ - د . ابو العزم - مصدر سابق (غير منشور) *
- ٣٠ - المصدر السابق *
- ٣١ - المصدر السابق *
- ٣٢ - د . مصطفى فهمي سينكولوجية الطفولة والمراحل ص ١٠٧
- ٣٣ - لاحظ : لماذا نخطى ص ٤٦
- ٣٤ - جريدة الجمهورية ، بغداد « المطلوب ثورة في عالم الاطفال » من ٦
١٩٧٣/١١/٤

- ٣٥ - د . رمزية التربيب - ميول الاطفال القرائية - مجلة الكتاب العربي العدد ٤٤ ، يناير ١٩٦٧ من ٦ القاهرة .
- ٣٦ - المصدر السابق من ٧ .
- ٣٧ - لاحظ (انت والراهقة) من ١٤ .
- ٣٨ - المصدر السابق من ١٤ .
- ٣٩ - المصدر السابق ، من ١٥ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٨ .
- ٤٠ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق من ١٦ .
- ٤١ - المصدر السابق من ١٦ .
- ٤٢ - دوجلاس توم ، توجيه المراهق ، ترجمة د جابر عبد الحميد و محمد مصطفى الشعيبيني ، (القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٧٥) من ١٣٤ .
- ٤٣ - د . عبد العزيز عبد المعبد - مصدر سابق .
- ٤٤ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق . من ٢١٥ .
- ٤٥ - المصدر السابق من ٢٤٨ .
- ٤٦ - ب . المصدر السابق من ٢٧٢ .
- ٤٧ - د . عبد العزيز عبد المعبد - مصدر سابق . من ١٩ .
- ٤٨ - ماريون مونرو - تنمية وعي القراءة ، ترجمة سامي ناشد (القاهرة دار المعرفة ١٩٦١) من ١٥ ، ١٦ ، ٣٠ .
- ٤٩ - د . فائزه احمد كامل - الاثر النفسي للكتاب - دراسة مقدمة الى حلقة (كتاب الطفل ومجلته) عام ١٩٧٢ القاهرة . غير منشور .
- ٥٠ - المصدر السابق .
- ٥١ - المصدر السابق .
- ٥٢ - د . هدى براده ، والسيد العزاوي ، واخرون « الاطفال يقرأون » الجزء الاول (القاهرة الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٤) من ٥ .
- ٥٣ - لاحظ مجلة التربية الحديثة ، العدد الاول ، تشرين الاول ١٩٧١ بيروت .
- ٥٤ - حسن رشاد - المكتبات المدرسية . (القاهرة ، دار الفكر العربي) من ١٤ .
- ٥٥ - ولارد اولسون وحون ليولن - مصدر سابق من ٥٥ .
- ٥٦ - ماريون مونرو - مصدر سابق من ٤٦ .
- ٥٧ - Unesco Courier, international Book year 1972. P. 16
- ٥٨ - Ibid. P. 16.
- ٥٩ - حسن رشاد - مصدر سابق من ٤٦ .
- ٦٠ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق من ٥٠ .
- ٦١ - Uniesco Courier P. 16

الباب الثاني « أدب الأطفال »

الفصول ١ ، ٤ ، ٢ ، ٥ ، ٦

- ١ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.
- ٢ - محمد مكتبي « الكتاب المدرسي وسيلة ايضاح » مجلة التربية الحديثة .
بيروت .
- ٣ - د . زكي نجيب محمود « الحوادث المعاصرة » - الاهرام ٧٦/١٢/١٦
من ١١ .
- ٤ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4. 1973.
- ٥ - Ibid.
- ٦ - لاحظ : اندرسون ، رائد أدب الأطفال ، عبدالله حسين . القاهرة .
سلسلة : مذاهب وشخصيات .
- ٧ - Encyclopaedia Britannica, Volume 4 1973.
- ٨ - لاحظ مقدمة كتاب « حكايات من روسيا » ترجمة علي ادهم . دار المعارف .
ي مصر .
- ٩ - لاحظ تراث الانسانية ، المجلد الاول ، العدد ١٢ ، القاهرة .
- ١٠ - المصدر السابق .
- ١١ - عبد القادر التلمساني « افلام الكارتون هدف ثقافي وترفيهي » مجلة الطليعة
ص ٧٢ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة ..

- ١٢ - ضياء الدين ابو الحب - علم النفس التربوي - ص ١١٥ ، بغداد .
- ١٣ - عبد الفتاح ابراهيم « مقدمات في الاجتماع » من ١١٥ بغداد .
- ١٤ - لاحظ كتاب « طفلك وفنه » مترجم ، ص ٢٨ .
- ١٥ - المصدر السابق من ٥٨ ، ٦٠ .
- ١٦ - د محمد طلعت عيسى « التربية الأخلاقية واثرها في بناء الوطن » مجلة العلوم السياسية القاهرة
- ١٧ - طفلك وفنه - مصدر سابق ص ١٩ .
- ١٨ - سالمة الفخرى « التضامن عند الاطفال » ص ٢٥ بغداد - مركز البحوث التربوية والت نفسية .
- ١٩ - شوبنهاور - فن الادب - اعداد بيلي سوندرز ، ترجمة شفيق مقار من ٨٣ (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر) .
- ٢٠ - هادي نعمن الهيتي - المعاشرة الثانية على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون بمعهد التدريب الاذاعي - بغداد ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ٢١ - روز غريب « عالم الطفولة و التربية الاطفال » مجلة رسالة التربية الحديثة : بيروت .
- ٢٢ - هادي نعمن الهيتي « حول ادب الاطفال في العراق » من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ تحت اشراف المجلس الاهلي لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية (غير منشور) .
- ٢٣ - عبد القادر التلمساني - مصدر سابق ص ٧١ .
- ٢٤ - المصدر السابق ص ٧١ .
- ٢٥ - حسين مروة - دراسات ادبية - بيروت .
- ٢٦ - د عبدالوهاب عبدالرزاق « ادب الاطفال » جريدة الشورة في ١٩٧٢/٨/١٧ بغداد .
- ٢٧ - ن كروبيسكايا « عن التربية » من ١٣١ ، ١٠٩ دمشق .
- ٢٨ - لاحظ « الطلاب في اسرائيل » من منشورات منظمة التحرير الفلسطينية - دراسات فلسطينية .
- ٢٩ - لاحظ « التربية الصهيونية » من ٦١ ، القاهرة .
- ٣٠ - المصدر السابق ص ٦٠ .
- ٣١ - المصدر السابق ص ٦١ .
- ٣٢ - محمود شيت خطاب - حقيقة اسرائيل .

٣٣ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية العدد ٢٠ ، في ٢٦ تشرين الاول
١٩٧٤ ، من ٦٨٨ ، ٦٨٩ .

34. Unesco, A world of children's books, a selective international
bibliography. Paris, 15 december 1972. P. 71.

Ibid. — ٣٥

Ibid. — ٣٦

Ibid P. 72. — ٣٧

٣٨ — ضياء الدين بيبرس « العالم كله ضد داود الصغير » مجلة الصور ٨ مايو
١٩٧٠ .

٣٩ — محمود سالم « في حوار معه في جريدة بيروت » ص ٧ في ٢٠ تشرين الثاني
١٩٧٤ . بيروت .

Ulrich's International periodicals Directory, volume 2, Thirteen — ٤٠
Edition 1969-1970

R.R. Bowker Company-New York, U.S.A

٤١ — د . عبدالوهاب محمد المسيري — موسوعة المذاهيم والمصلحات الصهيونية —
القاهرة — مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام . ص
٣٧٦ من ١٩٧٥

47 ULRICH'S international periodicals.

الباب الثالث

مراجع الفصل الاول «فنون ادب الاطفال»

- ١ - فوزي العتبل - الحكايات الشعبية وتنمية طاقة الابداع ، مجلة الطليعة السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ ، القاهرة ص ٥٩ .
- ٢ - هـ دان كورين - الترويع فن وريادة - ترجمة سعيد حشمت ، والدكتور حلمى ابراهيم . القاهرة . ص ٣٧ .
- ٣ - ماريون مونرو - تنمية وعي القراءة - ترجمة سامي ناشد، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .
- ٤ - لاحظ الفصل السابق عن رأي كروبسكايا المنشور في مجلة فوجاتي
- ٥ - محمد تيمور - فن القصص والمسرح - القاهرة - من ٨٨
- ٦ - د عبد اللطيف حمزة - المدخل الى فن التحرير الصحفى - القاهرة من ٢٩٨ .
- ٧ - د محمد يوسف نجم - فن القصة - بيروت من ٤٦ .
- ٨ - المصدر السابق ص ١١٢ . ولاحظ كذلك (فن كتابة القصة) بقلم حسين القساني .
- ٩ - جمفر الخليلي - القصة العراقية قديماً وحديثاً . (بيروت - مطبعة الانصاف ١٩٦٢) ص ١٣ .
- ١٠ - فديدرش فون ديرلان - الحكايات الخرافية - ترجمة د نبيلة ابراهيم (القاهرة ، سلسلة الالف كتاب) ص ٨٠ ، ٨٢ .

- ١١ - حسان عبد السميح محسن - القصيدة الشعرية في الأدب المصري الحديث - رسالءة ماجستير (غير منشورة) ص ٢٨ ، كلية دار المعلوم ١٩٧٠ القاهرة .
- ١٢ - املي عبد المسيح وسالم كامل النعاس - تربية الطفل ومبادئ حلم النفس - الجزء الثاني ، (القاهرة ، وزارة المعارف العمومية) ص ١٤٥ .
- ١٣ - د ٠ عبد الرحمن عيسوى (النمو الروحي والخلقي والتنشئة الاجتماعية في مرحلتي الطفولة والراهقة) مجلة هالم الفكر المجلد السابع ، العدد الثالث ، ١٩٧٦ ، ص ١٦٩ الكويت .
- ١٤ - املي عبد المسيح وسالم كامل النعاس مصدر سابق ص ١٤٥ .
- ١٥ - يعقوب الشaroni - الطفولة والبطولات القومية - مجلة الثقافة السنة الرابعة ، العدد ٣٩ ديسمبر ١٩٧٦ ص ١٨٠ القاهرة .
- ١٦ - د ٠ جورج هنري جزين - المراهقة - ترجمة ابراهيم حافظ (القاهرة لجنة البيان العربي) ص ٥٧ .
- ١٧ - د ٠ سامي عزيز - صياغة الأطفال ، (القاهرة ، عالم الكتب ١٩٧٠) .
- ١٨ - حسين مروة ، مصدر سابق ص ٩٣ .
- ١٩ - د ٠ جورج هنري جزين - مصدر سابق ص ٦٠ .
- ٢٠ - د ٠ نجيب اسكندر ، نحو رؤية اشتراكية لعالم الطفل - الطليعة ، ص ٤٨ السنة الثانية ، ابريل ١٩٦٦ القاهرة .
- ٢١ - د ٠ عبد العميد يونس - المعايير الشعبية - ص ٤٥ .
- ٢٢ - فوزي العنتيل - مصدر سابق ، ص ٥٨ .
- ٢٣ - احمد رشدي صالح - الفنون الشعبية - سلسلة المكتبة الثقافية ١٣٤ من دار القلم ١٩٦١ .
- ٢٤ - د ٠ زكريا ابراهيم - لماذا تخشعك - الهلال . من ٤ اغسطس ١٩٦٦ .
- ٢٥ - المصدر السابق - ص ٥ .
- ٢٦ - عبدالفتى المطري - ادبنا الضاحك - ص ٨ (بيروت دار النهار ١٩٧٠) .
- ٢٧ - محمد عقيلي - النكتة ذن جمبل - الهلال - اول اغسطس ١٩٦٦ .
- ٢٨ - احمد رشدي صالح - الفنون الشعبية - سلسلة المكتبة الثقافية ١٣٤ ، دار القلم ١٩٦٦ ص ٤٨ .
- ٢٩ - هادي نعمان الهيتي - حول اعادة كتابة التاريخ - مجلة الاجيال ، نقابة المعلمين في القطر العراقي ، بغداد ١٩٦٩ ص ٧٧ .
- ٣٠ - هادي نعمان الهيتي - نحو انعطاف جديد في التربية - جريدة الثورة ، ١٩٧٣/٥/٣ ص - بغداد .

- ٣١ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق من ١٠٧
- ٣٢ - د . ليلى الدباغ - كتابة تاريخ الوطن العربي على مستوى الاطفال ، دراسة مقدمة الى « العناية بالثقافة القومية للطفل العربي » بيروت ١٩٧٠ .
- ٣٣ - شibli العيسى - كيف نكتب تاريخنا القومي - دمشق ، من ٢٤٤ .
- ٣٤ - د . ليلى الدباغ - مصدر سابق
- ٣٥ - د . محمد يوسف نجم - مصدر سابق من ١٥٢
- ٣٦ - د . ليلى الدباغ - مصدر سابق
- ٣٧ - د . محمد يوسف نجم - مصدر سابق من ١٠٤
- ٣٨ - المصدر السابق من ١٠٤
- ٣٩ - احمد رشدي صالح - مصدر سابق من ٥١ .
- ٤٠ - فيليب برشار ، جمهور الامفال - من ٨٨ .
- ٤١ - المصدر السابق من ٨٨ .
- ٤٢ - حامد عبدالقادر - دراسات في علم النفس الادبي - (القاهرة . لجنة البيان العربي) ، من ٣٨ .
- ٤٣ - ماريان بيسير - التنشئة العلمية - ترجمة محمد سليمان ، (القاهرة ، الدار المصرية للتتأليف والترجمة ١٩٦٦) ٤١ .
- ٤٤ - لاحظ العمود الجهني ، دار التقدم ، موسكو ، من ٥ .
- ٤٥ - السعادة في ضوء علم النفس - كتاب الهلال . من ٢١٥ .
- ٤٦ - لاحظ العمود الجهني من ٢ .
- ٤٧ - لاحظ الهلال ، اول نوفمبر ١٩٥٦ ، من ٢٨ .
- ٤٨ - ويلن - موجز تاريخ العالم ، القاهرة ، من ٤٤٨ .
- ٤٩ - وجيه السمان - الصواريخ والاقمار الصناعية - (دمشق ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٩٦٢) من ١٣ .
- ٥٠ - لاحظ العمود الجهني . من ٧ .
- ٥١ - المصدر السابق من ٩ .
- ٥٢ - الطيب الجويلى - علم الخيال ومستقبل الانسان . تونس ، من ١١ .
- ٥٣ - لاحظ « الاتجاهات الجديدة في القصة العلمية - ترجمة ياسر الفهد ، مجلة الثقافة ، دمشق ، من ٤٠ .
- ٥٤ - د . هدى برادة ، والسيد العزاوى وآخرون ، الاطفال يتراون ، من ٢١٤ .

- ٥٥ - د. عبد الحميد يونس - الادب الشعبي - المحاضرات العامة في جامعة القاهرة ، للعام الدراسي ٥٩ - ٦٠ . مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٠ .
- ٥٦ - د. مصطفى ماهر - الاساطير الالمانية - تراث الانسانية - العدد ٤ ، المجلد الخامس ، القاهرة ، ص ٢٨٧ .
- ٥٧ - احمد شمس الدين - الاسطورة في المسرح المصري المعاصر - رسالة دكتوراه « غير منشورة » جامعة القاهرة ١٩٧٣ .
- ٥٨ - لاحظ « الارض التي نعيش مليها » مترجم . بقداد ص ٥٨ .
- ٥٩ - احمد رشدي صالح . مصدر سابق .
- ٦٠ - فوزي المتليل - مصدر سابق . ص ٥٨ .
- ٦١ - لاحظ « النار والنور » سلسلة أقرأ ، ص ١٦ .
- ٦٢ - المصدر السابق . ص ١٦ .
- ٦٣ - فتح احمد فرج - المؤثرات الشعبية للطفلة والاطفال : دراسة ميدانية في السنبلاويين . رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ١٩٧٦ (غير منشورة) .
- ٦٤ - عادل ابو شنب - كان يا ما كان - دمشق ص ٩٧ .
- ٦٥ - عبدالمجيد يونس - الادب الشعبي - المحاضرات العامة بجامعة القاهرة ص ٥ .
- ٦٦ - عمر يوسف - حكايات الشعبية في المجتمع الفلسطيني (رسالة ماجستير) . جامعة القاهرة ، (غير منشورة) .
- ٦٧ - ابراهيم احمد العزب شعلان - التوارد في الادب الشعبي - (رسالة دكتواره) جامعة القاهرة ١٩٧٤ (غير منشورة) .
- ٦٨ - بوميرا نتسيفا - في مقدمة لكتاب « حكايات شعبية روسية - ترجمة خائب طعمه فرمان - دار التقدم موسكو .
- ٦٩ - هادي نعمن الهيتي - حول ادب الاطفال في العراق - من البحوث المقدمة الى حلقة « كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشور) .
- ٧٠ - هادي نعمن الهيتي - المعاشرة الثالثة على المتدربين في دورة برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون بممهد التدريب الاداعي - بقداد ، ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ٧١ - انظر : مصطفى ماهر - الاخوان كريم - تراث الانسانية - الجزء الثامن المجلد الثاني ، ص ٦٠ .

- ٧٢ - عبدالله حسين - اندرسن رائد ادب الاطفال ص ٥٥
- ٧٣ - لاحظ : ايسبوب ، تأليف ١٠ د وينتسل ، ترجمة الدكتور مختار الوكيل .
لاحظ مقدمة : القصص العكيم للفيلسوف ايسبوب ترجمة مصطفى السقا .
- ٧٤ - عبدالله حسين - مصدر سابق ص ٣٠
- ٧٥ - لاحظ مقدمة « حكايات واساطير ليوناره فتشي » شرح واعداد بروتو ناردينبي ، ترجمة يسرى عبدالعزيز ، الهيئة العامة للمكتاب . القاهرة .
- ٧٦ - احمد سامي - الحكايات الشعبية في اللاذقية - (رسالة ماجستير) جامعة القاهرة - (غير منشورة) .
- ٧٧ - د . نبيلة ابراهيم - اشكال التعبير الادبي ، (القاهرة دار نهضة مصر ١٩٦٦) ص ٦٠
- ٧٨ - شارلوت بروهلن « الحكاية الخرافية وخيال الطفل » ترجمة د . نبيلة ابراهيم (غير مطبوع) عن « المؤثرات الشعبية للطفلة والاطفال » رسالة ماجستير مشار إليها في اعلاه .
- ٧٩ - عادل ابو شنب - مصدر سابق .

مراجع

الفصل الثاني (شعر الاطفال)

- ١ - لاحظ : جاك ديلكروز - الموسيقى والطفل - مجلة الموسيقى والمسرح ، القاهرة ، العدد ١٦ ، يونيو ١٩٤٨ من ٦٣٠ . ولاحظ : دان كوريين « الترويج فن وريادة » من ٣٢٧ .
- ٢ - بتترن « الطفل ودراسة الادب » ترجمة د . ماهر كامل . القاهرة .
- ٣ - د . جورج هنري جزين « احلام اليقظة » ترجمة ابراهيم حافظ « القاهرة ، لجنة البيان العربي » .
- ٤ - المصدر السابق من ١٥٩ ، ١٦٠ .
- ٥ - لاحظ : « مختارات من شعر شوقي في العيون » - القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ١٩٤٩ .
- ٦ - لاحظ : محمد عثمان جلال « العيون اليواقة في الامثال والمواعظ » - القاهرة ، ١٣١٣ .
- ٧ - لاحظ : ابراهيم بك العرب « اداب العرب » - القاهرة ، مكتبة بولاق ، ١٩١١ .
- ٨ - لاحظ : جبران النحاس « تطريب العندليب » الطبعة الثانية ١٩٥٠ .
- ٩ - حسين عبدالسميع محسن - مصدر سابق « رسالة ماجستير غير منشورة » .
- ١٠ - لاحظ : محمد الهراوي « سمير الاطفال للبنين » دار الكتب المصرية . ١٣٤١ .
- ١١ - لاحظ : محمد الهراوي « سمير الاطفال للبنات » .
- ١٢ - لاحظ : محمد الهراوي « اهانى الاطفال » .
- ١٣ - من اجابة سليمان العيسى الى مجلة « الموقف الادبي » العدد ١١ ، اذار ٩٧٤ .
- ١٤ - د . مصطفى فهمي - مصدر سابق من ١٣ .
- ١٥ - احمد نجيب - مصدر سابق من ٩٦ .
- ١٦ - من اجابة سليمان العيسى الى « الموقف الادبي » من ١٠١ .

مراجع

الفصل الثالث (موسيقى الاطفال واغانيهم)

- ١ - هـ دان كورين - مصدر سابق من ٣٢٥ .
- ٢ - المصدر السابق من ٣٢٦ .
- ٣ - د محمد احمد الحفني - اهانى الاطفال في الشرق والغرب - المجلة الموسيقية . العدد ٣٤ ، ١٩٧٧ ، من ٢٠ .
- ٤ - سهير احمد عاشور - تربية الطفل عن طريق اللعب - صعيفنة المكتبة ، ابريل ١٩٧٥ ، من ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٥ . القاهرة .
- ٥ - هيدالعليم علي - التربية الموسيقية - الجزء الاول . مطبعة كوستاتسوماس وشركاه . القاهرة من ٢٢ .
- ٦ - سليمان جمیل - الموسيقى وتنمية الوجود الاجتماعي ، مجلة الطليعة ابريل ١٩٦٦ من ٧٨ .
- ٧ - د مصطفى فهمي - مصدر سابق من ٩١ .
- ٨ - جاك دالكروز - الموسيقى والطفل - المجلة الموسيقية من ٢٤ العدد اكتوبر ١٩٧٥ .
- ٩ - د سميرة احمد فهمي - تطبيق علم النفس في برامج الاداء والتلفزيون الموجهة الى الاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧١ » غير منشورة .
- ١٠ - حامد هيدالقادر - دراسات في علم النفس الادبي - القاهرة لجنة البيان العربي من ٨٠ .

مراجع الباب الرابع

الفصل الاول والفصل الثاني

(صحافة الاطفال) و (كتب الاطفال)

- ١ - محمد العديدي - الادب و بناء الانسان - من ٤٥
- ٢ - فريزر بوند - مدخل الى الصحافة ، ترجمة راجي صهيون - بيروت من ٣٥٦
- ٣ - عبدالتواب يوسف « المسلسلات المصورة » المجلس الاملي لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ، مراقبة الاداب - لجنة ثقافة الطفل - القاهرة (غير منشور) -
- 4 Encyclopaedia Britannica, volume 4, by Encyclopaedia Britannica, INC., U.S.A. 1973.
- 5 Carl Worren, Modern News Reporting, Third Edition, Harper and Row, publishers, New York and Evanston 1959 P. 13.
- 6 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 9 and 10- M. A class, Cairo University. 1975-1976.
- ٧ - د. ابراهيم امام - الاعلام والاطفال - دراسة مقدمة الى حلقة « بحث كتاب الطفل ومجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) -
- 8 ULRICH'S International periodicals P. 330,336
- 9 Dr. Harold A. Fisher "Lectures Nos 11 and 12- M.A. class Cairo University. 1975-1976.

- ١٠ - د . سامي عزيز - صحافة الاطفال ، ص ٥١ .
- ١١ - بيجوي كومار سينها - الانسان الجديد في الاتحاد السوفيتي (موسكوا دار التقدم ١٩٧٥) ص ٩٤ ، ٩٥ .
- 12 ULRICH'S International periodicals P. 330,335 volume I
 ١٣ - مجلة المدار ، ٢ شباط ١٩٧٥ .
- ١٤ - د . سامي عزيز - تطور صحافة الطفل - دراسة مقدمة الى حلقة بحث « كتاب الطفل و مجلته » القاهرة ١٩٧٢ (غير منشورة) .
- ١٥ - المصدر السابق حن ٨ .
- 16 ULRICH'S International periodicals P. 328.
- 17 Ibid P. 334
- 18 Ibid
- 19 Ibid
- 20 Ibid
- 21 Ibid
- 22 Ibid
- 23 Ibid
- 24 E.W. Hildick, A close look at Magazines and Comics. Faber and Faber LTD. London 1966 and
- 25 Urich's International periodcal's volume I
- 26 Encyclopaedia Britannica, volume 4, 1973
- 27 ULRICH'S International periodcals
- 28 Ibid
- 29 Ibid
- 30 Ibid
- 31 Ibid
- ٣٢ - د . ابراهيم امام - دراسات في الفن الصحفى - القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية - ١٩٧١ ص ١٨٥ .
- ٣٣ - د فتح الباب عبدالعزيز سعيد . و د ابراهيم ميخائيل حفظ الله « وسائل التعليم والاعلام » (القاهرة عالم الكتب - ١٩٧٦) ص ٥ .
- ٣٤ - حافظ الجمالى ، سامي الدروبي « علم النفس و تنتائج التربوية » (دمشق دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٤٩) ص ٥٤ ٤٥ .

- ٣٥ - حسين بيكار « كتب الاطفال واغلفتها » مجلة الكتاب، العربي العدد ٤٨ يناير ١٩٧٠ القاهرة ، ص ١٤ .
- ٣٦ - د . مصطفى بدران ، د . ابراهيم مطاوع ، ومحمد محمد عطية « الوسائل التعليمية » من ٣٠٠ القاهرة .
- ٣٧ - المصدر السابق من ٣٠٠ .
- ٣٨ - هربت ريد - التربية عن طريق الفن - ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، من ٣٥ « القاهرة ، سلسلة الالف كتاب ١٩٧٠ » .
- ٣٩ - د . احمد خيري محمد كاظم و د . (جابر عبدالحميد جابر) الوسائل التعليمية والمنهج ، (القاهرة - دار النهضة العربية ١٩٦٦) ص ١٢٥ .
- ٤٠ - د . ابراهيم امام - دراسات في الفن الصحفى - من ٢٤٩ .
- ٤١ - د . احمد خيري محمد كاظم ، و د . جابر عبدالحميد جابر مصدر سابق من ١٢٥ .
- 42 Unesco Courier, international book year. 1972 Paris. P. 22.
- ٤٣ - جريدة الجمهورية ، افاق ١٩٧٣/٤/١١ بغداد .
- ٤٤ - كتب الاطفال السويدية - جريدة لسان الحال ١٩٧٢/٨/٢٤ بيروت .
- ٤٥ - عبدالتواب يوسف « تطور كتب الاطفال » من ٧ (غير منشورة) .
- ٤٦ - المصدر السابق من ٨ .
- ٤٧ - المصدر السابق من ٨ .
- 48 Unesco Corier, P. 24.
- 49 Ibid
- ٥٠ - كمال بلاطة « من اين نبدأ » جريدة الانوار ١٩٧٤/٦/٢٧ بيروت .
- ٥١ - هدى برادة وآخرون - مصدر سابق من ٢٣٥ .

مراجع الفصل الثالث

«مسرح الاطفال»

- ١ - د . مصطفى بدران و د . ابراهيم مطاوع ، ومحمد عطية « الوسائل التعليمية » ص ٩٢ ، (القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية) .
- ٢ - د . احمد بدران و د . ابراهيم مطاوع ، ومحمد عطية « الوسائل والمنهج » ص ٩٩ (القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٦) .
- ٣ - د . سمية احمد فهمي « الاسس السيكولوجية التي يقوم عليها مسرح الاطفال» حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية العلوم والفنون والاداب ١٩٧٣ (غير منشورة) .
- ٤ - احمد نجيب - مصدر سابق ص ١٤٢ .
- ٥ - الفريد فرج - دليل المترجح الذكي الى المسرح ص ١١ - سلسلة كتاب الهلال ، العدد ١٧٩ فبراير ١٩٦٦ . القاهرة .
- ٦ - وينفرد وارد - مصدر سابق ص ٢٥٩ .
- ٧ - د . فائزة علي كامل « شخصية المؤلف المسرحي من كتاباته للأطفال» حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ، القاهرة ، المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٣ (غير منشورة) .
- ٨ - المصدر السابق .
- ٩ - وينفرد وارد - مصدر سابق ص ١٥٣ .

- ١٠ - المصدر السابق ص ١٥٩
- ١١ - د - فائزة علي كامل « شخصية المؤلف المسرحي من كتاباته للأطفال »
غير منشورة
- ١٢ - د - رشاد رشدي « درامية انطوان تشيخوف » مجلة المسرح ، العدد ٢٠
افسستس ١٩٦٥ ص ٦ - القاهرة
- ١٣ - وينفرييد وارد ص ١٦٠
- ١٤ - المصدر السابق ص ١٦١
- ١٥ - سلوى زكو « ترجمة » - عندما تفتح نوافذ الفن امام الصغار - الجمهورية
من ٦ في ٢٥/٤/١٩٧٤ بغداد
- ١٦ - يعقوب الشاروني « الممثل في مسرح الاطفال » مجلة الثقافة ، السنة الرابعة،
العدد ٣٧ ، اكتوبر ١٩٧٦ ص ١٠٦
- ١٧ - فالنتين كوليسييف - « مسرح الاطفال » مجلة الشرق ، العدد الثالث ، يونانية
١٩٥٧ ص ٢٤
- ١٨ - وينفرييد وارد ، مصدر سابق ص ١٦٢
- ١٩ - جريدة بيروت ، مسرح الاطفال والراشدين لتعليمهم التفكير بمعنى الحياة ،
٣٠ ايلول ١٩٧١
- ٢٠ - الفريد فرج « المسرح والاطفال » ، مجلة الدوحة ، اكتوبر ١٩٧٦
الدوحة - ص ١٨٠
- ٢١ - لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، اتحاد الاذاعة والتلفزيون القاهرة ص ٨٦
- ٢٢ - لاحظ مجلة الفن الاذاعي ، العدد ٣٤ ، من ٥٦
- ٢٣ - احمد نجيب « التربية المسرحية في مدارس الاطفال » حلقة بحث سينما
ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور)
- ٢٤ - د - احمد موسى المتبني « تكوين الجمهور الوعي بماهية مسرح الاطفال »
حلقة بحث سينما ومسرح الاطفال ١٩٧٣ (غير منشور)
- ٢٥ - د - احمد خيري محمد كاظم ، د - جابر عبد الحميد جابر ، مصدر سابق
ص ١٠٥
- ٢٦ - هلال ابو عامر « عرائس التلفزيون » مجلة الفن الاذاعي ، ص ٩٧ اكتوبر
١٩٦٥ القاهرة

مراجع

(الفصل الخامس والفصل السادس)

- ١ - فريزر بوند - مدخل الى الصحافة - ترجمة راجي صهيون ص ٥٨ بيروت ١٩٦٤
- ٢ - نتيله راشد - برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون في المانيا الديمقراطية - من حلقة برامج الاطفال في الاذاعة والتلفزيون ، اتحاد الاذاعات ١٩٧١ (غير منشور)
- ٣ - المصدر السابق .
- ٤ - عبدالمنعم صادق (ترجمة) « قضايا جديدة في البرامج الاذاعية » مجله الفن الاذاعي ص ١٠٣ .
- ٥ - فكتور كريتوف - برامج الاطفال في راديو تلفزيون الاتحاد السوفيتي - بحث مقدم الى حلقة « برامج الاطفال في الراديو والتلفزيون ، اتحاد اذاعات الدول العربية ١٩٧١ »
- ٦ - د . محمد احمد نجاتي - علم النفس في حياتنا ، ص ٢٠ القاهرة .
- ٧ - منى جبر - برامج الاطفال في التلفزيون - رسالة ماجستير ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ جامعة القاهرة - (غير منشورة) .
- ٨ - د . حسن شحاته سعفان - التلفزيون والمجتمع ص ٩٥ (القاهرة - مطبعة دار النايل ١٩٦١ ، ١٩٦٢) .

- ٩ - المصدر السابق ص ٩٥ .
- ١٠ - المصدر السابق ص ٩٥ .
- ١١ - المصدر السابق ص ٩٧ .
- ١٢ - ملحق « بحوث الاعلام » للدكتور سمير محمد حسين (القاهرة عالم الكتب ١٩٧٦) .
- ١٣ - عبدالمنعم حسن « عصر التلفزيون وحضارة الصورة من ٨٨ ، سلسلة كتاب الاذاعة والتلفزيون ، القاهرة ١٩٧٢ » .
- ١٤ - نبيلة راشد « برامج الاطفال في اذاعة المانية الديمقراطية من ٥ (غير منشورة) .
- ١٥ - لاحظ : ج ٥ - ها لسودان ، « المشروع الدانمركي لبرامج الاطفال الاخباري » يبحث نقدم الى حلقة اتحاد اذاعات الدول العربية عن برامج الاطفال .
- ١٦ - عبدالمنعم شميس - مصدر سابق ص ١٠٥ .
- ١٧ - المصدر السابق من ٥٣ .
- ١٨ - فيليب بوشار - مصدر سابق من ١٧٢ ، ١٧٧ .
- ١٩ - مجلة اتحاد الاذاعات - حدود الخطأ حول اطفال ٨٠٠ الف قرية مصرية من ١٠ ، ايلول ١٩٧٠ .
- ٢٠ - متى جبر - مصدر سابق من ص ٦٧ (غير منشور) .
- ٢١ - المصدر نفسه من ٦٧ .

الفِرْسَت

الفهرست

مقدمة

٥

الباب الاول

جمهور الاطفال

٩

الفصل الاول : مدخل جمهور الاطفال

١٧

الفصل الثاني : الادب ومراحل الطفولة

المبحث الاول : مرحلة الواقعية والخيال المعادد

المبحث الثاني : مرحلة الخيال المنطلق

المبحث الثالث : مرحلة البطولة

المبحث الرابع : مرحلة المثالية

٥٥

الفصل الثالث : قراءات الاطفال

المبحث الاول : الاطفال القراءة

المبحث الثاني : تنمية ميول الاطفال القرائية

الباب الثاني

ادب الاطفال

٧١

الفصل الاول : نظرة عامة

٧٩

الفصل الثاني : الكتابة للأطفال

٨٦

الفصل الثالث : مضمون ادب الاطفال

٩٧

الفصل الرابع : اسلوب ادب الاطفال

١٠٣

الفصل الخامس : ادب الاطفال في الوطن العربي

١٠٨

الفصل السادس : ادب الاطفال في البلدان الاشتراكية

١٢١

الفصل السابع : ادب الاطفال الصهيوني

٤١١

الباب الثالث

فنون ادب الاطفال

١٣١

الفصل الاول : قصص الاطفال

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : بناء قصة الطفل

المبحث الثالث : قصص الحيوان

المبحث الرابع : قصص البطولة والغامرة

المبحث الخامس : قصص الخوارق

المبحث السادس : القصص الفكاهية

المبحث السابع : القصص التاريخية

المبحث الثامن : القصص العلمية

المبحث التاسع : الاساطير

المبحث العاشر : الحكايات

الفصل الثاني : شعر الاطفال

٢٠٧

٢١٧

الفصل الثالث : موسيقى الاطفال واغانיהם

الباب الرابع

وسائل الاطفال الى ادبهم

٢٢٩

الفصل الاول : صحافة الاطفال

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : انواع صحف الاطفال

المبحث الثالث : الفنون المصحفية في صحافة الاطفال

المبحث الرابع : اخراج صحف الاطفال

الفصل الثاني : كتب الاطفال

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : كتب الاطفال الصغار

المبحث الثالث : كتب الاطفال في العالم

٢٧٠

المبحث الرابع : كتب الاطفال في الوطن العربي
المبحث الخامس : شكل الكتاب
المبحث السادس : موسوعات ومعاجم ومحركات الاطفال

٢٩٩

الفصل الثالث : مسرح الاطفال

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : مسرح الاطفال في العالم

المبحث الثالث : مسرحية ادمى

٣٣٧

الفصل الرابع : برامج الاطفال في الاذاعة

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : برامج الاطفال في العالم

٣٥٣

الفصل الخامس : برامج الاطفال في التلفزيون

المبحث الاول : نظرة عامة

المبحث الثاني : برامج الاطفال في العالم

٣٧٦

الفصل السادس : افلام الاطفال في السينما والتلفزيون

المبحث الاول : الافلام والاطفال

المبحث الثاني : استجابات الاطفال لافلام الجريمة والعنف

٣٨٧

المراجع



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

رابط بديل
lisanerab.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٩٨٧

ISBN ٩٧٧ - ٠٢ - ١١١٤ - ٧